OSHO

أوشو



الإخلاص للحقيقة

ترجمة: د. محمد ياسر حسكي / كارمن الشرباصي

محادثات عن التصوف

دار الخيال

الإخلاص للحقيقة

Sufis The People Of The Path

الإخلاص للحقيقة

أوشو

ترجمة: د. محمد ياسر حسكي وَ كارمن الشرباصي

Copyright © 2009 Osho international fondation

www.osho.com

All right reserved

حقوق الترجمة العربية محفوظة للناشر ©



بناية يعقوبيان بلوك B طابق 3 شارع الكويت

المنارة بيروت

لبنان تلفاكس: 009611740110

Email: alkhayal@inco.com.lb

www.darelkhayal.com

التنفيذ الفني: 

الطبعة الأولى: 2016

Osho علامة تجارية مسجلة، عائدة إلى مؤسسة أوشو الدولية، لا يجوز استعمالها إلا بإذن

خاص

من المؤسسة الأم.

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الألكترونية أم الميكانيكية؛ بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

أوشو

الإخلاص للحقيقة

محادثات عن التصوف

من 27 / 08 / 77 صباحاً وحتى 10 / 09 / 77 صباحاً

ترجمة: د. محمد ياسر حسكي

كارمن الشرباصي



الفصل الأول

سبعة أودية

27 - 8 - 1977 صباحاً في قاعة «بوذا»

كان هناك ذات يوم امرأة من الذين تخلّوا عن الدين الذي ترعرعَت على الاعتقاد به. غادرَت صفوف المُلحدين أيضاً، وانضمّت إلى عقيدة أُخرى، ثمّ أصبحت مُقتنعة بحقيقة عقيدة ثالثة. في كلّ مرة كانت تُغيّر مُعتقداتها، كانت تتصوّر أنها حصلَت على شيء، ولكنّه غير كافٍ تماماً. في كلّ مرة كانت تدخل إلى جماعة مؤمنة كان يُرحّب بها، وكانت عضويتها تُحترم على أنها شيء جيّد ومُعتبر، وعلامة على قداستها وتنوّرها.

على أيّ حال، كانت حالتها الداخلية مليئة بالارتباك والتشويش. في النهاية، سمعَت كثيراً عن مُعلّم يُحتفل به هو الإمام «جعفر الصادق»، فذهبَت من أجل رؤيته. بعد أن استمع الى احتجاجاتها، قال: «عودي إلى منزلكِ، سوف أُرسل قراري في رسالة».

بعد وقت قصير وجدَت المرأة مُريد الشيخ عند الباب، وكان في يده كيس من المُعلّم، فتحته، ورأت أنه يتضمّن زجاجة يمتلئ نصفها بثلاث طبقات من الرمل المعبأ بالألوان: أسود، أحمر، أبيض، يقسمها قطع من القماش القطني، وفي الخارج كان مكتوباً: «أزيلي القماش القطني، وهزّي الزجاجة كي ترين ماذا تُشبهين».

أخرجَت القماش وهزّت الزجاجة، فاختلطت الحُبّيبات مختلفة الألوان من الرمال معاً، وكلّ ما تبقى لديها كان كتلة من الرمل الرمادي.

إنّ الإنسان مُتناقض، وهو الحيوان والكائن الوحيد المُتناقض، وهذا هو سرّ تفرّد الإنسان. تكمن خصوصية الكائن الإنساني في التناقضات العميقة داخله. جميع الحيوانات الأُخرى غير متناقضة، فالشجرة تكون شجرة، والكلب يكون كلباً، بيد أنّ الإنسان وحده لا يكون أبداً في حالة «يكون». إنه يُصبح دائماً وينمو. يفوق الإنسان دائماً نفسه، على نحو لامنطقي، وهذا الأمر موجود في جوهر كينونته.

ليس الأمر من قبيل الصدفة، بل هو أساسي جداً. بمُجرّد فهم هذه المفارقة، تحصل على أول لمحة عن الإنسان والإنسانية، وما هو الإنسان. إنّ الإنسان دائماً مشروع، وعملية أن يُصبح شيئاً أو أحداً ما، بل يتكوّن كيانه من كلمة «يُصبح»، وهذا هو التناقض. إنه دائماً بين ما كان وما سيكون. إنه دائماً بين

ماضيه ومستقبله، جسر مُعلق بين مرحلتين من الخلود، الماضي والمستقبل. إنه يتجاوز، ويُحاول أن يتفوّق على نحو مُستمر. لا يرضى الإنسان أبداً بما هو عليه، بل يُحاول التجاوز، ويُحاول دائماً التفوّق والذهاب إلى ما وراء الأشياء. مهما كان ما يقوم به، فإنّ جميع جهوده في الأساس مُوجهة تجاه كيف يُصبح شيئاً أو شخصاً أكثر، أعلى، أفضل.

يتوجّه الإنسان كلّ الوقت إلى الأمام في عملية تقدّم وتطوّر، وعبور سبيل، وحجّ دائم. إنّ حياته هي حجّ مُستمرّ لا ينتهي. تُولد الشجرة ومعها كلّ كينونة الشجرة، ويُولد الكلب ومعه كلّ كينونة الكلب، ولكنّ الإنسان ليس حقيقة مُحددة، بل يُولد فقط مع وجود إمكانية، واحتمال.

يُولد الإنسان صفحة خالية من الكتابة، دون أيّ شيء.

كلّ الكائنات الأخرى لديها جوهر معين، وروح مُعينة. أمّا عند الإنسان فكلّ شيء بالعكس، فهو يأتي إلى الوجود أولاً، ثمّ يبدأ السعي إلى جوهره. في الكائنات الأُخرى يأتي الجوهر أولاً، ثمّ الوجود. إنها تُحقق بالفعل البرنامج الذي خُلقت عليه، وهي لا تنمو وتبقى نفسها. هذا سبب أنها تبدو بريئة، غير قلقة أبداً، غير مُتوترة مُطلقاً. اِنظُر في عيون البقرة، كيف يملأها السلام، الهدوء، السكون، الصمت. ليس هناك أيّ قلق، أو كرب، وليس هناك غيوم.

اِنظُر في عيون الإنسان، تراها دائماً غائمة، وفيها كرب وغمّ، وهناك شكّ دائماً مع الأسئلة: «ماذا أفعل؟ هذا أم ذاك؟»، «هل سأكون قادراً على العثور على نفسي أم لا؟»، «هل سأُحقق ذاتي أم لا؟».

تتمتع الحيوانات بالسهولة والاسترخاء، بينما يكون الإنسان في توتر دائم. هذا هو تميزه وعظمته، وهذا هو ألمه في الوقت نفسه. هذه هي كرامته، وهذه هي مُشكلته أيضاً. تكمن عظمته في قدرته على خلق نفسه، فهو إله، وفي هذا عذابه، لأنّ هناك احتمالات دائمة لتعرضه إلى الفشل والسقوط، وقد لا يكون قادراً على خلق نفسه. مَن يدري؟ إنّ عظمته بسبب الحرية، وأنه لم تتمّ برمجته. إنه الحيوان الوحيد الذي بقي دون برنامج، ولم يُعطَ خريطة، ولم يُؤمر.

إنّ الإنسان هو الكائن الوحيد الذي لم يُؤمر. لقد أتي إلى الوجود فارغاً، وبعد ذلك بدأ يتلمّس طريق كينونته. ثمّ بدأ يتلمس طريقه ويخلق ويبحث. إنّ الإنسان مُغامرة.

بيد أنه مع المغامرة هناك عدم اليقين، انعدام الأمان، الفشل، الخوف. يُمكن أن يكون الإنسان مُخطئاً دائماً. هناك احتمالية أكبر أن تجري الأمور على نحو خاطئ، واحتمالية أقلّ أن تجري على نحو صحيح. هناك ألف طريقة وطريقة، أيّ طريقة هي الصحيحة؟ أنت على الأغلب تشعر بالقلق، وأيّ كان ما تختاره فأنت تختاره مع عدم اليقين، لأنه لا يُمكنك اطلاقاً أن تكون على يقين هل هذا الطريق سيقودك إلى هدفك، أم سينتهي بك إلى طريق مسدود في مكان ما، هل سيصل بك إلى مكان ما أم سينتهي في الصحراء فقط.

إنّ مجد الإنسان في حريته، وأنه يستطيع أن يخلق نفسه، ويكون نفسه، وليس هناك شيء مفروض عليه، بل هو مُنفتح على كلّ النهايات. بينما يكمن بؤس الإنسان في أنه لا يستطيع أن يكون مُتيقناً، ولا أن يكون واثقاً اطلاقاً أنه على الطريق الصحيحة، وهل ما يفعله له معنى أم لا.

إنّ الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يُمكن أن يُصاب بالجنون، وهو يمتلك مشاكلاً عليه أن يُواجهها، يحلّها، يتخطّاها، وهذا هو أول شيء أودُّ منك أن تفهمه.

كان هناك مُعلّم صوفي عظيم، من أحد العظماء على مرّ العصور، اسمه «الغزالي» يقول: «على طريق النمو البشري من الإنسان إلى الإله، من الإنسان المُحتمل إلى الإنسان الفعلي، من الاحتمالية إلى الواقع، هناك سبعة وديان». هذه الوديان السبعة ذات أهمية هائلة. حاول أن تفهمها لأنه سيتعيّن عليك المرور خلالها.

يجب على الجميع أن يمرَّ خلال هذه الوديان السبعة. إذا فهمتَ ما يجب فعله في الوادي على نحو صحيح، ستُصبح لديك القدرة على أن تذهب أبعد منه، وتصل إلى القمة، لأنّ كلّ وادٍ مُحاط بالجبال. إذا تمكّنتَ من العبور خلال الوادي، ولم تقع في شركه، ولم تضِع فيه، ولم تتعلّق كثيراً به، إذا حافظتَ على نفسك مُنعزلاً، مُنفصلاً، مُراقباً، وحافظتَ على تذكّر أنّ هذا ليس منزلك، وأنك غريب هنا، وتابعتّ التذكّر أنه لا بُدّ من بلوغ القمة، ولم تنسَ القمة، فستصل إلى القمة، ويكون هناك مع عبور كلّ وادٍ، احتفال كبير.

بيد أنه بعد كلّ وادٍ يجب عليك الدخول إلى وادٍ آخر، ويستمرُّ الحال هكذا، فهناك سبعة وديان. بمُجرّد أن تصل إلى الوادي السابع، لا يعود هناك المزيد من الأودية. عندها يكون الإنسان قد وصل إلى كينونته، ولم يعُد مُتناقضاً، ولا يعود هناك توتر، ولا كرب. هذا ما أسميناه في الماضي «البوذية»، وهذا ما يُسمّيه المسيحيون حالة كونك «المسيح»، وهذا ما يُسمّونه أتباع «الجاين»: أن تُصبح مُنتصراً. هناك العديد من التسميات، ولكنّ الفكرة الرئيسة هي أنه ما لم يُصبح الإنسان إلهاً، فسيبقى في حالة قلق، وحتى تُصبح إلهاً، لا بُدّ من عبور هذه الوديان السبعة.

يمتلك كلّ وادٍ مُغرياته الخاصة، فمن المُحتمل جداً أنك قد تتعلّق بشيء ما، ولا تكون قادراً على أن تُغادر الوادي. يجب عليك أن تُغادره إذا أردتَ الدخول إلى الوادي الثاني، وبعد كلّ وادٍ هناك قمة جبل هائلة. بعد كلّ وادٍ هناك ابتهاج، ويمتدُّ هذا الابتهاج حتى يُصبح أكثر فأكثر قوة، ثمّ بعد ذلك، في نهاية المطاف، تصل في الوادي السابع إلى النشوة الكونية، فتختفي ويبقى الإله فقط.

اِستمع إلى هذه الوديان السبعة وحاول أن تفهمها، ولا تظنّ أنّ «الغزالي» يتحدّث عن شيء فلسفي. إنّ الصوفيين ليسوا مُهتمّين بالفلسفة على الإطلاق. إنهم أناس عمليون للغاية، وإذا قالوا شيئاً فهم يقصدونه. إذا قالوا شيئاً، فهو يُقال إلى الباحث، ولا يُقال إلى الفضوليين، ولا إلى المُفكّرين، إنه يُقال إلى هؤلاء الذين هم على الطريق، الذين يعملون بكدّ من أجل الحصول على لمحة من الحقيقة. إنه من أجل الباحثين.

الوادي الأول، يُسمّى وادي المعرفة.

من الطبيعي، بل يجب أن تكون المعرفة هي الوادي الأول لأنّ الإنسان يبدأ من خلال المعرفة. ليس هناك حيوان آخر يمتلك المعرفة، بل وحده الإنسان يعرف، ويجمع المعرفة. وحده الإنسان يكتب، يقرأ، يتكلّم. وحده الإنسان يمتلك اللغة، الكتب المُقدّسة، النظريات، ومن أجل ذلك، يجب أن تكون المعرفة هي الوادي الأول.

إنّ الجزء السلبي من الوادي هو أنك يُمكن أن تُصبح توّاقاً للمعرفة، مُدمناً على المعرفة. يُمكن أن

تنسى الغرض الحقيقي من التعلّم، وتُصبح مُتعلقاً بالمعرفة نفسها. عندئذ سوف تجمع المعرفة أكثر فأكثر، وقد تُمضي حيوات بأكملها وأنت تُراكم المعرفة. قد تُصبح صاحب معرفة عظيمة، ناقداً، لكنك لن تُصبح عارفاً.

طريق العارف مُختلف تماماً عن طريق المعرفة.

عندما تحدث المعرفة هناك أمران: محتوى المعرفة، عندما تعرف شيئاً ما، والوعي، المرآة، أي أنت الذي يعرف. إذا أصبحتَ مُتعلّقاً بشدة بمُحتوى المعرفة بدلاً من القدرة على التعرّف، سوف تتوه في هذا الوادي. هذا الجزء الذي يُمكنه أن يجعلك تقع في الشرك، وتُصبح مُدمناً، مُتعلّقاً، هو ما أُسمّيه الجزء السلبي.

إذا أصبحت حسن الاطلاع وكثير المعرفة فقد تهت، ولن تستطيع عبور الوادي الأول، وكلّما زاد قدر المعرفة لديك، أصبحتَ أكثر اضطراباً، فلا تُوجد طريقة كي تُحدد الصواب. كلّ ما تسمعه، إذا تمّ تقديمه إليك بصورة صحيحة، وتمّ وضعه أمامك على نحو منطقي، سيبدو صحيحاً. ليس هناك طريق آخر أمامك كي تُقرر، وليس هناك معيار. هذا هو سبب استمرار حدوثه. أنت تذهب إلى مُعلّم وتستمع إليه، فيبدو كلامه صحيحاً. وبعد ذلك تذهب إلى مُعلّم آخر وتستمع إليه، ويبدو كلامه صحيحاً أيضاً. تقرأ كتاباً فيبدو صحيحاً، وتقرأ كتاباً آخر مُعاكساً تماماً، وهو بدوره لديه منطقه، فيبدو صحيحاً. ليس هناك طريقة كي تُقرر ما هو الصواب، وإذا مضيتَ في التجميع سوف تستمرُّ في تكديس المُتناقضات، والبيانات المُتضادة. هناك الملايين من وجهات النظر، وعاجلاً أم آجلاً، سوف تُصبح مُجرّد حشد من الكثير من الفلسفات والأنظمة. لن يُساعدك هذا الأمر، بل سيُصبح العائق الأكبر.

هكذا فإنّ أول شيء هو أنه في وادي المعرفة لا بُدّ على الإنسان أن يبقى مُتيقظاً، على الإنسان أن يكون مُهتمّاً بشدة بالقدرة على المعرفة، وليس بالمادة، أو المُحتوى. يجب على الإنسان أن يُؤكّد على المُراقبة، وأن يُصبح مُنتبهاً، واعياً أكثر فأكثر، وبذلك يُصبح الإنسان عارفاً. لا يُصبح الإنسان عارفاً حقيقة من خلال معرفة الكثير من الأشياء، بل بمُجرّد أن يُصبح أكثر وعياً.

إنّ طريق المعرفة ليس له علاقة بالكتب المُقدّسة، الآراء، الأنظمة، المُعتقدات. إنه مُتعلّق بالقدرة على المعرفة، وأنك تستطيع أن تعرف. لديك هذه الطاقة الهائلة كي تكون واعياً، ومن أجل ذلك يجب أن تهتمّ بالحاوية، وبالوعي، ولا تهتمّ بالمُحتوى.

لا تنشغل بالمعرفة، بل اهتمّ بالعارف. إنّ المعرفة هي ظاهرة السهم المُزدوج، إذ يُشير أحد الأسهم إلى المعرفة، ويُشير السهم الآخر إلى العارف. إذا واصلتَ النظر إلى المعرفة سوف تتوه في هذا الوادي، أمّا إذا بدأتَ تنظر إلى العارف فلا يُمكنك أن تتوه، بل ستكون قادراً على أن تتجاوز هذا الوادي. بمُجرّد عبورك وادي المعرفة، يحدث فرح هائل وعظيم، لأنك استوعبتَ شيئاً جوهرياً للغاية في نفسك، شيئاً سيبقى إلى الأبد، شيئاً أساسياً للغاية وهو القدرة على المعرفة، القدرة على أن تكون واعياً.

هكذا، إذا نظرتَ إلى العارف، وأصبحت أكثر انتباهاً إليه، فقد استخدمت الأمر الإيجابي.

يُسمّى الوادي الثاني وادي التوبة «الندم».

عندما تبدأ في النظر إلى مَن تكون، من الطبيعي أن ينشأ ندم شديد. بسبب كلّ ما اقترفته من أخطاء، وكلّ ما فعلته، وكان يجب ألا تفعله، تبدأ في الشعور بالندم.

هكذا تصل إلى قمة عظيمة مع الوعي، ومع الوعي ينشأ الضمير فجأة. تذكّر أنّ الضمير الذي تملكه ليس الوعي الحقيقي. إنه عملة زائفة، فقد منحك إياه المُجتمع.

لقد أخبرك الناس ما الصواب وما الخطأ، ما هو أخلاقي، وما هو غير أخلاقي. أنت لا تعلم بالضبط الأخلاقي أو غير الأخلاقي. بيد أنك بعد عبور الوادي الأول ستكون قادراً على أن تعرف بالضبط ما هو صواب وما هو خطأ، وبعدها فجأة سوف ترى الخطأ الذي اقترفته: كم آذيتَ من الناس، كم كنتَ «سادياً» مع الآخرين، كم كنتَ «ماسوشياً» مع نفسك، كم كنتَ حتى الآن مُدمّراً، عدوانياً، حاداً، غاضباً، غيوراً. كلّ ذلك سوف يأتي إلى رؤيتك. ينشأ الضمير كناتج طبيعي ثانوي بعد أن تُصبح واعياً.

هذا الوعي ليس له أيّ علاقة بالوعي العادي المُستعار الذي تملكه، والذي تستطيع الاحتفاظ به دون أن يُؤنبك؛ إنه لا يُسبب الألم الحقيقي الذي تستطيع أن تتحوّل من خلاله. أنت فقط تعرف بالتقريب ما هو الصواب، وتستمرُّ في ارتكاب الأخطاء، وفعل ما ترغب في فعله أيّ كان. إنّ معرفتك عن الصواب لا تُشكلّ أيّ فارق داخلك. أنت تعرف أنّ الغضب شيء سيء، ولكنك تبقى غاضباً. من ناحية أنت تعرف أنّ الغضب سيء، ومن الناحية الأُخرى ليس هناك مشكلة، إذ تستمرُّ في كونك غاضباً. أنت تعرف من ناحية أنّ التملك ليس جيداً، ومن الناحية الأُخرى تستمر في الاكتناز، وفي التملك، ولا تمتلك فقط الأشياء، بل تبدأ حتى في امتلاك الأشخاص. أنت تمتلك زوجتك، زوجك، أطفالك، وكأنهم أشياء، وكأنه يُمكن امتلاكهم. أنت تُدمّر من خلال تملكك، وأنت تعلم أنه أمرٌ خاطئ.

لا يقوم هذا الوعي المُستعار بالمساعدة، إنه ببساطة يُثقل كاهلك. مع عبور الوادي الأول، ينشأ وعيك الخاص. أنت تعرف الآن بالضبط ما هو خطأ، ويُصبح من المُستحيل أن تفعل خلاف ذلك. هذه هي النقطة حيث تُصبح مقولة «سقراط» ذات معنى: «المعرفة فضيلة».

أما الجزء السلبي من وادي التوبة، فهو أنه قد تُصبح قلقاً للغاية بشأن الذنوب المُتعلّقة بالماضي، وأنك فعلتَ هذا الخطأ وذاك الخطأ، وأنك كنتَ تفعل الملايين من الأخطاء. لقد كنتَ دون وعي هنا فترة طويلة إلى درجة أنك لو بدأت في عدّ كلّ ذلك، فستخلق نوعاً من المرض. سوف تُصبح مُذنباً للغاية إلى درجة أنه بدلاً من النضج، ستسقط في ظلام دامس.

من هنا، إذا ارتفع الشعور بالذنب وأصبحتَ مريضاً، ومضطرباً للغاية بشأن الماضي، فستبقى في الوادي الثاني. ولن تستطيع أن تتجاوزه. إذا أصبح الماضي مُهمّاً للغاية، من الطبيعي حينها أن تبكي وتنتحب باستمرار، وتضرب صدرك قائلاً: «ما الخطأ الذي كنتُ أفعله!».

إنّ الجزء الإيجابي هو أنك يجب أن تُصبح مُهتمّاً بالمستقبل، وليس بالماضي. نعم، لقد لاحظتَ أنك كنتَ تقترف الأخطاء، ولكنّ ذلك كان أمراً طبيعياً لأنك كنت غير واع. هكذا ليس هناك حاجة أن تشعر بالذنب. كيف يُمكن للإنسان أن يكون مُصيباً بينما هو غير واعي؟ لقد لاحظتَ أنّ ماضيك بأكمله كان خاطئاً، ولكنه لا يُشكلّ عبئاً على صدرك. أنت على علم بذلك، وهذا العلم يُساعدك لأنك لن تستطيع أن تفعل ذلك مُجدداً، فقد انتهيت منه. أنت تشعر بالحزن لأنك كنتَ تُؤذي الكثير من الأشخاص بطرق شتى، لكنك تشعر بالفرح أيضاً في الوقت نفسه، لأنه لن يحدث ذلك مُجدداً. لقد تحررتَ من الماضي ومن الذنب!

لم تعُد مُهتمّاً بالماضي، بل أصبحتَ مُهتمّاً بالمستقبل، والبداية الجديدة.

إنّك الآن تمتلك وعيك الخاص، سوف يكون المستقبل الآن مُختلفاً تماماً، ويحمل نوعية مُختلفة على نحو جذري. سوف تشعر بالإثارة من المغامرة. أنت تمتلك الآن وعيك الخاص، ولن يسمح لك وعيك إطلاقاً أن تفعل الخطأ مرة أُخرى. هذا لا يعني أنه سيتعين عليك أن تتحكّم بالأمر، فعندما ينشأ الوعي الحقيقي، فلن تكون هناك حاجة إلى التحكّم، ولا إلى فرض النظام. وسيُصبح الصواب شيئاً طبيعياً. عندئذ سوف يكون السهل هو الصواب، والصواب هو السهل.

في الحقيقة، بمُجرّد أن ينشأ الوعي داخلك، لو أردتَ أن تفعل شيئاً خاطئاً سوف يكون عليك بذل الكثير من الجهد حتى تفعله. وحتى عندها لن يكون هناك إمكانية كبيرة لنجاحك في ذلك.

دون وعيك الخاص سوف يكون عليك أن تبذل الكثير من الجهد حتى تكون على صواب، وحتى وقتها قد لا تنجح في ذلك، ومن هنا يشعر الإنسان بالفتنة. يشعر الإنسان بالحزن على الماضي، ولكنه لم يعُد مثقلاً، لأن الماضي قد انتهى. هذا هو الجزء الإيجابي، إذ يشعر الإنسان أنّ التحول قد حدث، وأنّ النعمة قد حلّت، وأنّ الإله قد أعطاك أعظم هبة من الوعي. سوف تنتقل الآن حياتك إلى بُعد جديد تماماً، وتكون على مسار جديد.

هنا تُولد الأخلاق الحقيقية، الفضيلة، «الهبة».

إنّ الوادي الثالث هو وادي العقبات.

بمُجرّد أن ينشأ الوعي ستكون قادراً الآن على أن ترى عدد العقبات الموجودة. تنفتح عيونك كي ترى عدد العوائق الموجودة. لقد بنيت الجدران فوق الجدران، وهناك أبواب أيضاً، ولكنها قليلة ومُتباعدة. سوف تكون قادراً على أن ترى جميع العقبات.

يقول «الغزالي» توجد أربع عقبات: الأولى: العالم المُغري، عالم الأشياء وهي ساحرة للغاية، وهنا تنشأ الشهوة. هذا سبب قول كلّ الديانات إنه يجب على الإنسان أن يتجاوز إغراء الدنيا، لأنك إذا فُتنت كثيراً بالدنيا، وتاقت نفسك كثيراً إلى الأشياء الدنيوية، فلن تكون لديك الطاقة الكافية كي ترغب في الإله. سوف تُهدر رغبتك على الأشياء.

إنّ الإنسان الذي يرغب في امتلاك بيت كبير، حساب كبير في البنك، نفوذ قوي في العالم، احترام كبير، يضع كلّ رغباته ويستثمرها في الدنيا، ولا يبقى لديه شيء من أجل البحث عن الإله.

إنّ الأشياء ليست سيئة في حدّ ذاتها. تذكّر أنّ الصوفيين ليسوا ضدّ الأشياء، فهم يقولون إنّ الأشياء جيدة في حدّ ذاتها. ولكن لن يستطيع أن يتحمّلها الشخص الذي يبدأ في البحث عن الإله وعن الحقيقة المُطلقة. أنت تمتلك نوعية مُعينة وقدراً محدداً من الطاقة، ويجب أن تُوضع كلّ الطاقة في رغبة واحدة. يجب أن تُصبح كلّ الرغبات رغبة واحدة، عندها فقط يُمكن الوصول إلى الإله، عندها فقط يُمكنك عبور الوادي الثالث.

نحن نمتلك في العادة الكثير من الرغبات، بينما الشخص المُتديّن هو الشخص الذي لديه رغبة

واحدة فقط، نعم لقد تحوّلَت كلّ رغباته الأُخرى إلى رغبة واحدة كبيرة، تماماً مثلما تتجمع الأنهار الصغيرة، القنوات الصغيرة، الروافد وتُصبح نهر «الغانج» الكبير. كذلك يكون الشخص المتدين هو الشخص الذي أصبحَت كلّ رغباته الأُخرى رغبة واحدة: إنه يرغب فقط في الإله، إنه يرغب فقط في السمو.

إذاً العقبة الأولى هي العالم المُغري، بينما العقبة الثانية هي التعلّق بالناس.

تذكّر من جديد أنّ الصوفيين ليسوا ضدّ الناس، ولكنهم يقولون إنّه يجب ألّا يُصبح الإنسان مُتعلّقاً بالناس. وإلا فإنّ هذا التعلّق سوف يُصبح عقبة وعائقاً على الطريق إلى الإله. كُن مع امرأتك، كوني مع رجلكِ، كونوا مع أطفالكم، كونوا مع أصدقائكم. لكن تذكّروا أنّنا جميعنا غرباء هنا، وأنّ اجتماعنا مُجرّد مُصادفة. نحن جميعاً مسافرون، لقد تقابلنا على الطريق. قد نبقى مع بعض أياماً قليلة، ويجب أن نكون شاكرين على ذلك، ولكن عاجلاً أم آجلاً سنفترق. سوف تموت زوجتك وتمضي في طريقها الخاص، ولن تعرف أبداً أين هي، أو تقع زوجتك في حُبّ شخص آخر، ويتفرّق بكما الطريق. أو تقع أنت في حُبّ انسانة أُخرى. أو يكبر ابنك ويأخذ مسؤولية حياته في يده وينفصل عنك، إذ يجب على جميع الأبناء أن ينفصلوا عن والديهم.

إننا مُجتمعون على هذا الطريق عدة أيام فقط، فوجودنا مع بعض شيء عرضي، ولن يستمرّ إلى الأبد. من أجل ذلك، كُن مع الناس، مُحباً، رحيماً، ولكن لا تكن مُتعلّقاً، وإلا فلن يمنحك هذا التعلق الحرية الكافية كي تذهب أبعد من ذلك.

إذاً العقبة الثانية هي التعلق بالناس، ثمّ يُسمّي «الغزالي» العقبة الثالثة الشيطان، والعقبة الرابعة هي الأنا المزيفة.

المقصود بالشيطان هنا هو التفكير الذي جمعتَه في الماضي. على الرغم من أنه قد نشأ الوعي، وأصبحتَ أكثر وعياً من ذي قبل، فإنّ آليات التفكير ما زالت هناك مُختبئة على جنب، وسوف تبقى كامنة فترة أطول. لقد كانت مصاحبة لك فترة طويلة، فلن تستطيع أن تُغادرك فجأة. سوف تستغرق بعض الوقت. بينما تنتظر وتُراقب، لو أُتيحت لها أيّ فرصة، فإنها ستقفز في الحال وتستحوذ عليك. لقد كانت سيّدك، وكنت تعمل لديها مثل العبد. لن يقبل التفكير أنك أصبحتَ سيّداً فجأة، بل سيستغرق الأمر بعض الوقت.

إنّ التفكير عبارة عن آلة، إنه دائماً موجود. بالنسبة إلى الباحث، يكون التفكير هو الشيطان. كلّ القصص عن الشيطان ليست إلا عن التفكير. إنّ «الشيطان» أو « إبليس»، كما يُطلق الصوفيون عليه هو مُجرّد اسم خرافي للتفكير.

عندما أغوى الشيطان «المسيح»، هل تعتقد أنه كان هناك ابليس يقف في الخارج؟ لا تكن أحمقاً! لا يُوجد شيطان يقف في الخارج. لقد جاء الإغواء من تفكير «المسيح» الخاص. يقول له التفكير : «لقد أصبحتَ الآن خارق القوى، لماذا تُشغل بالك بباقي الأمور؟ لماذا لا يكون لديك مملكة تشمل العالم كله؟ تستطيع أن تمتلكها! إنها في مُتناول يديك. تستطيع أن تستحوذ على العالم بأسره، إنك تملك قوة هائلة. إنك عال روحياً. لقد تحقق كمالك. تستطيع أن تمتلك كلّ الأموال وتحظى بالاحترام الذي تُريد. لماذا تهتمّ بالإله والدين؟ اِستخدم هذه الإمكانية واستغلّها!»، هكذا يُغوي التفكير.

عندما قال «المسيح»: «لا تأتِ إلى طريقي. اِذهب بعيداً!»، لم يكن يتحدّث مع شيطان في الخارج. إنه ببساطة يقول إلى التفكير: «أرجوك لا تأتِ إلى طريقي. أنا لم أعُد مُهتمّاً بما لديك من رغبات، ومشاريع، إنني في رحلة مُختلفة كلياً، لا تعرف أنت أيّ شيء عنها، اِلتزم الصمت».

العقبة الرابعة هي الأنا المزيفة، وهي احدى أكبر العقبات على طريق الباحث. عندما تُصبح واعياً قليلاً، ويرتفع مستوى وعيك، وتبدأ في رؤية العقبات، تتملكك الأنا المزيفة العظيمة فجأة من اللامكان: «لقد أصبحتُ قديساً، حكيماً، ولم أعُد شخصاً عادياً، إنني استثنائي!»، كلّ المشكلة في أنك فعلياً استثنائي! إنها الحقيقة! وهكذا تستطيع الأنا المزيفة أن تُثبت ذلك. هذه هي المُشكلة الكبرى، لأنّ الأنا المزيفة لا تقول مُجرّد هراء. إنه شيء معقول، بل إنه كذلك بالضبط!

مع ذلك يجب أن يبقى الإنسان مُنتبهاً أنه إذا وقع في شرك الأنا المزيفة، وفي فكرة أنه «استثنائي»، عندها سيبقى دائماً في الوادي الثالث، ولن يكون قادراً أبداً على بلوغ الوادي الرابع الذي سيجلب المزيد من الأزهار والقمم العالية والأفراح الأكبر، بينما أنت ضائع في الوادي الثالث.

هذا هو المكان حيث تُصبح القوى الروحية الداخلية أكبر عائق.

إنّ الجزء السلبي هو أن تبدأ في مُقاومة هذه العقبات المُربكة. لو بدأت في المقاومة، سوف تتوه في الوادي. ليس هناك داع أن تُقاوم، ولا أن تخلق العداوة، بل مُجرّد الفهم يكفي.

إنّ المُقاومة تعني الكبت. تستطيع أن تكبت الأنا المزيفة، وتكبت تعلقك بالناس، وتكبت توقك إلى الأشياء، وتكبت شيطانك، وتكبت تفكيرك، بيد أنّ المكبوت سيبقى، و لن تكون قادراً على الدخول إلى الوادي الرابع.

وحدهم من ليس لديهم أيّ شيء مكبوت يدخلون الوادي الرابع، ومن أجل ذلك لا تبدأ في الكبت.

أما الجزء الإيجابي فهو خوض التحدي مع الأنا المزيفة التي تتحداك. لا تأخذها على أنها عدو، بل بدلاً من ذلك خذها على أنها تحدي عليك أن تتخطاه. لا تتصارع معها، اِفهمها، اِنظر داخلها بعُمق، اِنظر داخل آليتها: كيف تعمل، كيف تنشأ الأنا المزيفة الجديدة داخلك، كيف يستمرّ التفكير في التلاعب بك، كيف أصبحتَ مُتعلّقاً بالناس، كيف أصبحتَ مُتعلّقاً بالأشياء. تمعّن في كيفية حدوث الأمر من خلال المراقبة الهادئة ودون عدوانية. إذا أصبحتَ مُعادياً بأيّ طريقة، فقد تمّ اصطيادك. إذا أصبحت مُتسامحاً، فقد تمّ اصطيادك، وهذان الأمران هما أسهل الأشياء. يعرف الناس أمرين فقط: كيف يُصبحون أصدقاء، أو كيف يُصبحون أعداء. ذلك هو الفهم العادي الوحيد المُمكن.

إنّ الشيء الثالث سوف يُساعد. كُن مشاهداً، مُلاحظاً، دون عداوة أو صداقة. كُن غير مبال. فقط لاحظ أنهم هناك، لأنك لو اتخذت أيّ موقف شعوري «مع أو ضدّ» سيُصبح الشعور عبودية، فالشعور يعني أنك أصبحتَ مُتعلقاً. تذكّر، أنت مُتعلّق بأعدائك مثلما أنت مُتعلّق بأصدقائك. إذا مات عدوك فستفتقده بالقدر نفسه الذي تفتقد فيه صديقك، بل أكثر في بعض الأحيان، لأنه كان يُعطي بعض المعنى لحياتك، وكنتَ من خلال الاقتتال معه تستمتع بالرحلة. بيد أنه لم يعُد موجوداً الآن، والأنا المزيفة التي كانت ترضى من خلال الاقتتال معه لن تحصل على ذلك مُجدداً أبداً، ولذلك يتعيّن عليك إيجاد عدو جديد.

هكذا لا تصنع أعداء ولا تصنع أصدقاء. راقِب فقط. كُن مُلاحظاً دقيقاً للغاية. هذا هو الشيء الإيجابي الذي تستطيع فعله. اِستكشف ما هي الأنا المزيفة، وافعل ذلك بفرح. اِستكشف ما هي الشهوة، وافعل ذلك بفرح.

بعد ذلك يأتي الوادي الرابع وهو وادي المحن.

يحدث الدخول إلى اللاوعي في الوادي الرابع. لقد كنتَ حتى الآن في مخاض عالم الوعي. أما الآن، وللمرة الأولى، سوف تدخل إلى عوالم أعمق من كيانك، إلى اللاوعي، الجزء الأكثر ظلاماً، الجزء الليلي. لقد كنت حتى الآن في الجزء النهاري، وكان الأمر أسهل. أمّا الآن فستُصبح الأشياء أكثر صعوبة. كلّما صعدتّ إلى الأعلى، كان عليك أن تبذل المزيد. مع كلّ درجة تعلوها تُصبح الرحلة أكثر قسوة، ويُصبح السقوط أكثر خطورة، ويجب أن يكون الإنسان أكثر انتباهاً. ستحتاج إلى وعي أكبر مع كلّ خطوة، لأنك سوف تتحرّك إلى مُستويات أعلى.

إنّ وادي المحن هو المدخل إلى اللاوعي. إنه المدخل إلى ما أطلق عليه الحكماء المسيحيون «ليلة الروح المُظلمة». إنه المدخل إلى العالم المجنون الذي تُخفيه وراء نفسك. إنه عالم شديد الغرابة، إنه عجيب بشدة. يستطيع الإنسان حتى الوادي الثالث أن يتقدّم دون مُعلّم، ولكن ليس أبعد من الثالث. يستطيع الإنسان حتى الوادي الثالث أن يتقدّم بمُفرده، ولكن مع الوادي الرابع يُصبح المُعلّم ضرورة.

عندما أقول إنّ الإنسان يستطيع المضي قدماً حتى الوادي الثالث بمفرده، فأنا لا أقصد أنه يجب على الإنسان أن يتقدّم، ولا أقصد أنّ الجميع سوف يكون قادراً على أن يتقدّم. أنا أتكلّم ببساطة عن احتمال نظري. حتى الوادي الثالث يستطيع الإنسان نظرياً أن يتقدّم دون مُعلّم، ولكن مع الوادي الرابع، يُصبح المُعلّم ضرورة حتمية، لأنك الآن سوف تكون غارقاً في الظلام. أنت لا تمتلك حتى الآن أيّ ضوء خاص بك تستطيع أن تستخدمه في هذا الظلام. سوف تكون هناك حاجة إلى ضوء شخص آخر، قد مضى سابقاً من خلال تلك الليلة المظلمة، وأصبح يستطيع أن يرى من خلال ذاك الظلام.

إنّ الشكّ هو الجزء السلبي من وادي المحن. سوف ينشأ لديك شكٌ هائل! أنت لا تعرف الشكّ الذي ينتظرك بعد! كلّ ما تعتقد أنه شكّ، ما هو إلا نزعة إلى الشكّ، وليس شكّاً حقيقياً. فالشكّ ظاهرة مُختلفة كلياً.

يقول البعض: «إنّ الإله موجود»، فتقول: «أشكّ في ذلك». أنت لا تشكّ! كيف يُمكن أن تشكّ؟ أنت فقط مُتشكك. أنت فقط تُريد أن تقول: «أنا لا أعرف»، ولكن بدلاً من أن تقول «لا أعرف»، تستخدم كلمة قوية للغاية هي «الشكّ». كيف يُمكن أن تشكّ؟ إنّ الشكّ مُمكن فقط عندما تُواجه واقعاً.

على سبيل المثال، أنت لم ترَ شبحاً على الاطلاق، وتقول: «أنا أشكّ في وجود الأشباح». هذا ليس شكاً، إنه فقط تعبير عن أنك مُتشكك. أنت ببساطة تقول: «أنا لم ألتقِ بواحد مُطلقاً، كيف أستطيع أن أُصدّق. أنا أشكّ في ذلك»، بيد أنّ هذا ليس شكاً. إنّ الشكّ سيكون عندما تمرُّ ذات يوم جوار المقبرة، ثمّ تُصادف شبحاً فجأة! عندها سوف يهتزُّ كيانك بالكامل. وتكون في المرة الأولى في الحالة التي ينشأ فيها الشكّ: هل الشيء الذي تُواجهه حقيقة أم هلوسة.

إنّ الشكّ وجودي للغاية، أما النزعة إلى الشكّ فهي أمرٌ فكري. يكون الارتياب فقط في التفكير،

بينما يدخل الشكّ إلى كيانك العميق، وإلى كامل المنظومة التي تربط جسدك مع تفكيرك وروحك. إنه يهزُّ مجموعك الكليّ.

ينشأ الشكّ في هذه الليلة المُظلمة للروح. ينشأ الشك في الإله، لأنك كنتَ تتلّمس مزيداً من الضوء وحدث العكس تماماً. لقد كنتَ تتلمّس مزيداً من النعيم، وها أنت سقطتَ في الليلة المظلمة. ينشأ شك هائل عمّا إذا كنت تسير في الطريق الصحيح، وإذا كان هذا البحث يستحق، لأنك كنت تبحث عن الذهب وعن النور العظيم، وعن التنوير الهائل، وعن لحظات «نيرفانا»، «سامادهي»، «ساتوري»، ولكن بدلاً من أن تختبر تلك اللحظات، فقد غمرتك هذه الليلة المظلمة. وحتى تلك الأنوار التي كانت عادة موجودة لم تعُد موجودة، وحتى تلك اليقينيات التي كانت موجودة لم تعد موجودة.

لقد اعتدتَ أن تعرف أشياء محددة، بيد أنك الأن لا تعرف شيئاً. لقد كان لديك بعض الأمان، ولكن حتى ذلك قد اختفى. لقد انزلقت الأرض بعيداً من تحت قدميك، وأنت تغرق. هنا يثور الشكّ إذ تبدأ في الشعور أنه قد تكون هذه الرحلة الدينية في المجمل مُجرّد هراء كبير. رُبّما ليس هناك إله، رُبّما كنتَ تخدع نفسك، رُبّما اخترتَ شيئاً سخيفاً. لقد كان من الأفضل أن تعيش في العالم، وتكون منه. لقد كان من الأفضل أن تمتلك أشياء أكثر بكثير، وتتمتع بالقوة، الجنس، المال. ما الذي فعلته؟ لقد فقدتَ كلّ شيء وهذه هي النتيجة!

تمرُّ هذه اللحظة على كلّ باحث، وإذا ثار هذا الشكّ، فمن الطبيعي حينها أن يبدأ الإنسان في الدفاع عن نفسه ضدّ الظلام. يخلق الإنسان درعاً واقياً حول نفسه ضدّ الظلام الغازي. يجب على الإنسان أن يحمي نفسه. إذا فعلتَ ذلك، فسيتمّ الدفع بك مُجدداً إلى الجزء الواعي من التفكير. سوف تُضيّع لغز الظلام. النور جميل، ولكنه لا شيء مُقارنة مع الظلام. إنّ الظلام اكثر جمالاً، أكثر هدوءاً، أكثر عمقاً. يمتلك الظلام عمقاً، بينما النور سطحي. وإلى أن تكون قادراً على أن تُرحّب بالظلام، فلن تكون قادراً على أن تُرحّب بالموت.

هكذا، فإنّ الدرس الأول هو أنه يجب عليك أن تتقبل، تُرحّب، تسترخي. هذا الظلام هو أول لمحة من الإله. إنه مظلم، ولكن بعد فترة سوف تفهم أنه لم يكن مُظلماً. لقد كان كذلك بالفعل في أول مرة فتحتَ فيها عينيك نحو الإله، لقد كان شديد السطوع، ولذلك بدا مُظلماً. إنه لم يكن مُظلماً، ولكنّك فسّرتَه على أنه ظلام.

اِنظر إلى الشمس عدة ثوان وسرعان ما ستكون مُحاطاً بالظلام. إنه قوي جداً، ولا تستطيع تحمله. يُمكن أن يُصاب الإنسان بالعمى من خلال النظر طويلاً إلى الشمس. اِنظُر إلى الشمس عدة ثوان، ثمّ اِدخل إلى بيتك، وستجد بيتك بأكمله مليئاً بالظلام. لقد كنتَ هنا منذ دقيقة مضَت، وكنتَ قادراً على أن ترى كلّ شيء، أمّا الآن فأنت لا تستطيع رؤية أيّ شيء، وسوف تتعثر بالأشياء.

قد يكون التفسير أنه قد حلّ الظلام، بيد أنّ هذا طبيعي. بعد فترة عندما تكون قد عبرت الوادي ستكون قادراً على أن تنظر إلى الخلف وترى الحقيقة. يستطيع المُعلّم وحده أن يُمسك بيديك في هذه الليلة المظلمة من الروح ويجعلك واثقاً، يستطيع أن يُحدّثك ويُقنعك: «لا تقلق. إنّها تبدو مُظلمة فقط، إنه ليس ظلاماً. إنّه اللقاء الأول مع الإله. أنت تقترب».

هناك ثلاثة أشياء يجب فهمها: النوم، الموت، ولحظات «سمادهي».

إنّ النوم مثل الموت. نحن نُطلق عليه في الشرق الموت الصغير. الموت الخفيف. نحن نموت كلّ ليلة ونختفي في داخل الليلة المُظلمة. ثمّ يأتي الموت، وهو أكبر من النوم. يختفي الجسد، ولكن يبقى التفكير، ويُولد من جديد. ثمّ يأتي الموت المطلق في لحظات «سمادهي»، حيث يختفى الجسد ويختفي التفكير، ويبقى الأساس الداخلي العميق والوعي فقط، وهذا هو الموت المطلق.

سوف تُقابل في الوادي الرابع أول لمحة عن كيفية حدوث الموت المطلق. إذا رفضتَه، ودافعتَ عن نفسك ضدّه، إذا أنشأت درعاً، فسيُلقى بك مرة أُخرى إلى الوادي الثالث، وتُفقد. بمُجرّد أن تفقد الوادي الرابع فستبقى دائماً خائفاً أن تعود اليه من جديد.

إنّ ملاحظتي عن الناس الذين دخلوا إلى الوادي الرابع بعض الوقت في حيواتهم السابقة، وأصبحوا مرعوبين للغاية وهربوا منه، أنهم دائماً ما يخافون من أيّ شيء أعمق. عندما يحدث الحُبّ سيكونون خائفين، كذلك عندما تحدث النشوة، يقفون عند حدّ الصداقة فقط، وأكثر من ذلك سيكونون خائفين. يخافون من المُريدية، ومن التسليم، ومن الصلاة. سوف يكونون خائفين من كلّ تلك الأشياء التي يُمكن أن تعود بهم مُجدداً إلى ذاك الوادي الرابع، مع أنهم قد لا يُدركون بوعي لماذا هم خائفين.

إنّ الوادي الرابع في غاية الأهمية لأنه في المُنتصف تماماً. هناك سبعة أودية، والرابع في المُنتصف تماماً. ثلاثة على هذا الجانب، وثلاثة على ذاك الجانب. إنّ الوادي الرابع ذو أهمية هائلة، فهو الجسر. إنّ المُعلّم مطلوب على هذا الجسر، لأنك تعبر من المعروف إلى المجهول، ومن النهائي إلى اللانهائي، ومن التافه إلى العميق.

إنّ الجزء الإيجابي في هذا الوادي هو الثقة، والاستسلام، بينما الجزء السلبي هو الشكّ، الدفاع. يبدأ المُعلّم في تعليمك الثقة والاستسلام من البداية، حتى يُصبح الأمر بعد وقت قريب مناخك وطبيعتك، لأنه سوف يكون مطلوباً عندما تدخل إلى الوادي الرابع.

أحياناً يأتي إليّ الناس ويقولون: «لماذا لا يُمكن أن نتواجد هنا دون استسلام؟ لماذا لا نستطيع أن نتأمّل ونستمع إليك ونستفيد بقدر ما نُريد؟ ما الجدوى من الاستسلام؟».

إنهم لا يفهمون الأمر الذي قد يبدو في البداية غير ذي صلة. لماذا؟ من أجل أيّ سبب؟ أنت تستطيع أن تستمع إليّ دون استسلام، وتستطيع أن تتأمل هنا دون استسلام. تستطيع أن تمرّ خلال مجموعات النمو دون استسلام. يبدو الأمر جيداً جداً، ولا يبدو أنه هناك حاجة إلى الاستسلام على الإطلاق. بيد أنك لا تدري ماذا يُمكن أن يحدث في المستقبل. من أجل ذلك، لا بُدّ أن تقوم بالاستعداد من الآن. لا يُمكنك أن تنتظر حتى تلك اللحظة. إذا لم يتمّ الاستعداد مسبقاً، فسوف تضيع. عندما يحين الوقت المناسب، ويشتعل بيتك، ولم تكن قد حفرت البئر بعد، حتى لو بدأتَ في الحفر، مع حلول الوقت الذي يكون فيه جاهزاً، يكون البيت قد قُضي عليه.

يجب على الإنسان أن يحفر البئر قبل أن تشبّ النيران في المنزل! مع أنّ ذلك لا يبدو في الوقت الحالي ذا صلة، وأنا أستطيع أن أتفهّم ذلك، حسب المنطق ليس الأمر ذا صلة حالياً. أنت تستمع إليّ، ما الحاجة إلى الاستسلام؟ تتأمل، ما الحاجة إلى الاستسلام؟ ولكن عندما تدخل إلى الوادي الرابع، سيكون

الاستسلام مطلوباً، ولن تستطيع فجأة تعلّم أساليب الاستسلام. يجب عليك أن تستمرّ في تعلّمها قبل أن تظهر الحاجة إليها. يجب أن يصبح الاستسلام مناخك.

إنّ الوادي الخامس هو الوادي الراعد.

في الوادي الخامس تدخل إلى الموت، بعد أن دخلت في الوادي الرابع إلى النوم، والظلام. تدخل في الوادي الخامس إلى الموت، أو إذا كنتَ تُفضّل استخدام المُصطلحات الحديثة لذلك: تدخل في الوادي الرابع إلى اللاوعي الشخصي، بينما في الوادي الخامس تدخل إلى اللاوعي الجمعي. ينشأ خوف هائل نظراً لأنك تفقد فرديتك.

في الوادي الرابع كنتَ تفقد النور، النهار، ولكنك كنت موجوداً. في الوادي الخامس تفقد نفسك، ولا تشعر أنك على حالك، تتبدد وتذوب، وتشعر أنّ «كونك المحور» يُصبح مُبهماً، غائماً.

مع الدخول إلى الموت، وإلى اللاوعي الجمعي، ينشأ خوف هائل، تشعر بكرب شديد، وهو أعظم كرب سوف تشعر به على الاطلاق، لأنه هنا يظهر السؤال: أكون أو لا أكون؟ تختفي بينما يتوق كيانك بالكامل بشدة كي يكون. سوف ترغب في العودة إلى الوادي الرابع. لقد كان مُظلماً، بيد أنه كان جيداً، لأنك على الأقل كنتَ موجوداً. لقد أصبح الظلام الآن أشدّ ظلمة. ليس هذا فقط، بل تختفي أنت داخله، وعمّا قريب لن يتبقّ منك ولا حتى أثر.

إنّ الجزء السلبي في هذا الوادي هو التشبث بالنفس. تذكر أنّ هذا سبب إصرار المُعلّمين العظماء مثل «بوذا» أو «جلال الدين الرومي»، على عدم وجود النفس، وإنكار الذات، وهو ما يُسمّيه الصوفيون «الفناء»، إذ يختفي الإنسان. ويجب على الإنسان أن يستعد لهذا الاختفاء، ولا يكون مُستعداً فقط بل يشعر بترحيب عميق. إنه سوف يجلب لك فرحاً عظيماً، لأنّ كلّ بؤسك موجود داخل أناك. إنّ الفكرة المُتعلقة بأناك هي جهلك، وهي التي تخلق لك كلّ أنواع التوتر والمشاكل. إنّ الأنا المُزيفة هي الجحيم.

لقد قال «جين بول سارتر»: «إنّ الجحيم هو الأشخاص الآخرين»، هذا ليس صحيحاً. إنّ الجحيم هي أنت، وهي الأنا المزيفة! إذا كان الأشخاص الآخرين يشعرون بالجحيم، فهم يشعرون بها بسبب الأنا المزيفة، لأنهم يُؤلمونها باستمرار. إنهم يستمرّون في الضغط عليك. يبدو كأنّ كلّ شخص آخر يُؤلمك بسبب هذا الجرح الخاص بالأنا المزيفة. إنها فكرتك فقط أنك «استثنائي» وعندما لا يُلاحظ ذلك أحد، يُسبب ذلك لك الألم. عندما لا يكون لديك أيّ فكرة عن كونك استثنائياً، وهو ما يُسمّيه مُعتنقي «الزن»: «أن تُصبح عادياً»، إذا أصبحتَ عادياً، عندها يُمكن عبور هذا الوادي. إذا أصبحتَ لا أحد، عندها يُمكن عبور ذلك الوادي بسهولة.

إذاً الجزء السلبي في هذا الوادي هو التشبث بالأنا، والجزء الإيجابي هو الاسترخاء في انعدام النفس، في العدم، أن تكون مستعداً كي تموت عن طيب خاطر، بفرح، وطواعية.

بعد ذلك يأتي الوادي السادس، وهو الوادي السحيق.

لقد اختفى الإنسان. في الوادي الخامس، بينما في الوادي السادس، لا يعود موجوداً، ويُصبح ذكرى من الماضي. في الوادي الخامس كان الإنسان يدخل إلى الموت، بينما في السادس، فقد حدث

الموت، ومات الإنسان ولم يعُد موجوداً. من أجل هذا السبب يُسمّى «الوادي السحيق». إنّه الأكثر إيلاماً، لأنه السادس، وقبل الأخير. يمرُّ الإنسان بالألم الهائل نتيجة انعدام وجوده، والعدم. إنّه لا يستطيع استيعاب الأمر، فمن زاوية معينة هو موجود، ومن زاوية أُخرى لم يعُد موجوداً. لقد وصل التناقض إلى ذروته. فهو موجود وليس موجوداً. يستطيع الإنسان أن يرى جثته، وأنّه ميت، ولا يزال يعرف أنّه يرى، وأنه لا بُدّ موجود بطريقة ما، ومعنى ما. لقد أصبحَت كلّ أفكار الماضي عن الذات لا معنى لها، ونشأت فكرة جديدة عن الذات.

يحدث الموت ويختفي الإنسان، وهذا ما يُسمّيه المسيحيّون الصلب. لقد وصل العدم، حيث يكون الإنسان مُجرّد سماء فارغة، وهذا ما يُسمّيه «الهندوس» حالة «سمادهي»، ويُسمّيه معتنقو «الزن» حالة «ساتوري[1]».

إنّ الجزء السلبي من هذا الوادي هو الشكوى. سوف يكون جيداً أن أُذكّرك. لقد أظهر «المسيح» كلا الموقفين أثناء صلبه. لقد اشتكى في البداية، فنظر إلى السماء قائلاً: «لماذا؟ لماذا هجرتني؟ لماذا تخلّيتَ عنّي؟». هذا هو الجزء السلبي. إنه يشتكي. إنه يموت ولم تصل أيّ مساعدة. إنه على الصليب، ولا بُدّ أنه تُوجد رغبة كامنة في مكان ما داخله في أن تصل إليه يد الإله، ويكون كلّ شيء على ما يُرام، ويُصبح هذا الصليب تاجاً، وينزل عنه إلى مجد جديد. لا بُدّ أنه كانت هناك رغبة كامنة في مكان ما في الجزء العميق من عقله اللاواعي، ولم يكن مُدركاً لها. لقد انتظر بما يكفي، لقد حانت المرحلة الأخيرة. لقد حمل صليبه على التل، وعانى من كلّ أنواع الإذلال، لكنّه انتظر بصبر هذه اللحظة. لقد ثُبتت يداه بالمسامير الآن، وما هي إلا لحظات ويكون قد رحل. لم يعُد هناك وقتاً من أجل الانتظار أكثر ولم تأتِ المُساعدة ولم يظهر الإله. إنّ البكاء وقول: «لماذا هجرتني؟ لماذا تخلّيت عنّي؟»، هو الجزء السلبي في هذا الوادي، وهو شيء طبيعي حتى لرجل مثل «المسيح».

إذا فكّرتَ في ماضيك وبعد ذلك تذمّرت: «لقد كنتُ أفعل كلّ ما يُطلب منّي أن أفعله، كلّ ما أمرتني أن أفعله. لقد اتّبعتكَ كالأعمى، أهذه هي النتيجة؟ أهذا هو الجزاء؟».

أما الجزء الإيجابي فهو الامتنان العميق. في الناحية الثانية، يكون الجزء الإيجابي، إذ ينسى الإنسان الماضي، وينظر إلى المستقبل بثقة. لقد حان وقت الاختبار الأخير، الاختبار النهائي، ويشعر الإنسان بالامتنان أنه «إذا كانت تلك إرادتك، فلتكن مشيئتك»، وذلك ما قاله «المسيح». لقد أظهر كلا الموقفين. في البداية أظهر السلبي، وهو الطبيعة الإنسانية. إنني أُحبّ «المسيح» لأنه أظهر ذلك. لقد كان إنساناً للغاية، وقد اعتاد أن يقول مرة بعد مرة: «أنا ابن الإنسان»، بقدر ما قال «أنا ابن «الربّ».

لقد كان لمحة من السرمدية أتت إلى هذا الزمان، لقد كان من عالم الآخرة أتى إلى الدنيا. لقد انتمى إلى الدنيا والآخرة. وهذا ما ينتمي إليه كلّ مُعلّم، إلى كليهما، فيضع قدم في هذا العالم، والقدم الأُخرى في الآخر. في يوم الصلب، وفي تلك اللحظة عندما يختفي كلّ شيء، يُظهر «المسيح» كلا الموقفين. في البداية، أظهر الموقف الخاص بكونه «ابن الإنسان»، فقال: «لماذا؟ لماذا تخلّيت عنّي؟ لقد تمنيّتُ، لقد صلّيتُ، لقد عشتُ حياة الفضيلة، أيكون هذا هو الوعد؟ أهذه هي المكافأة؟».

بيد أنَّه فهم فوراً أنه لم يُدرك الهدف. إذا كانت هذه هي إرادة الرب، يجب أن تكون. لقد استسلم. إنّ الجانب الإيجابي هو الامتنان، الاستسلام.

مع قوله «لماذا تخلّيتَ عنّي؟»، أدرك شكواه، إنسانيته. لا بُدّ وأنه قد ضحك في تلك اللحظة، ورأى محدوديته ككائن بشري. فتخلّى عنها. لقد قال على الفور بيانه المباشر: «ليكُن ملكوتك، فلتكُن مشيئتك». لقد ظهر الامتنان، الاستسلام التام، ولم يعُد هناك الآن شيء أكثر.

لقد مات «المسيح» على أنه ابن الربّ. وكانت الفجوة صغيرة جداً، لقد تحوّل في جزء من الثانية من كونه إنساناً إلى إله. في اللحظة التي تنقلب فيها الشكوى إلى ثقة، تتحوّل من البشري إلى الإلهي. لقد أصبح صلاة: «فلتكُن مشيئتك». لم يعُد موجوداً. ولم تعُد لديه الآن إرادة من تلقاء نفسه.

بعد ذلك يأتي الوادي السابع، وهو الوادي الأخير، النهائي، وهو وادي الترنيمات، وادي الاحتفال.

في الوادي السابع ،يحدث الميلاد الجديد، والبعث. هذا هو معنى الفكرة المسيحية عن القيامة، وأنّ «المسيح» قد وُلد من جديد في جسد المجد، جسد النور، لقد وُلد من جديد في الجسد المُقدس. الآن ليس هناك إيجابي، ولا سلبي، وليس هناك ثنائية. الواحد هو الواحد. لقد نشأت الوحدانية، أو ما تُسمّيه «الهندوسية» بلفظ «أدوايتا» وتعني «اللاثنائية». لقد اختفت الازدواجية، وعاد الإنسان إلى دياره.

لقد أطلق «الغزالي» على وادي الترانيم اسماً جميلاً. لم يبقَ الآن شيئاً، مُجرّد أغنية، أغنية الاحتفال، تمجيد الإله، الفرح التام، وهذا ما أُسمّيه النشوة المطلقة.

لو كنتُ أُسمّي هذا الوادي لسميّته وادي النشوة التامة. حيث يبقى الاحتفال فقط. لقد ازدهر الإنسان وتفتّح. وانتشر منه العبير. لم يعُد الآن هناك مكان يذهب إليه. لقد أصبح الإنسان ما كان يصبو إليه، يبحث عنه، يُكافح من أجله.

إنّ الإنسان عبارة عن تناقض. إنه ليس ما هو عليه. إنه ذلك الشيء الذي لم يصل إليه بعد. بيد أنك في اليوم الذي تُدرك فيه الشيء الجوهري، سوف تتكوّن ضحكة في قلبك، لأنك ستعرف عندها أنك طالما كنتَ كذلك، ولكنّ الأمر كان مجهولاً فقط بالنسبة إليك. لقد كان المستقبل مخبأ ومُتضمناً في داخلك، وكان عليك أن تكتشفه. هذه الوديان السبعة هي وديان الاكتشاف.

إنها خريطة جميلة، إنها خريطة الصوفية.

إليك الآن هذه القصة.

كان هناك ذات يوم امرأة من الذين تخلّوا عن الدين الذي ترعرعَت على الاعتقاد به. غادرَت صفوف المُلحدين أيضاً، وانضمّت إلى عقيدة أُخرى، ثمّ أصبحت مُقتنعة بحقيقة عقيدة ثالثة. في كلّ مرة كانت تُغيّر مُعتقداتها، كانت تتصوّر أنها حصلَت على شيء، ولكنّه غير كافٍ تماماً. في كلّ مرة كانت تدخل إلى جماعة مؤمنة كان يُرحّب بها، وكانت عضويتها تُحترم على أنها شيء جيّد ومُعتبر، وعلامة على قداستها وتنوّرها.

على أيّ حال، كانت حالتها الداخلية مليئة بالارتباك والتشويش.

لقد تاهت هذه المرأة في الوادي الأول «وادي المعرفة»، وأدمنَت على الجزء السلبي. لقد

أصبحت مُطّلعة. لقد ذهبت إلى هذه المدرسة وإلى تلك، وذهبت إلى هذا المُعلّم وإلى ذاك، ودرسَت هذا المذهب وذاك، وفي كلّ مرة تبدأ شيئاً جديداً، كانت تشعر بالإثارة. لقد كان نوعاً من شهر العسل. وعاجلاً أم آجلاً كانت تسأم منه، وتبدأ في التحرّك والبحث مرة أُخرى.

في المُحصلة النهائية، جمّعَت الكثير من المعارف ذات الطبيعة المُتنوعة، الكثير من المعارف ذات الأنظمة المُتناقضة. تذكّر، إنّ جميع تلك الأنظمة عاملة، فلا تنسى ذلك أبداً! كلّ نظام يعمل، ولكنه يعمل مُنفرداً في نقائه فقط، ولو مزجته مع عدة أنظمة فلن يعمل إطلاقاً. سوف يكون كأنك أخذتَ بعض الأجراء من «مرسيدس بنز»، وبعض الأجزاء من «رولز رويس»، وبعض الأجزاء من «شيفروليه»، وبعض الأجزاء من «فورد»، وبعض الأجزاء من شاحنة، وبعض الأجزاء من مكان آخر، وجمعتها مع بعضها. إنّ جميعها أجزاء مفيدة، بيد أنّ هذه الآلية التي ابتكرتها منهم لن تعمل. إنّ الجزء الذي كان يعمل بكفاءة في آلية معينة لن يكون قادراً على العمل بكفاءة مع نوع آخر من الأجزاء. كلّ نظام هو كلّ مُتكامل، وهو كامل في حدّ ذاته. لو استمعتَ إلى «مهافيرا» ووجدت القليل من الأفكار الجميلة، ثمّ ذهبتَ بعد ذلك إلى «بوذا» واستمعتَ ووجدت بعض الأفكار الجميلة. ثمّ صنعتَ مزيجاً مثل وجبة «كيدجيري»، فستُصبح مشوشاً. لقد كانت هذه الأجزاء التي أخذتها من «مهافيرا» جميلة، ولكنها تخصّ نظاماً مُعيناً، لقد كانت أجزاء حيوية من كلّ مُعين، وهي تستطيع أن تعمل بكفاءة فقط في ذلك الكلّ، ولا تستطيع أن تعمل مع أيّ شيء بوذي، فالأجزاء البوذية جميلة، ولكن فقط في النظام البوذي.

لقد أصبحَت تلك المرأة الآن أكثر تشويشاً. هذه المرأة تُمثل الكثير من الأشخاص، والكثير من الموجودين هنا أيضاً، الذين قد يذهبون إلى هذا المُعلّم وإلى ذاك، وإلى هذا النظام وذاك، ويستمرّون في التجميع. إنّهم يظنون أنه بمُجرّد تجميع القليل من العبارات الحكيمة سيُصبحون حكماء. إنهم حمقى للغاية! إنهم ببساطة سيُصابون بالجنون.

كلّ نظام كامل وعامل، ولكن لا تخلطه مع أيّ شيء آخر، دعه يعمل من تلقاء نفسه.

هذه المرأة من الذين تخلّوا عن الدين الذي ترعرعَت على الاعتقاد به، وبعد ذلك أصبحَت مُلحدة، وتخلّت عن الدين نفسه. بعد ذلك انضمّت إلى عقيدة أُخرى، وتخلّت عن الالحاد أيضاً. ثمّ أصبحت مُقتنعة بحقيقة عقيدة ثالثة. في كلّ مرة كانت تُغيّر معتقداتها، كانت تتصوّر أنها حصلَت على شيء، ولكنّه غير كافٍ تماماً.

لقد كانت فقط تُجمّع الأجزاء، الأقوال الحكيمة. قد تبدو هذه الأقوال حكيمة، وقد تكون مُفيدة بالنسبة إلى النظام الذي أُخذت منه، ولكن في اللحظة التي يتمّ فصلها عنه تُصبح عديمة الفائدة.

قيل عن مُتصوف هندوسي أنه ذهب إلى التسوّل. فنظرت امرأة إلى عينيه، وكان يمتلك عينين جميلتين. لدى القديسين عيون جميلة، ولا يستطيع أحد أن يمتلك عيون مثل القدّيس، لما فيها من العمق، الفرح، الإحساس الذي قد وصل إليه، الاسترخاء، الراحة، الرحمة. لقد أصبحَت المرأة مُتعلقة بعينيه بشدة، وبدأت في مُلاحقة المتصوف.

ذات يوم سألها المُتصوف: «ما الخطب؟ لماذا تستمرين في مُلاحقتي؟ أنا لا أرى فيكِ أيّ بحث ديني».

اعترفت المرأة، وقالت: «في الحقيقة، أنا ليس لي أيّ علاقة بالدين. ببساطة لقد أصبحتُ مفتونة بعينيك الجميلتين».

قال الناسك: «إذهبي إلى بيتك، غداً سوف أحضر إلى منزلك».

كانت سعيدة للغاية. وظنّت أن المتصوف مُهتمّ بها أيضاً. أخذت حماماً، وعطّرت جسمها، وزيّنَت كلّ شيء بالورود، ونظفَت المنزل بأكمله. كانت منتظرة بآمال وتوقعات هائلة. ثمّ جاء المتصوف، ولكنها لم تستطع أن تُصدّق الأمر! لقد اقتلع عينيه وجاء بهما على طبق.

ثمّ قال: «إحتفظي بهما، وإلا فأنت تتبعينني دون ضرورة. إحتفظي بهذه العيون. يُمكنك أن تحصلي عليهما، فأنا لا استخدمهما كثيراً، لأنني رأيتُ كلّ ما أردتُ أن أراه، ولا يبدو جيداً أن تتبعينني فقط بسبب تلك العيون. احتفظي بهما».

هل هذه العيون بقيت عيوناً بعد الآن؟ كلا، لم تعُد كذلك. لقد كانت عيوناً فقط عندما كانت في وحدة الجسد الحيوية، أمّا الآن فقد أصبحتا لا شيء. تستطيع الآن أن تنظر داخلهما، ولن تجد أيّ عمق، ولن تجد أيّ رحمة، أو أيّ حُبّ، ليس هناك أيّ شيء! إنهما مُجرّد حصوات عاديّة بلا معنى. إنّ المعنى دائماً في الكليّة.

هكذا، لا تظنّ إطلاقاً أنك ستُصبح حكيماً من خلال تجميع الأقوال الحكيمة. إنّه ليس أمراً مُمكناً. لقد حاول الكثير من الأشخاص في هذا الزمن فعل ذلك. كان «المهاتما غاندي» في «الهند» يُحاول ذلك، فيأخذ بعض الأشياء من القرآن، وبعض الأشياء من الإنجيل، وبعض الأشياء من الغيتا، وبعض الأشياء من «الدهامابادا»، ويجمعهم ويصنع مزيجاً، وكان مُعتاداً على تسمية هذا المزيج توليفة من جميع الأديان. هذا الأمر ليس له معنى، فلا تستطيع أن تصنع توليفة من جميع الأديان، لأنّ ذلك يُشبه كأنك قطعت إحدى يديّ، وإحدى أرجل «كريشنامورتي»، ورأس «ميهير بابا»، وجمّعتهم معاً وأسميتهم توليفة من جميع الأديان. لن يكون لها أيّ فائدة. سوف تكون مُقرفة، قبيحة! ولكن هذا ما فعله «المهاتما غاندي».

ليس هناك توليفة مُمكنة، وليس هناك حاجة إلى أيّ توليفة! ليس هناك حاجة إلى صنع توليفة من غصن الورد وزهرة اللوتس، إنهما رائعان تماماً كما هما. اللوتس لوتس، والورد ورد، الإسلام كما هو، الهندوسية كما هي، «الزن» كما هو، التصوف كما هو، اليهودية كما هي، الجاينية كما هي. إنهم رائعين تماماً كما هم، ولا ينقصهم أيّ شيء.

كلّ نظام هو نظام كامل.

لقد جمّعت هذه المرأة شيئاً من كلّ مكان، وفي كلّ مرة كانت تذهب فيها إلى مدرسة جديدة، كان الناس يشعرون بالطبع بشعور جيد للغاية بسبب انضمام عضو جديد، فهو يُثبت أنهم على حقّ. لقد حققَت هذه المرأة ذلك لهذا المُعلّم وذاك المُعلّم، ثمّ غادرَت، وتخلّت عن الجميع. يجب عليها الآن أن تعود إلى مُعلّمهم! فلا بُدّ أنّ مُعلّمهم هو المُعلّم الأعلى، المُعلّم الأعظم. لقد رحّب الجميع بها، ودعموها واعتبروا ذلك على «أنه شيء جيد ومُعتبر، وعلامة على قداستها وتنوّرها».

بيد أنّ ذلك لم يكن من سلامة العقل، فقد كانت تتجه نحو الجنون، ولم يكن تنويراً، لأنها كانت

تبتعد بعيداً كلّ يوم، ولكن كي تعرف ذلك، كان عليها أن تأتي إلى المُعلّم الحقيقي.

على أيّ حال، كانت حالتها الداخلية مليئة بالارتباك والتشويش. في النهاية، سمعَت كثيراً عن مُعلّم يُحتفل به هو الإمام «جعفر الصادق»،

وحده المُعلّم الحقيقي يستطيع أن يكون صادماً. كلّ الزائفين الآخرين ليسوا صادمين على الإطلاق. كيف يستطيعون أن يصدموك؟ أنت زبون لديهم، يجب عليهم أن يُقنعوك، ولا يستطيعون أن يصدموك. يجب عليهم أن يُكيّفوا أنفسهم بما يناسبك. في الحقيقة، إنهم دائماً يقولون ما تُريد أن تسمعه أنت، ولن يقولوا أبداً ما سوف يكون صادماً لك، وإلا قد تتركهم وتُغادرهم.

أنا أعرف ذلك، فقد كنتُ على اتصال مع الملايين من الناس في هذا البلد. ونظراً لأنني حاولتُ أن أصدمهم، فقد غادروا مع مرور الوقت. إنهم لم يحضروا إلى هنا من أجل الاستماع إلى الحقيقة، بل جاؤوا من أجل الاستماع إلى الحقيقة «من وجهة نظرهم»، ولم يكن لديهم أيّ حقيقة على الإطلاق. لو كانوا يمتلكون الحقيقة، فلن يكون هناك داع كي يأتوا ويستمعوا إليّ في المقام الأول، بيد أنهم ظنوا أنهم يمتلكون الحقيقة. لو أنهم ذهبوا إلى مُعلّم مزيّف فسيقول الأشياء التي يُريدون سماعها، وسيقوم بتكييف نفسه وفق ما يُناسبهم. حينما يضبط المُعلّم نفسه كي يُناسبك، اِحترس منه، فهو ليس مُعلّماً! إذا كيّف نفسه من أجلك، كيف يستطيع أن يُحوّلك؟ إنّه تابعك. إنّه يُحاول مواساتك. إنّه لا يستطيع أن يكون وسيلة تحويل.

إنّ التحويل مُؤلم. يجب على المُعلّم أن يعمل بمطرقة في يده.

جاءت تلك المرأة إلى «جعفر الصادق»، وعندما جاءت إليه...

بعد أن استمع الى احتجاجاتها، قال: «عودي إلى منزلك، سوف أُرسل قراري في رسالة».

تلك هي طريقة الصوفيين. إنهم أناس ذوي خبرة كبيرة جداً، إنهم عمليون وواقعيون للغاية. لم يقل لها أيّ شيء، بل قال: «سوف أُرسل رسالة. عودي إلى المنزل». لا بُدّ أنه رأى حقيقة المرأة، وأنها كانت فعلاً مُشوشة للغاية، ولو قال لها أيّ شيء، فسيزيدها ارتباكاً. حالياً ليس هناك ما يُمكن تعليمها إياه. بل إنها ليست في حاجة كي تتعلّم المزيد، لقد تعلّمت ما يكفي بالفعل. إنها في حاجة إلى نسيان ما تعلّمته، ومن أجل ذلك، لم يقل أيّ شيء.

بعد وقت قصير وجدَت المرأة مُريد الشيخ عند الباب، وكان في يده كيس من المُعلّم، فتحته، ورأت أنه يتضمّن زجاجة يمتلئ نصفها بثلاث طبقات من الرمل المعبأ بالألوان: أسود، أحمر، أبيض، يقسمها قطع من القماش القطني، وفي الخارج كان مكتوباً: «أزيلي القماش القطني، وهزّي الزجاجة كي ترين ماذا تُشبهين».

أخرجَت القماش وهزّت الزجاجة، فاختلطت الحُبّيبات مختلفة الألوان من الرمال معاً، وكلّ ما تبقى لديها كان كتلة من الرمل الرمادي.

يُحاول «الصادق» أن يُبيّن لها: «لقد أصبحتِ مُجرّد تشويش، لقد أصبحتِ خليطاً من جميع أنواع الألوان، والنتيجة هي أنك مُجرّد رمادية، وليس لكِ أيّ لون».

هذه الطبقات الثلاث من الرمل ذات أهمية هائلة.

يقول الصوفيون إنّه هناك ثلاث طرق إلى الإله: المعرفة، الحُبّ، العمل، تماماً كما تقول الهندوسية: طريق التأمل «داهيان مارغا»، طريق التعبّد «بهاكاتي مورغا»، طريق العمل «كارما مورغا». ذلك لأنّ الإنسان لديّه ثلاث قدرات: القدرة على المعرفة، القدرة على الإحساس، القدرة على العمل. إنّ الجسد هو مصدر العمل، القلب هو مصدر الشعور، الحُبّ، التفاني، والفكر هو مصدر الإدراك، المعرفة، العلم.

نظراً إلى وجود هذه القدرات الثلاثة، هناك ثلاثة أبواب. من خلال هذه الأبواب الثلاثة يستطيع الإنسان أن يدخل إلى المُقدس. العمل هو اللون الأسود لأنه الأدنى. الشعور والحُبّ باللون الأبيض لأنهما الأعلى، وبين هذين الاثنين يقع الفكر باللون الأحمر، لأنه عدواني للغاية، ودمويّ، ولذلك فإنّ له لون الدم. إنّ القلب عند الصوفية مُلوّن بالأبيض لأنّه برئ، نقي، والأبيض هو رمز إنكار الذات.

تستطيع أن تسأل علماء الفيزياء، وسيقولون إنّ اللون الأبيض يعني أنّ جميع أشعة الشمس قد انعكست. بينما يعني اللون الأسود أنه قد تمّ امتصاص جميع أشعة الشمس. أمّا الأحمر فيعني أنه وحده الأحمر قد انعكس، كذلك الأخضر يعنى أنّ الأخضر وحده قد انعكس. يتكوّن كلّ شعاع ضوء من سبعة ألوان. لو أنّ هناك شيئاً مُعيناً يمتصّ جميع الألوان، فسيُصبح أسوداً. لو أن شيئاً مُعيناً عكس جميع الألوان، فسيُصبح أبيض. إذاً اللون الأسود هو الانغماس، واللون الأبيض هو نكران الذات.

إنّ الحُبّ تضحية، ونكران للذات. عندما تُحبّ تكون مُستعداً كي تمنح كلّ ما لديك. عن طريق العطاء، تُصبح أبيض. بينما الفكر عدواني للغاية، وهو دائماً في مزاج الاقتتال، إنّه جدلي، ولذلك لونه أحمر. أما العمل فهو الأدنى وهو مُرتبط بالجسد. إنّ جميع هذه الأبواب الثلاثة موجودة.

لقد كان هناك ثلاث طبقات من الرمل في الزجاجة، وكانت الزجاجة نصف مُمتلئة. لقد قال المُعلّم: «قومي بإزالة الحشوة، ورُجّي الزجاجة، وانظري ماذا يحدث. هذا هو وضعكِ. هناك صنف من الناس الذين يتكلّمون عن الحُبّ، ويعيشون الحُبّ، وصنف من الناس الذين يتكلّمون عن المعرفة، ويعيشون عبر الذكاء، وصنف من الناس الذين يتكلّمون عن العمل ويعيشون من خلال العمل، وقد امتزجوا جميعاً داخلك. الآن لم يعُد لديك أيّ لون. أنت مُجرّد رمادية، ونوع من التشوش».

لا بُدّ أنّ هذا قد شكلّ صدمة كبيرة بالنسبة إلى المرأة، إذ كانت سابقاً موضع ترحيب في أيّ مكان تذهب إليه، وكان يُقال لها في كلّ مكان أنها الآن أصبحَت مُستنيرةً، لأنها اختارت المُعلّم الصحيح. لقد عادت الآن إلى الباب الصحيح، وأصبحت عاقلة. لقد كانت مجنونة حتى الآن، من جراء التجوّل هنا وهناك، حيث تمّ تطويعها بترحيب كبير. بيد أنّ «الصادق» طرق على رأسها. إنّه لم يشعر أنّه من الصحيح أن يقول لها أيّ شيء، فأرسل إليها برسالة، أداة عملية للغاية حتى يُظهر لها وضع وعيها. لقد تاهت في الوادي الأول، ولم تستطع أن تذهب أبعد منه.

إنّ القصة ذات أهمية كبيرة، فالكثير منكم تائهون في الوادي الأول. إذا أردتم الذهاب إلى الوادي الثاني، يجب عليكم التخلّي عن جميع هذه التفاهات التي قمتم بتجميعها في تفكيركم. يجب أن تتخلّوا عن جميع أنواع الأفكار. سوف يكون عليكم أن تنسوا ما تعلمتموه.

إنّ نسيان ما تعلّمته هو الطريق الإيجابي، فمن خلاله سوف يتكوّن لديك اتّجاه جديد، سوف تكون أقلّ اهتماماً بما هو معروف، وتكون أكثر اهتماماً بالعارف، وحالما تتخلّى عن جميع ما تعرفه، سيكون واضحاً لك هل سيكون بابك هو العمل، أم الحُبّ، أم المعرفة. حالياً أنت خليط رمادي.

تأمّل هذه القصة، وتأمّل الوديان السبعة. دعني أُكرر لك ذلك: إنّ الإنسان عبارة عن تناقض، وهو الكائن الوحيد الذي يُحاول أن يتفوّق على نفسه. إنّ الإنسان هو الكائن الوحيد الذي لديه شوقٌ هائل إلى التغيّر والتحوّل، يكمن في هذا مجده، لأنّها هبة الإله إليه، وفيه أيضاً يتجلى كربه.

يرجع الأمر الآن إليك سواء كنتَ ستجعله نعمة أم نقمة.

***

الفصل الثاني

استعادة الماس

28 آب 1977 صباحاً في قاعة «بوذا».

السؤال الأول.

«طالما اعتقدتُ أنّه إذا تربّى الأطفال في بيئة مُتحررة ومُحبّة، بدلاً من المجتمع المجنون الذي نشأنا فيه، فإنهم سينضجون جميعاً إلى أشخاص مُتحررين، مُحبّين، مُستنيرين. بيد أنه لو كان الأمر كذلك، لفاضت الكثير من المُجتمعات البدائية بالأشخاص المُستنيرين. لماذا لا يحدث ذلك؟».

أول شيء: قبل أن تستطيع أن تصل إلى نفسك، سوف يتعيّن عليك أن تفقد نفسك. يُولد الطفل في غاية البراءة، وإذا لم يفقد الطفل براءته إطلاقاً فلن يُصبح مُستنيراً أبداً. إنّ التنوير يعني أنك فقدتها ثمّ استعدتها، لقد فقدتَ الجنة ثمّ استعدتها. إنّه جزء من التنوير أنك يجب أن تفقده في البداية.

إنّ الأمر يُشبه السمكة التي طالما عاشَت في المحيط، يستحيل عليها أن تعرف المحيط. إنّه جليّ جداً بالنسبة إلى أولئك الذين يقفون في الخارج، لكن ليس واضحاً جداً بالنسبة إلى السمكة. لقد وُلدَت فيه، إنّها جزء منه، إنها مثل الموجة. كي تعرف المُحيط، هناك حاجة إلى قليل من الانفصال. وقليل من البُعد. سوف تبقى السمكة غير واعية بالمحيط وسوف تموت وهي كذلك، ولكن أخرج السمكة منه، ودعها في الخارج، ألقِ بها على الضفة على الرمال الساخنة، سيكون هناك ألم، وتكون هناك مُعاناة، ومن خلال هذه المُعاناة سوف تعرف السمكة للمرة الأولى أنّها عاشَت في المحيط، وسيكون هناك تعطّش كبير، ورغبة قوية في العودة إلى المحيط، وستبذل كلّ مجهودها كي تعود.

إذا نجحَت السمكة وعادت إلى المحيط سوف يكون هناك فرح غامر. لقد كانت في المحيط طوال عمرها ولكن لم يكن هناك فرح. بيد أنه الآن سوف يكون هناك فرح، وسوف تكون سعيدة، مُباركة! وسيكون الآن في كلّ دقيقة نوع من النشوة. إنّه المُحيط القديم نفسه الذي وُلدَت فيه. ما الفارق الذي حدث؟ لقد نشأ وعي جديد. لم تعُد السمكة بريئة، لقد تنوّرت السمكة.

في المجتمعات البدائية لن تجد أمثال «بوذا»، ولا «المسيح». تعيش المجتمعات البدائية في المُحيط. سوف تجد البراءة، مثل براءة الأطفال، مثل براءة الحيوانات، ولكن لن تجد مثل «بوذا». إنّ «بوذا» هو الشخص الذي أدرك براءته. وهذا الإدراك هو ما يصنع الفارق، ولكن كي تُدرك، يجب أن تفقد الأمر في البداية.

أستطيع أن أفهم. إنّ سؤالك مُهمّ للغاية. إذا كان هذا المجتمع المجنون يدفع بك إلى مسار ات العصبية، عندها يقول التفكير المنطقي: لماذا ليست كلّ المُجتمعات البدائية مُستنيرة؟ إنّ هذا المجتمع يقودك إلى الجنون ولكن خلال هذا الدفع الشديد، تبدأ في الابتعاد عن داخلك العميق. فتنشأ المُعاناة، وتنشأ رغبة هائلة في العودة إلى الديار. هذه الرغبة هي كلّ ما يُمثله الدين، أن تعود إلى الديار.

عليك أن تتراجع عمّا فعله المجتمع. إنّ الدين ضدّ المجتمع، إنّه ترياق للمجتمع. من أجل ذلك، عندما يُصبح الدين جزءاً من المجتمع، لا يعود ديناً. إنه يُصبح مسيحية، هندوسية، جاينية، يهودية، وعندها لا يعود ديناً. إنّ الدين أساساً ضدّ المجتمع، ولا بُدّ أن يكون كذلك، لأنّ المجتمع يُبعدك عن نفسك، بينما يُعيدك الدين إلى كينونتك. إنّه يُدمّر ويضع حداً لكلّ ما فعله المجتمع. بيد أنه قبل أن يستطيع أن يُدمّر، يجب أن يفعل المجتمع شيئاً.

هكذا، يتواجد أمثال «بوذا» فقط في المجتمعات المثقفة. إنّ الأشخاص المُستنيرين موجودون فقط في المُجتمعات شديدة الجنون. سوف يبدو الأمر تناقضاً، ولكن هذا ما عليه الأمر.

إذا نظرتَ إلى الأمر من وجهة النظر هذه، فستُصبح ثائراً، لكنّك لن تكون ضدّ المجتمع. هناك فارق. سوف تكون رحيماً للغاية، حتى نحو كلّ ذلك الجنون الذي خلقه المُجتمع. إنه جزء من اللعبة. إنّه يجعل التنوير مُمكناً.

دعونا نأخذ مثالاً آخر. هناك شخص عاش دائماً في صحة، ولا يعرف ما هي الحمّى، ولا يعرف ماذا يكون الصداع، ولا يعرف أيّ نوع من المرض. هل تستطيع أن تتخيّله يشعر بصحته؟ هذا مُستحيل. طالما الأمور طبيعية وهو في صحة جيدة فلن يعرف ما هي الصحة. هكذا، حتى تعرف أنّ شخصاً يتمتّع برفاهية الصحة، فلن تكون الصحة وحدها كافية. يُمكن للإنسان أن يكون صحيحاً، وفي صحة تامة، ولا يكون على علم بذلك، لأنّ الوعي يأتي من عكس ذلك. يأتي الوعي من العملية الجدليّة. لا بُدّ ان تُقارن الأطروحة بعكسها. لا بُدّ أنّ تتحوّل الصحة إلى مرض، عندها ستُصبح واعياً بما فقدته، وإذا استطعتَ أنّ تستعيده فستشعر بفرح كبير.

إليك قصة صوفية...

لقد كان هناك رجل فاحش الثراء، وكان يبحث عن النعيم، وعن الحقيقة، أو أيّ كان الاسم الذي تُريد أن تُسمّي به هذا البحث. لقد كان يمتلك الكثير من الأموال، وكان مُستعداً كي يُقدّم أيّ قدر من أمواله إلى أيّ شخص يستطيع أن يعطيه المفتاح. لقد انتقل من مُعلّم إلى آخر، ولكن لم يستطع أيّ شخص أن يُزوّده بالسعادة. لقد كان مُستعداً أن يدفع أيّ ثمن، فلم تكن هذه مشكلة على الإطلاق.

كان يحمل قدراً كبيراً من الماس في حقيبة، وكان سيضع هذه الحقيبة أمام أيّ مُعلّم ويقول: «الآن خُذ هذه، ولكن أخبرني سرّ النعيم».

ثمّ جاء إلى مُعلّم صوفي، كان جالساً تحت شجرة. أتى الرجل الغني على حصانه ومعه حقيبته التي أصبحَت مشهورة في أنحاء البلاد، وقام بوضع الحقيبة أمام المُعلّم قائلاً: «إنني أبحث عن السعادة، ومُستعدّ أن أدفع أيّ شيء. يُوجد هنا عدة ماسات، تُساوي الكثير من الروبيات. تستطيع أن تأخذهم، ولكن أعطني السعادة».

قام المُعلّم الصوفي بفعل شيء ما. إنّ الصوفيين أناس فاعلون، إذ أنهم بدلاً من الإجابة، يخلقون موقفاً. لقد قفز المُعلّم ببساطة على الحقيبة، وركض بها مُبتعداً!

لوهلة، لم يستطع الرجل الغني أن يُصدّق ما كان يحدث. مُعلّم بهذه الشهرة! ثمّ فجأة أدرك ما حدث. لقد اختفى المُعلّم ومعه الماسات! هكذا، بدأ في الصراخ والجري وراء المُعلّم، بيد أنّ المُعلّم كان يعرف كلّ شارع وكلّ زقاق وكلّ زاوية في تلك القرية. كان الرجل الغني يجري وراءه صارخاً: «لقد سُرقت! لقد سُرق كنز حياتي كلّها! هذا لص. أمسكوه. إنه لم يعُد مُعلّماً. إنه مُحتال. هذا الرجل غشّاش». كان يصرخ وهو يجري، ولكنّه لم يستطع أن يُوقف المُعلّم الذي كان يعرف شوارع المدينة.

تجمّع الناس، وبدأت كلّ المدينة تلتف حول الرجل الغني قائلين: «لا تقلق»، لكنه قال: «لماذا يجب ألا أقلق؟ لقد تمّ تدميري كلياً. كلّ ما كنتُ أمتلكه كان في تلك الحقيبة التي فرّ بها ذلك الرجل». كان يبكي وكان بائساً أقصى ما يُمكن لأحدٍ أن يكون.

بعد ذلك ذهب الحشد جميعاً مع الرجل الغني يبحثون، فوجدوا المُعلّم جالساً مرة أُخرى تحت شجرته وكانت الحقيبة موضوعة في المكان نفسه حيث تركها الرجل الغني، كما كان حصانه واقفاً هناك. جاء الرجل الغني وقفز فوق حقيبته، وضمّها إلى قلبه وتنفّس الصعداء وقال. «أشكر الإله!».

قال المُعلّم الصوفي: «هل أنت سعيد أم لا؟ هذا هو المفتاح إلى السعادة. أخبرني. هل أنت سعيد أم لا؟». قال الرجل: «حقاً، لم أكن أبداً بمثل هذه السعادة!».

إنّ الناس في المجتمعات البدائية في غاية البراءة. إنهم مثل «آدم» و «حواء» في جنة «عدن». إنهم لم يتذوّقوا بعد طعم ثمرة شجرة المعرفة. أما الشخص المُتمدن فهو يُمثل «آدم» بعد أن نزل من الجنة، وتذوّق ثمرة شجرة المعرفة. إنه لم يعُد بريئاً. إنه مُختلف.

بيد أنّ «آدم» لا يستطيع أن يُصبح «المسيح». هذا مُستحيل. يجب عليك بداية أن تسقط كي تنهض، يجب عليك أن تخسر كي تكسب. لقد مهّد «أدم» الطريق أمام «المسيح». حينما فُصل عن البراءة، فنشأت احتمالية جديدة، إذ يستطيع أن يُعاود الرجوع مرة أُخرى إلى البراءة. هذه البراءة الثانية هي ما يُسمّيه الهندوس «دويج» أي «الميلاد الثاني»، هذا الميلاد الثاني، البراءة الثانية، مختلفة في نوعيتها عن الأولى. لقد كانت البراءة الأولى عن جهل، ولم تكُن مُدركة لطبيعتها. لم تكن مُضيئة، بل كانت مُظلمة. أمّا النوع الثاني من البراءة فهو مُضيء، إذ يحترق النور في داخلها. إنّه مُدرك لذاته. إنّها ليست مُجرّد براءة، إنّها براءة مع الوعي.

هكذا وبطريقة ما، فإنّ هذا المجتمع المجنون حتى يفعل لك شيئاً جميلاً، فإنّه يسرق منك حقيبة الماس خاصتك. إنه يخلق لك الاحتمال أن تكون سعيداً. لو تعلّقتَ بالحقيبة، فقد حدث خطأ ما، وإلا فليس هناك شيء خاطئ. إنّ الابتعاد جزء من الرجوع. اِبتعد قدر الإمكان وسوف يكون الرجوع جميلاً بأقصى ما يُمكن. اِبتعد عن الإله قدر ما تستطيع، فبقدر ما تبتعد، بقدر ما ستكون نشوة الرجوع.

إذاً لا يُوجد أشخاص مُستنيرون في المُجتمعات البدائية. إنهم يُوجدون فقط في المجتمع المجنون. هذا هو الشيء الأول.

أمّا الشيء الثاني فهو أنّه حتى المجتمع البدائي ليس بدائياً على نحو مُطلق. في الحقيقة، لا يُمكن أن يُوجد مجتمع بدائي تماماً، فالمجتمع على هذا النحو يعني أنّ الحضارة قد دخلَت إليه، حتى ولو كان بدائياً. قد تكون حضارة بدائية، وليس فيها سيارات وطرق وطائرات، هذا لا يهمّ، فهذه الأشياء لا تجعل المجتمع مُجتمعاً.

يتكوّن المُجتمع من قواعد، قوانين، مُحرمات، موانع، وهي موجودة حتى في المجتمع البدائي. إنّها بسيطة، عامة، بدائية بقدر بدائية المجتمع، ولكنها موجودة. لا يُمكن أن يُوجد مُجتمع بلا قواعد، فالمجتمع يعني القواعد. كذلك لا يُوجد مجتمع بلا محرمات، أو قمع، فالمجتمع يعني المحرمات والقمع، وهو يعني أنّه على الفرد أن يتّبع الجماعة. ومن خلال هذا الاتّباع، يفقد الفرد براءته. ويُصبح مختلفاً.

إذاً الشيء الثاني الذي يجب أن تتذكّره هو أنّه حتى لو كان المجتمع بدائياً، إلا أنه مجتمع، وهناك بعض الإمكانية أن يستنير. بيد أنه كلّما ازداد المجتمع تعقيداً، كان هناك إمكانية أكبر أن يُصبح مُستنيراً. كلّما كان هناك إمكانية أكبر أن يُصبح مجنوناً، كانت هناك احتمالية أكبر أن يُصبح مُستنيراً.

إنّ كيفية استغلال الموقف الآن أمر يرجع إليك، فالمجتمع المُتمدن يخلق فرصة عظيمة. يُمكنك أن تُصبح مهووساً، يُمكنك أن تتعلّق به، يُمكن أن تُصبح مُتجمّداً، هذا اختيارك. بطريقة أُخرى، كلّما كان المجتمع مُعقداً، اقتربتَ من أن تُصبح مُستنيراً. يُمكنك استغلال هذه الفرصة.

لقد وُلد «بوذا» في مجتمع هندوسي مُعقد للغاية. لقد كان ذروة الحضارة الهندية، العصر الذهبي. كان المجتمع مُتطوّراً للغاية، ومعقداً للغاية. لقد وُلد «بوذا» في ذلك الوقت، وكذلك جميع الأربعة عشر عظيماً TEERTHANKARAS: في «الجاينية»، «بوذا»، وجميع «الآلهة الهندوس المُتجسدين على الأرض» AVATARAS، «كريشنا»، «رام» وآخرين، جميعهم جاء من الطبقة المُعقدة نفسها من المُجتمع، وكان جميعهم من الارستقراطيين. إنّهم لم يأتوا من الطبقات الدنيا، بل كان جميعهم ملوكاً أو أبناء ملوك. لماذا؟ لأنّه من خلال هذه الذروة، يقودك الجنون فعلاً عبر المسافة بعيداً عن الإله، وعندئذ يُصبح التحوّل ممكناً.

لا أقول إنّ التحوّل سوف يحدث لا محالة، أنا لا أقول ذلك، فالأمر يعتمد عليك. إذا أصبحتَ مُدركاً للجنون الذي تعيش فيه، فستبدأ في التحوّل. إذا لم تُصبح مُدركاً لهذا الجنون وبقيتَ غارقاً فيه، رُبّما تستمرُّ في البقاء مجنوناً.

ليس مُصادفة أنّ الشرق لم يعُد مُهتمّاً كثيراً بالدين. إنّ الشرق الآن فقير جداً، وقد انحدر المُجتمع إلى الحضيض، فلم يعُد مُتطوّراً، ولم يعُد أرستقراطياً، وأصبحَت مُشكلاته مادية جداً ودنيوية. فهو لا يستطيع التفكير في المشكلات الروحية.

ليس مُصادفة أنّ الغرب أصبح مُهتمّاً أكثر فأكثر بالدّين، فقد أصبح الأمريكان خاصة غائصين في الدين بعمق، نظراً لأنّ «أمريكا» حالياً في قمة الحضارة، التطوّر، الرفاهية، الوفرة. لقد حدث الشيء نفسه تماماً في «الهند» منذ ألفين وخمسمئة سنة، عندما كانت «الهند» هي الطائر الذهبي، تماماً مثل «أمريكا» الآن. إنّ «أمريكا» هي «الهند» الحديثة.

سوف تُشرق الشمس في الغرب، فقد أصبح الشرق مهجوراً. إنّ الشرق حقل مُحتمل للشيوعية

وليس للدين. إنّ بلدان الشرق تتحوّل إلى الشيوعية مع الوقت. يُمكن للشيوعية فقط أن تكون دين الشرق، إنّها أدنى أنواع الدين.

هكذا، فإنّ التفكير الأمريكي، وخاصة المثقف منه، مُهتمّ بـرجل مثل «بوذا»، وليس «ماركس»، إنّه مُهتمّ برجل مثل «كريشنا»، وليس «ماركس»، بيد أنّ التفكير «الصيني» مُهتمّ برجال مثل «ماركس»، «لينين»، «ماو». كذلك التفكير «الهندي» مُهتمّ برجل مثل «غاندي»، «ماركس»، الاشتراكية، الشيوعية. حينما تكون جائعاً، فالشيوعية وحدها يُمكن أن تكون ديانتك. حينما تُشبع احتياجاتك الجسدية، واحتياجاتك الفكرية، عندها لن يكون هناك طريق آخر إلا أن تكون مُتديناً، وهكذا تبدأ في البحث عن التأمل، ولحظات «ساتوري»، «سامادهي».

السؤال الثاني:

«قبل المجيء إلى «بونا» كنتُ أعتقد أنني أعرف شيئاً ما عن مُساعدة الآخرين. الآن أشعر أنني لا أعرف أيّ شيء عن المُساعدة، فأقصى ما أستطيع فعله هو أن أكون حاضراً مع العميل، وأتّبع غريزتي في تلك اللحظة. إنّه مكان مُخيف للغاية».

في الواقع أنت الآن في بداية أن تكون مُساعداً، مُعالجاً. عندما تبدأ في التخلّي عن تلك الأنا المزيفة التي تطمح أن تكون مُعالجاً، يبدأ الإحساس في التدفّق داخلك. إنّ الأنا المزيفة عقبة، والمُعالج الحقيقي لا يعلم أنّه مُعالج، إنّه مُجرّد وسيط كي يتدفّق الإله من خلاله.

أنا أستطيع أن أفهم لماذا تشعر بالخوف، ذلك لأنّ كلّ خبراتك وكلّ ماضيك كان يدور حول هذه الأنا المزيفة الماكرة. أما الآن فإنّ الأمر لا يبدو ذا صلة. عندما لا يبدو الماضي ذا صلة بعد الآن، يبدأ الإنسان في الشعور بالخوف. يفقد الإنسان ما يُلمّ به وهو ما كان يدعمك، وكان الأرض التي تقف عليها. لقد اعتدتَ أن تعرف هذا وتعرف ذاك، لقد اعتدتَ أن تعرف كيف تُقدّم المساعدة، ماذا تفعل، ما هو المطلوب، الآن يختفي كلّ هذا. ولن تعرف ماذا تفعل، ولن تعرف الإجابة الصحيحة عن كلّ سؤال.

بيد أنك الآن ولأول مرة، إذا بقيت مُتاحاً أمام المريض، عميلك، فستأتي الإجابة الصحيحة من خلالك. إنّها سوف تنبض من خلالك. إنّها لن تكون إجابتك، هذا حقيقي، إنّها لن تكون إجابتك بعد الآن، بل ستكون استجابة الإله من خلالك.

هذا هو كلّ ما أفعله هنا. إنني أقوم بإعداد نوع جديد من المُعالجين، نوع جديد كلياً، وظيفتهم ألّا يفعلوا شيئاً للمريض، بل أن يكونوا مُتاحين فقط. سوف يكون وجودهم وجوداً شافياً، وسوف تحدث المعجزات من خلالهم، لكنّهم لن يستطيعون القول: «لقد فعلتُ ذلك», إنّ الربّ أو المجهول سوف يفعل المعجزة، أو يُقدّم الحل الشامل، وللمرة الأولى، ستكون فعلاً مُعالجاً، مُساعداً عظيماً.

قد يستغرق الأمر عدة أيام، عدة أشهر، أو عدة سنوات، فالأمر يعتمد عليك. إذا كنتَ مُسترخياً أثناء حدوثه، مُستسلماً إليه، فسيختفي ذلك التردد قريباً. إذا لم تستسلم، وتابعتَ المقاومة، فسوق يستغرق حينها عدة شهور أو عدة سنوات. أو رُبّما تنجح في المقاومة، وقد تختفي مُجدداً، وعندئذ سوف تُضيّع فرصة عظيمة، لقد كان الباب مفتوحاً لكنّك لم تدعه يُفتح.

إن ما لاحظته هو أنه حينما يُصبح الموسيقي موسيقياً حقيقياً، فإنّه يُلقي بكلّ الآلات الموسيقية جانباً، فلم يعُد في حاجة إليهم. تنبع الموسيقى الآن من أعماقه، ولا تصدر من خلال أيّ آلة من الآلات. حينما يُصبح رامي السهام رامياً، فإنّه يُلقي قوسه وسهامه. فلم تعُد هناك حاجة إليها. حينما يُصبح المُعالج مُعالجاً حقيقياً، فهو ينسى أنّه مُعالج.

إنّ الشخص صاحب المعرفة يُصبح بريئاً تماماً، غير مُثقل بالمعرفة. والطريقة هي: أنا لا أقول أنك لا تحتاج إلى أيّ تدريب، كلا إطلاقاً. أنا لا أقول أنك لستَ في حاجة لأن تعرف أيّ شيء عن التحليل النفسي ،والطبّ النفسي، والطبّ عموماً، أنا لا أقول ذلك، إنما أقول إنّه عليك أن تعرف كلّ ذلك، ثم يجب عليك أن تنساه أيضاً يوماً ما. أنا لا أقول إنّ رجلاً لا يعرف أيّ شيء عن الرماية، يُصبح فجأة رامياً عن طريق الاستسلام فقط. كلا. أولاً يحتاج الإنسان أن يعرف، هذا هو الجزء الأول. يجب على الإنسان أن يتعلّم. بعد ذلك يأتي الجزء الثاني، وهو الجزء الأعلى، وهو أنّه عندما تتعلّم كلّ شيء، اِنسَ ما تعلّمته.

يقولون في «الزن» إنّه إذا أراد شخص أن يُصبح رساماً عظيماً، يجب عليه أولاً أن يدرس الرسم اثني عشر عاماً، يوماً بعد يوم. لا بُدّ أن يتعلم كلّ ما هو مُمكن عن الألوان، التلوين، أقمشة الرسم، التقنيات، ثمّ بعد اثني عشر عاماً يجب عليه أن يُلقي جانباً بأقمشته، وفرشاته، وألوانه، وفي مدة اثني عشر عاماً أُخرى ينسى كلّ شيء عن الرسم. يجب عليه ألّا يقربه إطلاقاً، ولا يتكلّم عنه أبداً. ثمّ بعد ذلك يوماً ما يجب أن يبدأ في الرسم مرة أُخرى. الآن سوف تحتوي اللوحة على شيء مُبتكر ابداعي خاص بها. كلّ ما هو مطلوب من تقنيات موجود لديه، ولكنّها لم تعُد في دماغه الواعي، ولم تعُد جزءاً من الأنا المزيفة، لقد تحوّلت إلى أعماق عقله اللاواعي، وأصبحت هذه الاثني عشر عاماً من التدريب والتعليم جزءاً من عظامه ودمه.

لقد نسي ببساطة بعد ذلك في مُدة اثني عشر عاماً كلّ شيء عن الرسم. لقد اختفى كلّ شيء عنه من وعيه. لو سألته عن أيّ شيء، فلن يستطيع أن يقول أيّ شيء. لن يكون قادراً على التحدّث عن الرسم مرة أُخرى. إنه الآن سوف يرسم مثل طفل برئ لا يعرف أيّ شيء، ومع ذلك، سوف تظهر في رسوماته الخبرة الفنية التقنية. سوف يلتقي الآن شيئان رائعان في رسوماته: براءة الطفل، ومعرفة الخبير. وعندما يلتقي هذين الشيئين، يظهر إبداع هائل.

ما الذي يحدث عادة؟ يستطيع الإنسان أن يُصبح مُجرّد خبير، أو تقني مُتخصص، وعندها يستطيع أن يرسم بحرفية، ولكن شيء ما سوف يكون مفقوداً من اللوحة، سوف ينقصها الروح. سوف تكون اللوحة مثالية، ولن يستطيع أيّ شخص أن يجد أيّ عيب فيها، هذا حقيقي، ولكن ليس كافياً بالنسبة إلى اللوحة، ألّا يستطيع أيّ أحد أن يجد فيها عيباً. هذا ليس كافياً، إنّه أمرٌ مطلوب، ولكنه ليس كافياً. إنّه أمرٌ ضروري، ولكنه ليس كافياً. هناك حاجة إلى شيء أكثر من ذلك. فأن تقول عن لوحة أنه ليس فيها عيباً، فذلك لا يُعتبر مدحاً.

إذا أتى إليك شاعر بقصيدة وقلتَ له: «نعم، إنها مثالية كما ينبغي أن تكون. لا يُوجد فيها أخطاء لغوية، ولا أخطاء نحوية، ولا أخطاء في الوزن الشعري، كلّ شيء جيد على نحو كامل»، فإنّ ذلك لا يُثني عليها. من المُحتمل أن تكون ميّتة، بل لا بُدّ أنّها ميتة. لا يُوجد فيها حياة. إنّها جثة. يبدو كلّ شيء مثالياً، لكن هناك شيء جوهري مفقود.

لقد سمعتُ عن رجل مجنون هرب من المصحة العقلية. كان أستاذاً في الفلسفة، وكان رجلاً ذكياً جداً. عندما هرب من مستشفى المجانين، من الطبيعي أنّه بدأ في التفكير كيف يتجنّب اكتشاف أمره، لأنهم كانوا سيبحثون عنه فوراً. سوف يقومون بالبحث عنه في جميع أنحاء البلاد. فقد كان رجلاً مجنوناً وخطيراً، وستبحث عنه الشرطة لا محالة.

من أجل ذلك، فكّر في الأمر. ماذا أفعل؟ كيف لا يلحقون بي مرة أُخرى؟ ثمّ وجد حلاً مثالياً للغاية. لقد عرف لماذا بدأ الناس في الاعتقاد أنّه مجنون، كان ذلك بسبب أنه اعتاد أن يُطلق التصريحات الغريبة. هكذا فكّر: «عليّ أن أفعل شيئاً واحداً. يجب ألّا أُصدر أيّ تصريح غريب. ثانياً، لا بُدّ أن أُصرّح فقط بما هو مُؤكّد، وبما لا يُمكن لأيّ شخص أن يجد فيه عيباً. سوف أقول فقط الأشياء التي يُمكن إثباتها بالعلم، ولن أقول أيّ شيء لا يُمكن أن يتمّ إثباته. سوف تكون تصريحاتي موثوقة، وخالية من الأخطاء».

هكذا، بحث في ذاكرته. لقد كان مُدرّساً عظيماً ومشهوراً للغاية. لقد تذكّر بضع تصريحات مثالية، ولن يستطيع أيّ أحد أن يجد أيّ خطأ فيها. على سبيل المثال: «الأرض كرويّة، اثنان زائد اثنان يُساوي أربعة»، وأشياء من هذا القبيل. كان هذا هو كلّ حديثه. تستطيع أن تقول أيّ شيء وسوف يقول هو: «الأرض كروية. اثنان زائد اثنان يُساوي أربعة.» سيقول أشياء من هذا القبيل فقط.

لقد تمّ الامساك به في غضون ثلاثة أيام، وقد تفاجأ كثيراً. لماذا؟ حينما تمّ الإمساك به قال للمُراقب: «إنني مُتحيّر. لم أقل ولا جملة واحدة يُمكن إثبات خطؤها. هل تستطيع أن تثبت أن الأرض ليست كروية؟ ما الخطأ في ذلك؟ كيف تمكّنوا من اكتشاف أنني مجنون؟».

لم يكن هناك شيء خاطئ في ذلك، فالأمر واضح بكلّ تأكيد. لقد كان البيان صحيحاً تماماً، فالأرض كروية واثنان زائد اثنان يُساوي أربعة. بيد أنّ ذلك ليس له علاقة! يتكلّم شخص عن تلك المرأة فتقول: «الأرض كروية»، هذا ليس له علاقة بالموضوع، ولذلك ليس له معنى.

يستمرّ التقني في القيام بالأشياء الصحيحة، ولكنها ليس لها معنى. يستطيع أن يرسم لوحة جميلة، ولكن هناك شيء مفقود، المعنى مفقود. لا يُمكنك أن تجد أيّ خطأ في ألوانه، لا تستطيع أن تجد أيّ خطا في رسمه، ولا أيّ خطأ، وإذا تعيّن عليك أن تجد خطأً فلن تستطيع ذلك. بيد أنه ليست تلك هي النقطة. أين هو المعنى؟ أين المغزى؟ هناك شيء مفقود. إنها ظاهرة آلية. إنّ الوحدة الحيوية غير موجودة، فالوحدة الحيوية تأتي من البراءة، وليس من الخبرة.

إذاً هناك رسامين عبارة عن تقنيين فقط، وبسبب مثل هؤلاء كانت هناك ثورة كبيرة في عالم الرسم. لقد ثار الناس. لقد توقّفوا عن الذهاب إلى كلّيات الفنون، توقّفوا عن تعلّم الرسم، وقالوا: «سوف نكون رسامين أحراراً»، وبدأوا في الرسم الحر. قد تكون لوحاتهم مُبتكرة، وقد تحتوي بعض الأهمية، لكنّهم غير مُؤهلين كي يرسموها على القماش، فهم لا يعرفون كيف يخلطون الألوان، ولا يعرفون كيف يرسمون. قد تكون الفكرة في أذهانهم رائعة للغاية، ولكن ليس لديهم الخبرة كي ينقلوها على القماش. هذا ما حدث مع الرسم الحديث. إنّ النظر إلى لوحة حديثة أمرٌ مُحيّر للغاية. فأنت لا تدري ما الذي تنظر إليه. قد يكون الرسّام مُبدعاً، ولكن يبدو أنّه لا يعرف أيّ شيء عن الرسم.

لقد سمعتُ...

ذات مرة جاء رجل غني إلى «بيكاسو». كان يُريد لوحتان من لوحاته، بينما كانت هناك واحدة فقط جاهزة. كان الرجل مُستعداً أن يُعطيه أيّ قدر من المال، ولذلك قال «بيكاسو»: «إنتظر. سوف أُحضر لك لوحتين»، دخل وقصّ اللوحة إلى اثنتين.

إذا قطعت لوحة من لوحات «بيكاسو» إلى اثنتين، أو حتى إلى أربعة. فلن يحدث أيّ فرق، لأنها مُجرّد خليط جنوني من الألوان. لقد باع تلك اللوحة على أنها اثنتين.

قصة أخرى عن «بيكاسو»...

لقد كانت لوحاته معروضة وكان النقاد مُجتمعين حول لوحة بعينها. كانت لوحاته غريبة، ولكن هذه كانت الأغرب على الإطلاق. كانوا يُثنون عليها بشدة كأيّ شيء. ثمّ جاء «بيكاسو» وقال: «مَن قلب هذه اللوحة رأساً على عقب؟»، لقد كانت اللوحة مقلوبة رأساً على عقب!

و قصة أُخرى...

طلبت سيدة غنية من «بيكاسو» أن يرسم لها صورة شخصية. وقد قام برسمها. لقد استغرق الأمر عدة أشهر، وكان ليجني الملايين من الدولارات جراء ذلك.

عادَت إليه السيدة بعد ذلك وقالت: «كلّ شيء على ما يُرام، بيد أني لم أُحبّ شكلّ الأنف»، فقال «بيكاسو»: «حسناً، عودي بعد سبعة أيام».

بينما كان جالساً قبال لوحته، قلقاً للغاية. سألته السيدة التي كانت تعيش معه في تلك الأيام: «لماذا أنت قلق إلى هذه الدرجة؟ أنا لم أرك مُطلقاً قلقاً إلى هذا الحدّ»، أجاب: «المُشكلة هي: أين رسمتُ الأنف؟ أنا لا أستطيع أن أجده».

قد يكون شخص خبيراً تقنياً للغاية، وعلى الرغم من ذلك تفتقد لوحاته إلى الحياة، وقد يكون شخص بريء للغاية، مبدع بالفطرة، ومع ذلك أيضاً لا يُمكن أن تكون لوحة حقيقية. إنّ جماعة «الزن» على صواب. إنّ الرسم يحتاج كلاً من براءة الطفل والخبرة معاً، وعندئذ ينشأ مزيج رائع.

يجب على الإنسان أن يتعلّم ثمّ ينسى، هذه هي طريقتي في فهم الموضوع هنا، وهي الطريقة نفسها بالنسبة إلى العلاج. هذه هي طريقتي بالنسبة إلى كلّ شيء، أولاً يجب أن تعرف، وبعد ذلك عليك أن تنسى كلّ ما تعرفه. عندئذ تسري المعرفة في دمك، وتُصبح بيئة لا تعيها تُحيط بك. تستمرّ المعرفة في العمل من خلال اللاوعي، بينما تبقى في الوعي في مُنتهى البراءة، والإبداع. وعندها يكون هناك فرح غامر.

لقد سألتني:قبل المجيء إلى «بونا» كنتُ أعتقد أنني أعرف شيئاً عن مُساعدة الآخرين. الآن أشعر أنني لا أعرف أيّ شيء عن المُساعدة، جيد! هذا ما يجب أن يكون. الآن سوف تبدأ المساعدة الحقيقية.

أقصى ما أستطيع فعله هو أن أكون حاضراً مع العميل وأتّبع غريزتي في تلك اللحظة. هذه الكلمة «غريزة» سوف تتبدل قريباً، وتبدأ في الشعور بالحدس بدلاً من الغريزة. أستطيع أن أفهم لماذا

استخدمتَ كلمة «غريزة»، لأنّك لم تعرف بعد ظاهرة الحدس. دعني أشرحها لك.

حينما يعمل الجسد عفوياً، فإنّ ذلك يُسمّى غريزة. حينما تعمل الروح بتلقائية، يُسمّى ذلك حدساً. إنهما مُتشابهان، وعلى الرغم من ذلك فهما مُختلفان كلياً. الغريزة من الجسد الفظ، بينما الحدس من الروح الرقيقة، وبين هذين الاثنين يكون التفكير، الخبرة، والتي لا تعمل إطلاقاً عفوياً. من أجل ذلك، ليس هناك كلمة مُطابقة لها في العالم النفسي. بالنسبة إلى المادي، إنها الغريزة، وبالنسبة إلى الروحي، فهي الحدس، وما بين الاثنين يكون التفكير، الذي يعني المعرفة التي لا يُمكن أن تكون عفوية. من أجل ذلك، ليس هناك كلمة مُشابهة للحدس أو الغريزة في العالم النفسي.

أستطيع أن أفهم لماذا استخدمتَ كلمة «غريزة». في البداية سوف تشعر كأنّها كذلك لأنّك لست مُدركاً لروحك بعد. بيد أنّ ذلك جيد، دعها تكون غريزة. الغريزة أفضل بكثير من الفكر. الغريزة أعمق من الفكر، بينما الحدس أرقى من الفكر. كلاهما أفضل من الفكر، كلاهما جيد.

في البداية يُصبح الشخص مُدركاً للغريزة، ومع مرور الوقت يُصبح الشخص مُدركاً للحدس. وعندها سوف يكون هناك نوع من الالتقاء بين هذين الاثنين. وبعدها تختفي كلا الكلمتان، ويكون الكليّ، «تاتهاتا». عندها يعمل الإنسان كوحدة حيوية مُتكاملة. تلك هي اللحظة حيث تُصبح أداة الإله.

السؤال الثالث:

«إنّ احدى الكلمات الرئيسة بالنسبة إلى خبرتي وخبرات الكثيرين هنا هي «الطاقة». أنا أستطيع أن أشعر بها، أحياناً على نحو أكبر، وأحياناً أقلّ، كما أشعر أيضاً أنّها تجعل نفسي مُتفتحةً أكثر لاختبارها، وتجعلها تقوم بمُهمة التغيير. بيد أنها ما زالت تُحيرني حيث أنّها مفهوم جديد كلياً بالنسبة إليّ، كما يبدو أنني يجب أن أعرف المزيد عنها. هل هي ظاهرة داخلية أم خارجية، أم كلاهما؟ هل يستطيع الإنسان أن يُسيء استخدامها؟ أرجو التوضيح».

السؤال من «سوتشيتا». لقد تعثرت في شيء هام للغاية، وهو الطاقة، وهذا هو ما نُقدّمه هنا.

بالنسبة إلى كلّ من جاء إلى هنا مُتفرجاً، سوف تبقى غير مُتاحة. هؤلاء الذين جاءوا فقط كي يروا ما الذي يحدث لن يتمكّنوا من رؤيتها. هذا هو الحدوث الحقيقي. بيد أنّه خفي. عليك أن تُصبح مُشاركاً، وعندها فقط سوف تعرف ما هي.

هناك طريقتان من أجل معرفة شيء ما، أحدهما هو طريق المتفرج. إذ تذهب إلى السينما، تجلس في كرسيك وترى على الشاشة ما يجري في الفيلم. أنت مُتفرج، وتلك واحدة من مُشكلات التفكير الحديث. لقد أصبح التفكير الحديث مُتفرجاً. أنت تتفرج عندما يكون هناك شخص يرقص. لقد أصبح الناس مُلتصقين إلى كراسيهم أمام أجهزة الرائي خمس، أو ست، وسبع ساعات. إنّ المُعدّل المُتوسط في «أمريكا» هو خمس ساعات، وكأنّ جهاز الرائي هو «إلههم» وهم يقومون بعبادته. إنّهم مُلتصقين تماماً، ولا يستطيعون النهوض، وكأنّهم تقريباً مشلولين، يتفرّجون وينظرون فقط. أحدهم يُمارس الحُبّ، والناس يُشاهدون. أحدهم يُصارع، والناس يُشاهدون. أحدهم يرقص، والناس يشاهدون. أحدهم يُغني، والناس يستمعون. لقد أصبح الناس مُتفرجين.

عندما تُصبح مُتفرجاً، تفقد الكثير، وتُصبح حياتك سطحية للغاية، لأنّ الإله لا يكون مُتاحاً حينما تكون مُتفرجاً، إنّ «الإله» مُتاح فقط من خلال المشاركة. إذا أردتَ أن تعرف ما هو الرقص، اِرقص، ولا تكُن مُتفرجاً، ولا تستمر في النظر، فلن تعرف ما الرقص، لو شاهدتَ فقط راقصاً. فأنت فقط تعرف حركات الراقص، بيد أنك لا تعرف ما هو احساسها من داخل الراقص، وكيف يشعر بها الراقص، أيّ فرح، أيّ سعادة، ما الذي يحدث في أعماق الراقص. يحدث أشياء رائعة. إذا كان راقصاً حقيقياً، رائعاً، تحدث أشياء رائعة.

عندما اعتاد «نيجينسكي» الرقص، كان أحياناً يقوم ببعض الوثبات التي كانت جسدياً مُستحيلة. ولم يستطع العلماء تفسيرها. تلك الوثبة الكبيرة كانت مستحيلة بسبب الجاذبية، وكان هناك ظاهرة أُخرى وهي أنه كان عندما يقفز، كان ينزل أثناء عودته إلى الأرض، وكأنّه ريشة بلا وزن. بمنتهى البطء! لم يحدث إطلاقاً من قبل، بل لا يُمكن أن يحدث، ولا يجب أن يحدث. لكنّه كان يحدث. وكانوا في منتهى الحيرة.

لم يكن ذلك يحدث دائماً. إذا أراده «نيجينسكي» أن يحدث، لم يكن يحدث، وفي اللحظة التي يُوشك أن يقوم بها، كان يُخطئ. لو جاء أحدهم كي يُصوّره فقط، لم يكن يستطيع أن يقوم بمثل هذا النوع من الوثبات، وكان يشعر أنّ قدراته محدودة للغاية. إنها لم تكن شيئاً يستطيع القيام به، بل أشياء تحدث عندما يختفى داخل رقصته. بعدها ومع مرور الوقت، أصبح أكثر وعياً بالأمر أنّه حينما ينسى نفسه، ويختفي الراقص في الرقصة، وقتها تحدث تلك الظاهرة. عندها فجأة تُصبح الجاذبية وكأنها لم تعُد تعمل، وكما لو أنّ هناك قانوناً آخر بدأ في العمل، قانون الرفع، وكما لو أنّه بدأ في جذبه إلى أعلى.

إنك لا تستطيع أن تتعرّف عليه من الخارج. يُمكنك أن ترى « نيجينسكي» يقفز، يُمكنك أن تُشاهده، لكن أنت لا تعرف ما الذي يحدث داخله. لقد كان يحدث داخله شيء يُشبه لحظات «ساتوري»، ولم يكن الغرب مُدركاً لهذه الظواهر، ولم يقُل له أحد أنها كانت حالة «ساتوري». لو كان سافر إلى الشرق، إلى بلدة «صوفية»، أو إلى بلدة «الزن»، أو إلى بلدة «طاوية»، كانوا سيُدركونها على الفور، ورُبّما تفتحت لديه إمكانيات عظيمة.

لقد حدث العكس تماماً في الغرب. لقد جُنّ «نيجينسكي» حيث أصبح مُشوشاً للغاية، ولم يستطع أن يتبيّن ما كان ذلك. لقد أصبح خائفاً منه، كما لو أنّ هناك روحاً شريرة، أو شيء من هذا القبيل تستحوذ عليه. لقد أصبح الشيء الذي كان يُمكن أن يُصبح البوابة إلى الإله، بوابة إلى مستشفى المجانين. لقد احتاج إلى مُعلّم في هذه اللحظة، واحتاج إلى شخص يُدرك ظواهره الداخلية. كان المُعلّم ليكون عوناً كبيراً الآن. لكنّه لم يُدرك أنهّ في حاجة إلى مُعلّم، ولم يُدرك أنّ هناك شيئاً دينياً يحدث معه. لقد أصبح مُنزعجاً، و أصبح خائفاً من نفسه.

كيف تستطيع أن ترى ما الذي يحدث مع «نيجينسكي»؟ أنا هنا. أنا أتحدّث إليك. تستطيع أن تستمع إلى كلماتي، ولكن لا تستطيع أن ترى من أين تأتي، فأنت لا تستطيع أن ترى قلبي.

إحدى الطرق هي طريقة المُتفرج. والطريقة الأُخرى هي طريقة المُشارك. يأتي إلى هنا نوعين من الناس. يأتي المُتفرجون، ويفقدون الأمر برمته. يبدو الأمر كلّه وكأنه رحلة جنونية. ماذا يفعل الناس؟ ماذا يحدث مع هؤلاء الناس؟ لماذا كلّ ذلك الرقص؟ لماذا كلّ ذلك الغناء؟ لماذا كلّ ذلك البكاء والنحيب؟ ما

الذي يحدث مع هؤلاء الناس؟ أيّ نوع من التأمل هذا؟ يأتي المتفرجون، ويكونون مُتحيرين. إنهم لا يستطيعون تبيّن الأمر.

من خلال كونك مُشاركة فقط، سوف تعرفين ماذا يحدث. وإذا أصبحتِ مُشاركة، حينها سوف تُصبح كلمة «طاقة» هي الكلمة الأكثر أهمية، هذا هو ما يحدث في هذه الأنحاء.

إنّ «سوتشيتا» على صواب. لقد تعثّرت في الشيء الصحيح. «إنّ احدى الكلمات الرئيسة بالنسبة إلى خبرتي وخبرات الكثيرين هنا هي «الطاقة». أنا أستطيع أن أشعر بها، أحياناً على نحو أكبر، وأحياناً أقلّ، كما أشعر أيضاً أنّها تجعل نفسي مُتفتحةً أكثر لاختبارها، وتجعلها تقوم بمُهمة التغيير».

هذا صحيح تماماً. سوف تشعرين بها على نحو كبير أحياناً، وعلى نحو أقلّ أحياناً أُخرى، ليس لأنّها أحياناً تكون أكثر وأحياناً أقلّ، ولكن لأنكِ تكونين حساسة في بعض الأحيان، وأقلّ حساسية في أحيان أُخرى. تتدفّق الطاقة باستمرار، مثل النهر يجري باستمرار. إذاً فالقدر الذي يُمكنك أن تشعرين به في لحظة مُعينة، يعتمد على مدى حساسيتك. ذلك لا يعني أن الطاقة تكون موجودة في بعض الأحيان وتختفي أحياناً أُخرى، إنها هنا أربعة وعشرين ساعة، وستبقى هنا طالما أنا موجود هنا، أو، بالنسبة لمَن يتمتعون بالقدر الكافي من الحساسية، سوف تكون مُتاحة بعد أن أذهب. الأمر يعتمد عليك.

هكذا حينما تتدفّق الطاقة على نحو أقل، راقِبي، لا بُدّ أنك أصبحت متفرجة، ولذلك هي تتدفّق على نحو أقل. حينما تتدفّق بصورة أكبر، راقِبي. لا بُدّ أنك أصبحتَ مُشاركة، عندها تتدفق بصورة أكثر. اِحتفظي بهذا كمفتاح. حينما تكون الطاقة مُنخفضة، كُوني مُنتبهة فقط، لأنّه يجب عليك أن تُصبحي مُشاركة بصورة أكبر، وخاصة لو وقعتِ في فخّ أن تكوني مُتفرجة.

من أجل هذا السبب، أنا أُصرّ أنّه عندما تتأمل، يجب أن تُبقي عيناك مُغمضتين، ضَع عصابة أعين، حتى لا تُصبح مُتفرجاً. وإلا فالنزعة موجودة، وهي مُتأصلة للغاية. لقد أعدّتك ثقافتك بأكملها كي تكون مُتفرجاً. من أجل ذلك، حتى لو كان التأمل يحدث لك، وكنتَ تسبح في الطاقة، تنشأ فجأة فكرة: «إنظر ماذا يحدث مع الآخرين»، فتفقد الأمر وتُضيّعه. إذا فتحتَ عينيك، فقد حدث تغيير هائل: لقد هبطتَ من كونك مُشاركاً وأصبحتَ مُتفرجاً، وهذه ليست مسافة قصيرة، بل بعيدة بُعد الأرض عن السماء. عندئذ فجأة لا تعود الطاقة تتدفّق، فأنت لم تعُد هنا. إذا أردتَ أن تكون هنا، فالطريقة الوحيدة هي أن تكون مُشاركاً.

إذا كنت مُشاركة، لن تحتاجي أن تقومي بمُهمّة التغيير، فالطاقة سوف تقوم بها. دعيني أقوم بها. اِسمحي لي. إنها سوف تحدث. وكلّ ما هو مطلوب من جانبك ألّا تُقاومي، كلّ ما هو مطلوب من جانبك هو الانفتاح، التعاون بحُبّ، وليس أن يكون الأمر دفاعاً خائفاً. نعم، لستِ في حاجة أن تشغلي نفسك بالتغيير. فالتغيير يحدث بمنتهى السهولة.

«بيد أنها ما زالت تُحيرني»، إنها سوف تُحيّركِ في البداية. فظاهرة الحيرة تحدث لأنّك لم تعودي مُتحكمة في الأمر. لا تستطيعين إدارته، ولا الرغبة فيه، إنّه أبعد منك، وأكبر منك، وهذا ما يُحيّرك. نحن دائماً نتحيّر من الشيء الأكبر، لأننا نُريد دائماً ما نستطيع أن نُعرّفه، وما نستطيع الإمساك به في أيدينا، وما نستطيع امتلاكه. بينما أيّ شيء أكبر منك يُحيّرك، لأنّ التفكير يشعر أنه ضئيل للغاية. يشعر

بالتقصير حيث لا يستطيع أن يفهمه. بمُجرّد أن يشعر التفكير بحالة «أنا لا أستطيع أن أفهمه»، يبدأ في الذعر، ويبدأ في الشعور بالخوف على نحو كبير، ويبدأ في التفكير في الهروب.

لقد هرب الكثير من الناس من هنا. بمُجرّد أن تتملكهم الطاقة و تبدأ الأشياء في الحدوث، والتي طالما أرادوا لها أن تحدث، نعم هكذا يعمل التفكير البشري. لقد جاؤوا إلى هنا في المقام الأول كي يحدث شيء ما، فإذا لم يحدث، يغضبون، وإذا بدأ في الحدوث، يخافون. إنّ الخوف والغضب هما الطاقة نفسها. الخوف هو غضب انسحابي، والغضب هو خوف هجومي، والفارق يكون فقط يكون في الهجوم أو الانسحاب، وهكذا يعمل الناس. إذا لم يحدث الأمر يغضبون، كما لو أنني لا أفعل لهم ما يريدون. إنّهم لا يتعاونون، هذا هو السبب الوحيد. إنّهم غاضبون منّي، كما لو أنّي أفعلها للآخرين ولا أفعلها لهم. إنّهم يقومون بكتابة الرسائل لي، أنّ شيئاً قد حدث مع شخص آخر، فلماذا لم يحدث لهم؟ كما لو أنني المسؤول. إنّه لا يحدث لكم لأنكم غير مُتعاونين.

لا يُمكن أن يحدث الأمر معك إذا كنتَ تتوقّعه، فتوقعك يُعتبر عائقاً. لا يُمكن أن يحدث لك إذا كنت تنافسياً، وإذا كنت تفكر أنّه حدث مع صديقتك أو صديقك أو مع شخص ما ولم يحدث معك. إذا كنت تنافسياً، فلن يحدث لك، فالتنافس نابع من الأنا المزيفة. وعندئذ تكون غاضباً.

إذا حدث، تُصاب بالذعر وتُصبح مرعوباً، وخائفاً للغاية إلى درجة أنك تبدأ في التفكير أين تذهب الآن وكيف تهرب من هذا المكان، فهناك شيء يحدث وهو جنوني للغاية. إنّه جنوني بمعنى أنّه ليس لديك أيّ فكرة ماذا يكون، وليس لديك أيّ فكرة عن تفسير الأمر، وليس لديك أيّ فلسفة كي تجعل الأمر واضحاً.

تقول «سوتشيتا»: «بيد أنها ما زالت تُحيّرني حيث أنّها مفهوم جديد كلياً بالنسبة إليّ». صحيح، إنها ظاهرة جديدة كلياً. لا تُسمّيها مفهوماً، فهي ليست كذلك، بل هي حقيقة. إنّها ليست فكرة. هذه الطاقة ليست فكرة، بل هي القوة الأكثر خصوبة في العالم. إنّ الناس يتحوّلون من خلال هذه القوة. إنّها كيميائية. إنّها تلك القوة الكيميائية التي يتحدّث عنها الكيميائيون على مرّ العصور. إنّها الكيمياء التي تقوم بتحويل ما هو فظّ إلى شيء رقيق، وتُحوّل الحديد ذهباً، وتحوّل الأدنى إلى الأعلى، وتُحوّل الجنس إلى طاقة صلاة، وتجعلك قادراً على الانتقال إلى مستويات مُختلفة، ومستويات أعلى، وكمال أعلى. إنّها ليست مفهوماً.

بيد أنني أستطيع أن أفهم ماذا تقصد. إنّها تقول إنّها ليس لديها فلسفة تُفسّر بها الأمر. بيد أنه ليس هناك فلسفة، وأنا لا أستطيع تزويدك بها. لم يتمكّن أيّ أحد إطلاقاً من توفير أيّ فلسفة من أجل فهمها. إنّها كبيرة للغاية، والفلسفة ضئيلة للغاية. تكمن الفلسفة في تفكير البشر، أما الطاقة فهي قوة كونية، ولا يستطيع التفكير احتوائها، ويجب عليك ألا تُحاول أن تفعل ذلك، وإلا فسيتدخّل التفكير، ويُشوّش تقبلك لها.

«كما يبدو أنني يجب أن أعرف المزيد عنها». اِنسِ ذلك. فلن يُساعدك معرفة المزيد عنها، بل التعمّق فيها أكثر هو ما سوف يُساعدك. أن تتعمّقي فيها أكثر هي الطريقة الوحيدة حتى تعرفينها أكثر، فلا تقومي بالعكس.

عادة يقول تفكيرنا: «في البداية اِعرف أكثر عنها، وبعد ذلك اِنطلق إليها». يبدو ذلك أكثر ذكاء، بيد أنه لا يعمل. يقول التفكير: « في البداية اِعرف أكثر عنها، وبعد ذلك اِنطلق إليها»، فالقفز فيها دون المعرفة يُمكن أن يكون خطيراً، قد تضيع، وقد لا تتمكّن من العودة مُجدداً، مَن يدري؟ هل الأمر جيد أم

سيء، ملائكي أم شيطاني، مّن يدري؟ من أجل ذلك، اِعرف كلّ شيء عنها». بيد أنه ليس هناك طريق كي تعرف أيّ شيء عنها دون الدخول فيها. هذا خطير، هذه مُخاطرة، مُقامرة.

من أجل هذا السبب أدعو «المُريدين» بالمقامرين. إنّهم مستعدّون أن يذهبوا معي إلى المجهول دون أيّ تأخير أو تردد. وأنا لا أستطيع أن أُعطيهم أيّ ضمانات، فهذا غير مُمكن حسب طبيعة الأشياء، فالحقيقة المضمونة عبارة عن كذبة، فالحقيقة لا يُمكن ضمانها. على الإنسان أن يقترب منها بقلب نابض، ويقبل بالمخاطرة، فالخطر موجود، سواء كنت سوف تُصبح مُستنيراً، أو تُصاب بالجنون، فهذا الخطر موجود.

هذا هو سبب الحاجة إلى المُعلّم، و الحاجة إلى الحُبّ الكبير تجاه المُعلّم، حتى تستطيع أن تثق به، فعندما تبدأ الأمور في الخروج عن السيطرة، يستطيع هو أن يسيطر عليها. إذا لم تثق به، فسيحدث الجنون، ولذلك لا أنصح أبداً أيّ شخص أن يُقدم على المجهول دون مُعلّم.

أعلم أنّه في بعض الأحيان يستطيع الإنسان أن يمضي دون المُعلّم، بيد أنّ هذا استثناء، ونستطيع أن ننساه. نعم، يحدث بين الحين والآخر أن يهرب شخص من الخطر و يصل إلى الحقيقة دون إرشاد، ولكن لا بُدّ من اعتبار هذه الحادثة صدفة، ولا يُمكن أن نجعلها النموذج الطبيعي. من الأفضل بكثير، بل الأمر أكثر سعادة، وأكثر فرحاً واحتفالاً، أن تذهب مع شخص يعرف الطريق، شخص سار على هذا الطريق مراراً وتكراراً.

يقول الصوفيون إنّه إذا أردتَ أن تسأل عن الطريق إلى قمة معينة، اِسأل الرجل الذي ينزل ويصعد إليها كلّ يوم. اِسأل ساعي البريد الذي يذهب إلى قمة الجبل كي يُوصل البريد، الذي يأتي ويذهب كلّ يوم. اِسأل الرجل الذي يعرف الطريق تماماً حتى أنّه يستطيع الذهاب واضعاً عصابة على عينيه، ويستطيع الذهاب في الظلام دون أيّ إضاءة. اِسأل هذا الرجل.

بيد أني لا أستطيع أن أُعطيك أيّ معلومات عن ذلك، فليس هناك أيّ معلومات. إنّ الخبرة هي الطريق الوحيد كي تعرفها. أستطيع أن أُعطيك دعوة، أستطيع أن أقول لـ«سوتشيتا»: «تعالي معي. تخلِّ عن مُقاومتك، وعن عقلك الواعي واللاواعي. تخلِّ عن مخاوفك، تخلّ أيضاً عن ذلك التفكير الذي يُريد تفسير الأشياء». هناك أشياء لا يُمكن تفسيرها، لأنّها بطبيعتها غامضة، وهذه هي الأشياء الحقيقية. إنّ تلك الأشياء التي يُمكن تفسيرها ليس لها معنى، إنها تافهة، دنيوية, بينما كلّ ما هو جميل، حقيقي، رائع، يتجاوز التفسيرات. إنّه لغز، ويجب عليك الدخول إليه. عليك أن تتذوّقه.

«كما يبدو أنني يجب أن أعرف المزيد عنها». من الجيد أنكِ تريدين معرفة المزيد عنها، بيد أنّ الطريق كي تعرفي هو أن تتعمّقي فيها أكثر.

«هل هي ظاهرة داخلية أم خارجية، أم كلاهما؟». إنّها ليست أيّ منهما، لأنّه بالنسبة إلى الطاقة ليس هناك داخلي ولا خارجي. إنّ الداخلي والخارجي تقسيمات تمّ صنعها بواسطة الأنا المزيفة. إنّها مثل منزلك. أنتِ تقولين هذا داخل منزلي وهذا خارجه. هل تعتقدين أنّ السماء قد قُسّمت إلى داخلية وخارجية، لأنك صنعتِ جداراً صغيراً؟ إنّ السماء غير مُقسّمة. وتبقى السماء غير مُقسّمة، وغير قابلة للتقسيم. ليس هناك داخل ولا خارج. إنّها سماء واحدة. فالسماء داخل منزلك هي السماء نفسها خارج منزلك، وليس

هناك طريقة كي نُقطّعها إلى أجزاء.

كذلك هي الطاقة. إنّها نشاط واحد، إنّها إله واحد، إنّها حياة واحدة. وكلّ أحد موجود فيها. إنّها ليست أدنى ولا أعلى، ليست داخلية ولا خارجية، ليست مادية ولا روحانية. فكلّ التقسيمات من الأنا المزيفة. أمّا الطاقة فلا تعرف أيّ تقسيمات.

« هل هي ظاهرة داخلية أم خارجية، أم كلاهما؟ هل يستطيع الإنسان أن يُسيء استخدامها؟»، كلا، لا تُوجد إمكانية لذلك. لا تستطيعين اساءة استخدامها، لأنكِ قبل أن تحصلي عليها يجب عليكِ أن تختفي. إنّك تحصلين عليها فقط بشرط ألا تكوني موجودة، فكيف يُمكنك إساءة استخدامها إذاً؟ إذا كنتِ موجودة، فلن تحصلي عليها أبداً. إنّ هذا نظام حماية مُدمج معها. لا يستطيع أحد أن يُسيء استخدامها، لأنه قبل أن يستطيع الحصول عليها، يجب أن يختفي تماماً. هذا شرط أساسي جوهري. لا يستطيع أحد اساءة استخدام الإله، لأنّه محرّم بنظامه الداخلي، لأنه قبل أن تدخل مقام الإله عليك أن تختفي.

عندما لا تكون موجوداً، مَن هناك حتى يستخدم أو يُسيء الاستخدام؟ اِنسِ كلمة «يُسيء الاستخدام». إنكِ لا تستطيعين حتى استخدامها! إنها تبدأ في استغلالك. إنكِ تُصبحين مُجرّد أداة مُستسلمة، قطعة خيزران مجوفة. يبدأ الإله في التدفّق من خلالِك. عندما يبدأ في الغناء، تُصبحين مثل الناي، وإلا فأنتِ قطعة من الخيزران المجوف. كلّ الأغاني أغانيه، إنّه مَن يستخدمكِ. أنتِ لا تستخدمين، ولا تسيئين الاستخدام، لأنكِ غير موجودة.

السؤال الرابع.

«أوشو»، لماذا تستمر في القول: «عندما تجد مُعلّماً»، في حين أنّك هنا أمامي؟

هذا السؤال من «أناند فيموكشا». أنا أستمرُّ في تكرار ذلك، لأنّه على الرغم من أنني قد أكون أمامك، إلا أنك لستَ أمامي، وحتى يكون كلّ منا مُواجهاً للآخر، ونكون وجهاً لوجه، قلباً لقلب، سوف أستمرُّ في تكرارها.

«فيموكشا»، إنني هنا أمامك، ولكن أين أنت؟ أنتَ لستَ هنا أمامي. ما زلتَ مُختبئاً في كهفك. ما زلتَ خائفاً أن تخرج وتُواجهني. إنّها مواجهة، إنه لقاء. يجب أن استمرّ في دعوتك: «تقدّم! اِخرُج!»، ولهذا السبب يجب علي أن أُكرر مراراً وتكراراً: «عندما تجد مُعلّماً».

لقد وجدك المُعلّم، بيد أنّك لم تجد المُعلّم بعد. لقد اخترتك، ولكنّك لم تخترني، «فيموكشا»، يجب أن يكون خيارك أيضاً، وعندها سوف يكون هناك لقاء، وفي هذا اللقاء سوف يختفي كلانا أنا وأنت.

السؤال الخامس.

«أنت دائماً تقول إنّ الإنسان يجب ألا يشعر بالذنب، لكن كيف يُمكن تجنّب ذلك؟ إنّ أقل انفعال أو صفة سلبية، إذا كُبتت في الداخل، تقتل صاحبها، وإذا تحوّلت إلى الخارج، تقتل الآخرين. يبدو لي أنّه إلى أن، وما لم يصل الإنسان إلى الإدراك التام للروح، أو يُصبح مستنيراً، يجب أن يكون هناك دائماً إهانة وجودية عميقة».

هذا السؤال من «هانا».

أولاً، ليس هناك إذلال وجودي على هذا النحو. هناك إذلال نفسي فقط. وهو يُخلق بواسطتك.

إنّ الوجود لا يعرف شيئاً عن الإذلال، لأنّ الوجود لا يعرف شيئاً عن الأنا المزيفة. هل رأيتِ شجرة مُهانة؟ هل سبق أن رأيتِ صخرة مُهانة؟ هل رأيتِ أيّ شيء مُهان إلا الإنسان؟

راقِب الطبيعة وسوف تتفاجأ. إذا تشاجر كلبان، فهما لا يبدأن الشجار مثل بني آدم، فهما ليسا بهذه الحماقة. في البداية يُظهر كلّ منهما للآخر «مَن أنا». ينبحان، يقفزان، يستعرضان قوة صدورهما، يُظهران أسنانهما. ببساطة يُظهران «هذا أنا»، ماذا تكون أنت، الأول يستعرض، والثاني يستعرض نفسه، وبعد ذلك يتخذان القرار، لأنهما ليسا غبيان. فليس هناك داع إلى القتال. لأنه قد تقرر مَن هو الأقوى. عندئذ يُدير الأضعف ظهره، ويضع ذيله بين رجليه، ويجري مُبتعداً.

بيد أنه ليس هناك إهانة. تذكّر، لو اعتقدتَ أنّ الكلب الذي ابتعد وذيله بين رجليه مُهانٌ، فأنت مُخطئ. أنت تقوم بإدخال تفكيرك الإنساني إلى الأمر. إنه فصل بسيط في الخلاف. إذا سألتك ماذا أكبر، اثنين أم ثلاثة؟ وقلتَ ثلاثة، فهل أهنتَ الاثنين. غباء! مُجرّد غباء! إنهم أشخاص عاقلين، هؤلاء الكلاب. لقد اتخذوا القرار دون أيّ عنف، دون أيّ تضارب. لقد قرروا من مُجرّد معركة صورية، فما الفائدة من المضي إلى معركة حقيقية في حين أنه قد تقرر مَن هو الأضعف؟ بالطبع سوف يفوز الأقوى، فلماذا نمضي إليها؟

إنّ الذي غادر ساحة القتال ليس جباناً، تذكّر. لقد كشف قلبه بالكامل، ووضع كلّ شيء على الطاولة، ولم يُخبئ أيّ ورقة، مهما كانت تافهة. لقد انتهى الأمر بمُجرّد رؤية أنّ الآخر يمتلك أوراقاً عالية، بينما هو لا يمتلك الفرصة. ليس هناك داع إلى الشجار، ولا إلى الإحساس بالإهانة: «لقد خلقه الإله كلباً أضخم، وخلقني كلباً أصغر، وهكذا حُسم الأمر».

جاء رجل إلى مُعلّم صوفي وسأله: «لماذا أنا لستُ مثلك؟»، قال المُعلّم الصوفي: «لقد أربكتني. أستطيع أن أسأل السؤال نفسه، لماذا أنا لستُ مثلك؟ وأُصبح مهاناً للغاية. أنا لستُ مثلك أيضاً. إنّ الإله لم يخلق اثنين مُتطابقين. أنت أنت، وأنا أنا».

جاء رجل إلى مُعلّم «الزن» وسأل الشيء نفسه: «لماذا «أنت» شديد الورع، شديد الجمال، في منتهى الرحمة؟ لماذا أنا لستُ مثلك؟». قال المُعلّم: «تعال إلى الخارج»، أخذه إلى الخارج وأراه شجرتين تقفان في حديقته. إحداهما كبيرة جداً، تتهامس مع الغيوم، والأُخرى صغيرة للغاية.

قال: «اِنظُر، واحدة كبيرة وواحدة صغيرة، بيد أني لم أرَ مُطلقاً الصغيرة تسأل الكبيرة: «لماذا أنا لستُ مثلك؟» مع أني أعيش هنا منذ سنوات كثيرة. هذه ليست مُشكلة. الكبيرة كبيرة، والصغيرة صغيرة. الصغيرة سعيدة بكونها صغيرة، والكبيرة سعيدة بكونها كبيرة. ليس هناك مُقارنة، ولذلك ليس هناك إهانة».

إنّ «هانا» أنانية. أنا أتذكّر منذ عدة سنوات عندما أخذَت المُريدية. لم تكن مُريدة بالقدر الكاف أيضاً، ولكنني لا أقول كلا إطلاقاً. فقط من باب الأدب لا أقول كلا. لماذا يجب أن أقول كلا؟ لقد أخذت

المُريدية من «مونت آبو»، لا بُدّ أنّ ذلك كان منذ خمس أو ست سنوات. عندما أعطيتُها اسماً، وما زلتُ أذكر الاسم الذي أطلقته عليها، لقد كان واحداً من أجمل الأسماء التي يُمكن أن نُسميها في «الهند». لقد أعطيتها اسم «جانجا». وهو النهر الأجمل، والأكثر قدسية عند «الهندوس». على ضفاف ذلك النهر «جانجا» يُزهر كلّ ما هو جميل في «الهند». لقد كُتبت «الفيداس» هناك، وغُنيت «أوبانيشاد» هناك، وتكلّم «بوذا» هناك، ومشى «مهافيرا» هناك. كذلك جميع الأربع وعشرون TEERTHANKARAS، «كريشنا»، «رام»، «بوذا»، وكلّ القديسين العظماء، كلّهم يدينون بشيء ما إلى «الجانجا».

رفضَت «هانا» على الفور، وقالت: «أنا لا يُعجبني الاسم. اسمي «هانا»، إنه جميل». قلتُ فقط من قبيل التهذيب: «حسناً، سوف أُبقي على اسمك القديم.، ولكنها في تلك اللحظة، أصبحت مُنغلقة بالنسبة إليّ، وبقيَت كذلك مُنغلقة، ومنذ ذلك الحين لم أستطع أن أُجري أيّ تواصل معها. لقد رفضتني! لقد أعطيتها المُريدية، ولكنها رفضتني. لقد كانت أناها المزيفة، واسمها، وماضيها مهمّة أكثر من اللازم.

تذكّر، إنها الأنا المزيفة التي تشعر بالإهانة، وليس الوجود. إنّ الوجود لا يُهان. كلّما امتلكتَ أنا مُزيفة أكبر، شعرتَ بالإهانة على نحو أكبر. إنّ الوردة لا تشعر بالذل أمام زهرة اللوتس لأنّ اللوتس أكبر. كذلك زهرة القطيفة لا تشعر بالمهانة أمام الوردة، لأنّ الوردة تمتلك عبيراً زكياً. لا مجال للمقارنة، وليس هناك من لديه الأنا المزيفة كي يُقارن. ليس هناك مَن يُقارن. عندما يتعلّق الأمر بالمقارنة فالوجود صمت نقي. إنّ الأنا المزيفة سرطاننا النفسي، وهي مَن تشعر بالإهانة.

الشيء الثاني: «أنت دائماً تقول أن الإنسان يجب ألا يشعر بالذنب، لكن كيف يُمكن تجنّب ذلك؟ إنّ أقل انفعال أو صفة سلبية، إذا كُبتت في الداخل، تقتل صاحبها، وإذا تحوّلت إلى الخارج، تقتل الآخرين» ليس هناك حاجة أن تُحوليها إلى أيّ مكان، لا في الداخل ولا في الخارج. تستطيع ببساطة مراقبتها وسوف تختفي، تتبخر، لن تذهب لا إلى الداخل ولا إلى الخارج.

على سبيل المثال، نشأ غضب في داخلك. إنّه سمّ سلبي. الآن هناك ثلاثة احتمالات للاستجابة له. لقد ذكرَت «هانا» احتمالين فقط. كذلك مُعظم الناس يعرف احتمالين فقط. أحدهما هو أن تُلقي هذا الغضب، هذه النار والسمّ على الآخر، عندها سيكون مُدمراً. من الطبيعي، بعدما تكون حرقت الآخر، وجرحته، أن تشعر بالذنب. أستطيع أن افهم ذلك. سوف تشعر بالحماقة، الغباء، وأنك اقترفت ذنباً، ولم يكن عليك فعل ذلك.

أمّا الاحتمال الآخر فهو ألا تُلقي الغضب على الآخر، وإنما تكبته داخلك. عندئذ تُؤذي نفسك، وتُصاب بقرحة المعدة. عندها سوف تتأجج هذه النيران داخلك، وتكون دائماً كمن يجلس على فوهة بركان، ولن ترتاح أبداً، بل ستكون دائماً مُستاء، وتختفي كلّ البهجة من حياتك.

إنّ المُجتمع، الكنيسة، الدولة، جميعهم يُؤيّدون الخيار الثاني. يقول المجتمع: «لا تصبّ غضبك على الآخرين، اِفعل به ما تُريد أن تفعله، اِبتلعه، ولكن لا تصبّ غضبك على الآخرين». إذا أُصبتَ بالقرحة، فهذا شأنك. إذا أُصبتَ بالسرطان، فهذا شأنك. فقد أعطاك المجتمع بعض التفسيرات، مثل أنه لا توجد حاجة على الإطلاق لأن تربط بين السرطان وغضبك، وليس هناك حاجة أن تربط بين القرحة وغضبك.

لو ابتلعتَ الغضب اليوم فلن تظهر القرحة فوراً اليوم، بل سوف تستغرق أعواماً، رُبّما بعد أربعين عاماً من ابتلاع الغضب، سوف تظهر القرحة- أو بعد ستين عاماً من كبت الغضب، يظهر السرطان، وهكذا لن تستطيع أن تربط بين الغضب والسرطان. لن تكون قادراً على العثور على أيّ سبب يُثبت أنّ الغضب هو مَن أوجد السرطان. إنّ ذلك يبدو بعيد المنال.

لقد قرر المُجتمع أنّه يجب عليك فقط أن تتصرّف على نحو صحيح. يقوم المجتمع بحماية الآخر لأنّ المجتمع يتكوّن من الآخر. يقول المجتمع إنك تستطيع أن تُدمّر ذاتك، فهذا شأنك الخاص. إنّ المجتمع ضدّ القتل، لكنّه ليس ضدّ الانتحار. إذا كبتَ مشاعرك السلبية في الداخل فذلك يُعدّ انتحاراً. أنا ضدّ الاختيارين لأن كلاهما سوف يُشعرك بالذنب، وكلاهما سوف يُسبب تعقيدات.

ما هي طريقتي؟ طريقتي هي أنه لو وُجد الغضب، راقِبه. كُن شاهداً على وجود الغضب، ولا تفعل أيّ شيء حياله. لا يوجد أيّ داع أن تفعل شيئاً. فقط اِنظر إليه. وسوف تُفاجئ أنه فقط بمُجرّد التمعّن فيه، سوف يبدأ في الاختفاء. عاجلاً أم آجلاً سوف تختفي الغيوم وتزول. وحينما تزول الغيوم ولم تكن قد فعلتَ أيّ شيء حيالها، لا بابتلاعها ولا إلقائها، فلن تشعر بأيّ ذنب على الإطلاق.

هذه الطريقة التي يجب أن يتصرّف الإنسان وفقها مع جميع أنواع المشاعر السلبية. كُن شاهداً. راقبها فقط. يُسمّيها الصوفيون «الشهادة»، كُن شاهداً. أمّا الهندوس فيُسمونها «ساكشين»، كُن شاهداً. راقِب فقط. لا تفعل أيّ شيء. ليس هناك حاجة إلى الفعل. كلّ الأفعال خاطئة. إذا فعلت أيّ شيء بشأنها، فسيحدث خطأ ما، لأنك ستتصرف تحت تأثيره. لو فعلته مع الآخرين، سيكون خطأ، إذا فعلته مع نفسك، سيكون خطأ. أيّ رد فعل تحت تأثير المشاعر السلبية سيكون خاطئاً، وبعدها سوف ينشأ الشعور بالذنب.بيد أنه هناك طريقة كيلا تفعل ذلك، كُن مُتفرجاً، كُن مُجرّد مُراقب. اِنظر إليه. إنّه موجود. أنت لست هو، أنت المُشاهد. اِجلس بهدوء بينما تكون غاضباً، بينما تشعر بالغيرة. عندما تمتلئ بالكراهية. أغلق أبوابك, اِجلس بصمت، دع الغضب يكون هناك، دعه يُومض أمامك. دع الكراهية تتحرّك كأنها فيلم، وأنت المُتفرج.

سوف تتفاجأ أنّه لا يُمكن أن يستمرّ إلى الأبد، هذا شيء أكيد. عاجلاً أم آجلاً سينتهي. إنه يأخذ دقائق فقط حتى ينتهي، وعندما ينتهي، يكون قد انتهى، فهو لا يُخلّف وراءه أثراً. لا ينشأ أيّ إحساس بالذنب. والإنسان الذي لا يُسبب الشعور بالذنب هو شخص مُتدين. أنا أعتبر أيّ شخص لا يخلق أيّ شعور بالذنب مُتديناً.

السؤال السادس:

«أوشو» الحبيب. لقد غفوتُ سريعاً هذا الصباح في المحاضرة، وفجأة شعرتُ بثقل على ظهري. في البداية اعتقدتُ أنني لا بُدّ أنني كنتُ أغطّ في النوم، أو أُصدر أصواتاً، وأن أحدهم أيقظني كي يُوقفني عن ذلك، بيد أني وجدتُ أنه لم يلكزني أحد. ماذا كان ذلك؟».

هذا السؤال من «شيلا».

إنني لم أُجب على ذلك حتى الآن، لأنه كلّ يوم عندما أُريد أن أُجيبها تكون نائمة مرة أُخرى! إنّه ليس سؤالاً جديداً! لقد كنت أنتظر، إنها اليوم مُستيقظة، وأظنّ أنها اللحظة المناسبة.

«شيلا»، ألا تستطيعين التعرّف على يدي عندما أوقظكِ؟

***

الفصل الثالث

هنا، الآن، هذا

آب 1977 صباحاً في قاعة «بوذا».

قيل أنّ الإمام «محمد الباقر» قد روى هذه الأسطورة التوضيحية:

«عند اكتشاف قدرتي على التحدّث بلغة النمل، اقتربتُ من واحدة وتساءلتُ: «كيف هو الإله؟ أهو يُشبه النمل؟».

أجابت: «الإله! كلا، اطلاقاً، لدينا لدغة واحدة، أمّا الإله، فلديه لدغتين!».

ما هو الإله؟

يقول «الحلاج منصور»:

إنّه الاجتماع معاً ثمّ الصمت،

ثمّ فقدان الكلمات والوعي،

ثمّ الاكتشاف والكشف،

وهو طين النار ثمّ النار.

ثمّ الوضوح والبرود،

ثمّ الظلام ثمّ الشمس.

وهو العربدة ثمّ السكب عن الهموم،

ثمّ الرغبة و النهج،

ثمّ الاقتران ثمّ الفرح،

وهو الاجهاد ثمّ الراحة،

ثمّ الاختفاء والانفصال،

ثمّ الاتحاد،

ثمّ الانصهار،

مَن هو الإله؟

إنّه يعتمد عليك. إنّ إلهك هو إلهك، وإلهي هو إلهي. هناك الكثير من «الإله» على قدر احتمالات النظر إلى الإله. إنّه أمر طبيعي. إننا لا نستطيع تجاوز مستوانا، بل نستطيع إدراك الإله فقط من خلال أعيننا، ومن خلال تفكيرنا. سوف يكون الإله فقط انعكاس في مرآتنا الصغيرة. من أجل هذا السبب هناك العديد من المفاهيم حول الإله.

إنّه مثل القمر في السماء في ليلة اكتمال البدر. هناك الملايين من الأنهار الخزانات والمحيطات والقنوات الصغيرة والبرك الصغيرة على الطريق، جميعهم سوف يعكسون الإله، جميعهم سوف يعكسون القمر. بيد أنّ البركة الصغيرة ستعكس القمر بطريقتها الخاصة، وسيعكسه المحيط الشاسع بطريقته الخاصة.

ثمّ إنّ هناك جدالاً كبيراً. فأتباع كلّ ديانة يقولون أشياء مُختلفة، وهكذا يستمرّ الحال. إنّ الجدال شيء أحمق، والتضارب لا معنى له. ينعكس الإله بملايين الطرق، وفي ملايين المرايا، وكلّ مرآة بطريقتها الخاصة. إنّ هذه واحدة من الأساسيات التي يجب فهمها. إنّ عدم فهم هذا الأساس يُؤدي على نحو طبيعي إلى العداوة بين الأديان، حيث يعتقدون جميعاً أنّه «لو كانت وجهة نظرنا صحيحة، إذاً لا بُدّ أنّ الآخرين على ضلالة»، إنّ صحة اعتقادهم يعتمد على ضلال الآخرين. هذا غباء، فالإله لا نهائي، ويُمكنك النظر إليه بطرق شتى من خلال العديد من النوافذ. من الطبيعي أنك تستطيع النظر إليه فقط من خلال نفسك، ستكون أنت النافذة. إنّ إلهك سوف يعكس الإله بقدر ما يعكس ذاتك، كلاكما سوف يكون موجوداً.

حينما يقول «منصور» شيئاً ما، فهو يقول هذا الشيء عن نفسه. اِنظر إلى تلك الكلمة الرائعة «ثمّ الاتحاد، ثمّ الانصهار»، إنّها عن «الحلاج منصور» أكثر من كونها عن الإله. إنّها عن إله «المنصور». هذه هي تجربة «المنصور» الفريدة.

لقد قُتل «المنصور»، وصُلب مثل «المسيح». حيث لم يستطع المسلمون أن يفهموه. هذا ما يحدث دائماً. أنت لا تستطيع أن تفهم أيّ شيء أعلى من إدراكك. إنّه يُصبح خطراً عليك. إذا تقبلته، فأنت تتقبل وجود احتمال أعلى منك. إنّ ذلك يُؤذي الأنا المزيفة، ويُشعرها بالذل. قد ترغب في تدمير «منصور» أو «المسيح» أو «سقراط» من أجل سبب واحد فقط: وهو أنك لا تستطيع أن تتصوّر، ولا تستطيع أن تُسلّم أنّ هناك احتمال وجود وجهة نظر أعلى من وجهة نظرك. يبدو أنك تعتقد أنك آخر شيء في الوجود، وأنّك الأنموذج، الذروة، وأنه لا يُوجد شيء أعلى منك. إنّ ذلك هو موقف التفكير الغبي المُلحد. بينما التفكير المُتديّن مُتفتح دائماً، وهو لا يضيق اطلاقاً بحدوده. إنه يبقى مُتذكراً أنه ليس هناك نهاية للنمو، يُمكن للإنسان أن يستمرّ في النمو.

يُقال في «الإنجيل» إنّ الربّ خلق الإنسان على صورته هو. هذه جملة من البشر، فهي لا تقول

أيّ شيء عن الإله. إنها ببساطة تتحدّث عن الإنسان. إنّه الإنسان يكتب عن نفسه. فمن الطبيعي أنّ الإنسان يُفكّر في تجسيد الأشياء واعطائها صفات بشرية. إنّه يُفكّر من مُنطلق أنّه مركز الكون. لقد خلق الإلهُ الإنسانَ على صورته. لا بُدّ أنّه قد فعل ذلك، على الأقلّ في الكتب المُقدّسة البشرية عليه أن يتبع تفكير الإنسان ويتبع أناه.

إنّ الوضع هو العكس تماماً. لقد خلق الإنسانُ الإلهَ على صورته. إنّ إله الإنسان هو إله بشري. يُمكنك أن ترى. تستطيع أن تذهب إلى المعابد وترى صور الإله. إنّها مصنوعة على نحو مشابه للأشكال البشرية، إنها أفضل بقليل، أجمل بقليل. لكنها لاتزال تحتاج إلى تعديل، تزيين للجسد البشري. لديها أعين بشرية مع القليل من التعاطف الزائد، فقد تمّ فقط إضافة القليل. إنّ إلهنا هو الإنسان المثالي.

عندما أعلن «نيتشه» أنّ الإله مات، كان في الحقيقة لا يقول أيّ شيء ضدّ الإله نفسه. لقد كان يقول إنّ الإله الذي اتبعناه حتى الآن لم يعُد مُواكباً، لأنّ الإنسان قد نضج. إنّ الإله الذي اتبعناه حتى الآن كان إلهاً طفولياً، صبيانياً. لقد كانت الإنسانية يافعة، فشخص يعبد حجراً على أنه إله، ويقول شيئاً بدائياً للغاية. إنّ تصريحاته بدائية للغاية، وثنية. عندما يعبد الإنسان صنماً يكون أفضل قليلاً، لكنه لا يزال محدوداً. إنّ جميع الأشكال محدودة. عندما يعبد الإنسان شجرة، يُصبح الأمر أكثر حياة بقليل، حيث أنّ الشجرة تمتلك نوعاً من الحيوية، ويُصبح الإله حيوياً، تُشارك الشجرة في الإله فيُصبح الأمر أكثر حيوية. إنّ الإله أخضر ومُنعش وكذلك الشجرة، إنّ الإله يُزهر وكذلك تُزهر الشجرة. إنهم في اتحاد.

بيد أنّ الشجرة شجرة، نعم قد تكون انعكاساً بعيداً للمُقدّس، بيد أنّ عبادة الشجرة على أنها إله، هو جهل. إنّ الإنسان الذي يعبد النهر قد يكون مُحقاً بطريقته الخاصة، لأنّ النهر أيضاً يعكس المُقدّس، كما كلّ شيء يُعبّر عنه بطريقة محدودة. إنّه كلّ شيء، بيد أنه لا يُمكن لشيء واحد أن يُعبّر عنه بشموليته. كيف يمكن لشيء واحد أن يُعبّر عنه بكليّته؟ إذا عبدتَ شجرة، ماذا عن النهر؟ إذا عبدتَ النهر، ماذا عن الشمس؟ إذا عبدتَ الشمس، ماذا عن القمر؟ ، أنت تعبد شيئاً واحداً فقط، ولأنه واحد ومحدود، فهو لا يستطيع أن يُمثل الكلّ.

عندما قال «نيتشه»: «إنّ الإله مات»، كان يقول إنّ جميع صيغ الإله حتى الآن، أصبحَت ليست ذات صلة. لقد تخطّاها الإنسان، وأصبح أكثر نضجاً. يحتاج الإنسان إلى إله جديد طول الوقت. عندما يُصبح الإنسان أكثر نضجاً يحتاج إلى إله أكثر نضجاً. اِنظر إلى «العهد القديم»: إنّ الإله شرس وغيور للغاية. يُعلن الإله: «إنني إله غيور جداً. إذا عبدتَ أيّ شيء آخر فسأكون عدوك. سوف أُعذبك في الجحيم. سأُلقي بك في النار»، إنّ ذلك الإله يبدو إلهاً بدائياً للغاية، ليس مُثقفاً للغاية، ليس مُتطوّراً بعد، ويبدو وكأنّ «جنكيز خان» هو من صوّره.

إنّ الإله الهندوسي أكثر تطوراً، و»كريشنا» مع النايّ الخاص به أكثر ثقافة، بينما وصل «بوذا» إلى الذورة لأنه أسقط فكرة الإله. إنّه يتحدّث عن التقوى. لأنّ كلمة إله في حدّ ذاتها تجعل الإله شيئاً مُعرّفاً على نحو قاطع، مصمتاً، صلباً مثل الصخرة. لقد أسقط «بوذا» تلك الفكرة. لقد قال: «هناك تقوى، لكن ليس هناك إله. هناك قدسية. إنّ الوجود مليء بالمقدس، الربوبية «بهاغفاتا»، ولكن ليس هناك إله مثل شخص يجلس هناك على عرش ذهبي، يتحكّم، يُسيطر، يُدير، يخلق. كلا، إنّ الكون كلّه مليء بالمُقدّس، هذا حقيقي. إنّه يفيض بالتقوى».

هذا مفهوم أعلى. لقد أنهينا محدودية الإنسان، وجعلنا الإله أكثر شبهاً بعملية. تقول المفاهيم القديمة إنّ الإله هو مَن خلق العالم، إنّه هو الخالق. لم يُوافق «بوذا» على ذلك. يقول: «إنّ الإله هو الإبداع، وليس الخالق»، إنّ الإله واحد في إبداعه. لذا فعندما تُبدع شيئاً، فأنت تُشارك في الإله.

حينما يفقد الرسّام نفسه في رسوماته، حينما يكون مُستغرَقاً تماماً في رسوماته، فهو لم يعُد رسّاماً عادياً. إنّه مُقدّس في لحظة الاستغراق هذه. «ثمّ الاتحاد، ثمّ الانصهار».

إنّ الراقص الذي يندمج تماماً في رقصته، هو إنسان ليس أكثر، هكذا يكون الجمال، ومن هنا يكون الجمال المطلق. حتى أولئك الذين هم مُجرّد مُتفرجين يبدأون في الشعور بحدوث شيء غريب لا يُصدّق، شيء رائع.

لقد حدث قبل تسعة أعوام من صلب «الحلاج منصور» أنه كان محبوساً في السجن. كان في غاية السعادة حيث استغلّ هذه الأعوام التسعة في التأمل المُتواصل. أمّا في الخارج، فقد كان هناك دائماً تشويش، تشتيت، نزاعات، أصدقاء، مُريدين، المجتمع، العالم، القلق. لقد كان سعيداً للغاية. لقد شكر ربه من قلبه في ذلك اليوم الذي دخل فيه إلى السجن، وقال: «أنت تُحبّني للغاية. لقد وفّرتَ لي الحماية الكاملة من العالم، ولم يتبقّ غير أنا وأنت» «ثمّ الاتحاد، ثمّ الانصهار».

لقد كان في تلك الأعوام التسعة في استغراق كامل. وبعد ذلك تقرر أنّه يجب أن يُصلب، لأنّه لم يكن تغيّر البتة. بل على العكس، لقد تمادى في الاتجاه نفسه. وكان اتجاهه أنّه بدأ في الإعلان: «أنا الإله، أنا الحق! أنا الحقيقة، أنا الواقع.

لقد حاول مُعلّمه «الجنيد» أن يُقنعه بشتى الطرق: «لا تقُل تلك الأشياء! اِحتفظ بها داخلك، لأنّ الناس لن يفهموها، وسوف تقع في المتاعب بلا داع!».

بيد أنّ ذلك كان أكبر من «منصور»، حينما يكون في هذه الحالة التي يُسمّيها الصوفيون «الحال»، كان يبدأ في الرقص والغناء. وكانت تلك التعبيرات تتدفّق ببساطة، ولم يكن في استطاعته أن يُسيطر عليها. لم يكن هناك مَن يقوم بالسيطرة، لقد فُقدت السيطرة. لقد فهم «الجنيد» حالته، ولكنّه عرف حالة الناس أيضاً، وأنهم عاجلاً أم آجلاً سوف يحكمون على «منصور» بالإلحاد. إنّ تصريحه: «أنا إله»، كان حقيقة، فقد كانت تجربته تقبع هناك خلف ذلك التصريح، بيد أنّ الناس لم يفهموا ذلك، واعتبروه غروراً، أنا مزيفة، وكان سيكون هناك متاعب، ثمّ وقعت المصيبة.

بعد تسعة أعوام قرروا أنّه لم يتغيّر ولو قليلاً، في الحقيقة لقد استغرق فيها بصورة أعمق. لقد أصبح الآن يُعلن باستمرار: «أنا الحقّ! أنا الحقيقة! أنا الإله!»، ومن أجل ذلك، قرروا في النهاية أنّه يجب أن يُصلب.

عندما ذهبوا من أجل اصطحابه من زنزانته في السجن، كان ذلك صعباً للغاية، لأنّه كان في «الحال»، في تلك الحالة الصوفية، حيث لم يعُد إنساناً، بل مُجرّد طاقة نقية. كيف يُمكن سحب طاقة نقية إلى الخارج؟ لقد أخرس المشهد أولئك الذين ذهبوا إليه! فما كان يحدث في تلك الزنزانة المظلمة كان مُذهلاً للغاية! وكان مُضيئاً للغاية. لقد كان «منصور» مُحاطاً بهالة ليست من هذا العالم، ولم يكن موجوداً هناك كإنسان. يمتلك الصوفيون كلمتين تُعبران عن تلك الحالة، أحدهما هي كلمة «البقاء»، والأُخرى

«الفناء». تعني كلمة «البقاء» أنك مُعرّف عن طريق الشخصية، وأنّ لديك تعريفاً حولك، ولديك خط مُميّز يُحدد مَن أنت. أمّا «الفناء» فيعني أنك تبددت داخل الإله، ولم يعُد لديك أيّ تعريف. إنّ «البقاء» يُشبه مكعب الثلج، بينما يُشبه «الفناء» مكعب الثلج الذي ذاب وأصبح مُتحداً مع النهر.

يحدث ذلك باستمرار مع الصوفيين: إنهم يتنقلون من البقاء إلى الفناء، ومن الفناء إلى البقاء. تقريباً مثل النهار والليل. ومع مرور الوقت يحدث نوع من الإيقاع. أحياناً تجد الصوفي في حالة البقاء، وحينما تجده في هذه الحالة، ترى أكثر شخصية مُتفردة يُمكن أن تُرى. في حالة البقاء سوف يُصبح شخصية مُتفردة، مُبدعة للغاية، نقية للغاية، واضحة. سوف يكون مثل قمة جبل شامخة في السماء، أو مثل نجمة في ليلة مظلمة، في مُنتهى الوضوح، مُنفصلاً تماماً، مُتفرداً للغاية. هذا هو معنى البقاء، الفردية.

لن تجد هذه الأنواع من الشخصيات المتفردة في العالم العادي. هناك أناس وليس أفراد، أشخاص وليس أفراد. الشخص هو الإنسان الذي ليس لديه تفرد، إنّه مُجرّد جزء غير مؤثر في حشد كبير. إنّه يعيش كما يعيشون، يتحدث كما يتحدثون، يأكلّ كما يأكلون، يذهب إلى الأفلام التي يذهبون إليها، يشتري السيارة التي يشترونها، يُنشئ بيتاً كما يفعلون، إنه يتبع «هم» باستمرار، يتبع التجمّع، الجماعة، الحشد. إنّه ليس نفسه، إنّه مشوش للغاية، وحدوده الفاصلة فوضوية للغاية. إنّها موجودة لكنّها فوضوية، وليست واضحة. إذا نظرتَ داخله فلن تجده هناك. بل ستجد طبقات وطبقات من التكيّف. إنّه سوف يُصبح هندوسياً، لأنّه قد وُلد من عائلة هندوسية. إنّه سوف يتلو «الغيتا» لأنّ والده اعتاد تلاوتها، عن والد والده. لقد اعتادوا أن يتلوها. كلّ شيء يبدو مصادفة. ليس فيه أيّ تفرد. إنّه مُجرّد جزء. إنّه يعيش كما يعيشون، ويموت كما يموتون. إنّه يعيش حياتهم، ويموت موتتهم. إنّه لم يُدافع مطلقاً عن حقه، ولم يقُم بالثورة أبداً. هذه هي حالة الشخصية العادية. هذه ليست شخصية مُتفردة.

تظهر الشخصية المُتفردة فقط عندما تُصبح واضحاً جداً، عندما تصل إلى الشكل الأصلي من كيانك، عندما تفعل ما يُميزك، عندما لا تهتمّ بما يقوله الآخرون، عندما تكون مُستعداً أن تُضحّي بحياتك كلّها من أجل حريّتك، عندما تُصبح الحرية قيمتك العليا ولا يهمّ أيّ شيء آخر. عندها تُصبح في حال البقاء، وتصبح فرداً. هذا هو التناقض: وحدهم الأفراد يستطيعون الانتقال إلى الفناء، إلى الذوبان التام، الاتحاد، إلى الاختفاء التام.

في البداية عليك أن تكون، عندها فقط تستطيع أن تختفي. إذا لم تكن ما الذي سيختفي؟ في البداية عليك أن تفصل نفسك عن الحشد، عندئذ فقط تستطيع أن تقوم بالقفزة. إذاً، هذا هو التناقض: إنّ الشخص الذي يكون في حالة البقاء، يستطيع الانتقال إلى حالة الفناء، وفقط هو مَن يستطيع ذلك.

لا يُمكن لرجل من الحشد أن ينتقل إلى الفناء، لأنّه لا يعلم مَن يكون هو. ليس لديه عنوان، وليس لديه اسم حتى الآن، إنّه مُجرّد رقم، يُمكن استبداله بمنتهى السهولة، إنّه قابل للاستبدال. إنّه مُجرّد جزء يؤدي نوعاً مُحدداً من العمل. إنّه يؤدي دوراً. على سبيل المثال، قد يكون مهندساً، ولكن إذا مات، تستطيع أن تأتي بمُهندس آخر ولن يفتقده أحد، أو قد يكون طبيباً، وإذا مات، تقوم بوضع طبيب آخر مكانه ولن يفتقده أحد. إنّه جزء قابل للاستبدال، إنّه يُؤدي دوراً.

بيد أنّ رجل البقاء ليس دوراً، بل لديه نوعية مُختلفة تماماً في كيانه. إنه سوف يترك فراغاً دائماً وأبداً. بمُجرّد أن يموت لن يكون هناك مَن يحلّ مكانه. أنت لا تستطيع استبدال «المسيح». تستطيع

استبدال «بابا الفاتيكان»، وقد تمّ استبداله في كثير من المرات. في كلّ مرة يموت «البابا» يُستبدل بآخر. تستطيع استبدال «شانكاراتشاريا» في «بوري» بمُنتهى السهولة، ليس هناك مشكلة، عندما يموت واحد، تضع واحداً آخر مكانه. بيد أنك لا تستطيع استبدال «الشانكاراتشاريا» الأصلي، ولا تستطيع استبدال» المسيح»، وعندما يموتون فقد ذهبوا إلى الأبد. لقد وُجدوا كأفراد مُتميّزين، هذه هي حالة «البقاء»، وهم الوحيدون القادرون على الانتقال إلى حالة الفناء. قد يبدو الأمر متناقضاً، لأنّ الفناء يعني فقدان كلّ التعريفات، فقدان وجودك بالكامل.

بيد أنك في البداية عليك أن تمتلك ذلك الوجود حتى تفقده. كيف لك أن تتخلّى عنه إذا لم تملكه؟ كيف لك أن تتبرأ منه إذا لم تمتلكه؟ يبدو الأمر متناقضاً على نحو واضح، بيد أنّ هناك قانوناً عالمياً يقبع وراءه. في البداية عليك أن تمتلك الشيء حتى تتخلّى عنه. في البداية اجمعهما معاً. «إنّه الاجتماع معاً ثمّ الصمت» . في البداية الاجتماع معاً، التكامل، أن تُصبح بقاءً، وبعد ذلك تستطيع أن تتحوّل إلى حالة الفناء.

لقد أصبح ذلك الرجل «منصور»، رجلاً ذا شخصية مُتفردة، وأينما ذهب كان يُعرف في الحال، وكان من المستحيل أن تُخطئه. لقد جاء أيضاً إلى «الهند». كان ذلك في الحقيقة بسبب أن مُعلّمه «الجنيد» أخبره: «من الأفضل لو بدأتَ في السفر إلى بلدان أُخرى، وإلا سوف يتمّ الإمساك بك»، فسافر إلى بلدان بعيدة جداً، وفي كلّ مكان كان يُعرف في الحال. لقد كان ملك الملوك. لم تكن لتخطئه، ولو كان واقفاً في حشد من عشرة آلاف شخص، سوف تكون قادراً على أن تراه. لقد كان يمتلك «البقاء»، وكان شفافاً مثل الكريستال. لقد كان حضوره هائلاً، ضخماً، شاسعاً. وبمُجرّد أن تراه، سيبدو كلّ الآخرين شاحبين، باهتين، سطحيين. من أجل ذلك، عاجلاً أم آجلاً، كان يتمّ التعرّف عليه ويُصبح واجباً عليه مُغادرة البلدة، لأنه قد تظهر المشاكل.

لقد ذهب إلى بلدان كثيرة في الشرق الأوسط، ولكن أينما ذهب كانت الأمور تستمرّ جيدة عدة أيام، إذ يُمكنه أن يعيش دون أن يتمّ التعرّف عليه، ولكن لا يدوم الأمر فترة طويلة. هكذا، في نهاية المطاف، رجع إلى «الجنيد» مُعلّمه: «إنّ الأمر عديم الفائدة، لقد أمسكوني في كلّ مكان، فلماذا لا أكون هنا؟».

حينما أرادوا أن يسحبوا ذلك الرجل من الزنزانة، لم يستطع الضباط الذين دخلوا كي يأخذوه أن يُحددوا بالضبط أين كان. لقد كان هناك، هناك تماماً. لقد كانت الزنزانة كلها مُمتلئة بالإشعاع، الحضور، إنه حضور صلب جداً ومع ذلك غير مُحدد. لم يتمكّنوا من دخول الزنزانة. لقد وقفوا هناك في ذهول، وتعجّب: «ماذا يفعلون؟»، وأخيراً استجمعوا شجاعتهم. وحاولوا أن يسحبوه إلى الخارج، ولكن لم يستطيعوا، وعندها كان هناك طريقة واحدة: أن يتمّ استدعاء مُعلّمه «الجنيد» وطلب مُساعدته حيث كان الوقت يمضي، وكان يجب أن يتمّ صلب «منصور»، ولكنّهم لم يتمكّنوا من اخراجه.

جاء «الجنيد» وقال: «يا «منصور»، اِستمع الآن، لقد أخبرتك آلاف المرات أن تستسلم إلى الإله. لو أراد لك أن تُصلب، إذاً كُن عادياً وكُن مصلوباً. دعه يقوم بعمله. هذا يكفي؟»، وحينما صاح «الجنيد»: «منصور» عُد من الفناء إلى البقاء. أصبح هناك من جديد خط فاصل، لم يعُد سحابة، بل أصبح صلباً و مصمتاً. لقد ظهرت الحدود، لقد حضر المُعلّم، وكان يجب عليه أن يستمع إلى مُعلّمه.

ثمّ تمّ اقتياده إلى المشنقة، وكان قتله صعباً للغاية. لقد تمّ صنع ألف جرح في جسده، وكان ما

يزال حياً. بعد ذلك بدأوا في تقطيع أطرافه، لكنّه كان ما يزال على قيد الحياة، لأنّه بينما كان على الصليب فقد حالة البقاء مرة أُخرى ودخل إلى حالة الفناء. لقد فقد نفسه مرة أُخرى داخل النشوة، وداخل تلك الطاقة التي هي الإله.

إنّ الإله طاقة بالنسبة إلى رجل في مثل حالة «منصور». الإله وعي بالنسبة إلى رجل في مثل حالة «بوذا». الإله حُبّ بالنسبة إلى «المسيح». إنّه ليس شخصاً. يجب أن يتمّ تعلّم هذه الأمور الثلاثة: الإله حُبّ، الإله حياة، الإله نور. لا بُدّ أنك سمعتَ عن هذه الأمور الثلاثة، فهي تجعلك مُتحضّراً، وتجعلك مُتديناً.

كُن أكثر حياة، أكثر بكثير حتى تُصبح مُتحداً مع الحياة. بعدها دَع الحُبّ يظهر بكثرة حتى تبدأ تفيض بالحُبّ. عندئذ لا تعود تعرف الحدود، ويبدأ نوع جديد من الحضور والنور والبريق في الظهور منك. هذه الأمور الثلاثة يجب أن يتمّ تعلمها، ويجب أن يتمّ نسيان عكسها تماماً.

تكمن كلّ فلسفة الصوفية في التقرّب الى الإله كطاقة كونية، بلا فكرة مُسبقة. بيد أننا جميعاً لدينا أفكار مسبقة، وكلّ تلك الأفكار والمفاهيم صبيانية، طفولية، فلا يُمكن تصوّر الإله.

لقد زوّدنا الآخرون بالمفاهيم، لقد تعلّمناها. إنها مُجرّد اقتراحات مُقدمة من الحشد، وأفكار تُوضع في رأسك. يمتلك المسيحيون ذلك التصوّر عن رجل طاعن في السنّ ذي لحية بيضاء، إنّها نظرة قديمة للغاية، يجلس هناك على عرش ذهبي مُحاطاً بالملائكة ويحكم العالم. ليس هناك أيّ شيء خاطئ في ذلك، ولكن ليس فيه أيّ شيء صحيح أيضاً. إنّها جيدة بما يكفي لإشباع فضول الأطفال الصغار، فالأطفال أيضاً يحتاجون إلى بعض الأفكار عن الإله، ولكن لا بُدّ أن ينضج الإنسان مُبتعداً عن هذه الطفولية.

إننا نستمر في زرع أفكار مُحددة في رؤوس الأطفال الصغار.

لقد سمعتُ...

قال رجل الدين إلى السيدة «موت» والتي عمّدت طفلها للتو: «أوه سيدة «موت»، أنا لم أرَ في حياتي طفلاً يُحسن التصرّف هكذا أثناء التعميد»,

قالت السيدة «موت»: «حسناً، هذا لأنني وزوجي كنا نُدرّبه منذ أسبوع بواسطة رشاش المياه».

إذا تدرّبتَ على طفل مدة أسبوع بواسطة رشاش المياه، بالطبع، سوف يُصبح التعميد شيئاً اعتيادياً. هذا ما تمّ مُمارسته على البشرية على مرّ العصور، لقد تمّ مُمارسة الأفكار عليك، وهؤلاء الذين يُمارسونها لا يعرفون ماذا يفعلون، إنهم واقعون في الفخّ نفسه، فقد مارس آباؤهم تلك الأفكار عليهم. إنهم لا يعرفون ما هي، أو ما الذي يتحدّثون عنه. لو أصررت قليلاً على سؤالهم ماذا تعنى بالضبط كلمة الإله، فستجعل الجميع يشعرون بعدم الراحة. إذ أنه ليس من المُفترض أن تسأل، على الإنسان أن يتقبل هذه الأشياء ويُصدّقها. لن يُحبّ أحد أن يُجيبك إذا سألتَ كثيراً. إذا واصلتَ التساؤل. فستجعل الشخص الآخر يشعر بعدم الارتياح، لأنك بدأت ترى وتلمس داخله، فالأمر بالنسبة إليه مُعتقد أيضاً، وهو لا يعرف ما الإله.

لقد تمّ تدريب الأطفال بدافع الخوف فقط، وهم بدافع الخوف يتشبثون بهذه المعتقدات. هذا سبب إنّه عندما تكون خائفاً، تبدأ في التفكير أكثر في الإله. في ليلة مظلمة، عندما تمرّ من جانب المقابر، أنت مُجبر على تذكّر الإله. حينما تشعر بالوحدة، المرض، الصعوبات، الاحباط، القلق، البؤس، تتذكّر الإله. إنّ الإله يرتبط أكثر بحالة البؤس. عندما تكون سعيداً، تميل إلى نسيان الإله. فـالإله ليس مُرتبطاً مع السعادة، مع أنه في الحقيقة، يجب أن يكون كذلك. عندما تشعر بالسعادة تستطيع أن تتقرّب إلى الإله بسهولة أكثر ، لأنّ التفكير السعيد تفكير مُتدفق، تفكير مُتفتح، وهو أكثر حساسية، وأكثر رقة.

إنّ التفكير التعِس تفكير مُغلق. كيف يُمكن لتفكير يعيش في الخوف أن يكون مُتفتحاً؟ إنّه أمرٌ غير مُمكن.

لقد سمعتُ...

أراد شاب أن يتجاوز رجل كبير عجوز في عربة على طريق قروي، بيد أنّ العجوز لم يتنحّ جانباً.

أخيراً وعندما تجاوز العجوز، أخرج مسدسه وسار عائداً إلى العربة، وسأل: «أيها العجوز، هل تعرف كيف ترقص؟»، وأطلق الرصاص على الأرض بالقرب من قدمي العجوز ضاحكاً بصخب، حيث بدأ العجوز في القفز إلى الأعلى والأسفل.

عندما بدأ الشاب في العودة، سحب العجوز بندقيته المخبأة وقال: «أيها الشاب، هل قبّلت في عمرك بغلاً؟»،

قال الشاب، وهو ينظر إلى فوهة البندقية: «كلا، ولكنني طالما أردتُ ذلك».

بدافع الخوف يُمكنك خلق أيّ شيء. إنّ إلهك يظهر بدافع الخوف، بل إنّ إلهك ليس إلا غريزة الخوف التي تمتلكها. إنّه ليس تجربتك الخاصة.

كان هناك ولد صغير في «أبيردين، سكوتلندا»، تُربيه والدته التي اعتادت أن تقول له عندما يكون سيئاً: «لن يُحبّ الإله الآن ذلك»، وحينما كان يتصرّف بجموح أو عصيان، كانت تقول: «سوف يكون الإله غاضباً».

عادة كانت تلك الأقوال كافية، إلى أن أحضرت له ذات ليلة البرقوق على العشاء كتحلية، فثار ، ورفض أن يُنهي البرقوق الذي في الطبق. فقشرته، وقطعته، وفي النهاية قالت: «لن يُحبّ الإله ذلك. لا يُحبّ الإلهُ الأولاد الصغار الذين يرفضون إنهاء كلّ البرقوق»،

بيد أنّ الصغير لم يكترث. فتمادَت في القول: «سوف يكون الإله غاضباً»، بيد أنّ الصغير رفض بعناد لسبب أو آخر أن يأخذ آخر برقوقتين موجودتين في طبقه، وكان في حالة ثورة عارمة.

قالت الأم: «حسناً، يجب أن تخلد إلى النوم، لقد كنتَ ولداً سيئاً للغاية، والإله غاضب منك بشدة».

هكذا، أخذته إلى الأعلى وقامت بوضعه في السرير. لم يمرّ وقت طويل على نزولها حتى اندلعَت

عاصفة رعدية عنيفة. كان البرق أشدّ من المُعتاد. وتجمّع الرعد أعلى وأسفل السماء مُحدثاً أصوات ارتطام. ألقَت الرياح الغاضبة المفاجئة بحفنة من الأمطار على النوافذ. لقد كانت العاصفة الأشدّ عنفاً، فكّرت الأمّ أنّ ولدها الصغير لا بُدّ مصاب بالرعب، ومن أجل ذلك، يجب عليها أن تصعد إليه وتُهدّئ من روعه. فتحت باب حجرته بهدوء، مُتوقعة أن تراه يئنّ من الخوف، أو رُبّما سحب الأغطية وغطى بها رأسه. إلا أنّها تفاجأت أنّه لم يكن في السرير أصلاً، لقد ذهب إلى جوار النافذة، وسمعته يُدمدم ضاغطاً بوجهه على زجاج النافذة: «يا للهول! أتفعل كلّ هذه الجلبة من أجل برقوقتين!».

ذلك ما عليه إلهك.

لقد تربيتَ على الخوف، و تربيتَ على الطمع، وبسبب الخوف والطمع بقيت تُؤمن بفكرة مُحددة عن الإله. هذه الفكرة سخيفة بقدر طمعك وخوفك. ليس لها أيّ علاقة بالإله، بل لها علاقة بك وبنفسيتك.

إذا أردتَ فعلاً أن تعرف ما هو الإله، عندئذ سوف يتعيّن عليك أن تُسقط كلّ أنواع الطمع وكلّ أنواع الخوف. سوف يجب عليك أن تتخلّى في الواقع، عن كلّ علم النفس، عن كلّ تفكيرك. إن الإله هو تجربة حالة اللاتفكير، الفناء، عندما لا تعود موجوداً، تتبدد، وعندها سوف تعرف ما هو الإله.

إذاً، هناك بعض الأشياء: الإله ليس مفهوماً، أو نظرية، أو فرضية، أو تفسيراً، أو فلسفة، على الإطلاق. كيف لك أن تصنع مفهوماً عن شيء لا تعرفه؟ أنت لا تعرف الإله، ولم تختبره مُطلقاً، لذلك أيّ كان ما تعتقد به فإنه شيء مُستعار، مُزيف. إنّ الشيء الحقيقي لا بُدّ أن يكون تجربتك أنت، وإلا، فـالإله هو نوع من التفسير، نظراً لأنّ هناك مشاكل، وألغاز، وأسرار في الحياة، دائماً ما نجد أنه من الصعب تفسيرها. هناك الميلاد وهناك الموت، كما أنّ هناك كلّ هذا الوجود الرائع. من أين جاء ذلك؟ مَن الذي خلقه؟ لماذا خُلق؟ لماذا هو على الإطلاق؟ لماذا هو بدلاً من عدمه؟ تنشأ آلاف الأسئلة في التفكير، فأنت تحتاج إلى بعض التفسيرات المُريحة والمُلائمة حتى تستطيع أن تهدأ وتنام جيداً. إنّ الإله هو غطاء التفسيرات. إنّه يُغطي كلّ مشاكلك. فمن خلال مفهوم واحد تقوم بتفسير كلّ شيء.

حينما تقول: «الإله يعلم»، فأنت ببساطة تقصد «أنا لا أعلم». بيد أنّ هذه استراتيجية مُخادعة للغاية. أنت لا تقول: «أنا لا أعلم»، بل تقول: «الإله يعلم»، وهذا يمنحك نوعاً من الإحساس أنك قد لا تعلم ولكنّ هناك أحد يعلم، إنّه «إلهك» وهو يعتني بك، وليس هناك داع أن تقلق. إنّ الأب يعلم، الأُمّ تعلم، الإله يعلم، هناك أحد يعلم. إذاً لماذا تُزعج نفسك؟ يُمكنك البقاء بلا هموم. لكن دعني أُخبرك إنّ الإله ليس هو التفسير. وأولئك الذين يتشبثون بالتفسيرات لن يعرفون ما هو الإله.

إنّ الإله هو التخلّي عن جميع التفسيرات و النظريات وجميع الفلسفات، وهو التخلّي عن جميع أنواع التفكير، لأنّ التفكير يكون حاجزاً. كيف تستطيع أن تُفكّر في المجهول؟ يُمكنك فقط أن تُفكّر فيما هو معروف. إنّ التفكير هو مضغ الشيء نفسه مراراً وتكراراً. فأنت تستطيع أن تُفكّر فقط فيما تعرفه بالفعل. لا يمنحك التفكير الزائد أيّ شيء مُبتكر، فهو لا يستطيع ذلك، لأنّ الأمر ليس من طبيعته، و‌الإله هو أكثر ظاهرة مجهولة. إنّ الإله يعني الشمول، وهو ليس معروفاً. إنّ كلّ التفسيرات هي أنواع من الخداع، أنت تخدع نفسك، وتخدع الآخرين أنك تعلم.

إنّ الباحث المُخلص الصادق، سوف يُسقط كلّ التفسيرات. هذا ما كان يقصده «الحلاج» عندما

قال:

«إنّه الاجتماع معاً، ثمّ الصمت»،

إنه الصمت الذي يأتي حينما تسقط جميع التفسيرات، وجميع النظريات، وجميع الفلسفات كافة.

«ثمّ فقدان الكلمات»،

عندئذ تكون الكلمات غير مطلوبة على الإطلاق. عندما تسقط جميع النظريات، وجميع التفسيرات والفلسفات، ما الذي سوف تفعله بالكلمات؟

«ثمّ فقدان الكلمات والوعي»

حينما تُفقد الكلمات، ينشأ الوعي في ذلك الصمت.

«ثمّ الاكتشاف والتجّرد».

أنت مُجرّد تماماً. يجب أن تكون عارياً تماماً أمام الإله، بلا أيّ تفسيرات، ولا أيّ فلسفات تُحيط بك. يجب أن تكون مُجرّداً قدر ما يُمكن، أعزلاً تماماً، فارغاً، عارياً. عندها فقط هناك إمكانية كي تتصل بـالإله.

إنّ الإله ليس شخصاً، هذا هو الشيء الثاني الذي يجب أن تتذكّره. إنّه شيء بشريّ أن تُفكّر في الإله كما لو كان شخصاً. عندما نُفكّر في الإله كشخص يبدو أكثر دفئاً. يقول «لاو تزو»: لا يبدو «التاو» دافئاً جداً، لا يُمكنك عناق «التاو»، كما لا يُمكن «للتاو» أن يُعانقك. يقول «بوذا»: «إنّ «دهاما» هي القانون، ولكن يبدو أنّ «القانون» بارد للغاية. أنت في حاجة الى بعض العناق الحار، أنت في حاجة الى الإله الذي يستطيع أن يُحبّك، يُعانقك، يُقبّلك، يضمّك إليه، يُمسك بيدك. تلك هي الرغبة الإنسانية، الرغبة في الدفء.

بيد أنّ الوجود ليس عليه الالتزام بإشباع رغباتك. إنّ رغباتك كلّها صحيحة، بيد أنّ رغبتك تُظهر ببساطة أنك تفتقد إلى الحُبّ، وليس إلى الإله. حاول أن تفهم ذلك. إنّ رغبتك تُظهر ببساطة أنّك افتقدت والدتك، والدك، أو غاب عنك الحبيب، وأنّ هناك بعض الاشتياق إلى الحُبّ، وأنك تُسقطه على الإله، وهكذا يُصبح الإله شخصاً. أنت تقوم بتحويل الإله إلى شخص بسبب حاجتك، بيد أنّ تلك حاجتك الخاصة، وليس هناك ضرورة في تلبية حاجتك. يجب عليك أن تفهم حاجتك ثمّ تتخلّى عنها. هذا هو سبب إصراري ألا تبقى غير مُشبع أبداً في حُبّك، وإلا فلن تعثر أبداً على الإله الحقيقي.

أحبّ بقدر ما تستطيع. أحبّ البشر، الحيوانات، الأشجار، الصخور، الجبال، الأنهار، أحبّ بقدر ما تستطيع. اِسمح أن تكون هناك تجربة رائعة من الحُبّ حتى تُشبع «احتياج الحُبّ» لديك، وحتى تستطيع ذات يوم أن تتجاوز الحُبّ.

في ذلك اليوم كان هناك سؤال من «أناندا بريم»، تسأل فيه: «لماذا يُريد الأشخاص الروحانيون أن يذهبوا لما هو أبعد من الحُبّ؟ ». هذا هو السبب. لأنه إذا كنت غير راض في حُبّك، فإنك تقوم بإسقاط

«احتياج الحُبّ» على الإله، والذي سيكون مُزيفاً، ويكون إسقاطك الخاص، فكرتك، وليس الإله حقيقة. لن تستطيع أن ترى حقيقة الإله، بل سوف ترى الإله بالصورة التي أردتَ له أن يكون عليها، لا يُمكنك أن ترى ما هو عليه. سوف يكون لديك نوع من إشباع الرغبة.

هكذا، لم يكن «فرويد» مُخطئاً تماماً عندما قال إنّ الإله هو نوع من إشباع الرغبة. لقد كان مُحقاً فيما يتعلّق بتسعة وتسعين في المئة من الناس. لقد كان مُحقاً فيما يتعلّق بـ«أناندا بريم»، التي تُعاني من «احتياج الحُبّ». إنها تُحاول أن تعثر على حبيب ولم تجده، لذلك لديها فكرة مُحددة عن الحبيب. إنّ وجود فكرة بعينها يُصبح عائقاً. إنّها تبحث عن عاشق مثالي. نعم، من الصعب جداً في المقام الأول العثور على عاشق مثالي، وإذا استطعتَ العثور على واحد، فإنّ العاشق المثالي لن يكون لديه أيّ نوع من الاحتياج. إنّ الشخص الذي لديه احتياج لا يُمكن أن يرتبط بعاشق مثالي، فالعاشق المثالي فقط يُمكن أن يرتبط بعاشق مثالي، لأنّ كلاهما سيكون دون احتياج، ويكون حُبّهما من نوع جديد تماماً، ويكون نوعاً من المشاركة. لن يكون الأمر أنهما في احتياج الى بعضهما البعض. ولكن فقط أنّ لديهما الكثير ممّا يُريدان منحه.

إنّ العاشق المثالي هو مَن يكون سعيداً بمُفرده كما يكون سعيداً مع حبيبه، ليس هناك فارق. عندها يكون عاشقاً مثالياً، إنّه سعيد حتى لو كان بمفرده.

إنّ «أناندا بريم» الآن مُستمرة في البحث عن عاشق مثالي، ولأنها غير قادرة على العثور عليه، ولأنّ البشر العاديين ليسوا ذوي قيمة بالنسبة إليها، تستطيع الآن أن تبدأ في الإسقاط على الإله. لقد كتبت في سؤالها: «ماذا عن «ميرا»؟ لقد أحبّت «ميرا» الإله في صورة «كريشنا»، ولا تزال مُرتبطة به». نعم، لقد أحبّت الإله في صورة «كريشنا»، ولكنّ حُبّ «ميرا» هو حُبّ الإنسان المثالي، فليس لديها احتياج، ولا تُريد أيّ شيء من «كريشنا»، بل هي ببساطة مُستمرة في العطاء. إنّ لديها أغنية كي تُغنيها، وهي تغنّيها، ولديها رقصة كي ترقصها، وهي ترقصها، وليس لديها ما تُريد الحصول عليه. إنها تمنح فقط، وتحصل على ألف ضعف، ولكنّ هذا شيء آخر، لأنه ليس لديها ما تُريد الحصول عليه.

«أناندا بريم»، إذا أردتِ أن تُصبحي «ميرا»، يجب عليكِ أولاً أن تكوني أشبعتِ «احتياج الحُبّ» الإنساني، وإلا فسيكون «كريشنا» بالنسبة إليك مُزيّفاً، ولن يكون مثل «كريشنا» الذي كان عند «ميرا». سوف يكون «كريشنا» الخاص بك مُجرّد خيالك، ومُجرّد إسقاط لرغبتك المكبوتة، وسوف يكون لدى «كريشنا» خاصتك الكثير من النشاط الجنسي. من أجل ذلك عليك أولاً أن تنتهي من الاحتياجات الإنسانية، والسبيل الوحيد حتى تنتهي منها هو أن تخوضي فيها. أنا لستُ ضدها، تذكّري، أنا لا أقول إنّ هناك شيئاً خاطئاً فيها. بل إنّ فيها درساً عظيماً، يُمكن تعلّمه فقط من خلال التعمّق فيها. تعمّقي فيها، لا تطلبي المُستحيل، وإلا فلن يحدث الحُبّ.

تذكّري محدودية البشر، وتذكّري محدوديتك، وأيّ كان نوع الحُبّ المُمكن، اِمضِ إليه. لا تتوقي إلى المُستحيل، وإلا فستُفوّتين ما هو مُمكن. لا يُمكن أن يحدث المستحيل إلا بالطريقة العكسية: يجب أن تمضي خلال ما هو مُمكن، وتسمحي أن يتمّ الانتهاء ممّا هو مُمكن، وتدعي كيانك يخرج منه مُشبعاً، وعندها يُمكن أن يحدث المُستحيل أيضاً. لقد أصبحتِ قادرة على إدراكه.

إذا لم يتمّ اشباع «احتياج الحُبّ» لدى الناس، فسوف يقومون بإسقاطه على الإله، وسوف يُعاني الإله المسكين بلا داع. حينما كنتُ أقرأ سؤال «أناندا بريم» أصبحتُ حزيناً جداً على الإله. لقد بدأت «أناندا

بريم» في محبة الإله، ثمّ فكّرت في» الإله» أيضاً، لأنه لا يستطيع الذهاب إلى المحكمة، ولا يستطيع أن يقول كلا، بل سيكون عليه فقط أن يُعاني من حبها.

اِمضي أولاً خلال الاضطراب البشري، الكرب البشري، مباهج الحُبّ البشري ومآسيه. دعي نفسكِ تُصبحين ناضجة خلال ذلك. عندئذ فقط يكون لديك العطر الذي يمكن أن تقدّميه إلى الإله، وليس قبل ذلك. في البداية كُن زهرة لوتس، واخرُج من وحل الرغبة، وتذكّر أنّ اللوتس تخرج من الوحل، وأنّه من الرغبة تخرج حالة اللارغبة، لوتس اللارغبة. عند رؤية عدم جدوى الرغبة مرة بعد مرة، يُصبح الإنسان ذات يوم ناضجاً جداً إلى درجة أن يتخلّى عن تلك الرغبة، ومن خلال ذلك التخلّي يكون الالتقاء. عندما لا تكون هناك رغبة، فلن يكون هناك شيء يصدّك عن رؤية الإله. عندها يكون الإله في كلّ مكان، وعندئذ فقط يكون الإله.

بيد أنّ الإله ليس شخصاً.

يقول المسيحيون إنّ الإله أب، ولكنه في الحقيقة ليس أباً، والأمر يدلّ ببساطة بطريقة ما على أنّ «احتياج الأبوة» لم يتمّ اشباعه بالنسبة إليك حتى الآن. هناك أناس يقولون إنّ الإله أمّ، وهذا يدلّ ببساطة على أنّ «احتياج الأمومة» عندهم غير مُشبع. هناك البعض يعتقدون إنّ الإله هو الحبيب، وهذا يدلّ على أنّ «احتياج الحُبّ» عندهم لم يُشبع. إنّ ما تقوله عن الإله يعكس شيئاً عنك. إذا كنتَ تُفكّر في الإله على أنّه أبّ، فإن ذلك يدل ببساطة على أنك غير راض مع والدك، ولم تتصالح بعد معه، وأنك أصبحتَ أيضاً مُعتمداً للغاية عليه، ولذلك تحتاج إلى أبّ في السماء الآن. رُبّما مات والدك وأنت لا تستطيع العيش دون أبّ، أو كان والدك بعيداً عنك، ولا تستطيع العيش دونه. أنت ما تزال طفولياً وغير ناضج، وتحتاج إلى شخص تتشبث به، ومن أجل ذلك تخلق الإله الأبّ.

إنّ الإله ليس أباً ولا أماً ولا العاشق ولا المحبوب، الإله ليس شخصاً على الإطلاق.

إنّ الإله طاقة كونية، وهو الإبداع المُستمر، الحُبّ، الحياة، النور. إنّ الإله ليس مادة تجربة أيضاً، وليس الأمر أنك في يوم ما سوف تُواجه الإله كمادة للتجربة. إنّ الإله ليس مادة، وليس موضوعاً أيضاً. عندما يلتقي الشيء مع اللاشيء ويختفيان في بعضهما البعض في الفناء، عندها بكون هناك نوع جديد من التجربة، يدعوه «كريشنامورتي» بكلمة «التجريب». إنه ليس تجربة، لأنّ كلمة تجربة تعني أنها مُنتهية، مُنجزة، مُغلقة. إنّ الإله ليس مُنجزاً أبداً، وليس منتهياً أبداً، بل هو شأن مُستمر دائماً، مفتوح، مُزدهر، مُتحرّك دائماً. إن الإله طاقة حركية. إنّ الإله عملية، وليس شيئاً.

إذاً، التجريب، ما هو التجريب؟ وما الفارق بين التجربة والتجريب؟ الفارق هو أنك تبقى في التجربة مُنفصلاً عن الموضوع. على سبيل المثال، أنت تستمع إليّ، وذلك يُمكن أن يحدث بطريقتين. بالنسبة إلى أولئك الذين هم هنا فقط كمُتفرجين، مُستمعين، جمهور، هي تجربة. أنا هنا مُنفصل عنهم، وهم هناك مُنفصلين عنّي. أنا الموضوع وهم اللاموضوع. إنهم هناك يستمعون إليّ، وهم مُتمركزين في أنانيتهم، ويحكمون باستمرار عمّا إذا كان هذا صحيحاً أم خاطئاً، عمّا إذا كان قابلاً للتطبيق أم لا، هل يُمكن ممارسته أم لا، هل هو متفق مع كتبهم المقدسة أم لا، إنهم داخلياً يحكمون باستمرار. هذه سوف تكون تجربة.

بيد أنّ أولئك الذين يُحبونني بعمق، ولا يقفون ضدّي، وليسوا هنا فقط لمُجرّد الاستماع إليّ، تراهم يفقدون أنفسهم في الأمر، وتراهم مُتآلفين وعلى وئام معي، غارقين معي، مُندمجين معي، كما لو كانوا يستمعون إلى أنفسهم، وإلى ضربات قلوبهم، عندئذ ليس هناك تجربة ولكن هناك تجريب. أنا لست مُنفصلاً عنهم، وهم ليسوا مُنفصلين عنّي. عندئذ هناك اتحاد وانصهار.

إن الإله تجريب واكتشاف.

إذا كنتَ تُريد أن تعرف ما هو الإله، عليك أن تتعلّم فنّ التجريب. عندها لن تكون في حاجة إلى الذهاب إلى المعبد أو الكنيسة. أينما يحدث التجريب، تكون الكنيسة، والمعبد. اِنظر إلى زهرة ورد، لو اختفيت في داخل زهرة الورد، واختفت زهرة الورد داخلك، وأصبح المراقب ما يُراقبه، ولم يعُد هناك أيّ فرق بينهما، فليس هناك أمران يُواجهان بعضهما البعض، ولكنه لقاء، اندماج، وذوبان في بعضهما البعض، وعندئذ لا يعود هناك حدود. لقد دخلتَ بطريقة ما إلى الوردة، ودخلت الوردة إلى داخلك. هذا التجلّي أمر مُمكن، ولأنه ممكن، يكون الدين ذا صلة، وذا معنى، وإلا فلن يكون للدين معنى. إنّ كونك مع زهرة الورد، يعني أنك تدخل إلى الإله. عندها يُمكن أن تُستخدم كلّ الاحتمالات كأبواب إلى ما هو مُقدّس.

لقد سمعتُ...

كتب «برنار سينون»: فكّر في رجل يقود في طريق تل ريفي، وعندما وصل إلى القمة، أوقف سيارته وسار حتى بوابة قريبة مُدعمة بخمسة مزاليج. لقد اتكئ عليها ينظر بسرور إلى المشهد الذي ظهر أمامه باتساع. هناك السماء بزرقتها التي تخطف الأنفاس، ممتلئة بالطيور التي تتحرّك بتكاسل تحت أشعة الشمس الدافئة. وحقول من تموجات الأخضر الزمرديّ مع النسيم العليل، بينما هناك على سفوح الجبال ترعى الماشية والأغنام بسلام. إنّ المشهد بأكمله يُعبّر عن الجمال الهادئ، يأخذ الرجل نفَساً عميقاً ويقول: «إنّ ذلك جميل حقاً».

في تلك اللحظة تصل سيارة أُخرى وينضمّ رجل آخر إلى الرجل الأول، يُهمهم الرجل الأول: «جميل، أليس كذلك؟».

يصمت الرجل الآخر لحظة، ثمّ يقول مُتأملاً: «هل فكّرتَ يوماً ما الذي يحدث فعلاً هناك في الخارج؟ إنّ هذه الطيور الجميلة التي تدور في السماء تبحث عن الطعام. كم تبدو جميلة بالنسبة إلى الحشرات التي تلتهمها؟ أو بالنسبة إلى الديدان التي تتلوّى حين تجرّها من على الأرض بمناقيرها القاسية الدامية؟».

تحوّل الرجل الأول بصعوبة: «آه، مهلاً!».

يتكلّم الرجل الآخر مرة أُخرى: «هذه الخراف التي ترعى في سلام، يتمّ تسمينها، وقريباً سوف يتمّ جرّها إلى المسلخ مرتجفة من الخوف حيث تشمّ رائحة الأرض الملطخة بالدماء التي سوف تموت عليها. سوف يتمّ انتزع حملانهم الصغيرة بعيداً كي تتدلّى من «سنانير» الجزارين.

يصمت الرجل الأول بينما يستمرّ الصوت: «في قلب هذا النعيم الأخضر الزمردي المتموج في الشمس، تجد أنّ القتل والفوضى يحدثان باستمرار حيث العناكب تلتهم الذباب والحشرات الكبيرة تلتهم

الأصغر. لو كان يُمكن تفسير وتكبير الأصوات، فسيتردد صدى صراخات الألم والخوف في أرجاء هذه المرج الخصب».

إنّ الرجل الأول شاعر، ولذلك فهو ينظر من خلال عيون الإيجابية. أما الثاني فناقد، ولذلك، ينظر من خلال عيون السلبية. هنا يُنهى «برنار سينون» هذه الحكاية الصغيرة. أودُّ أنا أن أُدخل رجل آخر إليها، وهو الصوفي.

تأتي سيارة ثالثة، ويخرج منها رجل صوفي فيستمع إلى قصص كلا الرجلين ويضحك منها، ثمّ يقول: «إنّ الحياة ليست «إما، أو». إنّ الحياة كلاهما. كلاكما مُحقّ، ولكنّ الحياة أكثر من ذلك. أجل، هناك ليل مظلم وهناك يوم مُشرق، هناك صيف وهناك شتاء، هناك حياة وهناك موت. كلاكما على حق، ولكن كلاكما اختار وجهة نظر واحدة في مقابل الأُخرى. كلاكما يرى نصف صورة الحياة فقط، ويُحاول أن يفرض هذا النصف على الصورة بالكامل، فتتجهان في الاتجاه الخاطئ. أما أنا فلا أختار. أنا أتقبّله ببساطة كما هو».

أجل، هناك الموت وهناك الحياة وكلاهما مُتشابك. إن رؤية الاثنين معاً تجعل الإنسان يتجاوزهما، ويسمو إلى ذروة أعلى، ولا يعود تحت سيطرة أيّ وجهة نظر. عندئذ ترى الحياة والموت جزءاً من بعضهما البعض، تتجاوز كلاهما على حدّ سواء، لأنك ترى الخلود. عندها لا يُوجد لا جمال ولا قبح، إنما تُوجد الحقيقة البسيطة.

إنّ الجمال هو اختيار احدى وجهتي النظر، بينما القبح هو اختيار وجهة النظر الأُخرى. الحقيقة هي عدم اختيار أيّ وجهة نظر على الاطلاق. الحقيقة هي عدم الاختيار.

إن الإله ليس أيّ جانب من جوانب الواقع، بل هو كلّ الجوانب معاً دون أيّ اختيار. إذا اخترتَ سوف تخسر، وإذا لم تختر، لا تُوجد فرصة للخسارة. بيد أنه هناك مُشكلة: حينما تختار، يُمكنك أن تبقى نفسك، فكلّ خيار يُغذّي الأنا المزيفة. بينما عندما لا تختار، تختفي مع اختيارك، مع ما تُحبّه وما لا تُحبّه. لا يُمكنك أن تُوجد دون اختيارات. لا يُمكن أن تُوجد الأنا المزيفة دون أن تختار. إنّ الاختيار هو ما تتنفّسه. تماماً كما أنك لا تستطيع أن تعيش لو اختفى التنفّس، كذلك لا يُمكن أن تعيش الأنا المزيفة دون أن تختار، ودون أن تتبنى وجهة نظر، ودون أن تكون مع شيء أو ضدّه. بمُجرّد ألا تتبنى أيّ وجهة نظر، تختفي، وفي ذلك الاختفاء تجد الإله.

تذكّر أنك لن تُقابل الإله أبداً، فالإله لم يُقابله أيّ أحد أبداً. عندما يقول الناس إنهم قابلوا الإله، فإنهم يقصدون أنهم قد اختفوا، وبقي الإله وحده. تختفي الأنا المزيفة ثمّ بعد ذلك يكون التجريب، على نحو مُستمرّ، وثابت، وأبديّ. تلك الطاقة المُتدفقة، ما هي إلا الإله .

هكذا تذكّر أنّ الإله ليس موضوع التجربة، ولا هو مَن يقوم بالتجربة، الإله هو التجربة نفسها. إنّ الإله ليس شيئاً ساكناً بل إنّه عملية من التطوّر، التوسّع، الانفجار، الاستكشاف. إنه يستمرُّ ويستمرّ. إنّه مُغامرة، إنّه رحلة حج طويلة من اللامكان إلى اللامكان. إنّ الإله ليس هناك في السماوات أو في مكان آخر، كلا، الإله ليس هناك، بل هو موجود هنا. إنّ الإله ليس لاحقاً، وإنما الآن. إنّ الإله ليس ذلك، بل هو هذا.

إذا استطعت أن تفهم هذه الكلمات القليلة: هنا، الآن، هذا، فهذه الكلمات الثلاث هي الركائز الثلاث عند الصوفية، «الزن»، وكلّ ما يُعتبر ديناً جوهرياً. دع هذه الكلمات الثلاث تنبض في كيانك مراراً وتكراراً: هنا، الآن، هذا.

إنّ أولئك الذين يُفكّرون في الإله على أنّه ذلك البعيد جداً في ذلك المكان الآخر ، يتخيّلون فقط ويُضيّعون ما هو واضح وما هو قريب. إن الإله ليس بعيداً، بل هو أقرب إليك من نفسك. إنّه داخلك العميق، فكيف يُمكن له أن يكون بعيداً؟ إنّ الإله ليس لاحقاً، ولا هناك، ليس في الماضي، ولا في المستقبل. ليس الأمر أنّ الإله قد أعتاد أن يمشي أيام «موسى» ويتحدّث إلى الناس، ولا أنّ الإله اعتاد أن يتحدث مع أيّ نبيّ، ولن يتحدّث إليك. ليس الأمر أنه كان يُغني الأغاني إلى المستبصرين في «الأوبنشاد»، وأنّه نسيك أو تخلّى عنك. إنّ الإله الآن، وهو دائماً الآن، وهو ليس ماضياً ابداً، ولا مُستقبلاً أبداً، بل في العلاقة مع الإله، يكون الماضي والمستقبل كلمات لا معنى لها. لا تستطيع أن تقول: «كان الإله»، ولا أن تقول: «سوف يكون الإله»، بل يجب عليك أن تقول دائماً: «الإله يكون»، فهناك زمن واحد فقط: يكون في الزمن الحاضر، فـالإله موجود هنا في هذه اللحظة بعينها.

إذا استطعتَ أن تكون في حالة التجريب، فإنّ الإله هنا، الآن، هذا. إذا كنتَ لا تستطيع أن تكون في حالة التجريب، فلن تلتقي الإله أبداً في أيّ مكان. إنّ هذه الحالة من التجريب هي ما يُسمّيه الصوفيون تأملاً. بيد أنّ هذا الإله الذي هو «هنا، الآن، هذا»، إله خطير. إذ يجب عليك أن تختفي من أجل أن يكون هو. يجب عليك أن تذوب داخله. إنّه محفوف بالمخاطر، وقد أوجدنا البدائل كي نتجنّب المُخاطرة.

لقد أُعلن في الكنيسة أنّ واعظاً بديلاً سوف يعظ.

انحنى ولد صغير على أمه يسألها: «ما هو البديل؟»،

«حسناً، على سبيل المثال، يا بني، لو ألقيتَ بالكرة على النافذة فكسرتها، ولم تجد لوح زجاج حقيقي آخر، نستطيع أن نضع قطعة من الورق المقوى في النافذة، هذا ما نُسمّيه البديل».

عندما أنهى القسّ البديل الوعظ ذلك الصباح، انحنى الولد الصغير وقال: «أُمّي، بالتأكيد هذا ليس بديلاً، إنّه ألمٌ حقيقي!».

إن كلّ بدائلك هي آلام حقيقية لأنّه لا يُوجد بديل يستطيع أبداً أن يُرضيك. لا يُوجد بديل يستطيع أبداً أن يُشبعك، أو يروي عطشك. بيد أنّ الإنسان ماكر للغاية ويستمر في خلق البدائل. إنّ معابدك معابد بديلة، ومُعلّميك مُعلّمون بدلاء، وصلاتك صلاة بديلة. إنّ صلاتك الحقيقة لم تنشأ بعد، كما أنك لم تجد بعد معبد التجريب. تذكّر، أنت تختار هذه البدائل، وبعدها تُعاني، وحينما تُعاني، تقوم بإلقاء اللوم على الإله.

لقد سمعتُ...

عاش «كوهين»، الرجل ذي الستة وثمانين عاماً، خلال الضرب في المذابح «البولندية»، ومعسكرات الاعتقال في «ألمانيا»، وعشرات غيرها من المصائب المُعادية للسامية.

كان يُصلّي جالساً في المعبد اليهودي: «آه يا إلهي! أليس صحيحاً أننا شعبك المُختار؟»،

دوى صوت من السماء: «أجل، «كوهين»، إنّ اليهود هم شعب الإله المُختار!»،

انتحب الرجل العجوز: «حسناً، إذاً، ألم يحِن الوقت كي تختار شعباً آخر؟».

ليس هناك مَن هم شعب الإله المُختار. لقد اخترتم أن تكونوا شعب الإله المُختار، وبعد ذلك تُعانون. لقد عانى اليهود فترة طويلة حقاً. وكلّ ما يُعانونه من بؤس يُمكن تلخيصه في هذا السبب الوحيد: لقد اختاروا أن يكونوا شعب الإله المختار، وقد خلقت هذه الأنا المُزيفة الشديدة عداوة كبيرة، وهم يتشبثون بها بعناد شديد، وكلّما عانوا أكثر، أصبحوا أكثر عناداً.

بيد أنّ الإله لم يختر أحداً. كيف يُمكن لـلإله أن يختار؟ كلّ شيء له، وكلّ شيء هو، وليس هناك مجال للاختيار. بيد أننا نختار أفكارنا، ثمّ تُصبح تلك الأفكار سجوناً ومصائباً. اِحترس! إذا كنتَ تُعاني، اِنظُر إلى الوراء، لا بُدّ أنك اخترتَ شيئاً خاطئاً، وإلا فلا يُمكن أن تُعاني. هذه هي مُلاحظتي الأساسية بعد أن شاهدتُ الآلاف من الناس، ولاحظتُ مآسيهم. كلّما رأيتُ شخصاً يُعاني ويعيش في بؤس، كانت تزيد ثقتي مع الوقت، حتى أصبحتُ واثقاً تماماً من شيء واحد، أنّه هو المسؤول، وأنّه اختار بعض الأفكار والمفاهيم الخاطئة. بيد أنّ أولئك الذين يُعانون، يُلقون دائماً بالمسؤولية على الآخرين. أحياناً يبدو الأمر في غاية الظلم، وخصوصاً إذا جاء إليّ زوجان وكانت الزوجة أو الزوج في حال التعاسة، بينما الشريك الآخر ليس تعِساً بالمرة، يُحاول الشريك التعِس إلقاء المسؤولية على الطرف الآخر واتهامه «إنّه المسؤول عن تعاستي».

يبدو من الصعب جداً أن نقول للشخص الذي يعيش في مأساة إنَّه يجب أن يكون مسؤولاً عن مأساته، لأنَّه لا يُمكن لأحد آخر أن يكون مسؤولاً عن بؤسه. إذا كان الطرف الآخر سعيداً، لا بُدّ أنه قد اختار قيماً مُختلفة، واختار القيم التي تمنح السعادة، الصحة، الكمال. بينما لو اخترت قيماً خاطئة فستُعاني، ولكنك تستطيع دائماً مُعالجة وتفسير الأمر بطريقة ما حتى يبدو كما لو أنّ مُعاناتك حدثت لك، لا يُمكن لأحد أن يجعلك تُعاني، لأنّك دائماً وعلى نحو أساسي تُقرر هل ستُعاني أم لا. في كلّ موقف تستطيع أن تتبنى وجهة النظر التي تُمكّنك من الخروج من المعاناة، وفي كلّ موقف يُمكنك أن تتبنى وجهة النظر التي تُساعدك على خلق مُعاناة على قدر ما تريد، بيد أنّ الناس يُحبّون أن يُعانوا، وهناك سبب لذلك: بقدر ما تُعاني وتزيد مُعاناتك، يزداد شعور الأنا المزيفة بالقوة من خلال المُعاناة، بينما تختفي الأنا في النعيم.

هكذا تستمرّ في القول إنك تُريد النعيم، وتسعى إلى الحصول على النعيم، ولكن عندما أنظر إليك أجد عكس ذلك تماماً. إنك تسعى إلى البؤس، وتعيش في بؤس، وتبحث عن البؤس. أنت تستمر في القول إنك تسعى إلى النعيم، بينما تستمرُّ في البحث عن البؤس. ما لم تفهم تلك الآلية على نحو جيد تماماً، لن تكون قادراً أبداً على معرفة ما هو الإله. إنّ الإله هو النعيم، والنعيم يكون مُمكناً فقط عندما تفهم ظاهرة كيف تخلق بؤسك الخاص. إنّ البدائل تخلق البؤس.

على سبيل المثال، أنت تُريد أن تُحبّ امرأة، ولكنّ الحُبّ خطير، انطوائي، مُتمرّد. مَن يدري ما الذي يُمكن أن يحدث؟ هكذا أنت تقبل بالزواج كتسوية. إنّ الزواج الآن هو بديل الحُبّ، ولن تكون سعيداً أبداً، بل ستكون بائساً. بالطبع سوف تكون بائساً على نحو مريح، بائساً بصورة مُلائمة، مع أنّ البؤس كلّه شيء واحد. سوف يكون لديك نوع مُعيّن من الأمان، رصيد جيد في البنك، هيبة، احترام، ولكنك لن تكون سعيداً. اِنظر إلى الأشخاص المُحترمين في نظرك. إنهم يمتلكون كلّ ما كانوا دائماً يعتقدون أنّه سوف

يُساعدهم، فتجد لديهم المال، النفوذ، الهيبة، ولكن عند النظر في أعينهم، تجدها مثل الصحارى، لا تُزهر فيها ولا حتى زهرة واحدة، وليس فيها فرح. إنهم فقط يجرّون أنفسهم بطريقة أو بأُخرى، لقد قبلوا بالبديل كتسوية.

اِذهب واجلس جوار مدخل المعبد، وشاهِد الناس يأتون ويذهبون. هل ترى أيّ احتفال؟ هل ترى أيّ فرح حقيقي؟ هل ترى أيّ رقص؟ لا شيء! يدخل الناس إلى المعبد فقط كجزء من واجبهم الرسمي، ويخرجون منه بأسرع ما يُمكن. يجب عليهم تأدية واجب معين، وأن يُظهروا للمُجتمع أنهم أناس مُتدينون، وهذا يعود عليهم بالفائدة، بيد أنه ليس هناك فرح. إنّ المعبد عبارة عن بديل.

أرى الناس يُصلّون دون أيّ دمعة واحدة في أعينهم. أرى الناس يُصلّون، ولا يُوجد إشراق في وجوههم. ولا حتى موجة رقص حولهم. ويستمرّون في تأدية الصلاة طوال حياتهم. إنّه هدر هائل للوقت والطاقة. لقد اختاروا بديلاً. اِحذر من البدائل، وعندها فقط تستطيع أن تجد الإله. إنّ الإله ليس له بديل، بل الإله حقيقي فعلاً، إنّه الحقيقة.

الآن إلى هذه الحكاية الصغيرة.

قيل أنّ الإمام «محمد الباقر» قد روى هذه الأسطورة التوضيحية:

«عند اكتشاف قدرتي على التحدّث بلغة النمل، اقتربتُ من واحدة وتساءلت: «كيف هو الإله؟ أهو يُشبه النمل؟»».

أجابت: «الإله! كلا، اطلاقاً، لدينا لدغة واحدة، أمّا الإله، فلديه لدغتين!»».

هذا هو كلّ ما عليه دياناتكم وفلسفاتكم، إنّ الإله مُجرّد تكبير عن «شكلك»، هيئتك. أنت لديك لدغة واحدة، وهو لديه اثنين. أنت تعيش سبعين عاماً، وهو يعيش إلى الأبد. أنت تُصبح عجوزاً، وهو لا يشيخ أبداً. بيد أنّ الفارق في الكمّ وليس في الكيف. إنّ إلهك هو الشكل الذي تعكسه، تُشكلّه، تُعدله، تُزينه. إنّ إلهك هو أنت كما تريد أن تكون.

***

الفصل الرابع

الأرض والسماء مُنفصلان

30 آب 1977 في قاعة «بوذا».

السؤال الأول:

«لماذا قتل «فان غوخ» نفسه؟ لماذا وضع «هيمنجواي» فوهة المسدس في فمه وفجّر أعلى رأسه؟ لماذا يُسممون أنهارهم، وهواءهم، وطعامهم الذي يأكلونه؟ لماذا يُبررون كلّ شيء بمنطقهم، وفلسفاتهم، وقوانينهم؟ لماذا يأتون إلى هنا بضعة أشهر، لماذا تحمل تجاههم كلّ ذلك التعاطف؟ لقد سئمتُ وتعبتُ منهم!».

هذا السؤال من «براجييت».

بداية، هناك حالات وحالات من الانتحار، وكلّ حالة انتحار تحتوي شيئاً فريداً خاصاً بها، وكلّ حياة فيها شيئاً فريداً خاصاً بها. إنّ حياتك خاصة بك وحدك، كما أنّ موتك خاص بك وحدك أيضاً. أحياناً من المُمكن ألا تكون حياتك ملك لك، لكنّه من غير المُمكن ألا يكون موتك خاص بك.

إنّ الحياة قد لا يكون لها نكهة مُميزة، فإذا كنتَ تعيش مع الآخرين، يُمكنك أن تُقدّم تسويات أكثر من اللازم، تستطيع أن تُقلّد، بيد أنّ الموت دائماً فريد من نوعه، لأنّ الموت وحيد. أنت تموت وحيداً، وليس معك مجتمعاً. إنهم لا يُوجدون في موتك. إنّ الحشد، التجمع، عندما تكون على قيد الحياة، ولكن عندما تموت، فأنت تموت وحدك تماماً، وفي عزلة تامة.

إنّ الموت له نوعية.

من أجل ذلك، يحدث أحياناً أن يُقدّم أحدهم على الانتحار، لأنه أصبح مُتعباً جداً من الوجود الذي لا معنى له. لقد أصبح مُرهقاً من كلّ التسويات التي يجب عليه أن يفعلها كي يعيش. هذا سبب أنّ «فان غوخ « أقدم على الانتحار، لقد كان رجلاً نادراً، بل أحد أعظم الفنانين على الإطلاق. بيد أنه كان مُضطراً أن يُقدّم تنازلات في كلّ لحظة من حياته. لقد سئم من هذه التنازلات، ولم يعُد قادراً على أن يتحمّل كونه جزءاً من تفكير الحشد أكثر من ذلك. لقد قتل نفسه من أجل أن يكون نفسه. لقد كان فقط في الثالثة والثلاثين من عمره، أو شيئاً من هذا القبيل عندما قتل نفسه. لو كان موجوداً في الشرق كان يستطيع أن يكون هناك بديل آخر: الانتحار أو المُريدية. هذان هما الخياران اللذان يجب على كلّ إنسان لديه حسّ

بالحياة، أو التفرد، أن يختار بينهما.

أمّا في الغرب فليس هناك وجود لشيء مثل المُريدية. لو أنك أصبحت ناسكاً مسيحياً، فإنّ ذلك يُعتبر مرة أُخرى تسوية وحلاً وسطاً، إذ ما يزال يجب عليك أن تكون جزءاً من المُجتمع. حتى لو ابتعدتَ عن المُجتمع، فإنك ما تزال جزءاً منه، حيث يستمرُّ المجتمع في السيطرة عليك، إنه يمتلك نظاماً للتحكّم عن بُعد، ولا يسمح لك أن تبتعد عنه فعلياً، بل تبقى «مسيحياً، «كاثوليكياً»، وحتى لو انتقلت إلى الدير، فلا يحدث فارق كبير.

بينما في «الشرق»، تمتلك المُريدية نكهة مُختلفة تماماً. في اللحظة التي تُصبح فيها مُريداً لا تعود هندوسياً، ولا مسيحياً. في اللحظة التي تُصبح فيها مُريداً، تتخلّى عن جميع الجماعات، وتُصبح نفسك. سوف تتفاجأ أن تعرف أنّ الناس في الشرق لا يُقدمون على الانتحار بكثرة مثلما في الغرب. والفارق كبير، أكبر بكثير من كونه مُجرّد صدفة. لقد أنشأنا في الشرق نوعاً إبداعياً من الانتحار، وهو المُريدية. إذ تبقى حياً، ولكنك تستطيع أن تعيش بطريقتك الخاصة. عندئذ تختفي الحاجة إلى الانتحار، أو تُصبح أقلّ بكثير.

أمّا في الغرب، فدائماً ما يحدث أن يُقدم الأشخاص المُتفرّدين على الانتحار. يستمرُّ الناس العاديون في العيش، بينما يُقدم المُتفرّدون على الانتحار، أمثال «فان غوخ»، «هيمنجواي»، «مایاکوفسکي»، «نيجينسكي»، وهؤلاء أشخاص فريدون من نوعهم. إمّا أنّهم قد أقدموا على الانتحار، أو فقدوا عقولهم، فقد دفعهم المُجتمع إلى الجنون. لقد مارس المجتمع عليهم الكثير من الضغط حتى لم يبقَ أمامهم إلا أن يُذعنوا للمجتمع ويُصبحوا بلا هوية، أو يفقدوا عقولهم، أو يُقدموا على الانتحار. وجميعها خيارات مُدمّرة.

لقد فقد «نيتشه» عقله، وكانت تلك طريقته في الانتحار. بينما أقدم «نيجينسكي» على الانتحار، وكانت تلك طريقته في الجنون. لقد امتلك «نيتشه» صفات «بوذا» نفسها، ولو أنّه أتى إلى الشرق لكان أصبح مثل «بوذا»، ولكنّ الغرب لا يُقدّم هذا الخيار على الإطلاق. لقد كان عليه أن يفقد عقله. كان لدى «فان غوخ» سمات فريدة من الذكاء الخارق، والابداع، وكان يستطيع أن يسير على طريق المُريدية ويحصل على لحظات «سامادهي»، ولكن لم يُوجد أمامه باب مفتوح. لقد تعب، فقد كان الاستمرار في العيش مع تقديم التنازلات مُؤلماً للغاية. لقد كانت حياة غير مُجدية. ذات يوم أنهى لوحته التي طالما أراد أن يرسمها، وفي ذلك اليوم غادر: «الآن لم يعُد هناك حاجة كي أقوم بتسوية مع أيّ أحد تحت أيّ سبب. لقد أنهيتُ لوحاتي، وقدّمتُ أفضل ما لديّ، وحان الوقت كي اختفي».

لقد أراد دائماً أن يرسم شروق الشمس. لقد رسم الشروق سنوات، ولكن كان يشعر أنّ هناك شيئاً مفقوداً وناقصاً، فكان يُعاود الرسم مراراً وتكراراً. في اليوم الذي اكتملَت فيه لوحته، وكان مُشبعاً وراضياً وقانعاً أنّه قد فعلها، في تلك اللحظة بالذات كان واضحاً تماماً بالنسبة إليه أنَّه الآن لم يعُد هناك حاجة: «لقد كنتُ فقط مُنتظراً تلك اللوحة. إنني راض تماماً عنها، لقد أزهرتُ. الآن لماذا أُقدّم التنازلات؟ من أجل ماذا؟»، وقام بالانتحار.

إنّه لم يكن مجنوناً، ولكنه ببساطة لم يكن إنساناً عادياً. لم يكن انتحاره جريمة، بل كان إدانة لما تُسمّيه أنت مُجتمعاً، والذي يتطلّب الكثير من التنازلات. إن الأشخاص العاديين مُستعدون من أجل تقديم

التنازلات، فليس لديهم ما يخسرونه. في الحقيقة إنّهم يشعرون بشعور جيد حيال كونهم جزءاً من الحشد، والتجمّع، لأنهم في الحشد ليس عليهم أن يُفكّروا في أنفسهم على أنهم عاديون؛ فكلّ الآخرين مثلهم تماماً. إنهم يستطيعون في الحشد أن يفقدوا أنفسهم وينسوها وسط التفكير الجمعي، حيث لا يكون لديهم أيّ مسؤولية. ليس عليهم أن يُزعجوا أنفسهم هل هم أذكياء أم أغبياء، ليس عليهم أن يُشغلوا أنفسهم هل هم نائمون أم مستيقظون.

بيد أنّ الإنسان الذي لديه بعض الروح في داخله سيجد أنّه شيء ثقيل للغاية أن يستمرّ في التقليل من شأن نفسه، ويستمرّ في المُساومة على الأشياء العادية التافهة التي ليس لها أيّ معنى، من أجل الخبز والزبدة، من أجل منزل، من أجل مأوى، من أجل الثياب.

لقد كان «فان غوخ» فقيراً جداً لأنّ لوحاته كانت لا تُباع، فقد كانت لوحاته تسبق عصره على الأقل بمئة عام. هذا هو الحال دائماً، كلّما عظُم ذكاء الإنسان، كبُرت المسافة بينه وبين الناس الذين يُحيطون به، والناس الذين سوف تكون لوحاته، أشعاره، تأكيداته، ذات معنى بالنسبة إليهم. لقد كان سابقاً لعصره.

من أجل هذا السبب، لا تزال تأكيدات «بوذا» فعالة، وما زالت حديثة، وليست بالية، ولا قديمة. لقد حان وقته الآن. يبدو الأمر كأنه جاء قبل أوانه بألفين وخمسمئة عام.

لقد أصبحَت لوحات «فان غوخ» الآن لوحات عظيمة، وظهر تقدير عظيم له. لقد جاء سابقاً عصره، وهكذا يكون كلّ العظماء. لقد اعتاد أخوه أن يُعطيه ما يكفي من المال كي يُبقيه على قيد الحياة، لأنّ لوحاته لم تكن تُباع، ولم يكن هناك ما يكفي من المال. كان «فان غوخ» يأكل نصف الأسبوع ويصوم النصف الآخر حتى يُوفّر المال من أجل الرسم.

فقط فكّر كم كان صعباً عليه أن يعيش، ولم يكن هناك من يُقدّر لوحاته.، لقد حدث ذات مرة أن قام أخوه ببعض الترتيبات من أجله، فقال لأحد أصدقائه: «اِذهب واشترِ لوحة واحدة على الأقل. يجب أن يشعر على الأقل ولو مرة واحدة في حياته بفرحة أن يشتري أحدٌ لوحاته. خُذ مني مالاً. اِذهب واشترِ لوحة».

ذهب الصديق. وكان فان غوخ» سعيداً للغاية. لقد كان ذلك أول رجل يأتي كي يُقدّر لوحاته. بيد أنّه سرعان ما أدرك حقيقة أنّ الرجل لم يكن مُهتمّاً، لقد شعر «فان غوخ» بسعادة غامرة! وكان يرقص وهو يستعرض لوحاته، ويُريه جميع اللوحات التي رسمها. بيد أنّ الرجل لم يكن مُهتمّاً، فقد كان يؤدي مُهمّة، فقال: «أيّ واحدة سوف تفي بالغرض. فقط أعطني أيّ لوحة وخُذ المال».

لقد تألّم «فان غوخ» أكثر من ذي قبل، وألقى الرجل خارجاً مع أمواله وقال: «أشكّ أنّ أخي وراء ذلك الأمر، لقد أراد دائماً أن يشتري أحد لوحاتي، ويبدو أنّه أرسلك. اِخرج من هنا! لن أبيع شيئاً. أنا أُريد أن يُحبّ أحد رسمي، ويرى ماذا فعلتُ. بيد أنك لستَ ذلك الشخص، فليس لديك أيّ رؤية، ولا أيّ حسّ فني، أنت لا تعلم ماذا يعني الرسم. اِخرج من هنا ببساطة!». هكذا، لم يتمكّن من بيع ولا حتى لوحة واحدة. لقد كان يرسم وهو يتضوّر جوعاً، ويصوم، ثلاثة أو أربعة أيام في الأسبوع. وكان يقدر على تناول الطعام ثلاثة أو أربعة أيام، إلى أن جاء اليوم الذي أنهى فيه لوحته التي طالما أراد أن يُنهيها...

لقد كان عاشقاً للشمس بجنون، فالشمس هي مصدر الحياة. رُبّما كانت الشمس رمز الإله بالنسبة إليه، ورُبّما كان يبحث عن الإله من خلال الشمس. في اليوم الذي رسم فيه لوحة شروق الشمس، أقدم على الانتحار. هذا الانتحار ليس جريمة، إنّه ببساطة صرخة ضدّ المُجتمع العادي الذي خلقناه في العالم. إنّه ببساطة احتجاج من أجل أولئك الذين يحملون حياة في دواخلهم. إنّ هذا المجتمع لا يستحقّ العيش فيه، وهو يصلح للناس العاديين فقط. هذا المجتمع فقط من أجل أولئك الذين لا يُريدون بصدق أن يُحبّوا، والذين يُريدون فقط أن يُجرّوا ويُسحبوا.

بيد أنّ كلّ حالة انتحار فيها صفة مُختلفة خاصة بها.

أنت تسأل لماذا أقدم «هيمنجواي» على الانتحار. إنّ انتحار «هيمنجواي» له نكهة أُخرى، مُختلفة عن انتحار «فان غوخ». لقد كان كلّ بحث «هيمنجواي» بحث عن الحرية. لقد حدث الميلاد، ولم يكن اختيارك. لقد أُلقي بك في الحياة، كما يقول الوجوديون. لقد أُلقيت فيها، ولم يكن ذلك اختيارك، ولم يسألك أحدٌ أبداً عمّا إذا كنتَ تُريد أن تُولد أم لا. إذاً الميلاد ليس حرية، وإنما حدث فقط.

الشيء الثاني الذي في غاية الأهمية هو الحُبّ، وهو أيضاً لا يُمكن أن تفعله. عندما يحدث الحُبّ فهو يحدث، ولا تستطيع أن تتحكّم به، ولا تستطيع أن تنويه. إذا أردت أن تُحبّ شخصاً من خلال إرادتك فقط، فهذا أمرٌ مُستحيل. إنه يحدث عندما يحدث، إذ تجد نفسك فجأة تُحبّ، ولهذا السبب نستخدم تعبير «الوقوع في الحُبّ». أنت «تقع» فيه، ولكنك لا تستطيع أن تُريده، فهو يأتي من المجهول، وهو تماماً مثل الميلاد. إنّه كما لو أنّ الإله قد دبّر لك أن تقع في حُبّ هذا الشخص، وكما لو أنّ القرار جاء فجأة. أنت لستَ عامل حاسم، بل تُشبه الضحية أكثر، ولا تستطيع أن تفعل أيّ شيء حياله. لو أنّه حدث، يحب عليك أن تمضي إليه، وإذا لم يحدث تستطيع أن تفعل أيّ شيء ولن يحدث. لا يمكن لأحد أن يُحبّ حسب الطلب.

إنّ أكثر ثلاثة أشياء مُهمّة في الحياة هي الميلاد، الحُبّ، الموت، ويبقى الموت هو الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تقوم بشيء حياله، إذ تستطيع أن تُقدم على الانتحار.

لقد كان «هيمنجواي» يبحث عن الحريّة، وأراد أن يفعل شيئاً يكون «هو» قد فعله. إنّه لم يُدبّر ميلاده، ولم يتحكّم في الحُبّ، الآن لم يتبقَّ إلّا الموت. هناك شيء واحد فقط إذا أردتَ أن تفعله، تستطيع أن تفعله. سوف يكون قرارك، ويكون عملاً فردياً، وتكون قد فعلتَه بنفسك.

إنّ الموت له خاصية غامضة، إنها مُفارقة غريبة جداً. إذا كنتَ واقفاً بجوار طفل صغير، مولود حديثاً، وطلب منك أحدهم أن تقول شيئاً مُؤكّداً تماماً عن ذلك الطفل النائم في مهده هنا، المُسترخي، ما هو الشيء الأكيد الذي تستطيع أن تقوله؟ إنك تستطيع أن تقول شيئاً واحداً: إنّ هذا الطفل سوف يموت.

إنّ هذا شيء غريب جداً تقوله، ولكن أيّ شيء آخر هو أمرٌ غير مُؤكّد. رُبّما يُحبّ هذا الطفل، ورُبّما لا يُحبّ. قد ينجح، وقد يفشل. رُبّما يكون عاصياً، ورُبّما يكون قدّيساً، كلّها «احتمالات»، ليس هناك شيء مُؤكّد بخصوص أيّ شيء. من غير المُمكن التكهّن بأيّ شيء، هناك شيء واحد فقط تستطيع أن تقوله، وقد يبدو سخيفاً جدا في حقّ الطفل الذي وُلد للتوّ، هناك شيء واحد مُؤكّد فقط على الاطلاق: سوف يموت هذا الطفل. يُمكن إجراء هذا التنبؤ، ولن يكون تنبؤك خاطئاً.

هكذا يحتوي الموت على ميزة مُؤكّدة وهي اليقين بحدوثه، وأنّه سوف يحدث. وفيه أيضاً في

الوقت نفسه شيء غير مُؤكّد على الإطلاق، وهو أنّ الإنسان لا يعرف أبداً متى سوف يحدث. هناك يقين أنّه سوف يحدث وهناك عدم يقين بموعد حدوثه. هذا اليقين وعدم اليقين يجعل من الموت لغزاً، ومفارقة كبيرة. لو عشتَ، فسيحدث، ولكنّه مرة أُخرى سوف يحدث فجأة، ولن تكون عاملاً حاسماً فيه. لقد حدث الميلاد، حدث الحُبّ، هل سيحدث الموت أيضاً؟ هذا ما أزعج «هيمنجواي». لقد أراد أن يفعل على الأقل شيئاً واحداً في الحياة يحمل توقيعه الخاص، شيئاً يُمكن أن يقول عنه «لقد فعلتُه». من أجل هذا السبب أقدم على الانتحار، فالانتحار كان مُمارسة للحرية.

إنك لا تستطيع أن تعرف أيّ شيء عن الموت ما لم تذهب إليه. كان موقف «هيمنجواي» إنّه إذا كان الأمر سوف يحدث، لماذا تُجرُّ إليه؟ لماذا لا تذهب إليه من تلقاء نفسك؟ إنه سوف يحدث على كلّ الأحوال. لقد كان الموت هو كلّ ما يُشغله في الحياة، ولهذا السبب أصبح مُهتمّاً جداً بمصارعة الثيران. لقد كان الموت قريباً جداً، وكان يحدث باستمرار. كان ينجذب إلى مشهد الموت، وما هي ماهيته. بيد أنك لا تستطيع أن تعرف. حتى ولو مات شخص أمامك، فأنت لا تعرف أيّ شيء عن الموت. أنت ببساطة تعرف أن التنفّس قد توقف، وأنّ عيون الرجل لن تُفتح مرة أُخرى، وأنّ ذلك الرجل لن يتكلّم مُجدداً، وأنّ قلبه لم يعُد يدقّ، هذا كلّ شيء. بيد أنّ هذا لا شيء. كيف يُمكن أن تعرف عن الموت من هذه الأشياء؟ يبقى اللغز كما هو لغزاً، بل إنك لم تقترب منه حتى.

إنك تستطيع أن تعرفه فقط عندما تدخل إليه. بيد أنه لو تمّ جرّك إليه، هناك فرص أكبر أن تُصبح غير واع، لأنّه تمّ جرّك إليه. إنّ كلّ الناس تقريباً يموتون بلا وعي، وقبل أن يحدث الموت يُصبحون شديدي الخوف، يخافون بشدة إلى درجة أنه يغمرهم نوع من الغيبوبة يحميهم. إنّه مُخدّر طبيعي. حينما تذهب من أجل إجراء جراحة، تحتاج إلى مُخدّر، والموت هو أكبر جراحة على الإطلاق، حيث سيتمّ فصل الروح عن الجسد. هكذا، تمتلك الطبيعة آلية مُدمجة، إذ تدخل في غيبوبة، ويختفي كلّ الوعي قبل أن تبدأ في الموت. إنّ وعيك لم يكن قوياً جداً في المقام الأول، وقد كان عندما كنتَ حياً، مُجرّد ومضة ضئيلة. عندما تهبُّ رياح الموت، سوف تنطفئ تلك الومضة، ويحدث الظلام الدامس هناك.

لقد أراد «هيمنجواي» أن يمضي إلى الموت بكامل وعيه، وكان الأمر تدريباً على الموت. بيد أنّ هذا مُمكن فقط من خلال الانتحار أو من خلال حالة «سمادهي». هذان هما الاحتمالان الوحيدان من أجل ذلك. إنك تستطيع أن تموت بوعي بطريقتين فقط. يُمكنك أن تنتحر، وتُدير موتك الخاص. تستطيع أن تُعدّ مُسدسك حتى يكون جاهزاً، تعزم، تصوّب إلى صدرك أو إلى رأسك، تجذب الزناد بنفسك في مُنتهي الوعي، وتُشاهد الانفجار، وتُشاهد الموت. هذا أحد الاحتمالات. وهو احتمال مُدمّر للغاية.

أمّا الاحتمال الآخر هو أن تتعمّق أكثر وأكثر في التأمل، وأن تصل إلى حالة من الوعي لا يُمكن غمرها بالموت. عندها لن تكون هناك حاجة كي تنتحر. حينما يحضرك الموت، دعه يأتي، سوف تموت بكامل وعيّك، مُدركاً، مُراقباً.

هكذا أمامك إما الانتحار أو المُريدية، إمّا الانتحار أو «سمادهي».

في الغرب، لم تكن المُريدية أو «سمادهي» مُتاحين، ومن أجل هذا السبب أقدم هذان الرجلان النادران على الانتحار، ولم يتمّ فهمهما. لقد اعتقد الناس أنهما كانا مريضين بصورة ما، عصابيين، مجنونين، مهووسين، غير أصحاء. ولم يكونا كذلك. أنا لا أقول إنّ جميع مَن يُقدم على الانتحار مثلهم.

هناك أشخاص عصابيون سوف يُقدمون على الانتحار، وهناك أشخاص مهووسون مُهتمّون بالموت أكثر من اهتمامهم بالحياة، ويستمتعون بالتدمير. إنهم آليات تدمير ذاتية حيث يقومون بتسميم أنفسهم.

أنا لا أتحدّث عن كلّ أنواع الانتحار، بيد أنّك سألت عن هذين الاثنين. بينما هناك تنوّع في الحالات بقدر ما يُقدم الناس على الانتحار. إنّ هذين النوعين نادران للغاية، وهما واعدان للغاية. لو كان «فان غوخ» أو «هيمنجواي» عاشا في الشرق»، أو كانا يتمتعان بالسلوك الشرقي، لازدهرا كمُريدين عظيمين.

بعد ذلك تسأل: « لماذا يُسممون أنهارهم، وهواءهم، وطعامهم الذي يأكلونه؟»، هذه مرة أُخرى عبارة عن خلق انتحار جماعي بطيء جداً.

عندما تعيش بلا ذكاء، وبلا احساس، فأنت بذلك تعيش نوعاً مُملاً من الحياة حيث يبدأ اهتمامك بصورة طبيعية في التوجه ناحية الموت. من أجل هذا السبب تُوجد حروب باستمرار، بل حتى تلك الفترات التي تدعوها هدنة سلمية ليس لها علاقة كبيرة بالسلام، إنها فقط فترة إعداد من أجل حرب جديدة، ولذلك تراك إمّا في حرب أو تستعدُّ من أجل الحرب. يُوجد في التاريخ نوعان فقط من الفترات: فترة الحرب الفعلية، وفترة الإعداد من أجل الحرب، ولم يكن هناك مُطلقاً فترة من السلام. إنّ السلام شيء زائف تماماً، وهو ادعاء، فمن تحت غطاء السلام، وتحت الأرض، أنت تُجهّز من أجل حرب أُخرى.

لماذا يُوجد هذا الانجذاب الشديد إلى الحرب؟ لأنه فقط عندما يموت الناس، يُصبحون أكثر انتباهاً. عندما يكون هناك خطر تُصبح منتبهاً أكثر. أنت لا تدري كيف تكون مُنتبهاً بطريقة أُخرى. من أجل ذلك، عندما تكون هناك حرب، ترى وجوه الناس أكثر حياة، فهناك شيء يحدث، ولولا ذلك لا يحدث أيّ شيء. إنّها القصة القديمة نفسها التي قصّها الأحمق، مليئة بالغضب والضوضاء، ولا تدلّ على شيء. أنت تستيقظ كلّ يوم وتبدأ الحياة نفسها في الدوران في الطريق نفسه، ثمّ تخلد كلّ ليلة إلى النوم مُنهياً صورة مُكررة من اليوم. تستطيع أن تكون مُتيقناً أنّه في اليوم التالي سوف تفعل الشيء نفسه مرة أُخرى. حينما تقوم الحرب، لا تعود الأشياء اعتيادية، وفجأة يُصبح هناك أخبار في الجو، وشيء جديد يحدث. من أجل هذا فإنّ الناس مُدمّرين، ويخلقون الحرب.

إنهم يقومون بخلق أنواع مُتعددة من الحرب، ويُحاربون الطبيعة باستمرار. إنّ الطبيعة حياتنا، مصدرنا، ولكنّ رجلاً مثل «بيرتراند راسيل» كتب كتاباً بعنوان «إخضاع الطبيعة». إخضاع؟ إنّ الفكرة في حدّ ذاتها تتسم بالعنف. إنّها وكأننا ضدّ الطبيعة أو الطبيعة ضدّنا، مع أننا واحد. نحن الطبيعة. إذا كانت الأشجار طبيعية، ألا يكون الناس طبيعيون؟ إذا كان الهواء والشمس والقمر طبيعيين، ألا تكون العيون والابتسامات والدموع طبيعية؟

مثلما تنمو الأرض إلى أشجار، كذلك تنمو إلى أشخاص أيضاً. إنّها الطبيعة نفسها، والبيئة نفسها، إنّها كلّ مُتكامل، وهي مُتداخلة، والكلّ مُعتمد على بعضه.

بيد أنّ التفكير الغربي كان عنيفاً جداً. إذ يجب إخضاع البيئة. يجب أن تُحاربوا ضدّ أنفسكم، وتتقاتلوا مع الطبيعة، وليس ذلك فقط، عليك أن تتقاتل مع نفسك. هذه ثلاثة حروب: إنّ الإنسان يُحارب أناساً آخرين، ويُحارب الطبيعة، ويُحارب نفسه. حينما يُحارب الإنسان الناس الآخرين فهذه سياسة، وحينما

يُحارب الطبيعة فهذا علم، وحينما يُحارب نفسه فهذا الدين. إنّه نوع أحمق من المناهج، وكأنّ كلّ شيء يعتمد على القتال.

مَن الذي تدعوه رجلاً مُتديناً؟ إنه الشخص الذي يُحارب نفسه باستمرار ويقمعها، ويُقطّع حياته إلى أجزاء، من خلال الاختيار، الحكم، التدمير، فيُصبح مُنفصلاً ومُنفصماً. إنه الموقف نفسه المُتصف بالعنف، والعدوانية. إنّه يظهر في السياسة لأنّه الإنسان نفسه، كذلك يظهر في الدين، وفيما تفعله مع الطبيعة.

أنت تسأل: «لماذا يُسممون أنهارهم، وهواءهم، وطعامهم الذي يأكلونه؟» لأنهم مُسممون بالعنف، ومن أجل ذلك، يُصبح كلّ ما يفعلونه مُسمماً. إنّهم انتحاريون، لأنهم لا يعرفون ما الحياة، ولا يعرفون كيف يعيشونها. إنهم لا يعرفون الفرح والاحتفال. إنّهم لا يعرفون أنّها هبة رائعة، ولا يعرفون الامتنان. إنّهم يستمرّون في كونهم مُدمّرين بكلّ طريقة مُمكنة.

لقد نما الأسلوب الغربي ناحية الموت أكثر وأكثر كلّ يوم، وهو يجلب الموت أكثر إلى هذا الكوكب. إنّ هذا الكوكب يُمكن أن ينفجر ويتحوّل إلى الفناء المُطلق. كلّ هذا الذكاء، التقنيات، العلم، السياسة، كلّ شيء يسير في اتجاه شيء واحد: كيف يقومون بانتحار جماعي.

بيد أنه الإنسان نفسه. أنا أرغب منك أن تكون العكس: الإنسان الذي يُحبّ، الإنسان الذي لا يُحارب، والذي يُحبّ نفسه. هذا سبب أنّ ديني هو الحُبّ لنفسك، فالإنسان الذي يُحبّ نفسه يُحبّ الآخرين. وعندها سوف يكون هناك نوع مُختلف تماماً من السياسة أساسه الحُبّ. إنّ الإنسان الذي يُحبّ نفسه ويُحبّ الآخرين، يُحبّ الطبيعة أيضاً، لأنّ الأشجار مثل الناس، وكذلك الطيور، والحيوانات. عندها سوف يكون هناك نوع مُختلف من العلم في العالم، لا بُدّ أن يأتي العلم من الدين، لأنّ الدين هو الجوهر الأعمق. بسبب أنك تكره نفسك، أنت تكره الآخرين، وتكره الطبيعة، فهذه مُجرّد أصداء للكره الأصلي الذي تحمله داخلك.

«لماذا يُبررون كلّ شيء بمنطقهم، وفلسفاتهم، وقوانينهم؟»، ماذا يُمكنهم أن يفعلوا غير ذلك؟ على الإنسان أن يُبرر كلّ شيء. في الحقيقة، عندما تفعل أيّ شيء خاطئ، يجب أن تُبرره في الحال، وإلّا سوف تكون مُدركاً للخطأ الذي قمتَ بفعله. وتكون مُجرماً في عيون نفسك. من أجل تجنب ذلك، يجب أن تجد تبريرات.

ذات مرة مكث عندي عالِم في منزلي. أنا أُحبّ أن تكون حديقتي مثل الغابة، ولذلك أنا أمتلك غابة جميلة حول منزلي. قال لي العالِم: «هل أنت مُدرك لما تفعله؟ إذا سمحتَ لهذه الأشجار بالنمو بالقرب من المنزل فسوف تستحوذ على المنزل. إنّها أشياء خطيرة. هناك حرب قائمة بين الإنسان والأشجار. إذا لم تُبقها بعيدة، سوف تدخل جذورها خلال أعوام إلى حوائطك وتُدمّر منزلك»، ثمّ أضاف: «أنا أكره الأشجار».

لقد كان ذلك موقف الرجل: دمِّر. إذا تبنيتَ هذا الموقف، يُصبح كلّ شيء عدوانياً، حتى هذه الأشجار البريئة، التي لا حول لها ولا قوة. ثمّ إنّ هناك بعضاً من الحقيقة في ذلك، ولذلك تستطيع أن تسند مُبرراتك إليها. نعم، صحيح أنّ الأشجار إذا تُركت كي تنمو بحرية تامة، فستُسيطر على مدنكم ومنازلكم. هذا صحيح، إنّه الواقع، ولكن أن تُؤسس حياتك بأكملها على هذه الحقيقة الضئيلة و تُحوّلها إلى فلسفة، فهذا

خطأ.

أمّا الشيء الآخر الحقيقي بقدر هذه الحقيقة فهو أننا نعيش بفضل الأشجار. قُم بتدمير كلّ الأشجار وسوف تموت. أنت تتنفّس الأكسجين في الشهيق، بينما تُخرجه الأشجار في الزفير. أنت تُخرج ثاني أكسيد الكربون في الزفير، بينما تتنفّس الأشجار هذا الغاز في الشهيق. هكذا، كلّما كنتَ مُحاطاً بالأشجار، كنتَ أكثر حياة. إنّه ليس مُجرّد شِعر، فعندما تذهب إلى الغابة ويملأ الابتهاج الرائع قلبك، تشعر فجأة أنك أكثر حياة، كما لو أنّ الخضرة جعلتك أخضر أيضاً. إنّه ليس مُجرّد شِعر، إنّه العلم المحض، الذي يقول إنّه بسبب وجود أكسجين أكثر، تخفق الحياة حولك أكثر، وتُصبح حيوية أكثر. حينما تستنشق هذا الأكسجين، يتمّ تنقية دمك، وتستطيع التخلّص من السموم بطريقة أسهل وتعيش الحياة في ذروتها.

هكذا، هناك شراكة مع الأشجار: إنها تأخذ سمومك إلى داخلها وتُنقّيها، ثمّ تُنتج الأكسجين من أجلك، وأنت تتنفّس الأكسجين وتستخدمه ثمّ تُلقي «ثاني أكسيد الكربون» إلى الخارج، كي تستخدمه الأشجار كطعام لها، وهكذا، هناك شراكة مُؤكّدة، إذ لا يستطيع الإنسان أن يحيا دون الأشجار، ولا تستطيع الأشجار أن تحيا دون الإنسان.

إنّ الحيوانات ضرورية للأشجار كما أنّ الأشجار ضرورية للحيوانات. إنهم ليسوا مُنفصلين، بل جزء من ايقاع واحد. هذه أيضاً حقيقة، ولا يجب على الحياة أن تتجنّب ذلك. على الإنسان أن يفهم هذا التكامل، كما يجب عليه أن يعيش بطريقة حيث لا تُصبح، ولا تدّعي إحدى هذه الحقائق، أنها الحقيقة الكاملة. ليس هناك داع إلى التدمير، ولا إلى الحرب. هذا هو منهج «التاو»، الصوفية، «الزن».

إليك قصة شهيرة من «الزن»...

أخبر ملك نجاره العجوز أنه يرغب في طاولة معينة. فقال الرجل الكبير: «إنني عجوز للغاية، وابني ليس مُدرباً بعد. إنّه يتعلّم مع الوقت. لكنني سوف أُحاول، وأبذل قصارى جهدي. أعطني بعض الوقت».

اختفى الرجل العجوز ثلاثة أيام في الغابة. ثمّ عاد بعد ذلك.

سأله الملك: «هل يتطلّب الأمر ثلاثة أيام من أجل جلب القليل من الخشب للطاولة؟»،

قال النجار العجوز: «أحياناً يتطلّب الأمر ثلاثة أيام، وأحياناً ثلاثة أشهر، وفي بعض الأحيان قد لا تجد الخشب خلال ثلاثة أعوام. إنّه فنّ صعب».

احتار الملك، وقال: «إشرح لي. ماذا تقصد؟ إشرح لي بالتفصيل»،

قال الرجل العجوز: «في البداية يجب عليّ أن أدخل في الصيام، لأنّه فقط وأنا صائم يبدأ تفكيري في الهدوء قليلاً قليلاً. عندما يهدأ تفكيري، تختفي الأفكار، وتختفي كلّ العداوة، ولا أعود عنيفاً، وتُكوّن الشفقة والمحبة الصافية موجة مختلفة. حينما أشعر بموجة اللاتفكير، عندها أذهب إلى الغابة، لأنه فقط من خلال هذا التردد أستطيع أن أجد الشجرة الصحيحة. أمّا من خلال العدوانية، كيف يُمكن أن أجد الشجرة الصحيحة؟ كما يجب أن أقوم بسؤال الأشجار نفسها إذا كانت احداهنّ مُستعدة كي تُصبح طاولة. أذهب،

وأتجوّل، ريثما أشعر أنّ تلك الشجرة مُستعدة، ولا أستطيع الشعور بهذا الاستعداد إلا من خلال حالة اللاتفكير. إذاً، هناك صيام، تأمل، وحينما أُصبح صافياً تماماً، أتجوّل ببساطة حول الأشجار حتى يحضرني الإحساس. عندما أشعر أنّ هذه الشجرة مُلائمة، أجلس جوارها وأطلب منها الإذن: «إنني سوف أقوم بقطع فرع منك. هل أنتِ على استعداد؟»، إذا قالت الشجرة نعم من كلّ قلبها، عندها فقط أقوم بالقصّ، وما عدا ذلك مَن أنا كي أقصّ فرعها؟».

هذه منهجية مُختلفة تماماً. ليس هناك حرب بين الرجل والشجرة، بل هناك علاقة صداقة. إنّ الرجل يُحاول أن يتآلف مع الأشجار، ويطلب منها الإذن. إنّ ذلك شيء غريب بالنسبة إلى التفكير الغربي الذي يقول: «ما هذا الهراء الذي تتحدّث عنه؟ تسأل الشجرة؟ هل جُننت؟ ثمّ كيف للشجرة أن تقول نعم أو لا؟». بيد أنّ العلم الغربي أصبح الآن تدريجياً واعياً أنّ الشجرة تستطيع أن تقول نعم أو لا، إذ تُوجد الآن آلات دقيقة تستطيع أن تُحدد مزاج الشجرة، وهل هي مُستعدة أم غير مُستعدة، هل هي سعيدة أم غير سعيدة؟ لقد تمّ الآن تطوير أدوات دقيقة، تماماً مثل جهاز تخطيط القلب، تستطيع من خلالها أن تحصل على تخطيط قلبي للشجرة، وهناك أجهزة إلكترونية من أجل تحديد مزاج الشجرة.

عندما يقترب منشار الخشب من الشجرة، تهتزُّ الشجرة من الخوف، وتُصبح حزينة، خائفة، إذ أنها تتشبث بحياتها. لن يُقدم «طاوي» على قصّ شجرة في هذه الحالة، كلّا، اطلاقاً. لو أنّ الشجرة غير مُستعدة، عندئذ مَن نحن؟ عندما تكون الشجرة مُستعدة من نفسها من أجل المُشاركة، فقط عندها يُمكن أن تُقصّ.

هذه الطاولة سوف يكون فيها الآن ميزة خاصة، فقد كانت منحة من الشجرة، ولم تُؤخذ عنوة، لم تُسرق الشجرة ولم يتمّ قهرها. لن يكون صعباً أن نفهم أنّ هذه الطاولة تمتلك موجات مُختلفة. إنّها سوف تحتوي شيء مُقدّساً داخلها. لو وضعتَ تلك الطاولة في حجرتك فستخلق نوعاً مُعيناً من المجال حولها، الأمر الذي لن يكون مُمكناً مع الطاولات الأُخرى. إنّها سوف تكون هناك من أجل مُصادقتك، كما قمتَ بمُصادقتها. إنّها ستكون هناك كفرد من عائلتك، وليس كطرف تمّ قصّه من العدو.

لقد كان التفكير الغربي قاسياً جداً ضدّ نفسه وضدّ الطبيعة. لقد أوجد الفصام بين الناس، وأوجد السياسة، الحرب، وخلق الأزمات البيئية.

بيد أنّ الأشياء الآن قد وصلت إلى أقصى حدّ. إذ أنه يجب على الإنسان أن يتراجع ويتخلّى عن هذا الاتجاه الغربي العنيف، أو عليه أن يستعدّ كي يقول وداعاً لهذا الكوكب، فلم يعُد هذا الكوكب قادراً على أن يتحمّل الإنسان بعد الآن، فقد تحمّله بالفعل بما فيه الكفاية فترة طويلة.

«لماذا يأتون إلى هنا بضعة أشهر، لماذا تحمل تجاههم كلّ ذلك التعاطف؟».

إنهم في حاجة إلى التعاطف لأنه فقط من خلال الشفقة سوف يتعلّمون الرحمة، وليس هناك طريقة أُخرى كي يتعلّموها. إذا استطاعوا أن يشعروا بتعاطفي وحُبّي، سوف يبدأون في أن يكونوا رحماء ومُحبّين. يتعلّم الإنسان الحُبّ فقط في وسط الحُبّ. أنا فقط أُوفّر لهم المناخ المُناسب. إنّه ليس تعليماً، إنّه مناخ.

ليس لديّ أيّ شيء آخر أمنحه. أستطيع فقط أن أمنح حُبّي وتعاطفي إلى أيّ شخص يأتي، لأنّ

ذلك هو كلّ ما أملك.

يقول «براجييت»: «لقد سئمتُ وتعبتُ منهم!».

لو تعبتَ وسئمت منهم، عندئذ أنت واحد منهم. فهذا الموقف عندما تتعب وتسأم هو موقف عنيف.

لماذا هذا السؤال؟ إنه سؤال طويل ذلك الذي قفز إلى تفكير «براجييت»، وهو سؤاله الأول. إنّه هنا منذ ما يقرب من عامين. لماذا ظهر هذا السؤال الطويل؟ إنّه يمتلك تفكيراً عنيفاً جداً. إنّه قائد مجموعة جيد، ولكنّه قائد عنيف للغاية. إنّه يُدير «الجشتالت» ومجموعات الطاقة الحيوية، ويقوم بضرب الناس. إنه لم يسأل هذا السؤال قطّ حتى الآن، بيد أنه فقط منذ بضعة أيام ضربه أحد الأشخاص بمُنتهى القوة، ومن ثمّ جاء السؤال.

إذا تعبتَ وسئمتَ منهم، فأنت واحد منهم. اِشعر بالشفقة، اِشعر بالحُبّ. ساعِد الناس من خلال الحُبّ والرحمة. أنا أعلم أنّه يجب عليك أحياناً أن تكون حازماً أيضاً، ولكن بدافع من الشفقة، وهذا نوع آخر من الحزم. أحياناً يجب عليك أن تلمس دواخلهم، ولكن حينما تضغط عليهم، من الطبيعي أن يذهبوا إلى أقصى الحدود، إذ يُمكن أن يضربوك. إنّ قائد المجموعة الحقيقي في خطر دائم. هذه هي المُخاطرة. أنت تستفزّ الناس كي يُخرجوا سلبياتهم على السطح، وحينما تخرج تلك السلبيات على السطح، من الطبيعي أن تكون أنت أحد الأهداف. أنت في خطر.

بيد أنّ قائد المجموعة سوف يتقبّل ذلك بامتنان. عندما يضرب أحدٌ قائد المجموعة، فسينحني أمامه ويقول له شكراً لك، لأنّ هذا هو ما أراده. لقد كان يقوم بخلق موقف حيث يُمكن للغضب أن يُكوّن فقاعة وينفجر. بمُجرّد أن ينتهي هذا الغضب، سوف يمتلك ذلك الرجل نوعاً مُختلف تماماً من الطاقة. إنّ دور المجموعة هو التنفيس، إنّها عملية إخراج الصديد خارج نظامك الخاص. ولكن عندما تُخرج الصديد من منظومتك. تسقط أحياناً بعض القطرات على ملابسك، هذا طبيعي. حينما تقوم بإجراء جراحة، ستكون يداك مغطيتين بالدم، وستحتاج إلى حمّام جيد بعد الانتهاء.

لا تغضب. وإلا ستكون جزءاً منهم.

الآن يقول «براجييت»: «أنا لا أُريد أن أقود أيّ مجموعات، ولا أُريد أن أُعالج الناس. هل لي أن أعمل في الحديقة؟»، «كلا، مُستحيل، أنا أُحبّ أشجاري!».

السؤال الثاني:

«عندما كنتَ تُجيب على سؤالي، كنتَ تُشير إليّ بلفظ «هي». إذاً فقد كشفتني. حتى بعد إطلاق لحيتي، لم أستطع خداعك. عندي طلب صغير فقط: هل لي أن أحتفظ بلفظ «سوامي» قبل اسمي؟».

عذراً، «ما أناند سوتشيتا». لقد أخطأتُ مُجدداً.

أجل لقد حدث. في ذلك اليوم سألني «سوامي أناند سوتشيتا» سؤالاً، وواصلتُ الإشارة إليه بلفظ «هي».

الآن هناك اثنان آخران يُسميان «سوتشيتا» وكلاهما إناث. إذاً هناك «سوتشيتا» واحد هو، واثنتين «سوتشتيا» هي. وهم أيضاً يكتبون لي الأسئلة. بيد أنّ «سوامي» الذي كتب السؤال كان قد فهم فعلاً الهدف منه. لقد كان «سوامي» هنا بوضوح، وكان يكتب السؤال، بيد أنه لسببين أخطأتُ. أحدهما كان أنّ «أناند سوتشيتا» يمتلك بالفعل قلب امرأة، وحتى بعد أن نمَت لحيته، فإنها لم تصنع أيّ فارق.

هناك هو وهي بيولوجياً، وهناك هو وهي نفسياً. أحياناً عندما أُعطي المُريدية لشخص أحتاج إلى التفكير مرتين هل أناديه «ما» أم «سوامي». حتى لا أُسبب لكم أيّ احراج أقوم بمناداتكم «ما» أو «سوامي» حسب تكوينكم الجسدي البيولوجي. بيد أنه أحياناً يكون من الواضح جداً أنّ مناداة شخص بلفظ «سوامي» يبدو خطأ مُؤكّداً، فهو يمتلك قلباً أنثوياً، وسوف يكون الحُبّ طريقه. إنّه مشاعريّ للغاية.

فقط في تلك الليلة كان «برابها» موجوداً هنا. إنه يمتلك قلب امرأة، ومع أنّه رجل ضخمٌ جداً جسمانياً، إلا أنه يمتلك قلب امرأة هشّ ورقيق جداً، جداً، وقلبٌ مُحبّ للغاية. إنّ تكوينه النفسيّ أنثويّ. وهذا مُهمّ للغاية لأنّ عملي ليس مُهتمّاً بتكوينك البيولوجي، ولكن بتكوينك النفسي.

بيد أنّني سعيد لأنّ «أناند سوتشيتا» قد فهم النقطة. إنّه يقول: «عندما كنتَ تُجيب على سؤالي، كنتَ تُشير إليّ بلفظ «هي». إذاً فقد كشفتني. حتى بعد إطلاق لحيتي، لم أستطع خداعك. عندي طلب صغير فقط: هل لي أن أحتفظ بلفظ «سوامي» قبل اسمي؟».

نعم يُمكنكَ الاستمرار في الاحتفاظ به، ولكن كُن على علم أنك أنثويّ. وكُن فرحاً بذلك، لأنه من خلال فهمي، فإنّ التفكير الأنثويّ أقرب إلى الإله من التفكير الذكوريّ. إنّ التفكير الذكوريّ هو التفكير الغربي، بينما التفكير الأنثويّ هو التفكير الشرقي. إنّ التفكير الذكوريّ قاس، بينما التفكير الأنثويّ تقبّلي. إنّ الإله يأتي بسهولة إلى أولئك الذين يستطيعون أن يتقبلوه، مثل الرحم، إلى أولئك الذين يستطيعون أن يُصبحوا حاملين به.

استمر في الاحتفاظ باسمك «سوامي». هذا من أجل الآخرين، ولكن من أجل نفسك إستمر في التذكّر. أن تُصبح أكثر وأكثر أنثوية. إسمح لأنوثتك أن تستحوذ عليك.

ثانياً، على الرغم من أنّ «سوامي أناند سوتشيتا» سأل سؤالاً، فإن السؤال كان متعلقاً أكثر بواحدة من «ما أناند سوتشيتا». إنها لم تسأله، ولكن حقيقة كان عليها أن تسأله. فقد كان أكثر صلة بها.

هكذا، عندما أُخطئ أحياناً، أنا أُخطئ لأسباب. حاول أن تعرف السبب. قُم بتأمّله. حينما أقترف خطأ، قُم بتأمّله وسوف تُثرى دائماً بذلك.

السؤال الثالث:

«في كلّ مرة تأتي وتذهب إلى المحاضرة، أقلق من أنك قد تفوّت درجة من السلم وتقع».

ملحوظة : «أنت تبدو ثملاً للغاية».

هذا صحيح. بيد أني ثملٌ من فترة طويلة جداً إلى درجة أنّه ليس هناك حاجة أن تخاف. لقد كنتُ كذلك منذ خمسة وعشرين عاماً. في البداية كان من الصعب جداً فعلاً أن أمشي، وكنتُ نفسي خائفاً جداً من

أنني قد أقع في أيّ لحظة، فقد أصبح الجسد بطريقة ما مُنفصلاً جداً، وكانت هناك فجوة، إذ أصبحَت الأرض والسماء مُنفصلتين. لقد استغرقتُ فترة حتى أستقرّ، وعلى الرغم من أنّ كلّ شيء قد استقر، بقيت حالة الثمالة موجودة. إنّها الثمالة الإلهية. بمُجرّد أن تصبح ثملاً من الربيع الإلهي، فلن تكون أبداً في حالة عدم سُكر. إنّ مرة واحدة كافية. إنّ قطرة واحدة منه كافية كي تُغرقك إلى الأبد. أنت لستَ في حاجة كي تشرب مراراً وتكراراً، إنك لن تظمأ أبداً مرة أُخرى.

أستطيع أن أفهم سؤالك، ولكن لا تقلق. بطريقة ما، أنا أسمّيها «بطريقة ما» لأنني لا أُديرها. أنا لا أستطيع أن أُديرها لأنني لستُ هنا كي أُديرها، إنّها تُدير نفسها. بطريقة ما أبقى ثملاً وواعياً في آنٍ واحد.

يمتلك الصوفيون قاعدة مُحددة من أجل ذلك، وسوف يكون مُفيداً فهمها. إنهم يُسمّونها التذبذب بين الحالتين، «أحوال». إنّ الحالتين هما البقاء والفناء: الفردية وتفكك الفردية. هناك نوع من الإيقاع بين هاتين الحالتين، وهناك تزامن. هناك الأشخاص الذين يكونون في حالة البقاء، ولكنّهم لا يعرفون أيّ شيء عن الفناء. ثمّ هناك الأشخاص الذين يعيشون في حالة الفناء، ولكنّهم نسوا كيف يرجعون إلى حالة البقاء. كلاهما غير مُتوازن.

هناك حاجة إلى وجود نوع من التوازن بين هاتين الحالتين: الثمالة والوعي. يجب على الإنسان أن يكون ثملاً بوعي، أو واعياً ثملاً. هذا هو أعلى توافق كيميائي، حيث تلتقي الأضداد و تُصبح واحداً. هذه هي التوليفة الأعظم.

لقد قيل أنّ «الجنيد» مُعلّم «الحلاج منصور»، اِعتاد أن يفرض على المُريدين أن يكون هناك إيقاع بين هذين القطبين. لقد تردد أنّه ذات مرة أمر المُريد «الشبلي»، الذي أصبح «الشبلي» فيما بعد مُعلّماً عظيماً. هذا الرجل «الجنيد»، صنع العديد من المُعلّمين، فقد كان يمتلك طاقة ابداعية هائلة في صنع المُعلّمين العظام. لقد كان واحداً من مُعلّمي المُعلّمين. حينما وصل «الشبلي» إلى مرحلة «ساتوري»، ومرحلة «سامادهي»، وإلى مرحلة «الفناء»، أصبح غير قادر على العودة إلى «البقاء». لقد كان ثملاً جداً، وتائهاً جداً. حتى أنّ المُعلّم غضب منه بشدة.

قال له، «اسمع يا «شبلي»! في البداية كنتَ مُتشبثاً بحالة «البقاء». الآن انتقلت إلى الحالة الأُخرى، وأنت مُتشبث بها. لقد بقي التشبث. لا بُدّ أن تدع هذا التشبث. لا بُدّ أن يكون الإنسان أكثر مرونة. على الإنسان أن يكون قادراً على الانتقال من حالة إلى أُخرى بسهولة، بسلاسة، تماماً مثل البندول الذي يتأرجح من اليمين إلى اليسار، ثمّ من اليسار إلى اليمين. دون أيّ تعلّق، أو تردد، أو تشبث، على الإنسان أن يصل إلى هذا التحرّك السلس».

بيد أنّ «الشبلي» لم يستطع أن يتبع هذا الأمر، فقال له المُعلّم بعد ذلك: «إذا كان انضباطك الذاتي غير كاف من أجل كبح جماح حالاتك الصوفية «الأحوال»، فمن الأفضل أن تُسلم نفسك إلى مصحة نفسية فترة من الوقت».

إنّ هذه نصيحة غريبة من المُعلّم: «إذهب إلى مشفى المجانين، سلّم نفسك، وابقَ هناك إلى أن تصل إلى حالة الانضباط حيث تستطيع أن تكون واعياً وثملاً معاً.

لقد كانت هذه واحدة من أكبر المشاكلّ على طريق النشوة المُطلقة، وستجد هذه الظاهرة بأشكال عدة. أنت ترى «بوذا»، وهو ثمل وواع في آنٍ معاً، بينما «راماكريشنا» ليس واعياً، بل ثمل، وهناك شيء مفقود في توازنه. لو سألتني، فلا أستطيع أن أقول لك أن تتخذ من «راماكريشنا» قدوة لك. حينما يدخل «راماكريشنا» إلى حالة «الفناء» الخاصة به، يبقى عدة أيام غير واع تقريباً. ذات مرة بقي غير واع، في غيبوبة مدة خمسة أو ستة أيام. وعندما عاد منها بدأ في البكاء، والطلب من الإله: «خذني، ودعني أعود إلى هناك مُجدداً»، لقد أصبح مثل الطفل. إنّها أفضل من حالة البقاء، هذه النشوة جيدة، ولكن هناك مرحلة أعلى منها. إنّها حالة «بوذا». إنّه ثملٌ ومع ذلك واع. لم يره أيّ أحد غير واع إطلاقاً. لقد كان يُدير التركيبة القصوى.

إنّ طريق النشوة هو نفسه طريق الاعتدال، لأنّه علم المعرفة بالأحوال. كما قال الشيخ «ابن عجيبة»: «الثمالة والوعي بالحال أعلى من الثمالة مع النسيان. إنّ النشوة ليست هي الهدف لكنّها الوسط الجوهري المُطلق».

هكذا، لستَ في حاجة أن تخاف، فأنا ثملٌ وواع في آنٍ معاً. إن ثمالتي تهتمّ ألا أُصبح واعياً جداً إلى درجة أن أثبت في حالة البقاء. ووعيي يهتمّ ألا أُصبح ثابتاً في حالة الفناء. إنّهما يُساعدان بعضهما مثل جناحي الطير، إنّهما مُتضادان ومع ذلك مُتكاملان. أنت لا تستطيع الطيران بجناح واحد، بل سوف تحتاج إلى جناحين.

هذا هو ما أُعلّمه. إنّ كلّ جهدي هنا هو أن أجعلك واعياً وثملاً في آنٍ معاً، ثمّ أستمرّ في اخبارك أن ترقص وتنسى نفسك في الرقص، وأستمرُّ في تعليمك طرق التأمل، الوعي، تقنية «فيباس سانا»، حتى يُمكن للاثنين أن ينموان معاً. في اليوم الذي تكون فيه ثملاً، سوف تجد فجأة نوراً يحترق داخلك، يُبقيك يقظاً. وبالتأكيد، كما يقول «ابن عجيبة»: «إنّ الثمالة مع الوعي أعلى من الثمالة مع النسيان».

السؤال الرابع:

«أثناء النهار وبينما أتجوّل في الأنحاء، أفقد نفسي تماماً. إنني مستمتعة، ولكن من أين يدخل التأمل؟».

هذا الاستمتاع هو كلّ ما يدور حوله التأمل.

هذا السؤال من «فيديا». إنّها الآن تشتاق إلى بعض التعاسة. إنّها مُستمتعة لكنّها لا تستطيع أن تستمتع بالاستمتاع؛ إنّها تُريد أن تخلق بعض المشاكلّ لنفسها. إنّه شيء صعب أن تكون سعيداً حقاً، وسعيداً بشعور السعادة. بمُجرّد أن تكون سعيداً تبدأ في البحث عن بعض المشاكل. أنت لا تستطيع أن تُصدّق أنك تستطيع فعلاً أن تكون سعيداً. لا بُدّ من وجود شيء خاطئ. عندما تكون بائساً، فأنت سعيد تماماً، إنّها حالتك التي تعرفها، والتي أنت مُطلع عليها جيداً، إنّها هويّتك. عندما تكون تعِساً تكون سعيداً، لأنك تعلم أنّ هذا هو أنت، ولكن حينما تكون سعيداً، تبدأ في العودة إلى التعاسة. أنت لا تستطيع أن تثق في السعادة، إنّها مجهولة تماماً.

هذا ما عليه التأمل أن تستمتع، وتحتفل.

آملاً أن يُطوّر شخصية ابنه، أعطى والد ذات يوم ابنه بنساً وربع دولار، بينما كان مُغادراً إلى مدرسة يوم الأحد، وقال: «الآن، «بيتر»، ضع أيّ عملة تُريدها منهما في طبق القربان».

عندما عاد الولد، سأله والده أيّ عملة وهبها، فأجاب «بيتر»: «حسناً، قبل أن يُمرروا الطبق مُباشرة قال القسّ: «إنّ الإله يُحبّ مَن يُعطي ببهجة»، لقد علمتُ أنني أستطيع أن أتبرّع بالبنس بفرح أكبر ممّا يُمكن أن يكون لو وهبتُ ربع الدولار، ولذلك تبرّعتُ به».

إنني مُتفق تماماً مع الولد. أيّ كان مُفرحاً فهو جيد، وكلّ ما يجعلك مُبتهجاً فهو أمر ديني، دع الفرح يكون دينك الوحيد، القانون الوحيد، ولا تدع هناك أيّ قانون آخر. فقط اِستمتع، واستمتع على نحو هائل، وعلى نحو تامّ. سوف يأتي التأمل مثل الظل. إنّ البهجة تجلب التأمل، وتنقل صوت أقدام التأمل إليك.

السؤال الخامس:

«إنّها رحلة طويلة جداً، جداً بين الإعداد والنهاية؛ بين مرحلة الأمراض الآلية إلى التنوير. هل يجب على الإنسان أن يُعاني خلال فترة الرحلة، أم أنّ هناك إمكانية للسلام؟ أرجو التوضيح».

إنّ ذلك عائد إليك. إنّه يعتمد على أيّ موقف تتخذه تجاه الأمر. إنّ الانتظار يُمكن أن يُصبح فرحاً عظيماً إذا وثقت أنّه سوف يحدث، وأنّه يقترب أكثر كلّ لحظة. إذا وثقت أنّه قد بدأ فعلاً في الحدوث، لأنّك بدأتَ في التحرّك ناحيته، إذاً سوف تجعلك كلّ دقيقة تمرّ أكثر وأكثر فرحاً. إنّ البيت يقترب أكثر.

بيد أنك يُمكن أن تكون بائساً جداً إذا اتّخذت موقف: «إلى متى يجب أن أنتظر؟ كم يبعد هذا الهدف؟ لماذا عليّ أن أنتظر طويلاً؟ لماذا وصل الآخرون قبلي؟»، وبعدها تخلق لنفسك آلاف المشاكل وتُصبح بائساً. تذكّر أنّ القانون يقول إنّه كلّما كنتَ بائساً أثناء الانتظار أكثر، كان الانتظار أطول، لأنّ الإله لا يُمكن أن يحدث في التفكير البائس. كلّما كان الانتظار سعيداً، اقتربتَ أكثر. إذا أمكن لانتظارك أن يكون فرحك التامّ، فسيأتي إليك الإله في تلك اللحظة بالذات، ولن تكون هناك حاجة إلى فجوة زمنية. إنّ الأمر يرجع إلى مدى صبرك.

بيد أني عندما أقول صبر، فأنا لا أعني الصبر بالصورة السلبية، بل أقصد الصبر مع الفرح، والترقب، واليقين إنّه سوف يحدث! متى يحدث ليست هي النقطة، إنّه سوف يحدث.

يرجع الأمر كلّه إلى كيف تُفسّره. إن عملية التفسير هي عملية لا بُدّ من فهمها بعمق. تستطيع أن ترى شجيرة ورد ثمّ تبدأ في عدّ الأشواك. إذا قمتَ بعدّ الأشواك، فهناك الملايين منها، وخلال عملية العدّ هذه لن تتمكّن من رؤية الورود. عندما تعدُّ الأشواك، تُؤذيك الأشواك، وتُصبح يداك مليئتين بالدماء. سوف تكون غاضباً، مُحبطاً، يائساً، ولن تكون عيناك قادرتين على رؤية الورود. كيف تستطيع أن ترى الوردة بين كلّ تلك الأشواك؟ سوف تطفو الأشواك أمام عينيك، وتكون عيناك مُغطاتين بالأشواك، ولن تستطيع رؤية الوردة. حتى لو حصلت على لمحات من الوردة فلن تكون قادراً على أن تثق في ذلك. كيف يُمكن للوردة أن تحدث؟ أنت تعرف الأشواك فقط، وتعلم عن ألم الأشواك فقط. إنّ الوردة تبدو من المُستحيلات.

رُبّما هي حلم، رُبّما تتخيّلها، رُبّما هي هلوسة أو شيء ما. بيد أنه حسب طبيعة الأشياء لا يُمكن

أن تحدث، لأنها عكس تجربة الأشواك تماماً. من أجل ذلك، تُصبح مُستحيلة، ومع مرور الوقت سوف تُصبح غافلاً عن الوردة. وعندها لن تكون موجودة بالنسبة إليك.

بيد أنك إذا نظرت إلى الوردة وشعرت بها، إذا أصبحتَ ورديّاً مع الوردة، وسمحتَ للعطر أن يتخلل إلى جوهرك العميق، وأحسستَ برطوبة الزهرة، وقطرات الندى عليها، وأشعة الشمس الراقصة، لو رأيت فرح الزهرة المُطلق، وجمالها الذي لا يُضاهى، فستبدأ في تلك الرؤية للوردة الأشواكُ في الانحسار. قد تكون الأشواك على الشجيرة، ولكنها ليست مرئية بالنسبة إليك. إنّها لا يُمكن أن تكون موجودة بالنسبة إليك، إنّ عينيك ممتلئة بالوردة، وحينما تكون عينيك ممتلئة فعلاً بالوردة، وليس فقط عينيك بل قلبك أيضاً، عندها ستتفاجأ باكتشاف أنّ الأشواك لا تهمّ. حتى لو كان هناك عشرة آلاف شوكة مع وردة واحدة، فإنّ الوردة هي المهمة وليس الأشواك التي معها. لقد تغيّرت نظرتك بالكامل، وسوف ترى الأشواك من منظور جديد. سوف ترى الأشواك ليس على أنّها أعداء للوردة، ولكن على أنّهم حراس لها. إنّهم يحمونها، إنّهم أصدقاء يقومون بحمايتها، وإلّا فلن يكون من المُمكن للوردة أن تنجو. إنّ هذه الأشواك ضرورة.

بمُجرّد أن تبدأ في رؤية جمال الحياة، يبدأ القبح في الاختفاء، ويتحوّل إلى الظلّ على الأغلب. إذا بدأت في النظر إلى الحياة بفرح، يبدأ الحزن في الاختفاء. لا يُمكن أن تمتلك الجنة والنار معاً، تستطيع فقط أن تمتلك إحداهما وحسب. إنّه اختيارك. تستطيع أن تمتلكها في أيّ لحظة. إذا أردتَ الجحيم، تستطيع أن تحصل عليه الآن. إذا أردتَ الجنّة، تستطيع أن تحصل على ذلك أيضاً. إنّها مسؤوليتك بكلّ تأكيد، إنّه اختيارك. يعتمد الأمر على كيف تُفسّر الأمور.

أودُّ أن أُخبرك بضع نوادر...

وصلت ثلاثين راهبة إلى مكان تطهير النفوس. قال الملاك المسؤول: «الآن أيتها الفتيات، أُريد كلّ واحدة منكنّ تورطت جنسياً في أيّ وقت مضى في أيّ نوع من أنواع العلاقات على وجه الأرض أن تقف، تذكّرنّ لا داعي إلى الكذب، فلديّ طرقي كي أتحقق منكنّ».

على استحياء وقفت تسع وعشرين راهبة، وبقيت رقم ثلاثين جالسة.

أومأ الملاك، ثمّ قام بإجراء مكالمة هاتفية مع الشيطان، وقال: «أيها الشيطان لقد أرسلتُ إليك إلى الأسفل ثلاثين راهبة، وأنصحك بالاهتمام بإحداهنّ بالذات. إنّها صماء كالحجر!». الآن إنّه تفسيرك أنت. إنّ ذلك يُظهر تفكير الملاك أكثر من أيّ شيء عن تلك المرأة التي بقيت صامتة ولم تقف.

مشهد آخر...

على البوابات اللؤلؤية. يُجري «القدّيس بطرس» مُقابلة مع وافد جديد، ويسأله: الاسم؟

الوافد الجديد: «ميلفن»: «ميلفن»،

القدّيس «بطرس»: هل عمرك قامرتَ، شربتَ الخمر، أو دخّنتَ حينما كنتَ على الأرض؟»،

«ميلفن»: «كلا».

القدّيس «بطرس»: هل عمرك سرقتَ، كذبتَ، خنتَ، أو شتمتَ؟».

«ميلفن»: «كلا».

«القدّيس بطرس»: «هل كنت مُنحلاً؟»،

«ميلفن»: «كلا».

القدّيس «بطرس»: «أخبرني ما الذي أخّرك هناك كلّ ذلك الوقت؟».

هذا يُوضّح تفكير القدّيس «بطرس»، ولا يُعطي شيئاً عن «ميلفن».

الطرفة الثالثة....

يُجهش «غوتيلب» في البكاء قائلاً: «أيها الحاخام «جيكوب» «أحتاج إلى خمسين دولاراً من أجل سداد دين، إنني أُواظب على الصلاة للإله كي يُساعدني، بيد أنه لم يُرسلهم بعد!».

قال «جايكوب»: «لا تفقد إيمانك، اِستمر في الصلاة».

بعد مُغادرة «جوتيلب» إلى منزله، شعر «الحاخام» بالأسف نحوه، وقال مُفكّراً « إنني لا أكسب الكثير من المال، بيد أنّ هذا الرجل المسكين يحتاج إليه. سوف أُعطيه خمسة وعشرون دولاراً من جيبي الخاص».

بعد أسبوع، اِستوقف «الحاخام» «غوتيلب» وقال له: «إليك النقود لقد أرسلهم الإله إليكَ»،

في أثناء عودته إلى منزله، أحنى «غوتيلب» رأسه وقال: «أشكرك إلهي! ولكن في المرة القادمة التي تُرسل إليّ فيها المال، لا تُرسله عن طريق «الحاخام جايكوب»، فقد اقتطع ذلك المحتال نصفه!».

إنّ الأمر كله يعود إليك، ويعتمد على كيفية نظرك إلى الأمور. تستطيع أن تنظر إلى كلّ يوم على أنه مُحاط بليلتين، أو إلى كلّ ليلة على أنها مُحاطة بنهارين. فهذا يُحدث فارقاً كبيراً. دع انتظارك يكون فرحاً كبيراً، فأنت تنتظر الإله. اِجعله مليئاً بالدعاء، اِجعله احتفالاً. وحده الاحتفال الشيء المُقدّس.

في ذلك اليوم كنت أقرأ جملة لفيلسوف ألماني «مارتن هيدجير» يقول: «إنني لم ألتقِ بأيّ شيء في الحياة يُمكن أن يُطلق عليه لفظ مُقدّس»، لا بُدّ أنّ هذا الرجل قد عاش حياة فقيرة جداً، حياة فقيرة للغاية، إنّه لم يستطع أن يُسمّي، ولم يستطع أن يشهد، ولم يستطع أن يكون شاهداً ولا حتى على شيء واحد يستطيع أن يُطلق عليه أنّه مُقدّس. لا بُدّ أنّ حياته كانت احباطاً تامّاً. إنّه لم يعرف أيّ أغنية، ولم يعرف أيّ فرح، ولم يُشاهد الابتسامة على وجه طفل، إنّه لم يرَ الدموع. إنّه لم يسمع طيوراً تُغنّي، إنّه لم يرَ الورود واللوتس وهم يزهرون، ولم يُشاهد النجوم. لقد فقد كلّ شيء.

إنّ الحياة بكاملها مُقدّسة.

حدث ذات مرة أن سأل «بوذا» أحد طلابه: «هل تستطيع أن تجد أيّ شيء ليس له قيمة في

الحياة؟ إذا استطعتَ، أحضره», فكّر الطالب عدة أيام بينما كان «بوذا» يتساءل كلّ يوم: «ماذا يحدث؟ ألم تجد أيّ شيء ليس له قيمة حتى الآن؟»، بعد قرابة الشهر أو الشهرين جاء الطالب إلى «بوذا» قائلاً: «أنا آسف . لقد بحثتُ حولي بغاية الجدية. لم أستطع النوم لأنك وجّهت سؤالاً، وكان يجب عليّ أن أجد الاجابة. بيد أني لم أستطع إيجاد أيّ شيء ليس له قيمة».

عندها قال «بوذا»: «الآن إليك مُهمّة أُخرى. اِبحث عن أيّ شيء ذي قيمة. كم يوماً سوف تحتاج كي تُنجزها؟ لقد استغرقت أشهراً في المهمة الأولى»، ضحك الطالب. وقال: «ليس هناك حاجة إلى أيّ وقت»، وأخذ مُجرّد قشة من على الأرض و أعطاها إلى «بوذا»، وقال: «هذا برهان كاف. هذا شيء قيّم».

بارك «بوذا» طالبه قائلاً: «هكذا ينبغي على الإنسان أن ينظر إلى الحياة. هذا هو الموقف الصحيح، الرؤية المُقدسة «سامياك دروشتي»، الرؤية الصحيحة». قال «بوذا»: «إنني سعيدٌ بك، لقد استغرقتَ شهوراً ولم تجد أيّ شيء ليس له قيمة. لم تستطع إيجاد مثل واحد عن شيء ليس له معنى. أمّا الآن فلم تستغرق ولا حتى ثانية واحدة كي تجد شيئاً ذا معنى، وذا قيمة. نعم، هكذا هو الأمر. إنّ الحياة بأكملها مُقدّسة».

لقد عاش «بوذا» حياة غنية روحياً. بينما لا شكّ أنّ «هيدجير» قد عاش في بؤس.

كيف يُمكن أن تقول إنّ الحياة ليس فيها أيّ شيء مُقدّس؟ إنّ كلّ لحظة فيها مُقدّسة، بيد أنك تحتاج إلى العيون التي ترى هذه القُدسية. إنّ الإله ليس مُختفياً من الوجود، بل رؤيتك فقط هي التي لم تتناغم معه بعد.

أنت تسأل: « إنّها رحلة طويلة جداً، جداً بين الإعداد والنهاية», إنّ طول الرحلة يعتمد عليك. يُمكن أن تكون طويلة جداً، وقد لا تكون طويلة للغاية، ورُبّما تكون قصيرة جداً. إنّ الهدف يعتمد عليك، فطول الرحلة ليس ظاهرة مُحددة، ولا يُمكن قياسه. إنّها تصبح طويلة إذا نظرتَ إليها من خلال البؤس، الكرب، القلق، العداوة. إذا كانت عيناك ممتلئة بالحزن، فستخلق مسافة طويلة، بينما لو كانت عيناك مُمتلئة بالفرح، فستكون هنا، الآن، هذا.

السؤال السادس:

«أوشو»، أنت مجنون للغاية!!! كيف هو إحساس أن تكون مجنوناً تماماً؟».

شعور غير عادي!!!

السؤال الأخير:

«مُعلّمي الحُبّيب، هل حدث؟ هل حدث أخيراً؟ هل هذا أنت داخل قلبي، هل أنت معي الآن في مُنتهى الوضوح والاستمرار؟».

أجل، «ديفيا». لقد حدث. لكن لا تتمسكي به، وإلا يُمكن أن يختفي مرة أُخرى. دعيه يكون هناك، لكن لا تكوني طمّاعة، وإلا فمن خلال الطمع يُمكن أن تسحقيه. دعيه يكون هناك ولكن لا تأخذيه كأمر

مسلّم به. في اللحظة التي تأخذينه كأمر مضمون، يختفي. إنّه هناك، لقد حدث.

إنّه سوف يحدث مع الجميع كما حدث معكِ، ولكن تذكّروا، إنّه ضعيف للغاية، رقيق للغاية. لا تستطيع الاحتفاظ به في قبضتك. في اللحظة التي تُغلقها، أنت تقتله. إذا بقيت مُنفتحاً، فسيكون هناك. لا تنتظر أن يتواجد وسيتواجد. إذا بقيتَ مُتوقعاً، فأنت بذلك تخلق عائقاً.

أجل لقد حدث، لكن الآن يجب عليكِ أن تكوني أكثر انتباهاً كيلا تُدمّريه. إنّه ليس شيئاً صعباً، عندما لم يكن يحدث أيّ شيء، لم يكن شيئاً صعباً، ولم يكن العمل صعباً جداً. يبدأ العمل الحقيقي عندما يبدأ في الحدوث، لأنّه حينها يجب عليكِ أن تكوني حذرة جداً، وواعية للغاية. إنّ لحظة واحدة من اللاوعي يُمكن أن تجعلك تُدمرينه.

***

الفصل الخامس

طبقة فوق طبقة

31 أغسطس 1977 صباحاً في قاعة «بوذا».

قال المُعلّم الصوفي «أجنبي»: «إكتب إلى «الملا فيروز» وأخبره أنني ليس لديّ الوقت من أجل الدخول معه في مُراسلات مُتبادلة، ومن ثمّ ليس هناك ما يُقال رداً على رسالته».

قال المُريد «أميني»: «أتنوي مُضايقته بهذه الرسالة؟»،

قال «أجنبي»: «لقد انزعج من بعض مُكاتباتي. وهذا الانزعاج جعله يكتب إليّ. إنّ هدفي من كتابة تلك الرسالة التي أزعجته كان مُضايقة أمثاله»،

قال «أميني»: «هذه الرسالة سوف تُزعجه أكثر؟»،

قال «أجنبي»: «أجل، حينما كان ساخطاً ممّا كتبته، لم ينتبه إلى غضبه، والذي كان هو نيّتي. لقد ظن أنّه يُراقبني أنا، في حين أنّه كان يشعر بالغضب فحسب. أنا أكتب الآن مُجدداً، كي أزيد من غضبه حتى يرى أنّه غاضب. إنّ الهدف هو أن يُدرك الرجل أنّ عملي هو أن أكون المرآة التي يستطيع أن يرى فيها نفسه».

قال «أميني»: «إنّ الأشخاص في العالم العادي دائماً ما ينظرون إلى هؤلاء الذين يُسببون الغضب على أنّهم سيئوا النوايا».

قال «أجنبي»: «إنّ الطفل قد يرى الكبير الذي يُحاول إزالة شوكة من يده على أنّه سيء النيّة. هل هذا مُبرر كي نُحاول أن نمنع الطفل من النمو؟».

قال «أميني»: «وإذا أضمر الطفل ضغينة ضدّ الكبير الذي أزال الشوكة؟».

قال «أجنبي»: «إنّ الطفل لا يُضمر حقاً ذلك الحقد، لأنّ هناك شيئاً في داخله يعرف الحقيقة».

سأله «أميني»: «بيد أنه ماذا يحدث إذا لم يتسنّ له أن يعرف نفسه على الإطلاق، وبقي مع ذلك مُتخيّلاً أنّ الآخرين تدفعهم المشاعر الشخصية؟».

قال «أجنبي»: «إذا لم يتسنَّ له إطلاقاً أن يعرف نفسه، فلن يكون هناك فارق في كيف يُفكّر في الأشخاص الآخرين، لأنّه لا يستطيع أن يكون لديه أيّ تقدير لما عليه الآخرون حقاً».

سأل «أميني»، «أليس من المُمكن، بدلاً من إثارة الغضب من جديد، أن تشرح له أنّ المكاتبة الأصلية كانت مُؤلفة لذلك الغرض، وتدعو «الملا» كي يُراجع شعوره السابق؟»،

قال «أجبني»: «من المُمكن فعل ذلك، ولكنّه سيكون بلا تأثير. بالعكس سوف يكون له تأثير سلبي. إذا أخبرتَ الرجل بأسبابك، فسوف يتخيّل أنك تُبرر لنفسك، وسوف يُثير ذلك في نفسه مشاعر قد تكون مؤذية فقط بالنسبة إليه. هكذا، أنت بالفعل من خلال الشرح تعمل لمصلحته».

قال «أميني»: «أليس هناك استثناءات لهذه القاعدة، أن يكون على الإنسان أن يتعلّم من خلال إدراك حالته الشخصية، وأنّه لا يُمكن أن نشرح له حالته؟».

قال «أجنبي»: «هناك استثناءات. ولكن إذا كان هناك استثناء كافٍ من أجل صنع أيّ فارق في العالم، لما بقي لدينا الآن أمثال «الملا فيروز».

إنّ طبيعة الإنسان بسيطة للغاية، بيد أنّ شخصيته ليست كذلك. إنّ الشخصية مُعقدة للغاية. إنّ الشخصية مثل البصلة، هناك العديد من الطبقات، طبقات من التكيّف، التعفن، التسمم. إنّ كيان الإنسان البسيط، مُختبئ خلف العديد من الطبقات، والتي يُطلق عليها الصوفيون «مُرشّحات». بيد أنّ هذا الكائن البسيط موجود خلف الكثير من المُرشّحات بحيث لا تستطيع أن تراه. بل إنك عند التخفي خلف كلّ هذه الطبقات، لا تستطيع أن ترى العالم أيضاً، لأنّه أيّ كان ما يصل إليك فهو يُتلف من خلال المرشحات قبل أن يصل إليك. لا يصل إليك أيّ شيء إطلاقاً كما هو، إنك تفقده باستمرار، فهناك الكثير من التفسيرات بينك وبينه.

عندما ترى شيئاً. في البداية تُكذّبه عيناك وحواسك. ثمّ بعد ذلك تُكذّبه مفاهيمك، دينك، مجتمعك، كنيستك، جميعهم يكذبوه. ثمّ تُكذبه مشاعرك، وهكذا يستمرُّ الأمر. وفي الوقت الذي يصل إليك، لن يعود حاملاً تقريباً لأيّ شيء من أصله، أو يحمل القليل جداً والذي لا يُحدث أيّ فارق. أنت ترى شيئاً فقط إذا سمحَت به مُرشحاتك، وتلك المرشحات لا تسمح بالكثير.

يتفق العلماء مع الصوفيين. يقول العلماء إننا نرى اثنين في المئة فقط من الحقيقة. فقط اثنين في المئة! وهناك ثمانية وتسعون في المئة ضائعة. عندما تستمع إلي فأنت تسمع فقط إلى اثنين في المئة ممّا أخبرته وممّا قد قيل. سوف يضيع ثمانية وتسعون في المئة. وعندما يضيع هذا القدر تكون اثنان في المئة خارج السياق. يبدو الأمر كأنك أخذتَ صفحتين من رواية بعشوائية، واحدة من هنا، واحدة من هناك، وبعدها تبدأ في إعادة بناء الرواية كاملة من هاتين الصفحتين. هناك ثمانية وتسعون صفحة مفقودين، وليس لديك أيّ فكرة عمّا كانوا، أنت حتى لا تعلم أنهم كانوا موجودين. أنت لديك فقط الصفحتين وتُعيد بناء الرواية بأكملها مُجدداً. إنّ إعادة البناء هذه من اختراعك. إنّها ليست اكتشافاً للحقيقة، إنّها خيالك.

سوف يكون هناك ضرورة داخلية كي تسدّ الفجوات. في أيّ وقت ترى شيئين غير مرتبطين، يكون لدى التفكير ضرورة داخلية كي يربط بينهما. وإلا تسبب ذلك في شعور كبير بالارتباك. من أجل ذلك تخترع وصلة، أنت تُصلح هذه الأشياء غير المربوطة بإحكام عن طريق وصلة، أنت تربط بينهم

بجسر. وتستمرّ في اختراع عالم ليس موجوداً حتى.

هكذا، قبل أن نستطيع أن ندخل إلى هذا الحوار الصغير، والقيم للغاية بين المُعلّم والمُريد، عليك أن تفهم هذه الطبقات الثلاث، المرشحات الثلاثة.

لقد اعتاد «غوردجييف» أن يُسمّي هذه المُرشِحات «حواجزاً». إنّها تحجبك عن الواقع، وتحمي أكاذيبك، أحلامك، إسقاطاتك. إنّها لا تسمح أن يكون لك اتصال مع الواقع، لأنّ ذلك الاتصال مع الواقع سوف يكون مُرهقاً، صادماً، فالإنسان يعيش من خلال الأكاذيب.

لقد اشتُهر أنّ «فريدريك نيتشه» قال: «رجاء لا تأخذوا الأكاذيب بعيداً عن البشرية، وإلا فلن يستطيع الإنسان أن يعيش، فهو يعيش على الأكاذيب، لا تأخذوا الخيال بعيداً، لا تُدمّروا الأساطير. لا تقولوا الحقيقة، لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يعيش على الحقيقة». إنه مُحقّ فيما يتعلّق بتسعة وتسعين فاصلة تسعة من الناس. بيد أنه أيّ نوع من الحياة يُمكن أن يكون من خلال الأكاذيب؟ إنّها سوف تكن كذبة كبيرة في حدّ ذاتها. أيّ نوع من السعادة مُمكن من خلال الأكاذيب؟ ليس هناك إمكانية لذلك، ومن هنا تعيش الإنسانية في بؤس. مع الحقيقة هناك نعيم، أمّا مع الأكاذيب فهناك البؤس فقط ولا شيء غيره.

بيد أننا نستمرُّ في حماية تلك الأكاذيب، فهي مُريحة، مع أنّها تستمرُّ في حجبك عن النعيم، وعن الحقيقة، وعن الإله.

يقول الصوفيون إنّ الإنسان يُشبه البصلة تماماً، وإنّ الدين هو فنّ كيف تُقشّر البصلة وتصل إلى جوهرها العميق. ما هو جوهر البصلة الأعمق؟ هل سبق أن قشّرتَ بصلة؟ أنت تقوم بتقشير إحدى الطبقات، ثمّ طبقة ثانية، ثمّ طبقة أُخرى، وهكذا يستمرُّ الحال. ثمّ تأتي اللحظة حيث تقوم بإزالة آخر طبقة ويتبقّى الفراغ بين يديك. هذا هو الفناء. إذا واصلتَ تقشير كيانك، فإنّ الطبقة الأخيرة من كينونتك سوف تكون البقاء، وفيما بعدها سيكون الفراغ «الفناء».

إذاً، تستطيع أن تُفكّر بهذه الطريقة: في العمق الداخلي هناك فراغ، سماء صافية، اللاشيء، «الفناء». الطبقة الأولى حول «الفناء» هي «البقاء»، الفردية، ما تُسمّيه الأديان النفس، الجوهر «أتمان»، الروح. بيد أنّ الروح بالفعل على بُعد خطوة من كينونتك. والنفس بعيدة بالفعل عن كينونتك. إنّ «بوذا» لديه الكلمة الصحيحة التي تُعبّر عنها. إنّه يُطلق عليها اللانفس «أناتا». إنّ كيانك العميق هو اللاكيان. ليس هناك شيء. أو إنّه الفراغ فقط. الطبقة الأولى، السياج الأول الذي يُحيط به، هو «البقاء»، الفردية.

هذا هو كيانك البسيط والحقيقي: اللاكيان مُحاط بالكيان، معرّف بالكيان.

إنّ القلب الحقيقي فارغ، ولكنّ هذا الفراغ لا بُدّ أن يُعرّفه شيء ما، وإلا فلن يكون هناك فارق بينك وبين أيّ شيء آخر. هكذا، فإنّ طبقة رقيقة، رقيقة للغاية من الكينونة تُميّزك. بيد أنّ هذا الكيان أيضاً هو مُجرّد مُحيط وليس المركز. في المركز يُوجد «الفناء»، الذوبان، الاختفاء. حتى عند نقطة البقاء، الفردية، لا تُقابل الإله، فأنت لا تزال هناك، وما يزال القليل جداً منك مُتبقياً، وما يزال هناك خط رفيع، وهو يجب أن يختفي أيضاً في «الفناء». بعدها تصل إلى الإله.

اِبدأ من الناحية الأُخرى. اِبدأ في تقشير البصلة.

إن الطبقة الأولى مصنوعة من حواس جسدية فاسدة. لا تُفكّر ولو لحظة أنّ حواسك الجسدية كما ينبغي لها أن تكون، إنها ليست كذلك. لقد دُربَت هذه الحواس كي ترى الأشياء، إذا سمح لك المجتمع أن تراها. أنت تسمع الأشياء إذا سمح لك المجتمع أن تسمعها، وتلمس الأشياء إذا سمح لك المجتمع أن تلمسها.

لقد فقد الإنسان العديد من حواسه، على سبيل المثال، حاسة الشمّ. لقد فقد الإنسان حاسة الشم تقريباً. فقط اِنظر إلى كلب وإلى قدرته على الشمّ، وكم هو حسّاس أنفه! يبدو الإنسان فقيراً للغاية. ما الذي حدث لأنف الإنسان؟ لماذا لا يستطيع أن يشمّ بعمق مثل الكلب أو مثل الحصان؟ إنّ الحصان يستطيع أن يشمّ على بعد أميال. كذلك يمتلك الكلب ذاكرة هائلة للروائح، بينما الإنسان ليس لديه ذاكرة، بل يبدو أنّ هناك شيئاً يسدُّ الأنف.

إنّ أولئك الذين يعملون بعمق على هذه الطبقات يقولون أنّه بسبب كبت الجنس فقد فُقدت حاسة الشمّ. إنّ الإنسان جسدياً حسّاس بقدر أيّ حيوان آخر، بيد أنّ أنفه نفسياً قد أُتلف. إنّ حاسة الشمّ احدى أكثر الأبواب الجنسية إلى جسدك، إذ أنّه من خلال الرائحة تبدأ الحيوانات في الشعور هل الذكر في تناغم مع الأنثى أم لا. إنّ الرائحة هي لمحة رقيقة. حينما تكون الأنثى مُستعدة من أجل منح الحُبّ إلى الذكر، تُصدر نوعاً مُعيناً من الرائحة. فقط من خلال تلك الرائحة يفهم الذكر أنّه مقبول لديها. إذا لم تُفرز تلك الرائحة من النظام الجنسي الأنثوي، يتحرّك الذكر مُبتعداً، فهو غير مقبول.

لقد دمّر الإنسان حاسة الشم لأنّه سوف يكون من الصعب خلق ما يُسمّى المجتمع المُتحضّر إذا بقيت حاسّة الشمّ على طبيعتها. أنت تسير في الطريق وتبدأ امرأة في إصدار رائحة وتُعطيك إشارة بالقبول. إنّها زوجة شخص آخر، بل قد يكون زوجها يسير معها. هناك إشارة أنك مقبول. ماذا ستفعل؟ سوف يكون موقفاً غريباً، ومُحرجاً.

تسير زوجتك معك وليس هناك رائحة من جسدها، وفجأة يمرُّ رجل في الجوار فتُصدر هي إشارة. هذه الإشارات غير واعية للغاية، وأنت لا تستطيع أن تتحكّم بها، عندها فجأة تُدرك أنّها مُهتمّة بالرجل الآخر، وأنّها تُرحّب به. هذا سوف يخلق مشكلة، ومن أجل ذلك، على مرّ العصور دمّر الإنسان حاسة الشمّ تماماً.

إنّها ليست مُصادفة أنّه في البلدان المُتحضّرة يضيع الكثير من الوقت في إزالة كافة أنواع الروائح من الجسد. إنّ رائحة الجسد لا بُدّ أن يقضى عليها تماماً بواسطة مُزيل الرائحة، الصابون المزيل للرائحة. لا بُدّ أن تُغطّى بطبقات من العطر القوي. هذه كلّها مظاهر كاذبة؛ إنّها طرق من أجل تجنّب الحقيقة التي ما زالت موجودة.

حينما تمارسون الحُبّ، يُفرز كلّ من الرجل والمرأة نوعاً مُعيناً من الرائحة. هذه الرائحة لا بُدّ من تدميرها لأنّه لو كان الرجل يُمارس الحُبّ مع المرأة، وهي ليست مُستمتعة بذلك فلن تُفرز الرائحة. وسوف يشعر الرجل بالإهانة والجرح، ويشعر على الفور أنّ المرأة لا تشعر بأيّ إثارة، ويشعر الكبرياء الذكوري بإهانة كبيرة. لا بُدّ من القضاء على الرائحة تماماً، حتى لا يعرف الرجل إطلاقاً أنّ المرأة تدّعي أنها تشعر بالإثارة، فقط عن طريق الإيماءات الفارغة، تخدعه وتُرضي أناه، ويشعر هو بالإشباع، لأنّ المرأة تبدو مُشبعة. بيد أنه بمُجرّد أن يتمّ تدمير الرائحة، فلن تكون هناك طريقة من أجل معرفة هل هي فعلاً مُشبعة أم لا.

إنّ الرائحة مُثيرة جداً، ومن أجل هذا السبب دمّرنا الأنف بصورة تامّة. إنك تستطيع أن ترى الفارق حتى في اللغة. أن ترى هذا شيء، وأن تسمع شيء، ولكن أن تشمّ هو شيء معاكس تماماً. أن ترى يعني القدرة على الرؤية، ولكن أن تشمّ لا يعني القدرة على الشمّ. إنها تعني أنك ذو رائحة. لقد دخل الكبت حتى إلى اللغة، وحدث الشيء نفسه مع باقي الحواس.

أنت لا تنظر إلى الناس وعينك في أعينهم، وإذا نظرت إليهم، يكون ذلك فقط عدة ثوان. أنت لا ترى الناس فعلاً، بل تستمرّ في تجنّبهم. إذا نظرتَ، يُعتقد أنّ ذلك شيء هجومي. فقط تذكّر، هل أنت ترى الناس حقيقة؟ أم تستمرّ في تجنّب أعينهم؟ لأنّه لو أنّك لا تتجنّبهم، عندئذ رُبّما تكون قادراً على أن ترى بعض الأشياء التي لا ينوي الشخص أن يظهرها. إنّه ليس من حسن الخلق أن ترى شيئاً لا ينوى الشخص أن يُظهره، لذا فمن الأفضل أن تتجنّب. إننا نستمع إلى الكلمات، لكننا لا نرى الوجه، لأنّه في كثير من الأحيان تكون الكلمات وتعابير الوجه مُتناقضة. يقول الإنسان شيئاً بينما يُظهر شيئاً آخر. لقد فقدنا تماماً بالتدريج احساس رؤية الوجه، والعينين، والإيماءات. إننا فقط نستمع إلى الكلمات. راقِب فقط ذلك وسوف تتفاجأ كيف يستمرّ الناس في قول شيء بينما يُظهرون شيئاً آخر، ولا يكتشف ذلك أحد لأنّه قد تمّ تدريبك كي لا تنظر مُباشرة إلى الوجه، وحتى لو نظرتَ، فإنّ النظرة ليست بذلك الوعي، وذاك الانتباه. إنّها فارغة، إنّها تقريباً وكأنك لا تنظر.

نحن نستمع إلى الأصوات بالاختيار، ولا نسمع كلّ أنواع الأصوات، بل نختار منها. أيّ كان مُفيداً، فنحن نسمعه. وعلى حسب اختلاف المُجتمعات واختلاف البلدان، تختلف الأشياء القيّمة. إنّ الإنسان الذي يعيش في عالم بدائي في الغابة، أو في الأدغال، له نظرة مُختلفة عن الأصوات. يجب عليه أن يكون مُنتبهاً وواعياً باستمرار لأصوات الحيوانات. إنّ حياته في خطر. بينما أنت لا تحتاج أن تكون مُنتبهاً، فأنت تعيش في مجتمع مُتحضر حيث لم تعُد هناك حيوانات، ولم يعُد هناك خوف. إنّ بقاءك على قيد الحياة ليس على المحكّ. من أجل ذلك، لا تعمل أذناك بكفاءة لأنه ليس هناك حاجة إلى ذلك.

هل سبق أن رأيتَ غزالاً أو أرنباً برياً؟ إلى أيّ مدى هم مُنتبهون، وحساسون. حتى إنّ مُجرّد صوت ضئيل، ورقة شجر جافة تتحرّك بفعل الرياح، تجعل الغزال ينتبه، بينما لن تُلاحظ أنت الأمر على الإطلاق. هناك موسيقى رائعة تُحيط بالحياة، هناك موسيقى رقيقة تُحيط بالحياة، بيد أننا غير مُدركين لها اطلاقاً. هناك تناغم رائع، ولكن كي تشعر به أنت في حاجة إلى أذنين أكثر انتباهاً، وإلى عينين أكثر انتباهاً، وإلى لمسة أكثر انتباهاً.

هكذا، فإنّ الطبقة الأولى هي من الحواس الجسدية المُحرّفة. نحن نرى فقط ما نُريد أن نراه. إنّ آلية جسدنا بالكامل مُسممة. لقد تحوّلت أجسادنا جامدة. إننا نعيش في نوع من التجمّد، إننا باردون، مُنغلقون، غير مُتاحين. نحن خائفون جداً من الحياة إلى درجة أننا قتلنا كلّ أنواع الاحتمالات التي يُمكن للحياة أن تتصل بنا من خلالها.

إن الناس لا يلمسون بعضهم، لا يُمسكون بأيدي بعضهم، لا يضمّون بعضهم البعض. إنك حينما تُمسك بيد شخص آخر، تشعر بالإحراج، وهو كذلك يشعر بالإحراج. حتى لو قمتَ بضمّ شخص ما، تشعر وكأنّ هناك شيئاً خاطئاً يحدث، فتُسرع في الابتعاد عن جسد ذلك الآخر، لأنّ جسد الآخر يُمكن أن يجعلك مفتوحاً. إنّ دفء الجسد الآخر يُمكن أن يجعلك مفتوحاً. حتى الأطفال ليس مسموحاً لهم أن يضمّوا آباءهم، فهناك خوف كبير.

إن كلّ ذلك الخوف في الأساس، وفي العمق، ترجع جذوره إلى الخوف من الجنس. هناك تحريم ضدّ الجنس. لا تستطيع الأمّ أن تضمّ ابنها لأنّ الابن قد يشعر بالرغبة الجنسية، هذا هو الخوف. لا يستطيع الأبّ أن يضمّ ابنته، لأنّه يخاف أنّه قد يشعر بالرغبة الجسدية. إنّ الدفء لديه طرقه الخاصة التي يعمل بها. ليس هناك شيء خاطئ في أن تشعر بالرغبة الجسدية أو الرغبة الجنسية. إنّها ببساطة إشارة على أنّ الإنسان على قيد الحياة، وأنّ ذلك الشخص حيّ بقوة، بيد أنّ الخوف، تحريم الجنس، يقولان اِبتعد، اِحتفظ بمسافة بيننا.

كان والد «سودا» على وشك الموت، لقد كان كبيراً جداً، وكان أحد المُريدين عندي. كانت «سودا» مُتحيّرة للغاية لأنه قبل موته كانت يداه تذهب مرة بعد مرة إلى عضوه التناسلي، وكانوا يسحبونهما بعيداً بالقوة. كانت ابنته مُتحيرة، وقلقة على نحو طبيعي. ماذا كان يحدث مع والدها؟ هل كان هناك بعض الكبت الجنسي؟ لماذا كانت يداه تذهبان إلى الأعضاء التناسلية مراراً وتكراراً، مع أنّه كان غير واعٍ تقريباً؟

هذا يحدث مع الكثير من الأشخاص بينما هم على فراش الموت. إنّ أحد الأسباب هو الكبت، وهو أحدها فقط. إنّهم يفقدون الوعي الاجتماعي، ويفقدون التكيّف. تختفي الطبقة الأولى من الحواس المُحرّفة، إنّ الموت يزحف إليهم، وهم يُصبحون أطفالاً صغار مرة أُخرى. يلعب الأطفال الصغار بأعضائهم التناسلية، إنّهم لم يُفسدوا بعد. إنّهم يستمتعون بأجسامهم، ويُحبّونها، ويمرحون بها، إنه شيء مرح. لم يعُد ذلك الرجل الآن كبيراً، بل أصبح صغيراً مرة أخرى. إنّ الموت يُزيل تلك الطبقة، وهذا أحد الأشياء. بينما الشيء الآخر هو أنّه حينما يموت الإنسان، تُصبح حواسّه للحظة كلّها حيّة بالكامل كما كانت يجب أن تكون قبل أن تُتلف. إنّ الأمر مثل اللهب قبل انطفاء المصباح، حيث يتوهج اللهب بكثافة للحظات. هذا بالضبط ما يحدث عند خروج الحياة. في مدة لحظة واحدة يكون آخر جهد للتشبث بالحياة، فيتوهّج الإنسان بالحساسية التامة.

هناك سبب آخر: حينما يموت الإنسان تكتمل الدائرة، ومن الطبيعي أنّ الموت قريب جداً من الميلاد، وأنّ الموت قريب جداً من الحياة، إنّه تصعيد وتعاظم الحياة ذاتها، إذ تخرج الحياة من طاقة الجنس، وتتحرك عائدة مرة أخرى إلى طاقة الجنس.

بيد أنّ جميع حواسنا تالفة، فليس مسموحاً لنا أن نكون طبيعيين، ومن ثمّ فقد الإنسان كرامته، وبراءته، سموه، وأناقته. هذه هي الطبقة الأولى. وبسبب كلّ تلك المكبوتات أصبح الجسد لا يشعر بالنشوة، ولم يعُد هناك فرح، إنّ ذلك يحدث مع كلّ من الرجل والمرأة، وبالطريقة نفسها تقريباً، بيد أنّ الرجل تعمّق في ذلك التلف أكثر من المرأة، لأنّ الرجل يميل إلى الكمال إلى حدّ العصبية، بمُجرّد أن تخطر له فكرة، يُحاول أن يصل إلى أقصى ما فيها. بينما المرأة عملية بصورة أكثر، وهي أقل نزوعاً إلى الكمال، أقلّ عصبية، أكثر دنيوية، أكثر اتزاناً، إنها أقل فكراً، أكثر حدساً. إنهنّ لم يصلنَ إلى النهاية القصوى. من الجيد أنّ المرأة لم تُصبح بمثل عصبية الرجل، ولهذا السبب ما زلنَ يحتفظنَ ببعض الكرامة، بعض السمو، بعض رشاقة الكيان، بعض الشِعر. بيد أنّ كلاهما قد أفسده المجتمع، فقد أصبح كلاهما قاسياً. نعم الرجال بصورة أكبر ، والنساء بصورة أقلّ قليلاً، بيد أنّ الفارق هو فقط في درجة القساوة.

بسبب هذه الطبقة، فإنّ كلّ شيء يدخل إليك، لا بُدّ وأن يمرّ أولاً على هذا المُرشّح الذي يُدمّر، يُفسّر ، يتلاعب، يُعطي لوناً جديداً من تلقاء نفسه، يُسقط، يخترع، فتُصبح الحقيقة مكسوة بطبقات كثيرة.

حينما تختفي هذه الطبقة، وهذا هو كلّ ما تقوم به «اليوغا»: أن تجعل جسدك حيّاً، حسّاساً، يافعاً مرة أُخرى، وتجعل حواسك تعمل بأقصى قدراتها. عندها تعمل أي حاسة دون مُحرّمات تُحيط بها، عندئذ يتدفّق الوضوح، السمو، الجمال. يظهر الدفء مرة أخرى، والتفتح، ويحدث النمو. ويُصبح الإنسان جديداً باستمرار، شاباً، ويكون دائماً افي مغامرة، ويُصبح الجسد في نشوة، ويُحيط الفرح بك.

من خلال الفرح يختفي الانحراف الأول. ومن هنا إصراري على أن تكون فرحاً، مُحتفلاً، وتستمع بالحياة، وتتقبّل الجسد، وليس فقط أن تتقبّله، بل تشعر بالامتنان تجاه «الإله»، لأنه منحك مثل هذا الجسد الجميل، الحسّاس، الذي يمتلك الكثير من الأبواب من أجل الاتصال بالواقع: العينين، الأذنين، الأنف، اللمس. اِفتح كلّ هذه النوافذ، واسمَح لنسيم الحياة أن يتدفّق إلى داخلك، دَع الشمس تُشرق في الداخل. تعلّم أن تكون أكثر حساسية. اِستغلّ كلّ فرصة كي تكون رقيق الشعور حتى يسقط هذا المرشِح الأول.

لو كنت تجلس على العشب، لا تقُم باقتلاعه وتدميره. لقد توقّفتُ عن الجلوس على المرج، مع أنني اعتدتُ على اجراء محاضرات على المرج، لأنّ الناس يقومون بتدمير العشب، وباقتلاعه. لقد كان عليّ أن أُوقف ذلك. إنّ الناس عنيفون للغاية، ويتسم عنفهم بانعدام الوعي، وهم لا يعرفون ماذا يفعلون. لقد تمّ إخبارهم مراراً وتكراراً، بيد أنّهم ينسون في ثوان. إنّهم مفعمون بالقلق إلى درجة أنّهم لا يُدركون ماذا يفعلون، وكأنّ العشب موجود من أجل قلقهم، ولذلك يبدأون في جذبه إلى الأعلى وتدميره.

عندما تجلس على العشب، أغمض عينيك، توحّد مع العشب، كُن الأعشاب، اِشعر كأنك عشباً، اِشعر بخضرة العشب، وطراوته، ومدى رقّة الرائحة التي تصدر باستمرار منه. اِشعر بقطرات الندى على العشب، كأنها عليك أنت. اِشعر بأشعة الشمس تتراقص على العشب. اِفقد نفسك لحظة داخله، وسوف يكون لديك شعور جديد في جسدك. قُم بفعل ذلك في جميع المواقف: في النهر، في حوض السباحة، مُستلقياً على الشاطئ في أشعة الشمس، حينما تنظر إلى القمر في المساء، مُستلقياً بعينين مُغلقتين على الرمال مستشعراً الرمل. هناك الملايين من الفرص كي تجعل جسدك حياً مرة أُخرى، ووحدك من يستطيع أن يفعل ذلك. لقد قام المجتمع بما عليه من الاتلاف والافساد، وسوف يكون عليك أن تعكس ذلك.

بمُجرّد أن تبدأ في السمع، الرؤية، اللمس، الشمّ، فأنت تشمّ الحقيقة.

إنّ الطبقة الثانية من التكيّف: مجتمعية، سياسية، دينية، ومرتبطة بالمفاهيم، ونظم المعتقدات، وهي تجعلك عديم التواصل. إذا كنت «هندوسياً» وأنا «مُحمديّ»، لن يكون هناك تواصل على الفور، إذا كنتَ رجلاً وأنا رجل، فلن يكون هناك تواصل، إذا كنت «شيوعياً»، وأنا «فاشيّ»، يتوقّف الاتصال. كلّ الأنظمة العقائدية تُدمّر التواصل، والحياة بأكملها ليست إلا تواصلاً: تواصل مع الأشجار، الأنهار، القمر، الناس، الحيوانات. إنّ الحياة اتصال، وتواصل.

يختفي الحوار عندما تكون مُثقلاً بنظم المُعتقدات. كيف يُمكن حقاً أن تكون في حوار! إنّك بالفعل ممتلئ بأفكارك الخاصة التي تعتقد أنّها صحيحة تماماً. حينما تستمع إلى الآخر، أنت فقط تتصرّف بلطف، وما عدا ذلك أنت لا تستمع. إنّك لا تعلم ما هو الصواب، بل تنتظر فقط إلى أن ينتهي ذلك الرجل ثمّ تنقضّ عليه. نعم، يُمكن أن يكون هناك مُناظرة، مُناقشة، مُجادلة، ولكن لا يُمكن أن يكون هناك حوار. ليس هناك إمكانية للحوار بين اثنين من المعتقدات، فهي تُدمّر الصداقة، تُدمّر الإنسانية، تُدمّر الاتصال.

من أجل ذلك، إذا أردت أن ترى وتسمع وتُنصت، سوف يكون عليك أن تتخلّى عن كلّ نظم المعتقدات. لا يُمكنك أن تكون تابعاً إلى أيّ ديانة، لا يُمكنك تحمّل كلّ هذا الهراء؛ عليك أن تكون عاقلاً بما يكفي كي تعيش بلا معتقدات.

عندما تكون محبوساً في نظامك الخاص فهذا يجعلك غير متاح، ويجعل الآخر غير متاحين بالنسبة إليك. إنّ الناس يتحركون وكأنهم منازل بلا نوافذ. نعم، تقتربون، وأحياناً تتصادمون مع بعضكم، ولكنكم لا تلتقون إطلاقاً. أجل تتلامسون أحياناً، لكنّكم لا تلتقون أبداً. تتكلّمون، لكّنكم لا تتواصلون إطلاقاً. كلّ إنسان مسجون في تكيّفه الخاص، ويحمل سجنه حول نفسه. لا بُدّ أن تتخلّى عنه.

تخلق المُعتقدات نوعاً من الجمود، وتُوقف الاستكشاف، إذ يُصبح الإنسان خائفاً. عندما تُواجه شيئاً ضدّ معتقداتك، ماذا يحدث؟ إنّه يُسبب اضطراباً لنظامك بأكمله، ومن أجل ذلك، من الأفضل ألّا تستكشف. وتبقى محبوساً في عالم مُحدد، مُمل، ميّت، ولا تتخطّاه أبداً. إنّه يُوفّر لك المعرفة من نوع «كما لو»، كما لو أنك تعرف. أنت لا تعرف أيّ شيء: إنّك لا تعرف أيّ شيء عن الإله، ولكن لديك اعتقاد مُحدد عن الإله. أنت لا تعرف أيّ شيء عن الحقيقة، ولكن لديك نظرية عن الحقيقة. هذا النوع من «كما لو» خطير جداً. إنّها نوع من حالات التنويم الإيحائي للتفكير.

لقد تمّ تكييف الرجال والنساء جميعهم، على الرغم من اختلاف الطرق. لقد تمّ تكييف الرجل كي يكون فظاً، مُنافساً، مُتلاعباً، نرجسياً. لقد تمّ إعداد الرجل من أجل نوع مُختلف من العمل: كي يكون مُستكشفاً، طاغية، ويكون السيّد. بينما تمّ إعطاء النساء نظم اعتقاد كي يكنّ العبيد. لقد تمّ تعليمهنّ كيف يخضعنَ، وتمّ اعطائهن عالماً صغيراً جداً، مثل أعمال المنزل. لقد أُخذت منهنّ حياتهنّ بالكامل. بيد أنه بمُجرّد أن يستقرّ نظام الاعتقاد دواخلهنّ، تتقبله المرأة و تبقى حبيسة داخله. كما يتقبل الرجل نظام الاعتقاد الخاص به ويبقى حبيساً داخله.

لقد تمّ تعليم الرجال ألا يبكوا، فالدموع ليست رجولية، وهكذا لا يبكي الرجال. أيّ نوع من الحماقة هذه؟ إنّ البكاء والنحيب أحياناً يكون له تأثير علاجي، إنّه مطلوب، ضروري، فهو يُخفف الهموم. يقوم الرجل بإثقال كاهله لأنّه لا يستطيع أن يبكي ولا يستطيع أن ينتحب، فالبكاء ليس رجولياً. بينما تمّ تعليم المرأة أن تبكي وتنتحب، فذلك أنثوي تماماً، من أجل ذلك، يبكينَ وينتحبنَ حتى لو لم تكن هناك حاجة إلى ذلك، إنّه مُجرّد نظام الاعتقاد. إنّهن يستخدمنَ البكاء كاستراتيجية للتلاعب، إذ تعلم المرأة أنها لن تفوز على زوجها من خلال الجدال، ولكنها تستطيع أن تبكي، وهذا يُؤدّي الغرض. هكذا أصبح البكاء هو حجتها.

لقد أُفسد الرجل من جهة، فهو لا يستطيع أن يبكي، بينما تمّ إفساد المرأة من جهة أُخرى، إذ تبدأ في البكاء وتستغلّه كاستراتيجية للسيطرة. لقد أصبح البكاء سياسة، وحينما تكون دموعك سياسية، تفقد جمالها، وتكون قبيحة.

إنّ هذا التكيّف الثاني هو أحد أصعب الأشياء حينما نودُّ التخلّص منه، فهو مُعقد للغاية. لديك مذهب سياسي مُعيّن، ولديك توجّه ديني مُعيّن، بالإضافة إلى آلاف الأشياء الأخرى المُختلطة في تفكيرك. لقد أصبحَت جزءاً منك على نحو كبير إلى درجة أنك لا تعتقد أنّها منفصلة عنك. حينما تقول « أنا هندوسي»، فأنت لا تقول إنّ لديّ إيمان يُدعى «الهندوسية»، كلا. أنت تقول أنا «هندوسي»، وهذا يعني أنه

تمّ تعريفك عن طريق «الهندوسية». إذا كانت «الهندوسية» في خطر، فأنت تعتقد أنّك في خطر. إذا أحرق أحدهم معبداً تظن أنّك في خطر.

لا بُدّ من إسقاط نظم الاعتقاد هذه. عندئذ ينشأ الفهم، ثمّ الاستعداد من أجل الاستكشاف، وبعدها تنشأ البراءة، وبعد ذلك تكون مُحاطاً بشعور من الغموض، الاندهاش، والتعجّب. عندها لا تعود الحياة شيئاً معروفاً، بل مُغامرة. إنّها في غاية الغموض إلى درجة أنك تستطيع أن تستمرُّ في الاستكشاف دون أن يكون للأمر نهاية. إنّك لا تخلق أيّ اعتقاد، بل تبقى في حالة اللامعرفة. تُصرُّ الصوفية بشدة على هذه الحالة، وكذلك مُعلّمو «الزن». في الحقيقة، يُصرُّ كلّ المُعلّمين العظام في العالم على هذه الحالة. إنّهم يجتمعون على شيء واحد، هو حالة اللامعرفة.

كي تبقى باستمرار في حالة اللامعرفة، إذا حدث وعرفتَ شيئاً ما، لا تبنِ عليه أيّ اعتقاد. قُم بالتخلّي عنه، قُم بإلقائه جانباً. لا تدعه يُحيط بك، وإلا عاجلاً أم آجلاً، سوف يُصبح قشرة صلبة، ولن تكون مُتاحاً للحياة مرة أُخرى. اِبقَ دائماً كالطفل، عندئذ يُصبح التواصل مُمكناً، ويُصبح الحوار مُمكناً. عندما يتحدّث شخصان في حالة اللامعرفة، يكون هناك التقاء، إنهما يتواصلان، فليس هناك شيء يُعيقهما. إنّك سوف تكون قادراً على أن تفهمني فقط عندما تكون في حالة اللامعرفة، لأنني في تلك الحالة باستمرار.

سوف يكون التواصل مُمكناً معي إذا تخلّيتَ عن نظم الاعتقاد الخاصة بك، وإلا فإنها سوف تُعيق مسارك.

المرشح الثالث، الطبقة الثالثة، هي المنطق الزائف، التبرير، التفسيرات، الأعذار، فجميعها مستعارة، ولا تُعتبر ولا واحدة منهم تجربة حقيقية خاصة بك، مع أنها تُعطي نوعاً من الارتياح. إنّك تعتقد أنّك كائن عقلاني للغاية، بيد أنك لا تستطيع أن تُصبح عقلانياً عن طريق تكديس الحجج والبراهين المُستعارة. ينشأ المنطق الحقيقي فقط عندما تكون ذكياً. تذكّر، هناك فارق بين المُفكّر والرجل الذي أُسمّيه ذكياً. إنّ المُفكّر مُختبئ وراء التفكير الزائف، فتفكيره قد يكون منطقياً للغاية، لكنّه لا يُمكن إطلاقاً أن يكون عقلانياً. إنّ تفكيره زائف، مع أنه يبدو منطقياً.

اِستمع، لقد سمعتُ...

كان هناك رجل يغرق. وأخذ يصرخ: «ساعدوني، لا أستطيع السباحة! لا أستطيع السباحة!».

رد الرجل العجوز الجالس على حافة النهر وهو يمضغ التبغ: «وأنا أيضاً لا أستطيع، ولكنني لا أشكو من ذلك».

الآن هذا رد عقلاني تماماً: «لماذا تشتكي من الأمر؟ أنت لا تستطيع السباحة، ولا أنا أيضاً. من أجل ذلك، اِلتزم الهدوء».

بيد أنك تجلس على الضفة بينما هو في النهر، الموقف مُختلف، والسياق مُختلف.

عندما يقول «بوذا» شيئاً، يُمكنك أن تُكرر الشيء نفسه، بيد أنّ السياق مُختلف. تستطيع أن تُكرر الشيء نفسه تماماً، لكنّه لن يعني الشيء نفسه، لأنّ السياق مُختلف. إنّ سياق الكلام هو المُهمّ، وليس ما

تقول. ثمّ ليس ما تقول، ولكن مَن تكون هو ما يهمّ.

لقد سمعتُ...

جلس «دونيجان» في حجرة الاعتراف، وهو يأنّ: «أبتي، لقد فعلتُ شيئاً سيئاً جداً، سوف تُلقي بي خارج الكنيسة».

سأل الكاهن: «بني، ماذا فعلتَ؟».

قال «دونيجان»: «في الأمس، رأيتُ زوجتي «ساشاينج» أمامي وقد أثارني ذلك جداً، فقمتُ بشدها، ومزّقتُ ملابسها، وألقيتُ بها على الأرض، ومارسنا الحُبّ في وقتها في ذلك المكان».

قال الكاهن: «إنّ هذا غير مُعتاد قليلاً، ولكن ليس هناك سبب لحرمانك من الكنيسة».

«أأنت واثقٌ أنّك لن تُلقي بي خارج الكنيسة؟».

«بالطبع لا».

قال «دونيجان»: «حسناً، لقد ألقوا بنا خارج السوبر ماركت!».

يعتمد الأمر كلّه على السياق، مَن أنت، أين أنت. إنّه يعتمد على أيّ وجهة نظر، ومن خلال أيّ تجربة تتحدّث. إنني أستخدم الكلمات نفسها التي تستخدمها، بيد أنّها لا تعني الشيء نفسه، ولا يُمكن أن تعني الشيء نفسه. عندما أتلفظ بها، فأنا أتلفظ بها، وعندما تتلفظ بها، فأنت تتلفظ بها. إنّ الكلمات واحدة ولكن نظراً لأنّها تخرج من مسافات مُختلفة فهي تحمل معنىً مُختلفاً، دلالة مختلفة، نكهة مُختلفة، ونغماً مُختلفاً.

إنّ المنطق الزائف مُجرّد منطق ظاهري، إنّه ليس معرفة، ويكاد يكون من أجل إيجاد الأعذار، وهو على الأكثر من أجل الحجج. إنّه نوع من الخداع. إنّ التفكير الذكوري خبير جداً، وهذه هي خبرة التفكير الذكوري، فقد تعلّم ذلك الفنّ بعُمق. إنّ هذا المُرشح قويّ جداً، جداً، في التفكير الذكوري.

ينشأ التفكير الحقيقي فقط عندما يتمّ التخلّي عن التفكير الزائف، فما هو التفكير الحقيقي؟

لقد عرّفه «كارل جاسبر» بصورة مثالية، حينما قال: إنّ العقل هو الانفتاح، الوضوح، نيّة الاتحاد. يستخدم العقل المنطق، ويستخدم أساليبه وفئاته للفهم، فقط من أجل أن يسمو فوقهم. إنّ المنطق هو الازدهار المُطلق للحكمة.

بيد أنّ التفكير الزائف ليس كذلك، فاحذر منه، فهو دائماً يخلق مرشِحاً، ويكون دائماً عائقاً، بينما يُصبح التفكير الحقيقي دائماً باباً وجسر اً. هذا الطبقة الثالثة من التفكير الزائف هي احدى أكبر مُسببات الإزعاج في كيانك.

إنّ الطبقة الرابعة هي الانفعالية، العاطفية. إنها مشاعر مُزيّفة، الكثير من اللغط حول لا شيء، الكثير من الضجة. إنّ تفكير النساء خبير جداً في هذا. إنّه فارغ نوعاً ما، سطحيّ. إنّه تعاطف عاجز، لا

يفعل شيئاً. إذا كان أحدهم مريضاً، تجلس جواره وتبكي. إنّ بكاءك لا يقوم بالمساعدة. إنّ المنزل يحترق وأنت تبكي. هذا لن يُساعد أيضاً. لا بُدّ من الكشف عن هذا النوع من المشاعر المُزيّفة، وإلا فلن تعرف أبداً المشاعر الحقيقية. إنّ المشاعر الحقيقية شمولية وتعهد. إنّها اعتناق وليس تعاطفاً فقط. إنّها فعل.

حينما تشعر بشيء فعلاً في قلبك، فإنّه يُحوّلك فوراً، ويُصبح فعلاً. هذا هو المعيار، عندما تُصبح مشاعرك أفعالاً. أما لو بقيت مشاعرك دون أن تُصبح أفعالاً، عندها اِعرف جيداً أنّها مُزيّفة. عندئذ إما أنك تخدع نفسك أو تخدع شخصاً آخر.

في كثير من الأوقات يأتي إلي الناس ويقولون:» «أوشو»، نحن نشعر بالكثير من الحُبّ نحوك. نحن نفهم ما تقول، ولكن...»، هذه «لكن» تُدمّر كلّ ما قالوه قبل. إنّهم يقولون: «نحن نشعر أنّ ما تقوله صحيح، وأنّ ما تفعله صحيح، بيد أننا لا نستطيع أن نُصبح مُريدين». إذا كنتَ تشعر أنّ ما أقوله صحيح، وأنه الحقيقة، كيف يُمكنك أن تتجنّب أن تُصبح مُريداً؟ إنّه شيء مُستحيل. يجب أن تُصبح مشاعرك فعلاً، التزاماً، وإلا فما هو معناها؟

لا يستطيع الإنسان أبداً أن يسير عكس ما يُريده قلبه. إذا كنت لا تزال تسير عكس قلبك الخاص، إذاً لا بُدّ أنك تمتلك قلباً مزيّفاً، مُدّعياً. تماماً كما أن الطبقة الثالثة هي حقل الخبرة الذكورية، فإنّ الطبقة الرابعة هو حقل الخبرة الأنثوية.

الطبقة الخامسة هي الغرائز المعطوبة، المُسممة، الكبت، التشويه.

لقد اعتاد «غوردجييف» على القول إنّ جميع مراكزك مُتداخلة مع بعضها، وليست في أماكنها الصحيحة، إنّها تتداخل في بعضها، وتتعدّى على بعضها، وأنت لا تعرف ماذا يكون في ماذا. إنّ كلّ مركز في أدائه وظيفته جميل، بيد أنه عندما يبدأ في التدخل في وظيفة مركز آخر، تكون هناك صعوبات كبيرة، ويُصبح حينئذ النظام كله عصبياً.

على سبيل المثال، لو أنّ مركز الجنس الخاص بك يعمل كمركز للجنس، فهذا جيد تماماً. بيد أنّ الناس قاموا بقمعه كثيراً إلى درجة أنّ مركز الجنس عند الكثير من الناس لا يُوجد في أعضائهم الجنسية، بل تحرّك إلى رؤوسهم. هذا هو التشابك. إنهم الآن يُمارسون الحُبّ من خلال رؤوسهم، ومن ثمّ ظهرت الأهمية الكبرى للمواد الإباحية، من ضرورة التخيّل. حتى عندما تُمارس الحُبّ مع امرأتك، قد تُفكّر في مُمثلة جميلة وأنّك تُمارس الحُبّ معها. وعندها فجأة تُصبح مُهتمّاً بمُمارسة الحُبّ مع امرأتك. في الحقيقة، إنّ امرأتك ليست موجودة. إنّه نوع من الاستمناء، فأنت لا تُمارس الحُبّ معها، بل تُمارس الحُبّ مع شخص آخر ليس موجوداً، تتخيّله في رأسك.

إنّ القمع الديني قد أدّى إلى اضطراب كلّ مراكزك. لقد أصبح من الصعب جداً أن ترى حتى أنّ مراكزك مُنفصلة. عندما تعمل في مجالها الخاص، فإنّ كلّ مركز صحيح تماماً، ولكن حينما يتداخل في مجال آخر، عندها تنشأ المشاكل، ويكون هناك اضطراب في تكاملك. عندها أنت لا تعرف ماذا يكون ماذا.

إنّ الجنس يُمكن أن يتحوّل صعوداً عندما يكون مُقتصراً على مركزه الخاص، بينما لا يستطيع أن يتحوّل صعوداً من الدماغ. لقد أنشأ مركزاً مزيّفاً في الدماغ.

لقد سمعتُ...

من حين لآخر، يُسمح للقديسين أن يزوروا الأرض مُتخفيين. أرادت القديسة «تيريزا» طويلاً أن تقوم بزيارة إلى «هوليوود»، بيد أنّ «جابريل»، والذي كان مسؤولاً عن القائمة، ظنّ أنّه حتى القدّيس لن يكون قادراً على أن يعود سالماً بعد زيارة عاصمة الأفلام.

في النهاية، وعلى الرغم من ذلك، أقنعته «سانت تيريزا» أنّه لن يُصيبها أيّ مكروه، وانطلقت في أول سحابة أرضية متوفرة.

امتدت الأسابيع إلى شهور دون أيّ خبر من الأرض، ولذلك في يوم من الأيام قام «جابريل» الذي كان قلقاً للغاية بإجراء اتصال هاتفي مع «لوس أنجلوس».

تمّ الاتصال، ورنّ الهاتف، وأخيراً قال صوت هناك: «هنا «تيري»، مَن هناك؟».

«جابي العزيز! يا للروعة أن اسمع منك...».

الآن «سانت تيريزا» لم تعد «سانت تيريزا»، بل «تيري»، كذلك «جابريل» لم يعُد «جابريل»، بل «جابي العزيز». لقد أفسدَت «هوليوود» «القدّيسة تيريزا».

إنّ مَن تدعونهم «قديسين» يتجنّبون العالم فقط، إنّهم كائنات مكبوتة، ولو أُتيحت لهم الفرصة، فسيسقطون إلى مراتب أدنى منكم. إنّهم يكبحون جماح أنفسهم بطريقة ما بدافع الخوف من النار والطمع في الجنة. لكن أيّ كان ما تقوم بكبته بسبب الخوف أو الطمع، فإنه يبقى موجوداً، ولا يبقى موجوداً ببساطة، بل يُصبح غير طبيعي، مُنحرفاً، وينتقل إلى عوالم عميقة من الوعي و اللاوعي الخاص بك، وبعد ذلك يُصبح من الصعب جداً أن تقتلع جذوره.

كان «غوردجييف» صوفياً، وقد جاء كلّ ما يقوم بتدريسه من المُعلّمين الصوفيين. لقد قدّم طرقاً إلى العالم الغربي في كيفية الانتباه إلى كلّ مركز، وكيفية السماح لكلّ مركز أن يعمل في مجاله. يجب على الرأس أن يعمل طالما الموضوع يتعلّق بالتفكير، هذا كلّ شيء.

هل لاحظتَ؟ يأتي إليّ الناس أحياناً ويقولون: «أعتقد أني أُحبّك». أعتقد أني أحبكّ! إنّ الحُبّ ليس له أيّ علاقة بالاعتقاد. كيف يُمكنك أن تُفكّر أنك تحبني؟ بيد أنهم لا يعلمون كيف يعملون من القلب مباشرة، حتى القلب لا بُدّ أن يعمل من خلال الرأس. إنّهم لا يستطيعون أن يقولوا ببساطة: «أنا أُحبّك».

في تلك الليلة قامت امرأة «إيطالية» جميلة بأخذ المُريدية، وقد منحتها اسم «بريم نيشانجا». لقد كانت امرأة قلب، وكانت شيئاً نادراً. لقد كانت في منتهى السعادة إلى درجة أنّها كانت على وشك أن تبدأ في الرقص. لم يكن هناك حاجة إلى قول أيّ شيء، فكلّ جسدها كان ينطق. لقد وصلت إلى حالة من النشوة إلى درجة أنّك يُمكن أن تستمرّ في الكلام بألف طريقة، أو تصرخ بفرح، ولن يكون الأمر بعمق حالة النشوة التي كانت فيها. إنني لا أعلم ماذا كانت تقول لأنّها كانت تقوله بالإيطالية، بيد أنّ وجهها، عينييها، يديها، جسدها بأكمله كان يقول ويُعبّر عن الأمر. لم تكن هناك حاجة إلى فهم لغتها، فاللغة كانت غير هامة. عندما تتكلّم من القلب، لا تُوجد حاجة إلى أيّ لغة. عندما تتكلم من الرأس، وحدها اللغة تستطيع أن تتكلّم، ولا تُوجد وسيلة أُخرى من أجل التعبير عن ذلك الحال.

شاهد ولاحِظ. دع الرأس يعمل من خلال التفكير، ودع القلب يعمل من خلال المشاعر، دع مركز الجنس من خلال الجنس. دع كلّ شيء يعمل بطريقته. لا تدع الآليات تختلط مع بعضها، وإلا سيكون لديك غرائز مُحرّفة.

حينما تكون الغرائز طبيعية، غير محرّمة، عفوية، دون أيّ إعاقات، تكون هناك شفافية وتناغم في جسدك. يكون هناك صوت ترنيم في نظامك.

إنّ الطبقة الخامسة أيضاً خبرة ذكورية.

الطبقة السادسة هي الحدس المُحرف.

هناك ظاهرة تسمّى الحدس والتي أصبحنا غير مُدركين لها تقريباً، فنحن لا نعرف أنه هناك شيء مثل الحدس، نظراً لأنّ الحدس هو الطبقة السادسة. إنّ تلك الطبقات الخمس سميكة للغاية إلى درجة أنّ الإنسان قد لا يتسنّى له أبداً أن يشعر بالطبقة السادسة.

إنّ الحدس نوع مُختلف تماماً من الظواهر بخلاف التفكير. يُجادل التفكير، ويقوم بعمليات من أجل الوصول إلى نتيجة، بينما يقفز الحدس وهو نقله نوعية ولا يعرف العمليات. إنّه ببساطة يصل إلى النتيجة دون أيّ مُعالجة.

لقد كان هناك العديد من مُبدعي الرياضيات الذين يستطيعون القيام بحلّ أيّ مسألة رياضية دون إجراء حسابها. إنّ حلّهم كان حدسياً، أنت تقول المسألة فقط، ولكن حتى قبل أن تقولها، يصل الحل، دون أن يكون هناك أيّ فارق زمني على الإطلاق. تقول المسألة، وفي اللحظة التي تنتهي فيها، بل حتى قبل أن تنتهي، تأتي النتيجة. لقد كان أخصائيو الرياضيات دائماً مُتحيرين من هذه الظاهرة. كيف يفعل هؤلاء الأشخاص ذلك؟ لو أنّ عالم الرياضيات سوف يعمل على حلّ هذه المسألة، فقد تستغرق ثلاث ساعات أو ساعتين أو ساعة، بل حتى الكومبيوتر سوف يستغرق على الأقل عدة دقائق كي يحلّها، بيد أنّ هؤلاء الأشخاص لم يستغرقوا ولا حتى لحظة واحدة. أنت تقول المسألة، ولحظياً يأتي الحل.

إذاً، في الرياضيات، يُعتبر الحدس الآن حقيقة مُعترف بها. حينما يفشل التفكير، يستطيع الحدس أن يعمل. لقد أصبح جميع العلماء العظام مُدركين له: إنّ جميع اكتشافاتهم العظيمة قد تمّت ليس عن طريق التفكير، ولكن عن طريق الحدس.

عملَت السيدة «كروز» على مسألة مُعينة مدة ثلاث سنوات، وكانت تُحاول حلّها من مُختلف الاتجاهات، ولكنها فشلت. ذات ليلة، كانت مُرهقة تماماً، فذهبَت إلى النوم، وقررت أنّ هذه المسألة تكاد تكون مثل قصة «بوذا». في تلك الليلة قررت: «هذا يكفي. لقد أضعتُ ثلاث سنوات. تبدو عملية البحث غير مُجدية. يجب عليّ أن أتخلّى عنها»، في تلك الليلة تخلّت عنها، وذهبَت كي تنام.

أثناء الليل استيقظَت من نومها، وذهبَت إلى مكتبها وكتبَت الحل، ثمّ عادَت مُجدداً واستغرقَت في النوم. في الصباح لم تستطع حتى أن تتذكّر ما حدث، بيد أنّ الحلّ كان هناك على المكتب. لم يكن هناك أيّ شخص في الحجرة، وحتى لو كان هناك شخص ما، فلن يستطيع ايجاد مثل هذه الإجابة. لقد كانت تعمل ثلاث سنوات، وهي أحد أعظم العقول في ذلك العصر، ولم تصل إلى شيء! لم يكن هناك أيّ أحد بينما

كانت الإجابة موجودة. ثمّ نظرت بتدقيق أكثر: إنّه خطها! وفجأة ظهر الحُلم على السطح. لقد تذكّرت أنّها رأت حُلماً بالليل أنها كانت تجلس إلى المكتب وتكتب شيئاً. ثمّ مع الوقت بدأ كلّ شيء يطفو إلى السطح. لقد توصّلَت إلى الحلّ من باب آخر غير التفكير، وقد كان باب الحدس.

لقد ناضل «بوذا» ستة أعوام حتى يصل إلى حال «سمادهي»، لكنّه لم يستطع الوصول، وذات يوم تخلّى عن فكرة الوصول بأكملها وارتاح تحت شجرة، ومع حلول الصباح كان قد حدث الأمر. عندما فتح عينيه كان في حال «سمادهي».

في البداية لا بُدّ من إرهاق التفكير، فالحدس يعمل فقط عندما يكون التفكير مُرهقاً. إنّ الحدس ليس له إجراءات، إنّه يقفز ببساطة من المشكلة إلى الاستنتاج. إنّه طريق مختصر. إنّه ومضة.

لقد أفسدنا الحدس. إنّ حدس الرجال تقريباً قد تمّ إفساده تماماً، بينما لم يُفسد حدس النساء بهذا القدر، وهكذا تمتلك النساء شيئاً يُسمّى «الحسّ الباطني»، وهو مُجرّد جزء من الحدس. إنّه شيء لا يُمكن إثباته. تكون على وشك القيام برحلة بالطائرة، فتقول لك امرأتك إنها لن تذهب، ولن تدعك تذهب أنت أيضاً. إنّها تشعر أنّ شيئاً على وشك أن يحدث. قد تظنّ إنّه هراء، فلديك عمل كثير يجب أن تقوم به، وقد تمّ التخطيط لكلّ شيء، ويجب عليك أن تذهب، بيد أنّ امرأتك لن تسمح لك بذلك. في اليوم التالي تقرأ أنّ تلك الطائرة قد تمّ اختطافها، أو أنّها قد تحطّمت ومات جميع الركاب فيها.

إنّ المرأة الآن لا تستطيع أن تقول لك كيف عرفت بذلك. إنّه أمرٌ غير مُمكن. إنّه مُجرّد حسّ باطني، واحساس في داخلها. بيد أنّ هذا أيضاً تمّ تخريبه على نحو كبير، ولهذا السبب هو مُجرّد لمحة. لقد تعلّمت أنّ التفكير هو المدخل الوحيد كي تصل إلى أيّ استنتاج، ولذلك عندما تختفى جميع الطبقات الخمس الأُخرى وتتخلّى عن جميع المعتقدات الثابتة، عندما تتخلّى عن «ثابت التفكير»، يبدأ الحدس في الازدهار. عندها لن يكون مُجرّد ومضة، بل مصدر ثابت ومُتاح. تستطيع أن تُغلق عينيك، و تتعمّق فيه، ودائماً تستطيع أن تصل إلى الوجهة الصحيحة من خلاله.

هذا ما يظنّ طلاب «فيتشر هوفمان» أنّه الدليل. لو تعمّقت العملية إلى الداخل، فسيكون الأمر صعباً جداً، حيث يجب عبور هذه الطبقات الخمس في البداية. أنا لا أعتقد أنّ الكثير من الأشخاص يقدرون على ذلك، حتى أولئك في مجموعة علاج «فيتشر هوفمان». بيد أنّ الفكرة صحيحة تماماً، فعندما تكسر هذه الطبقات الخمس، ينشأ شيء داخلك تستطيع أن تُسمّيه الدليل، حيث يُمكنك دائماً أن تنطلق إلى حدسك وسوف تجد دائماً النصيحة الصحيحة. هذا ما يُطلقون عليه في الشرق مُعلّمك الداخلي. بمُجرّد أن يبدأ حدسك في العمل، لن تحتاج أن تذهب وتسأل أيّ مُعلّم خارجي عن أيّ نصيحة.

إنّ الحدس هو أن تكون في تناغم تامّ مع نفسك، ومن خلال هذا التناغم، تظهر الحلول من العدم.

الطبقة السابعة والأخيرة من الزيف هي النفس المزيّفة، الأنا المزيّفة، وهي فكرة كونك مُتفرّداً، مُميزاً، استثنائياً، وفكرة أن يفعل الإنسان ما يميّزه، في حين أنك لا تدري مَن تكون، ولا تدري الشيء الذي يُميزك.

إنّ نوايا الأنا المُزيّفة تستمرّ في إفسادك، وعندئذ أنت لا تستطيع أن تستمع إلى الحقيقة. وتُصبح هذه مُشكلة كلّ يوم.

في ذلك اليوم كنتُ أتحدث عن «هانا». بدلاً من أن تفهم ماذا قلتُ، بدلاً من التفهم، ومن أن تشعر بتعاطفي، وإلا من أيّ منطلق كان يجب عليّ أن أقول ذلك؟ بدلاً من ذلك، ذهبَت فوراً إلى المكتب، وقامت بإلغاء موعد «دارشان» الذي كان عندها. لقد أصبحَت غاضبة جداً. نعم لقد كنتُ أتحدّث عن الأنا المُزيفة الخاصة بها، ولكن بدلاً من أن ترى ذلك، كان ردّ فعلها صادراً من الأنا مرة أُخرى. لقد أغفلت النقطة مرة أُخرى.

في ذلك اليوم كنتُ أيضاً أتحدّث عن «براجييت»، ولكنّه كان أفضل من «هانا»، لقد طلب موعداً، وتعامل مع الموقف بصورة أفضل. بالطبع لقد كان مُنفعلاً للغاية، فقد كان من الصعب هضم الأمر وبلعه. بيد أنّه حاول جهده كي يري الهدف من ذلك. لقد قام بكلّ ما يستطيع من جهد.

أو على سبيل المثال، لقد استمريتُ في الطرق على «تشينمايا»، مرة بعد مرة. إنني لم أطرق في حياتي على أحد آخر بقدر ما طرقتُ على «تشينمايا»، بيد أنّه تعامل مع الأمر بصورة صحيحة تماماً، وبالطريقة التي يجب أن يتمّ بها التعامل مع الأمر بالضبط. وكلّ طرقة أصبحت نمواً بالنسبة إليه، لقد ساعدته كلّ طرقة- إنّه يتقدّم.

لقد توقّفَت «هانا» عند هذا الحد. رُبّما تفقد التواصل معي.

هذه هي الطبقة الأخيرة: الإحساس الزائف الدقيق للغاية بالذات.

حينما يتمّ كسر هذه الطبقات السبع، تصل إلى حالة البقاء، التفرّد الفعلي، وعندما تمتلك التفرّد الفعلي تكون هناك إمكانية كي يكون لديك لاوجود حقيقي. من خلال الفردية الحقيقية، البقاء، تستطيع أن تمتلك الفرصة كي تقفز إلى الفناء. عندئذ تستطيع أن تعرض نفسك على الإله. هذه هي العملية بأكملها.

الآن إلى هذه المُحادثة اللطيفة بين المُعلّم والتلميذ. سوف تكون قادراً الآن على أن تفهم.

قال المُعلّم الصوفي «أجنبي»: «إكتب إلى «الملا فيروز» وأخبره أنني ليس لديّ الوقت من أجل الدخول معه في مُراسلات متبادلة، ومن ثمّ ليس هناك ما يُقال رداً على رسالته».

لا بُدّ أنّ «الملا فيروز» كان رجلاً مُتعلّماً جداً في تلك الأيام. إنّ كلمة «الملا» تعني الناقد، المُتعلّم، الرجل المُثقف. لا بُدّ أنّه قد شعر بالغضب والانزعاج من تأكيدات «أجنبي». إنّ المُعلّمين موجودون كي يُسببوا الصدمات. وحينما يكون هناك رجل علم، فإنّ الصدمة الكبرى تكون عند هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يعلمون وهم لا يعلمون. إنّ الرجل ذا المعرفة يشعر فوراً بالغضب، لأنّ رجل العرفان لديه مصدره الخاص للمعرفة، وهو يتحدّث من ذاك المنطلق. بينما رجل المعرفة ينظر إلى ما هو مكتوب، وليس لديه مصدر كي يُطابق معه، وليس لديه خبرة ذاتية مُوثقة. إنّه يعيش مع التفكير الزائف، الأنا الزائفة، الجدال، المعرفة اللفظية، نظم المُعتقدات، وكلّ تلك الأشياء.

قال المُعلّم الصوفي «أجنبي»: «إكتب إلى «الملا فيروز» وأخبره أنني ليس لديّ الوقت من أجل الدخول معه في مُراسلات متبادلة، ومن ثمّ ليس هناك ما يُقال رداً على رسالته».

قال المُريد «أميني»: «أتنوي مُضايقته بهذه الرسالة؟»،

هذه دائماً نية جميع المُعلّمين: أن يُسببوا لك الإزعاج، لأنّه فقط إذا كنتَ مُنزعجاً تستطيع أن تتغيّر. إذا كنتَ مُنزعجاً عندئذ هناك إمكانية، وعندها تبدأ في التحرّك.

قال «أجنبي»: «لقد انزعج من بعض مُكاتباتي. وهذا الانزعاج جعله يكتب إليّ. إنّ هدفي من كتابة تلك الرسالة التي أزعجته كان مُضايقة أمثاله»،

لقد كان هذا هو الغرض وقد تمّ تحقيقه. لقد أراد أن يغضب الأشخاص مثل «الملا»، الأشخاص ذوي المعرفة.

قال «أميني»: «هذه الرسالة سوف تُزعجه أكثر؟»،

قال «أجنبي»: «أجل، حينما كان ساخطاً ممّا كتبتُه، لم ينتبه إلى غضبه، والذي كان هو نيّتي. لقد ظن أنّه يُراقبني أنا، في حين أنّه كان يشعر بالغضب فحسب. أنا أكتب الآن مُجدداً، كي أزيد من غضبه حتى يرى أنّه غاضب. إنّ الهدف هو أن يُدرك الرجل أنّ عملي هو أن أكون المرآة التي يستطيع أن يرى فيها نفسه».

لا بُدّ أن تضع ذلك في تفكيرك باستمرار، لأنّ ذلك يحدث هنا كلّ يوم. إذا قلتُ شيئاً فلا تنزعج مني أبداً. لا تُفكّر لماذا قلتُ ذلك، بل بدلاً من ذلك، وعلى النقيض، اِنظُر داخل نفسك إلى ما قد فعله كلامي فيك. لقد قلتُ شيئاً عن «هانا». الآن هناك احتمالان, يُمكنها أن تُفكّر: «إنّ هذا الرجل مُخطئ، إنّه يُغضبني، إنّه يهزئ بي، يسخر مني، يحطّ من قدري»، أو أيّ شيء من هذا القبيل. عندئذ تكون أغفلت الهدف، ويُمكن أن تبدأ تُشاهد وتُلاحظ: «لماذا أنا غاضبة؟ لماذا أشعر بهذا الضيق داخلي؟ لماذا أنا مُنزعجة؟»، عندئذ تكون على الطريق الصحيح، وحينها سوف تقترب مني أكثر ممّا كانت في السابق.

دائماً تذكّر ذلك. ماذا أقول، كيف أقوله، لماذا أقوله، ليس هناك مجال بالنسبة إليك كي تُقرر. ليس هناك حتى طريقة لك كي تفهم. كلّ ما تستطيع أن تفعله في موقفك هذا الآن هو أن ترى ما الذي يحدث لك. لو صفعتُك على وجهك، لا تقلق بشأن لماذا صفعتُك، وهل أنا رجل غاضب أو قاسٍ أو عنيف، لا تقلق حول ذلك. فقط أغلِق عينيك، وادخُل في تأمل، وشاهِد لماذا تشعر بالغيظ والغضب. لماذا؟ راقِب تفكيرك. هذا سوف يُساعدك.

هذا سبب أنني لا أُريد هنا الأشخاص المُتوسطين الذين جاؤوا فقط بدافع الفضول من أجل الاستماع إليّ. هذه ليست مدرسة، نحن لا نُدرّس شيئاً هنا. إنه مُجرّد مُختبر كيمياء، هناك شيء يحدث. إنّها عملية التحويل. إذا تذكرتَ ذلك فسوف تستفيد على نحو هائل.

«أجل، حينما كان ساخطاً ممّا كتبتُه، لم ينتبه إلى غضبه، والذي كان هو نيّتي. لقد ظن أنّه يُراقبني أنا، في حين أنّه كان يشعر بالغضب فحسب. أنا أكتب الآن مُجدداً، كي أزيد من غضبه».

يقول المُعلّم: «بدافع الشفقة سوف أُعطيه فرصة أُخرى».

حتى يرى أنّه غاضب. إنّ الهدف هو أن يُدرك الرجل أنّ عملي هو أن أكون المرآة التي يستطيع أن يرى فيها نفسه».

هذا هو المُعلّم: إنّه مرآة ترى فيها نفسك. إذا رأيتَ وجهك قبيحاً في بعض الأحيان، فلا تُحاول أن تُحطّم المرآة، غيّر وجهك، فلن تُصبح جميلاً عن طريق تحطيم المرآة، ولن تُصبح جميلاً من خلال الهروب من المرآة.

في الأمس طوال اليوم، كان «براجييت» يُفكّر بصورة مستمرة في الهروب: « كيف أهرب من هنا؟»، بيد أنّه تذكّر مرة بعد أُخرى أنّه ليس عليه أن يهرب، بل يجب أن يُواجه الأمر. مرة بعد أُخرى تذكّرَ ذلك وهدأ، ومرة بعد أُخرى كانت تلك الفكرة تجذبه كي يهرب من هنا. هذا طبيعي، وهو شيء يُمكن فهمه. بيد أنك إذا استطعتَ أن تتذكّر ولو حتى بضع لحظات، واستطعتَ أن تبقى معي، واستطعتَ أن تواصل مُواجهة المرآة، عاجلاً أم آجلاً سوف تتغيّر.

هناك احتمالان فقط: إمّا أن تهرب من المرآة، عندها لن ترى وجهك إطلاقاً، وتستطيع أن تُصدّق أنك جميل، أو تُواصل مُواجهة المرآة، وتمضي في رؤية قبحك الخاص. وعندها تكون كلّ الأساليب والطرق مُتاحة أمامك حتى تستطيع تغيير وجهك.

منذ بضعة أيام كان هناك رجل يأخذ المُريدية، وقد قال إنّه مُهتمّ بالجمال. أخبرتُه: «أنا أيضاً مُهتمّ بالجمال. أنا أُؤدي العمل نفسه، أنا أُغيّر وجوه الناس، ليست الوجوه التي تستطيع رؤيتها من الخارج ولكن الوجوه الأصلية التي تختبئ في العمق وراء كلّ هذه الواجهات، وكلّ هذه الطبقات».

قال «أميني»: «إنّ الأشخاص في العالم العادي دائماً ما ينظرون إلى هؤلاء الذين يُسببون الغضب على أنّهم سيئوا النوايا».

هذا ما اعتقدَت به «هانا». هذا حتى ما فكّر به «بريجييت» عدة دقائق. هذا ما اعتاد «تشينمايا» أن يُفكّر فيه في البداية، ولكنّه الان تخطّى تلك النقطة. لقد كنتُ أطرق عليه بشدة، كم من الوقت يُمكنك أن تستمرّ في التفكير؟ في يوم أو آخر، يجب على الإنسان أن يُصبح مُدركاً أنّ هناك شيئاً خاطئاً في مكان ما داخل نفسه، وأنّ ذلك الشيء يجب التخلّص منه.

قال «أجنبي»: «إنّ الطفل قد يرى الكبير الذي يُحاول إزالة شوكة من يده على أنّه سيء النيّة. هل هذا مُبرر كي نُحاول أن نمنع الطفل من النمو؟».

قال «أميني»: «وإذا أضمر الطفل ضغينة ضدّ الكبير الذي أزال الشوكة؟».

قال «أجنبي»: «إنّ الطفل لا يُضمر حقاً ذلك الحقد، لأنّ هناك شيئاً في داخله يعرف الحقيقة».

هذا البيان ذو قيمة هائلة. نعم، هناك شيء في داخلك دائماً يعرف الحقيقة. هناك شيء في داخل «هانا» يعرف الحقيقة، فمن المُستحيل ألا تعرف الحقيقة. رُبّما لا تكون واضحة جداً، ضبابية، بيد أنّ شيئاً في داخلك دائماً يعرف الحقيقة، وهو بسبب التعاطف، وبسبب الحُبّ، الذي تمّ الطرق عليك بهم، وإلا فليس هناك حاجة إلى ذلك.

سأله «أميني»: «بيد أنه ماذا يحدث إذا لم يتسنّ له أن يعرف نفسه على الإطلاق، ومع ذلك بقي مُتخيّلاً أنّ الآخرين تدفعهم المشاعر الشخصية؟».

قال «أجنبي»: «إذا لم يتسنَّ له إطلاقاً أن يعرف نفسه، فلن يكون هناك فارق في كيف يُفكّر في الأشخاص الآخرين، لأنّه لا يستطيع أن يكون لديه أيّ تقدير لما عليه الآخرون حقاً».

سأل «أميني»: «أليس من المُمكن، بدلاً من إثارة الغضب من جديد، أن تشرح له أنّ المكاتبة الأصلية كانت مُؤلفة لذلك الغرض، وتدعو «الملا» كي يُراجع شعوره السابق؟»،

إنها وجهة نظر معقولة جداً من المُريد، ولكن تذكّر أنّه أحياناً الأشياء المعقولة لا تكون مُفيدة للغاية. إنها لا تعمل. سوف تتفق مع المُريد، ومع ما يقول، فهو يبدو صائباً جداً «ما الفائدة من إغضابه، ومُضايقته مرتين؟ ألن يكون من الأفضل أن تشرح له لماذا قلتَ له أشياء تُغضبه من البداية؟ ألن يكون من الأفضل أن تُفسّر؟».

قال «أجبني»: «من المُمكن فعل ذلك، ولكنّه سيكون بلا تأثير.

إنّ المُعلّم ليس مُهتمّاً أن يكون مُؤدباً، وأن يتبع قواعد السلوك، والأخلاق، وغير ذلك. إنّ المُعلّم مُهتمّ فقط بتأثير مُعيّن، وأن يخلق فعلاً، ويخلق استجابة. نعم، إنّه يستطيع أن يشرح إلى «الملا» ما الذي حدث. فقد يُرضيه ذلك، وقد يُهدّئه. قد يختفي غضبه، ولا يستمرّ في الشعور بالضيق، ولكن ليست هذه هي النقطة. إنّه لن يخلق التأثير الذي يُريده المُعلّم. إن المُعلّم يُريد من «الملا» أن يرى أنّه فقط رجل معرفة، وليس رجلاً عارفاً بعد، وأنّه لم يكن حكيماً. إنّ الشرح سوف يجعل «الملا» أكثر اهتماماً بالمعرفة، وسوف يكون لديه تفسير إضافي، وهذا لن يقوم بتحطيم الأنا المزيفة لديه.

«من المُمكن فعل ذلك، ولكنّه سيكون بلا تأثير. بالعكس سوف يكون له تأثير سلبي. إذا أخبرتَ الرجل بأسبابك، فسوف يتخيّل أنك تُبرر لنفسك، وسوف يُثير ذلك في نفسه مشاعر قد تكون فقط مؤذية بالنسبة إليه. من أجل ذلك، أنت بالفعل من خلال الشرح تعمل لمصلحته».

قال «أميني»: «أليس هناك استثناءات لهذه القاعدة، أن يكون على الإنسان أن يتعلّم من خلال إدراك حالته الشخصية، وأنّه لا يمكن أن نشرح له حالته؟».

قال «أجنبي»: «هناك استثناءات. ولكن إذا كان هناك استثناء كاف من أجل صنع أيّ فارق في العالم، لما بقي لدينا الآن أمثال «الملا فيروز».

ليس هناك الكثير. هناك بعض الاستثناءات، ولكن ليست كثيرة، هذا سبب أنها استثناءات. إنّها قليلة جداً ومُتفاوتة. نعم يُمكن أن يُعتمد عليها، لكن لا نحتاج لأن نحسب حسابها.

على المُعلّم أن يعمل بطريقة حيث يُمكن تحقق هذه القاعدة، وليس الاستثناء، لأنه تسعة وتسعون فاصلة تسعة في المئة من الناس يتبعون القاعدة. أحياناً يكون هناك شخص نادر، ولكنّ هذا الشخص النادر لا يحتاج أن يحصل على أيّ مساعدة من أيّ أحد، إنّه سوف يصل إلى إدراكه عاجلاً أم آجلاً، قد تكون فقط مسألة وقت. ليس هناك حاجة كي نقلق بشأن الادراك الاستثنائي. يجب على المُعلّم أن يعمل بطريقة حيث يبدأ التفكير العادي، التفكير الطبيعي، التفكير المعتاد، التفكير اللاستثنائي، في التحرك ناحية التغيير.

إنّ هذا النقاش القصير بين المُعلّم والمُريد ذا فائدة هائلة بالنسبة إليك، ومن أجل هذا السبب قمتُ باختياره. تذكّر طبقات البصل السبع. ما لم تتخلَّ عنها لن تستطيع أن ترى الأشياء كما هي، ولن تستطيع

أن ترى حقيقتها. لقد تمّ إفسادك منذ طفولتك المُبكّرة. إنّ حياتك بأكملها وإلى الآن كانت حياة من التسميم، ووحدك تستطيع التخلّي عن ذلك. أنا أستطيع أن أدلّك على الطريق، ولكنني لا أستطيع أن أُخلّصك منها. إذا بدأتُ في أخذها منك، فستنتزعها وتهرب، وتعتقد أنّه يتمّ سرقتك. أستطيع فقط أن أدلّك على الطريق. ويجب عليك أن تتبعه.

تأمّل هذه المحادثة. إنها خصيصاً من أجلك.

**

الفصل السادس

التكرار الأبدي

1 سبتمبر 1977 صباحاً في قاعة «بوذا».

السؤال الأول

مُؤخراً، توقّف التفكير تقريباً، لقد شعرتُ فجأة أنّ نفسي وكلّ ما حولي قائم بالضبط كما كان الحال في زمن «المسيح». وأن هناك إحساس قوي «بالمسيح» نفسه. هل تستطيع أن تقول شيئاً حول هذا النوع من الظواهر؟

هذا السؤال من «سومندرا».

إنها نفس المأساة تتكرر مرة بعد مرة، إذ يبقى النصّ نفسه، بينما يتغير الممثلون فقط. لقد كان عند «فريدريك نيتشه» نظرية جميلة حول ذلك، وهي نظرية التكرار الأبديّ. قد لا تكون النظرية صحيحة في تفاصيلها، بيد أنّ الفكرة هامّة وعميقة.

إنّها مثل فصول السنة، يأتي الصيف، تتبعه الأمطار، وبعدها يأتي الشتاء ومرة أُخرى يأتي الصيف. في الصيف هناك الزهور الصيفية، وفي الأمطار تكون هناك زهور المطر، وفي الشتاء سوف تُوجد أزهار الشتاء. لن تتكرر ولا زهرة واحدة إطلاقاً، بيد أنّ الفكرة الرئيسة سوف تتكرر مراراً وتكراراً. إنّه تكرار أبدي.

إنّها القصة ذاتها، وليس هناك اختلاف إطلاقاً في أساسها. قد يكون «كريشنا»، «المسيح»، «مهافيرا»، يختلف الممثلون، وقد يشترك لاعبون مختلفون، بيد أنّ جوهرها الأساسي هو نفسه إلى الأبد. إذاً حينما تدخل عميقاً في التأمل، كما يفعل «سومندرا» يومياً، وحينما يتوقّف التفكير تقريباً، كما قال في سؤاله، تُصبح مُدركاً للكثير من الأشياء التي كانت موجودة بالفعل، بيد أنك لم تكن مُدركاً لها.

إنّ «المسيح» مُتعمّق جداً في الوعي الغربي. إنّه النموذج الأصلي. في أيّ وقت ترى شيئاً قريباً منه في الشبه، سوف يُطلق اللاوعي عندك صورة النموذج الأصلي إلى الوعي. لقد عاش «سومندرا» كمسيحي في العديد من الحيوات، ممّا جعل «المسيح» ينتقل عميقاً جداً في داخل لاوعيه. إنّه لا يستطيع أن يتذكّر «كريشنا»، فليس له أيّ علاقة به. إنّ هذا الرمز، وهذا النموذج، لا يُوجد في عقله اللاواعي. لو كان «هندوسياً» خلال العديد من الحيوات، لشعر حينها أنّه كان في زمن «كريشنا». لو أنّه قد كان

«بوذياً» في العديد من الحيوات، لشعر عندها بحضور «بوذا»، بيد أنّ الأمر هو نفسه. إنّ جسد «بوذا» مُختلف عن جسد «المسيح»، بيد أنّ ما هو مخفي وراء الجسد ليس مُختلفاً، هذا النقاء الداخلي، البراءة الداخلية، إنّ البراءة الفطرية هي نفسها.

إنّ المسيح عميق جداً في اللاوعي عند «سومندرا». وسوف يتمّ الشعور «بالمسيح» من الكثيرين منكم لسبب آخر أيضاً. على الرغم من أنّ «سومندرا» لم يكن هناك في زمن «المسيح»، بيد أنّ العديد من الأشخاص هنا كانوا كذلك. إنّ العدد الأكبر من المُريدين عندي من اليهود، وهذا ليس من قبيل الصدفة، ولا يُمكن أن يكون شيئاً عرضياً. إنّ اليهود ليس لهم وجود في «الهند» على الإطلاق. إذاً فالكثير من اليهود يصلون إليّ، ولا بُدّ أنّ هناك شيئاً عميقاً في الأمر. لقد فاتهم «المسيح» واستمرّ البحث اللاواعي. إنهم يشتمّون بطريقة لاواعية رائحة شيء هنا، ولا يُريدون أن تفوتهم هذه المرة. سوف يأتي المزيد والمزيد من اليهود. لقد فاتهم ذاك الوقت، وكان من الصعب أن يتقبلوا «المسيح» في تلك الأيام.

لقد حدث الكثير في هذه الألفي سنة. إنّ «المسيح» أكثر صلة الآن، إنّه مُتناغم أكثر مع الوعي الإنساني. بسبب أنّ «المسيح» كان يهودياً، فقد كان من الصعب جداً على اليهود أن يتقبلوه، كما هو صعب على «الهندوس» أن يتقبلونني. يلعب التفكير ألعاباً غريبة. إذا وُلد شخص على دينك سوف يُصبح من الصعب على أناك المزيفة أن تتقبله كمُستنير. أو لو وُلد شخص في القرية مثلك، فسيُصبح الأمر أكثر صعوبة. أو لو أنك درستَ مع شخص في المدرسة نفسها، وفجأة ظهرت إشاعة أنّه أصبح مُستنيراً، أو تمّ اختياره من الإله حتى يكون رسوله، فسترفض الفكرة في الحال. إنك تعرف الرجل منذ الطفولة، وتعرفه تماماً من الداخل والخارج، كيف يُمكن أن يُصبح مُختار الإله؟ بينما أنت هنا، كيف يُمكن للإله أن يختاره هو؟ كيف يجرؤ الإله؟ لو أنّه كان سيختار، لاختارك أنت. يُصبح هذا الأمر صعباً جداً على الأنا المزيفة.

إنّ «الهند» سوف تفتقدني لهذا السبب البسيط وهو أنني وُلدتُ هنا. هذه المصادفة ستكون نكبة على «الهند». إنك لا ترى الكثير من الهنود هنا. رُبّما لم تنظر إلى الأمر بهذه الطريقة. لماذا هم ليسوا موجودين؟ من الصعب جداً على أناهم أن يتقبلونني، وبالأخصّ أتباع «الجاين»، تلك المجموعة المُتديّنة الصغيرة من «الجاين» في «الهند». لقد كانت المُصادفة أنني وُلدت من «الجاين»، إنك لن تجدهم هنا. أحياناً قد تجد القليل من «الهندوس» هنا، بيد أنّ عدد «الجاين» سوف يكون أقل، والذي سوف يكون حتى أقلّ عدداً منهم، عدد هذه الطائفة المُحددة المتفرعة من طائفة «الجاين» وهي الطائفة الأصغر التي كنتُ أنتمّي إليها من خلال هذا الميلاد العرضي.

إنّ عدد «الجاين» قليل جداً، ثلاثون ألفاً في «الهند»، وفي داخل «الجاين» هناك العديد من الفرق. إحدى هذه الفرق، طائفة صغيرة للغاية، تُسمّى «سامهيا»، وتلك الكلمة مُشتقة من «سامادهي»، أولئك الذين يؤمنون فقط بحال «سامادهي». إنّها الكلمة نفسها التي أصبحت «سانمي» باللغة «اليابانية»، وبعدها أصبحت «ساتوري». إنك من النادر أن تجد هنا «سامهيا»، بل مُستحيل، إنّهم فقط بضعة آلاف، وجميعهم يعرفونني. إنّهم جميعاً مُطلعون جيداً، بيد أنّ هذه هي المشكلة، لأنهم بسبب ذلك لا يستطيعون أن يأتوا إلى هنا.

إنّ «الهند» سوف تفقدني. وما عدا «الهند»، لن يفقدني أيّ أحد آخر، فكلّ الآخرين سوف يكونون أكثر انسجاماً معي.

لقد جاء «اليهود» بأعداد هائلة، فقد راودهم شعور أنّ هناك شيئاً يحدث هنا. لقد كانت نفس المأساة تتكرر مرة أُخرى في القرن العشرين، شيء من وعي «المسيح»، بيد أنّهم يستطيعون أن يتقبلونني بسهولة أكثر من أن يتقبّلوا «المسيح». لقد كان يهودياً، ابن نجار، وكان من المستحيل أن يتقبّلوه.

مع مرور الوقت يبدأ المزيد منكم في الشعور بنوع من ظاهرة «سبق وأن شاهدته» «ديجافو»، وكأنّ هذا لم يعُد القرن العشرين، وكأنّ هذه القرون العشرون قد اختفت فجأة من وعيك، وكأنك مرة أُخرى عُدتَ إلى أيام «المسيح» في «القدس» وأنت سائر معه، أو مُتنقلاً معه في «الجليل»، أو «بيت لحم». بالنسبة إلى الكثيرين منكم، فإنّ هذا الحلم سوف يتجلّى، لأنه كي تفهمونني، فإنّ ذلك سيكون النموذج الأقرب إلى الوعي الغربي.

لن يشعر أيّ هندوسي أنّ هناك شيئاً من «المسيح» يحدث هنا. لو صادف مرة وشعر بأيّ شيء، فإنّه سوف يشعر بـ»كريشنا». لن يشعر «بوذي» إطلاقاً بأيّ شيء عن «المسيح». لو إنّه شعر بأيّ شيء على الإطلاق، فسيشعر بشيء حول «بوذا». إنّها عبارة عن نماذج أصلية في اللاوعي، حينما تقترب أكثر من أعماقك تبدأ في إطلاق شِعر روحك.

إذاً، إنّ «سومندرا» على حق. إنّه يقول: مُؤخراً، توقّف التفكير تقريباً، لقد شعرتُ فجأة أنّ نفسي وكلّ ما حولي قائم بالضبط كما كان الحال في زمن «المسيح». وأنّ هناك إحساساً قويّاً «بالمسيح» نفسه. هل تستطيع أن تقول شيئاً حول هذا النوع من الظواهر؟

إنّ هذا له أهمية بالغة. تعمّق فيه. لا تُقاومه أيّ مقاومة. إنّه أيضاً سوف يختفي. ذات يوم سوف يختفي اللاوعي أيضاً، تماماً كما اختفى الوعي. ولكن أن نعيش في نماذج اللاوعي خير من أن نعيش في الوعي، لأنّها أكثر عمقاً. لقد كان مُحقاً تماماً حين قال: «توقّف التفكير تقريباً»، لأنّه لو توقّف تماماً، فسيختفي حتى «المسيح». هذه كلّها أشياء مُرتبطة أساساً بالتفكير، كلّ الكلمات، كلّ النماذج، أشياء مُرتبطة بالتفكير. لقد تبقى جزء قليل فقط من التفكير، كُن مُستعداً «سومندرا»، كي تتخلّى عن ذلك أيضاً. لكن ليس هناك من داع للعجلة، فلا تفقد صبرك، ولا تُحاربه. إنّه سوف يذهب من تلقاء نفسه، إنّه على فراش الموت.

السؤال الثاني:

«بعد محاضرة اليوم قابلتُ «ساتيا» على السلّم. كانت تضحك، بينما أردتُ أن أبكي، بيد أنني شعرتُ أنّه يجب أن أمرح وأضحك، لقد كانت إيجابية وكنتُ سلبية، فضحكتُ ضحكة كاذبة. هل أستطيع أن أكون صادقة مع نفسي وأن أُقابلها في تلك اللحظة؟».

السؤال من «فاندانا».

هذا شيء يجب على الجميع أن يفهمه.

إنّ «ساتيا» في فضاء الضحك. هناك شيء مُفعم بالحيوية داخلها. إنّها ليست من النوع الضاحك، إنّها من النوع الباكي. عندما جاءت إلى هنا، كانَت عندما تأتي إليّ في أيّ وقت تبدأ في البكاء. لقد كانت الدموع أسهل بالنسبة إليها. لقد اختفَت الدموع الآن فجأة وظهر الضحك، ويا لها من ضاحكة مجنونة حيث

تستمرَ في الضحك ساعات. لقد كاد يُصبح الأمر مُؤلماً لها. إنّها تستمرّ في الضحك طوال الليل.

من الطبيعي أن يُصبح الإنسان خائفاً. ما الذي يحدث؟ دون سبب على الإطلاق؟ إنّها لم تكن من النوع الذي يضحك، ولذلك كانت كلّ حياتها تكبت الضحك. إنّها من نوع الأشخاص الذين يبكون، ويحزنون، وفجأة الآن يتغيّر هذا النوع، ويتأرجح من أحد الأقطاب إلى القطب الآخر. قبل أن يقف في المنتصف ويحدث التوازن، كان عليه أن يذهب إلى القطب الآخر.

لقد كانت تكبت الضحك طوال حياتها بلا علم. أمّا الآن، فقد اختفى الكبت، وتمّ إزالة الغمامة، ولم تعُد الآن تستطيع البكاء، فلم يعُد هناك دموع. إنّ كلّ ضحك حياتها يخرج الآن بانتقام! بصورة هيسترية تقريباً. إنّه حيز جميل لأنّه مؤشر على التغيير الكبير، وعلى التحوّل، على التغيير الكيميائي. لقد أصبحَت الدموع ضحكات. وعمّا قريب سوف تختفي الضحكات أيضاً. كما اختفَت الدموع، سوف تختفي الضحكات. وبعدها سوف تستقرّ في المُنتصف تماماً، وعندها سوف يكون هناك اتزان رائع، توازن. هذا التوازن هو الهدف.

إنّ الهدف ليس الإيجابية ولا السلبية، لأنّ كلاهما عبارة عن أنصاف. أجل، إذا كان عليك أن تختار بين الإيجابية والسلبية، اِختر الإيجابية. إنّها النوع الأقلّ من الشرور، هذا كلّ شيء. بيد أنه لو توجب عليك أن تختار بين السكون والإيجابية، عندها اِختر السكون. لو كان هناك اختيار واحد فقط، الدموع أو الضحك، فالضحك جيد، ولكن إذا كان هناك خيار أن تبقى صامتاً، عندها يجب أن تتخلّى عن كل من الدموع والضحك، وتُصبح صامتاً.

إنّها عما قريب سوف تصل إلى السكينة. بعد هذه العاصفة من الضحك، سوف يكون هناك هدوء كبير. إنّه دائماً يأتي بعد العاصفة. إنّه تفريغ لكلّ ذلك الضحك المكبوت، الذي يجب أن يتمّ إطلاقه من وعيها. إنّه ينهمر، وهي تتدفّق بغزارة مثل أيّ شيء.

تقول «فاندانا» الآن: «بعد مُحاضرة اليوم قابلتُ «ساتيا» على السلّم. كانت تضحك، بينما أردتُ أن أبكي، بيد أنني شعرتُ أنّه يجب أن أمرح وأضحك، لقد كانت إيجابية وكنتُ سلبية، فضحكتُ ضحكة كاذبة. هل أستطيع أن أكون صادقة مع نفسي وأن أقابلها في تلك اللحظة؟».

نعم، ليس هناك طريقة أُخرى كي تُقابل أيّ أحد، فاللقاء يُصبح مُمكناً فقط إذا كنتَ صادقاً، لأنّه يلتقي الشخصان الصادقان فقط. إنّ «ساتيا» تضحك، وبالمنطق ظنّت «فاندانا»: «لو أضحك أيضاً سيكون هناك نوع من الحوار، ونكون كلانا في الحيز نفسه».

بيد أنه كيف يُمكن أن تكونا كلاكما في المساحة نفسها؟ إنّ ضحكتها حقيقية، بينما ضحكتكِ كاذبة. إنّهما ليسا الشيء نفسه. إنّ الضحكة الحقيقية، والضحكة المزيفة قطبان مُتباعدان، فكيف يُمكن أن تلتقيا؟ إنّ الحقيقة والزيف لا يُمكن أن يلتقيا. لو انتحبَت «فاندانا» كما كانت تشعر، كان يُمكن أن يكون هناك التقاء. بيد أنّ ذلك يبدو غير منطقي، فهناك شخص يضحك وأنت تبدئين في البكاء؟ يبدو الأمر غير منطقي، وكأنك ذاهبة في اتجاه مُختلف. عندئذ كيف سيكون هناك التقاء؟ دعني أُخبركِ، أنت لست ذاهبة في اتجاه مختلف. إذا كنتِ صادقة وكانت هي صادقة، فأنتما تسيران في الاتجاه نفسه، ولا يهمّ أيّ نوع من الحقيقة تحدث إليك.

لو كانت «فاندانا» بكَت دموعاً غزيرة، لو أنها انتحبت كما كانت تشعر، لو كانت صادقة مع احساسها، لكان حدث التقاء، عندئذ لا يكون الضحك والبكاء مُتناقضين لأنّ كلاهما صادق. إنّ الأشياء الحقيقية فقط يُمكن أن تلتقي، ويكون بينها حوار.

بيد أنّها أضاعت بيت القصيد، كما كان سيفعل الكثير منكم. يقول التفكير المنطقي: «إنّها تضحك، وإذا بكيتُ فسنفترق. عندئذ كيف يُمكن أن يكون هناك اتصال بيننا؟».

بعد ذلك يقول التفكير: «إنّها إيجابية وأنتِ سلبية»، هذا لا يهمّ. تستطيع أن تلتقي بشخص إيجابي من خلال سلبيتك. إنّ الشيء الوحيد الذي أنت في حاجة إليه هو أرضية وخلفية مُشتركة من الصدق.

يمكن للإيجابية والسلبية أن يلتقيا. في الحقيقة، إنهما يلتقيان بصورة جميلة. في الواقع، يحدث في بعض الأحيان ألا تستطيع الإيجابية أن تلتقي مع الإيجابية، والعكس صحيح، لأنهما لا يملكان جذب التضاد. هناك نوع من الشذوذ الجنسي حينما يكون هناك إيجابية مع إيجابية، وعندما تكون هناك سلبية مع سلبية. إنّ اللقاء يكون أكثر سهولة وأكثر ثراء عندما يكونان من جنسين مُختلفين. إنّ الضحك والبكاء يُمكن أن يلتقيا في مُنتهي الجمال. هذا هو لقاء الرجل مع المرأة، النهار مع الليل، الحياة مع الموت.

تستطيع أن تسأل عالماً، أو فيزيائياً، وسوف يقول: «يُمكن للأقطاب المتضادة فقط أن تلتقي. يتنافر الموجب مع الموجب، ويتنافر السالب مع السالب. فقط الموجب والسالب يلتقيان». إذا احضرتَ مغناطيسين مُوجبين وقربتهما من بعضهما، فسوف يتنافران، إذا أحضرتَ واحداً سالباً، وآخر موجباً مع بعض فسوف يتجاذبان إلى بعضهما في تزاوج.

إذاً، إنّ الشيء الوحيد المطلوب هو الصدق. لا تقلق بشأن الإيجابي والسلبي. لا تستمع إلى التفكير المنطقي، لأنّ التفكير المنطقي غريب. إنّ الحياة أكبر من المنطق.

اِنظر فقط: تشعر «فاندانا» بالرغبة في أن تبكي بينما تضحك «ساتيا»، إنّ كلاهما حقيقي. هكذا، هناك أرض مشتركة، وهما تسيران في الاتجاه نفسه، وهما تستطيعان أن تُمسكا بيدي بعضهما. قد تستمرّ «ساتيا» في الضحك، بينما تستمرّ «فاندانا» في البكاء، وسوف يكون هناك نوع من التزاوج، ونوع من الاتحاد الرائع في هذه اللحظة، فكلاهما صادق. تذكّري، وحده الصدق فقط مَن يقوم بحلقة الوصل. وحدها الحقيقة تعمل كالجسر.

لا تقلقي بشأن السلبي والإيجابي. إنّ الشيء الوحيد الذي يجب تذكّره دائماً هو الصدق، فكلّ ما هو مُزيّف يخلق الأعباء.

السؤال الثالث:

لماذا الناس مُزيفين على نحو كبير؟

إنّ الناس مُزيفون, لأنّ ذلك ما يُدفع له، إنّها سياسة جيدة. لو كنتَ صادقاً، فأنت في خطر. تستطيع أن تكون صادقاً فقط في مُجتمع صادق، حيث يكون الصدق مُحترم، ومحبوب. أمّا هذا المجتمع فهو يعيش على الأكاذيب. إنّ الصدق هنا ليس مُحترماً، بل إنه مصلوب، ومقتول، بينما يتمّ تتويج الكذب،

وهذا هو سبب أنّ السياسة أصبحت ذات أهمية بالغة في هذا العالم، فالسياسة لعبة الأكاذيب، ومن أجل ذلك أصبح السياسيون أهمّ الأشخاص في العالم. يجب أن يكون السياسيون في نهاية القائمة، ولكنّهم أصبحوا في المُقدّمة بسبب أنّ هذا العالم، وهذا المجتمع بأكمله، قائم على الأكاذيب. لو كنتَ تعيش مع الكاذبين، وكنتَ مُضطراً أن تعيش مع كلّ هذا الزيف حولك، عليك أن تكون مُزيفاً، فهذا ما يُدفع له الثمن، وهو أمر اقتصادي، إنّه آمن، إنّه يقوم بحمايتك، وإلا سيكون الناس ضدّك. لو كنتَ صادقاً، بينما يعيشون جميعاً من خلال الأكاذيب، فلن يستطيعون تحمّلك.

منذ البداية يتعلّم الطفل أنّ الأكاذيب مُجزية. لو أنّ الطفل قال الحقيقة، فسوف يُضرب، فقول الحقيقة يُسبب نوعاً من الإحراج للوالدين. لو كان الطفل صريحاً، فلن يكون هناك أحدٌ في صفه، بل سيكون الجميع ضدّه. أمّا لو كان يكذب، فهو يستطيع أن يحمي نفسه. حيث تُصبح الكذبة وكأنّها مظلّة، وإذا كان يكذب بتوافق مع أكاذيب الوالدين، فلن تكون هناك مُشكلة على الإطلاق. يستطيع أن يتواجد في مُنتهى السلاسة. إنّ الأطفال في غاية الإدراك والحساسية، إنّهم يتعلّمون أيّ ما يرونه يدور من حولهم.

لقد سمعتُ...

بعد فترة غياب طويلة وبينما كان عائداً إلى مكان عائلته على الشاطئ، وجدهم الطفل يستعدون من أجل الرحيل.

قالت الأم: «أسرع، إننا ذاهبون إلى المطعم من أجل وجبة عشاء لذيذة»،

قال الولد: «أنا لستُ جائعاً، لقد تناولتُ سبعة أقماع من المثلجات، وثلاث شطائر من السجق»،

سألت الأم المذهولة: «في أيّ مكان على ظهر الأرض حصلتَ على سبعة أقماع من المثلجات، وثلاث شطائر من السجق، دون أن يكون لديك أيّ أموال؟».

«أنا لم أكن في حاجة إلى المال. لقد تجوّلتُ فقط على طول الشاطئ باكياً وكأنني تائه»،

«باكياً وكأنني تائه...»، لقد تعلّم الطفل الآن الخدعة الكبرى. إذا قام الطفل بالادعاء أنّه تائه، فذلك شيء يُدفع من أجله. هذا هو كلّ السرّ في أنّ الناس زائفين، إنّه أمر يُدفع من أجله. حينما تكون صادقاً، فهذا يُؤذيك، مَن يُريد أن يُؤذي نفسه، ومن أجل ماذا؟ إنّ الكذب هو مقياس النجاة.

لقد سمعتُ...

وقع جامع تحف مُصادفة على لوحة تحمل توقيع «بيكاسو»، فقام بشرائها في الحال، آملاً أن تُثبت أنّها قيّمة للغاية. بيد أنّ الشكّ المُزعج حول إمكانية أن تكون مُزورة، اضطره أن يبحث عن منزل «بيكاسو».

بعد طول انتظار حصل أخيراً على دقيقة من وقت «بيكاسو»، وأطلعه على اللوحة.

ردّ الرسّام العظيم بحدة: «إنّها مُقلّدة!»، وأغلق الباب بعنف.

شعر جامع التحف بخيبة الأمل، وعزم ألا يُخدع مرة أُخرى. مع ذلك، وبعد فترة من الوقت، وجد

لوحة مختلفة، وكانت أيضاً تحمل توقيع «بيكاسو». بحث بعناية عن تاريخ تلك اللوحة، وقام بشرائها فقط بعد توثيق صحتها تماماً. مع ذلك، وحتى مع الدليل القانوني أنها لوحة أصلية من رسم -»بيكاسو»، كان لا يزال يشعر بوخز الشكّ، فعزم على إرضاء شكوكه بزيارة الرسّام مرة أُخرى.

حينما حصل أخيراً على دقيقة من وقت «بيكاسو»، ألقى الرسّام العظيم نظرة واحدة على اللوحة، وقال: «إنّها مُقلّدة!»

ناشده جامع التحف: «أرجوك «بيكاسو»، لقد بحثتُ عن هذه اللوحة بعناية. أستطيع أن أُثبت أنك رسمتها بنفسك».

ردّ «بيكاسو» على ذلك: «إنني عادة لا أرسم اللوحات المُقلّدة».

إنّه يحدث. حتى الرسّام يبدأ في تعلّم ما الذي يباع. ليست كلّ لوحات «بيكاسو» مُبتكرة، بل معظمها مُقلّدة، على الرغم من أنّه هو الذي قام برسمها. إذاً فما الذي يعنيه بقوله إنّها مُقلّدة؟ إنّه ببساطة يقول إنّه قام بنسخها من لوحاته الأُخرى، فهي ليست أصلية، إنّها نسخة، ولا يهمّ مَن الذي يقوم بالنسخ، شخص آخر أم «بيكاسو» نفسه.

إنه تقريباً دائماً ما يحدث أنّه عندما يحصل شخص على «جائزة نوبل» فإنّه لا يُنتج إطلاقاً أيّ شيء مُبتكر بعدها. إنّه يقوم بتكرار قصته القديمة بطرق جديدة. لأنّه دفع الكثير حتى وصل، إنّه عالق. إنّه يعتقد أنّها تُحقق مبيعات، لذلك فهو يقوم بكتابة الشيء نفسه مرة بعد أُخرى. لم يحدث إطلاقاً حتى الآن بعد الحصول على «جائزة نوبل»، أنه استطاع شاعر أو أديب أن يُقدّم أيّ شيء مُبتكر مرة أُخرى. إنّ «جائزة نوبل» مثل ناقوس الموت، إذ يُعتبر أنّ هذا الشخص قد انتهى، لأنّه الآن يعرف ما الذي يُدفع من أجله، وقد وجد سرّ النجاح. إنّه يمتلك الآن المفتاح، إذاً لماذا يُزعج نفسه بتجربة مفاتيح أُخرى، فقد لا تكون ناجحة جداً. لماذا يهتمّ باتجاهات وأبعاد أُخرى من الابداع؟ يعرف الإنسان الطريق الصحيح من أجل فعل شيء ما، ولذلك يستمرّ في فعل الشيء الصحيح مرة بعد مرة بعد مرة، ويُصبح مُزيفاً.

إنّ الناس مُزيفون لأنّهم قد وجدوا المفتاح. إنّهم يعلمون ما الذي يجعل الحياة مُؤمّنة، مُريحة، مُلائمة، آمنة، مع أنّ الملائمة، الراحة، الأمان، الأمن، لا يجلب أيّ نوع من النعيم، بل إنّها تجلب كلّ أنواع البؤس، إنّها لا تأتي بأيّ سعادة إلى الحياة، فالسعادة تأتي فقط من خلال كونك أصلياً. وما لم يكن لديك وجهك الأصلي فلن تكون في نعيم أبداً.

بيد أنه كي يكون لديك وجهك الأصلي سوف يكون عليك أن تمرّ خلال الكثير من العوائق، والمشقات، فالطريق شاق. خُذ في اعتبارك أنّك كلّما واجهتَ اختياراً بين الملائمة والفرح، دائماً اِختر الفرح، وإلا فستُصبح مُزيفاً. كلّما واجهتَ اختياراً بين الراحة وبين المُغامرة، اِختر المُغامرة أيّ كان الأمر شاقاً، وإلا فستُصبح مُزيفاً. حينما يكون عليك الاختيار بين الأمان وانعدام الأمان، دع انعدام الأمان يكون حُبك. لا تختر الأمان أبداً، فالأمان يجعل الناس أمواتاً ومُملين. إنّ الشخص الذي في أمان تامّ هو بالفعل في قبره، إنّه لم يعُد حيّاً. إذا كنتَ حياً، فهناك ضرورة ألا تكون في أمان. كلّما أردت الحياة أكثر، قلّ الأمان.

إنّ الشخص الذي يعيش حياته فعلياً، يعيش لحظة بلحظة في عدم أمان، ولكن حينها يكون هناك إثارة هائلة، فهو دائماً على حافة المجهول، ودائماً ما يتحرّك نحو شيء غامض. إنّ الشيء الغامض لا

يُمكن أن يكون آمناً. لا تعتمد على أرصدة البنوك، لا تعتمد على الزواج، لا تعتمد على وظيفة مريحة ذات دخل جيد، لا تعتمد على العائلة، على المجتمع، على الحالة التي أنت فيها. إنّ الأشخاص الذين يعتمدون على تلك الأشياء موجودون في كلّ مكان. تستطيع أن تراهم، كم هم ميتون، وكم هم عالقون في حياتهم، وكم هي حزينة عيونهم. ليس هناك أغنية واحدة في قلوبهم، ولا تستطيع أن تشعر بأيّ رقصة في خطواتهم. هذا مستحيل. تستطيع أن تبحث في حياتهم وسوف تجد الصحراء، ثمّ المزيد من الصحراء، ولن تجد واحة واحدة. إنّ الحُبّ لا يُزهر عندهم، وهم لا يعرفون الاحتفال.

لقد سمعتُ...

مات رجل هندي، وكان رجلاً مُتديناً جداً، شعائرياً، رسمياً. لقد كان يقوم بكلّ أنواع الأشياء التي يقول عليها الكتاب المُقدّس، ولذلك كان متيقناً تماماً من بلوغ الجنة. عندما وصل إلى هناك نظر إلى الباب، وكان مُتفاجئاً. إنّ الجنة تبدو تقريباً مثل «الهند»، وليس هناك فارق على الإطلاق.

من أجل ذلك، سأل الملاك الواقف بجوار البوابة: «ما الخطب؟ إنّها تُشبه «الهند» تقريباً، إنني لا أرى أيّ فارق. إن الجنة تقريباً تُشبه أرضنا، وتُشبه بلدنا».

قال الرجل الواقف عند الباب: «ما الذي تتحدّث عنه؟ ولماذا تستمر في الانحناء لي؟ هذه ليست الجنة وأنا لستُ ملاكاً!».

هذه قصة جميلة... إنّه الجحيم وهذا الرجل الواقف بالباب ليس ملاكاً وإنما هو الشيطان!, بيد أنّ الجحيم سوف يبدو مثل «الهند». إنّ الجحيم سوف يبدو مثل أيّ شيء أصبحت مُعتاداً عليه. لو كنت ألمانياً، فستبدو الجحيم مثل «ألمانيا»، ولو كنت «يابانياً» فستبدو الجحيم حينها مثل «اليابان»، ولو كنت «إنجليزياً»، فسيبدو الجحيم تماماً مثل «إنجلترا».

إن الجحيم هو ذلك الذي تعرفه. تأمّل هذا: إنّ الجحيم هو ذلك الذي أنت مُلمّ به، الجحيم هو الماضي، المعروف، الطريق المُعبّد بخطى الأقدام جيداً. بينما الجنة هي الشيء المجهول، والشيء الذي لا تستطيع أن تُقارنه بالماضي، ولا تستطيع أن تُقارنه بخبرتك، ليس هناك مُقارنة. إنّها جديدة تماماً! تماماً! بكلّ تأكيد! إنّها ليس لها نظير. إنك لم تعرف إطلاقاً أيّ شيء يشبهها.

بيد أنك لو عشتَ حياة الراحة والملائمة والطقوس والشكليات والأكاذيب، إذا كنت تعيش حياة زائفة، حياة مزيّفة، فأنت تعيش في الجحيم، وسوف تعيش في الجحيم في المستقبل أيضاً، فأنت تخلقه حول نفسك. اِنفُض الغبار عن نفسك، واخرُج من الحياة المُملّة والمُميتة والتي تُسمّيها حياة. اِبدأ في العيش مُجدداً. ولا تُفكّر بما يعود عليك بالفائدة! إنّه دائماً شيء خاطئ وجود مَن يدفع في هذا العالم، فالشيء الصحيح لا يُدفع له، لأنّه ليس هناك الكثير من الأشخاص الذين يُمكن أن يدفعوا من أجل الشيء الصحيح. بينما لو قمتَ بالشيء الخاطئ فستنال الكثير.

فقط فكّر بالأمر، إنّ الشاعر لا يُدفع له، بينما يُدفع للقائد العسكري، مع أنه يقوم بالشيء الخاطئ، وهو قتل الناس. إنّه قاتل. يتمّ الدفع للجنديّ، وليس للرسام. إنّ هؤلاء الذين يجلبون الموت إلى العالم، وهم مَن يتمّ الدفع إليهم. ألا يُمكنك أن ترى ذلك؟ إنّ رجال الجيش هم أشخاص ذوو أجور عالية. إنّهم الجزارون والقتلة، ولكنّهم الأعلى أجوراً، والأحسن تغذية. إنّهم يعيشون في منازل جيدة، وتتوفّر لديهم كلّ تسهيلات

الحياة. اِنظر إلى الشاعر الذي يُغني أغاني الحُبّ، وستراه فقيراً مُعدماً. فكّر في العازف الذي يُحضر الموسيقى إلى بابك، إنّه فقير مُعدم. كلّ ما هو صحيح لا يُدفع له، ولا يُمكن الدفع إليه. إنّ العالم مُخطئ للغاية, إنّ السياسيين أجورهم عالية، ويحظون باحترام كبير. وترى صفحات الجرائد الرسمية مليئة بأخبارهم. هل سبق أن رأيتَ في الصحف أيّ شيء خلاف السياسة، بينما هم أكثر الناس أذى في العالم؟ هؤلاء هم الأشخاص الذين يُحوّلون الأرض إلى جحيم، بيد أنهم الأشخاص ذوو الأجور المرتفعة.

تذكّر، إذا كنتَ تُفكّر من منطلق الأجر، فستكون زائفاً. إذا كنت تُريد أن يُدفع لك في هذا العالم، وتشعر بالراحة والرفاهية، يجب عليك أن تكون زائفاً. إذا أردتَ فعلاً أن تحيا، عندئذ لا تقلق بشأن هل يُدفع على هذا الشيء أم لا. لو كان يُدفع، فهذا جيد، ولو لم يكن يُدفع فهذا جيد أيضاً.

بيد أنك عندها ستعيش حياة الخصوبة الرائعة. قد لا تكون غنياً، بيد أنّ حياتك سوف تكون خصبة. قد لا تكون مشهوراً، ولكنك سوف تكون فرحاً. قد لا تكون معروفاً في العالم، ولكنك سوف تكون معروفا «للإله». وكلّ ما عدا ذلك لا يُساوي شيئاً.

أنا لا أقول إنّك يجب أن تحمل صليبك على كتفيك باستمرار. كلا، أنا لا أقول ذلك. أنا لا أطلب المُستحيل أبداً. حينما تعيش مع أناس مُزيفين فليس هناك داع أيضاً أن تخلق صراعات غير ضرورية. تجنّب ذلك. امضِ في البحث عن حياتك، وعن وجهك الأصلي، ولكن ليس هناك حاجة إلى أن تكون في صراع كلّ يوم، وكلّ دقيقة، وإلا فستُصبح مُشكلة، وهدار للطاقة دون داعي. قُم باتباع قواعد الحياة العادية، تماماً كما يتبع الإنسان قواعد أيّ لعبة. في شوارع «الهند» يقولون: اِلزم اليسار، إذاً فلتلزم اليسار. إنّه ليس شيئاً ذا أهمية. بينما في «أمريكا» يلزمون اليمين. هذا أيضاً جيد تماماً. عندما تكون في «أمريكا» اِلزم اليمين، وعندما تكون في «الهند» اِلزم اليسار. وإذا كانت هناك دولة مجنونة في مكان ما حيث يجب عليك أن تلزم الوسط، فلتلزم الوسط. لا تقلق.

بيد أني اعرف دائماً أنّه ليس هناك شيئاً أساسياً، وليس له أيّ علاقة بالحقيقة. إنّه ملائمة. وحينما يكون هناك الكثير من الأشخاص، لستَ في حاجة أن تُسبب إزعاجاً للآخرين. إنّك في حرية أن تُسبب لنفسك كلّ أنواع المُضايقات، هذه حريّتك، بيد أنّك لستَ في حاجة أن تُسبب الإزعاج للآخرين.

لقد سمعتُ...

كان المايسترو العظيم «توسكانيني»، معروفاً بعصبيته الشديدة، كما كان معروفاً بموسيقاه الرائعة. عندما يعزف أعضاء الأوركيسترا الخاصة به بصورة سيئة، كان يلتقط أيّ شيء في متناوله، ويُلقي به على الأرض. في خلال احدى تجارب الأداء تسببت نغمة بلا طعم في أن يسحب العبقري ساعته القيمة، ويُحطّمها إلى درجة لم يعُد ينفع فيها التصليح.

بعدها بفترة قصيرة، استقبل من عازفيه المُخلصين صندوقاً فخماً مخملياً مُخططاً يحتوي على ساعتين: إحداهما كانت ساعة ذهبية جميلة، والأُخرى ساعة رخيصة مكتوب عليها: من أجل تجارب الأداء فقط.

هكذا، خُذ الأمر في الاعتبار. عندما تتحرّك في العالم، وتتنقل مع الناس، فليس هناك داع أن تحمل صليبك، وتصيح باستمرار أنك شهيد، أو أنك «المسيح»، أو «المنصور»، ليس هناك داع إلى ذلك.

اِتبع قواعد اللعبة. إنّها مُجرّد لعبة.

يجب أن تتذكّر دائماً أنّ اللعبة يجب ألا تُصبح حياتك بأكملها. هذا كلّ ما أُحبّ أن يتذكّره المُريدون عندي. هذا سبب أنني لم أفصلك عن المجتمع، وهذا شيء لم يحدث إطلاقاً من قبل. إنّه لم يحدث إطلاقاً من قبل لسبب واحد: لم يكن «بوذا» يسمح لمُريديه أن يندمجوا في العالم، كانت المشكلة أنه لو أراد المُريد أن يكون حقيقياً، فسيكون من الصعب عليه أن يعيش في هذا العالم، لأنّه عندما تكون مع الناس يجب عليك أن تكون مُؤدباً، ورسمياً في الكثير من الأوقات. لا يُمكنك في العالم أن تتذكّر باستمرار أنك يجب أن تكون صادقاً، فالناس زائفون للغاية. فقط بدافع الشفقة والأدب، يجب عليك أحياناً أن تبقى هادئاً، ولا تتفوّه بكلمة واحدة، لأنّك لو قلتَ شيئاً فقد تُؤذي الآخرين بلا داعي، أو قد تضطرّ أحياناً أن تفعل شيئاً قد لا يكون حقيقياً. إنّك لا تستطيع أن تكون نفسك تماماً عندما تعيش مع عدد كبير من الناس. من أجل ذلك، قال «بوذا» إلى مُريديه: «اهجروا العالم، ضحّوا بعلاقاتكم حتى تكونوا صادقين». إنّ هؤلاء الذين قرروا أن يعيشوا في العالم قد ضحّوا بصدقهم حتى يُحافظوا على علاقاتهم.

إنّ كلاهما غير متوازن. تستطيع هجر العالم، ولكن عندها سوف تُضيّع فرصاً كثيرة للنمو. يُمكنك أن تذهب إلى كهف في «الهيمالايا» وتجلس هناك. بالطبع لن تكون هناك حاجة إلى الكذب، لأنّه لا يُوجد أحد حتى تكذب عليه، لا يُوجد أحد تتحدّث معه، أو تُقيم علاقة معه. سوف تكون وحيداً في الكهف، وتكون صادقاً تماماً، سوف تستطيع أن تمتلك وجهك الأصلي، ولكن عندئذ لن يكون لديك أيّ فرصة تُشكّل تحدّ يستفزك كي تنمو. إنّك خال من الحياة، وفقط من خلال الحياة ينمو الناس.

إنّ الحياة فرصة عظيمة. في الكهف سوف تكون معزولاً، وحيداً تماماً، باهتاً، بلا حياة. سوف تُصبح ميتاً مرة أُخرى نظراً لأنّه ليس لديك أيّ فرصة للاستجابة. نعم، لن تُخبر أيّ أحد أيّ شيء غير حقيقي، ولكن لمَن سوف تقول الحقيقة؟ نعم لن تكون غاضباً، ولكنك لن تُحبّ أيضاً. إذاً فهو شيء بلا معنى. لقد تخلّصتَ من الغضب، ولكن سوف يختفي الحُبّ أيضاً. هكذا أصبح النوع القديم من المُريدية بارداً. إنّهم ليس لديهم أيّ غضب، وهذا شيء جيد، ولكنهم ليس لديهم أيّ حُبّ، . وهذا شيء لا يُمكن الثناء عليه.

إنّ الأمر مثل شخص كان خائفاً من المرض فأقدم على الانتحار . إنه الآن لن يمرض أبداً، هذا صحيح، ولكنّه لن يكون حياً أيضاً. إنّه مثل إلقاء الرضيع في حمام مائي. إنني لا أدعم ذلك الأمر.

بيد أنه حتى هذه اللحظة هذان هما الخياران اللذان تمّ منحهما إلى البشرية: الأول هو أن تعتزل العالم وتنغلق على نفسك، وهو نوع من الحياة المُمّلة مرة أُخرى. أو أن تعيش في العالم وتكون مُزيّفاً، لأنّه أمرٌ شاق جداً أن تكون صادقاً.

إنني أُعطيك المعنى الذهبي: عِش في العالم، ولا تُصبح جزءاً منه. سوف يكون عليك أن تكون مُنتبهاً جداً، ويقظاً جداً، وأكثر انتباهاً من مُريدي «بوذا». إنّهم لم يكونوا في حاجة أن يكونوا مُنتبهين، لقد كان بإمكانهم أن يذهبوا إلى النوم في كهوفهم. أما أنت فعليك أنت تكون مُنتبهاً جداً، وتحتفظ بساعتين، واحدة من أجل تجارب الأداء فقط، وواحدة هي الساعة الحقيقية تحتفظ بها لنفسك. سوف يكون عليك أن تُصبح مُمثلاً عظيماً. بيد أنك عندما تقوم بالتمثيل باستمرار فلن تكون مزيّفاً. حينما يكون هناك تمثيل مُستمرّ، وأنت تعرف أنّه مُجرّد تمثيل، عندئذ لن يقوم بتدمير حياتك. بيد أنك عندما تنسى أن ذلك مُجرّد

تمثيل وتُصبح معرّفاً به، عندها تُصبح دنيوياً.

إذاً، فالتعريف القديم للدنيوي هو أن يعيش في الدنيا، بينما تعريف اللادنيوي هو أنّه لا يعيش في العالم ويخرج منه. بيد أنّ تعريفي مُختلف تماماً. إنّ الدنيوي هو الإنسان الذي ينغمس في التمثيل ويُصبح لاواعياً وينسى أنّ هذا تمثيل. إنّه كأنك تلعب دوراً على خشبة المسرح، وتُمثل دوراً ما. على سبيل المثال، هناك دراما وأنت تلعب دور «المسيح» أو «بيلاطس النبطي» ونسيت أنّه دور، وحينما تُسدل الستائر، وتعود إلى منزلك، تعود على أنك «بيلاطس النبطي» أو «المسيح»، عندئذ سوف تكون في ورطة.

لقد حدث ذلك في بعض الأحيان. ذات مرة حدث مع الممثل الذي كان يلعب دور «أبراهام لينكولن» باستمرار مدة سنة في أنحاء «الولايات المتحدة». كان الفريق يُسافر يومياً من مدينة إلى أُخرى، وكان هو «أبراهام لينكولن». إنّ مدة عام مدة طويلة. لقد اختلط عليه الأمر. لقد نسي بعد عام هويته الأصلية، ونسي مَن كان، وبدأ في الادعاء أنّه «أبراهام لينكولن». في البداية ظن الناس أنّه كان يمزح، ولكن بعد ذلك أصبح الأمر جاداً. لقد عاد إلى المنزل على أنه «أبراهام لينكولن». حاولَت زوجته أن تُقنعه أن يخرج من شخصية الدور، وحاول والده أن يُقنعه أنّه ليس «أبراهام لينكولن»، بيد أنّه لم يكن يستمع، ولم يكن يرتدي ملابس عادية أيضاً، بل كان يرتدي الملابس التي كان يرتديها على المسرح. لقد كان يسير كما يسير «أبراهام»، ويتلعثم مثله، لقد أصبح وجهه يُشبه وجه «أبراهام». في مدة عام كامل كان يتظاهر ويتظاهر. لقد أصبح الأمر صعباً للغاية حتى أنّهم اضطروا أن يأخذوه إلى طبيب نفسي. حاول الطبيب النفسي جاهداً من كل الاتجاهات، بيد أنّه لم يكن يقول أيّ شيء خلاف: «ماذا تقول؟ هل جُننت؟ أنا «أبراهام لينكولن»!»، لم تكُن هناك طريقة...

في «أمريكا» لديهم آلية من أجل كشف الكذب يقومون باستخدامها في المحاكم. يقف الشخص المعني على الجهاز وهو غير مُدرك لوجود الجهاز تحته. إنّه مثل جهاز رسم القلب. إنّه يقوم برسم ضربات قلبك. عندما تقول الحقيقة، يرسم خطوطاً ناعمة، وحينما تكون فجأة مُستعداً كي تتحدّث بالكذب تكون هناك فجوة، لأنّ القلب يعلم شيئاً آخر. فيتكسّر شكلّ الرسم. حينما تكذب يُمكن رؤية ذلك على الرسم. حيث يُصبح الرسم مُرتعشاً أو مُتكسّراً.

على سبيل المثال، إذا سألك أحد ما: «ما الوقت في ساعتك؟»، فأنت تنظر وتقول: «إنّها التاسعة». ليس هناك حاجة إلى الكذب، ويجري الرسم بسلاسة. إذا سألك أحدهم: «كم عدد الأشخاص الموجودين هنا؟»، فأنت تعدّ وتقول: «عشرة»، فليس هناك حاجة إلى الكذب، فيجري الرسم بسلاسة. بعدها يسألك: «هل أنت مَن قتل هذا الرجل؟»، يقول قلبك: «نعم!» لأنّه يعلم، وأنت تقول «كلا»، فيكون هناك تعارض بينك وبين قلبك، وهذا التعارض يهزّ الرسم. وهنا يُمكن أن يظهر أين كذبت.

من أجل ذلك، اِقترح الطبيب النفسي أن يُوضع هذا الذي يدّعي أنه «أبراهام لينكولن» على جهاز كشف الكذب. وهناك فقط يستطيعون أن يروا إن كان يكذب أم لا. لقد ضاق ذرعاً هذا الرجل الذي يدّعي أنه «أبراهام لينكولن» بكلّ أنواع العلاج والطبّ النفسي والأدوية والمُهدئات، وكلّ أنواع الاقتراحات، وكلّ شخص يتظاهر بالحكمة وبرعايته له، ولذلك قرر في ذلك اليوم على الرغم من أنّه «أبراهام لينكولن»، من الأفضل أن يقول لستُ «أبراهام». «يجب أن أنتهي من هذا الأمر! في داخلي أنا أعرف أنني هو، ولكن ظاهرياً سوف أُخبرهم فقط، وأنتهي من الأمر. وإلا فستُصبح الحياة مُعقّدة!».

بينما كان يقف على جهاز كشف الكذب، سألوه أسئلة مُختلفة فأجاب عليها. ثمّ وصلوا إلى السؤال الحقيقي، فسألوه: «هل أنت «أبراهام لينكولن»؟».

قال: «كلا!»، فأشار الجهاز إلى أنّه يكذب.

لقد تناغم بصورة كبيرة مع الفكرة، إلى درجة أنّه في أعماقه علم أنّه «أبراهام لينكولن». إنه الآن يكذب في ظاهره فقط.

لو حدث ذلك، فأنت شخص دنيوي. هذا هو تعريفي للشخص الدنيوي: إنه الشخص الذي ينغمس في دوره التمثيلي، وينسى أن يتحرر منه، إنه الشخص الذي يبقى عالقاً هناك. هذا هو الشخص الدنيوي، بينما المُريد هو الرجل الذي يستمرّ في لعب الأدوار، ويعرف أنّها أدواراً، ولا يتعلّق إطلاقاً بأيّ دور. عندما يعود إلى المنزل، فإنّه يلعب دور كونّه الزوج والأب والزوجة. إنّها كلّها ألعاب. اِلعب بلطف، اِلعب بفنّ، اِلعب بجمال، ولكن ليس هناك حاجة إلى أن تتعلّق بأيّ دور، دور «أن تكون» والداً، «أن تكوني» والدة، «أن تكون» هذا أو ذاك. أو كونك طبيباً، مُهندساً، هذا أو ذاك، فكلها وظائف. عندما تُعالج مريضاً، تقمّص دور كونك طبيباً، ولكن حينما لا يكون هناك مرضى وأنت جالس بمُفردك في حجرتك، ليس هناك داع أن تكون طبيباً. وإلا فأنت تقوم بفعل الشيء الغبي نفسه الذي كان يقوم به ذلك الرجل الذي أصبح «أبراهام لينكولن».

لقد اعتدتُ أن أمكث في منزل صديق لي في «كالكوتا»، وكان أحد قضاة المحكمة العليا في تلك الأيام، الآن هو رئيس القضاة في مكان ما. قالَت لي زوجته: «إنّ زوجي يحترمك كثيراً، ويُحبّك كثيراً، إنّك الشخص الوحيد الذي يُمكن أن يكون عوناً لي»، قلتُ: «ما المشكلة؟»، قالت: «إنّه القاضي دائماً، حتى في المنزل، حتى مع الأطفال. إنّه لا يتخلّى أبداً عن هذا الدور. وليس هذا فقط، بل حتى وهو معي في الفراش، حينما نُمارس الحُبّ، فهو دائماً القاضي. ويجب علي أن أدعوه «جلالتك»، «سيادتك». إنّه ينتظر ذلك. بينما أشعر أنني مُجرمة ماثلة أمامه دائماً كي يحكم عليّ. يُصبح المنزل بأكمله حزيناً عندما يحضر، ويكون هناك فرح عندما يذهب القاضي».

إنّ هذا يحدث تقريباً مع كلّ شخص، بصورة أكثر أو أقلّ. أنا أدعو الرجل دنيوياً، عندما لا يعرف كيف يلعب اللعبة ويأخذها عل محمل الجد أكثر من اللازم.

إنّ المُريد عندي هو مدخل جديد إلى عالم الدين. إنّه سوف يعيش في العالم، ويلعب كلّ أنواع الألعاب، ويكون مُدركاً أنّها كلّها ألعاب، ولن يعلق إطلاقاً في أيّ لعبة. سوف يكون دائماً قادراً على أن يخرج من أيّ دور بسهولة، ويستمرّ في البحث عن وجهه الأصلي. إنّه لن يفقد نفسه في الأدوار التي يجب عليه أن يؤديها.

إنّ هذا الأمر ذو أهمية بالغة. لو أنّه عاش في الدنيا بطريقة دنيوية، سوف يُصبح ميتاً، ولو أنّه أصبح من النوع التقليدي القديم من المُريدين، فسينغلق على نفسه ويُصبح ميتاً. إنّ كلاهما طريق للموت. إنّ الحياة هي حيث يتقابل الأضداد، ويتقابل الليل والنهار. إنّ الحياة هي الدنيا، ولكنها مُتاحة فقط من أجل أولئك الذين يستطيعون أن يبقوا أعلى منها. كُن زهرة لوتس تعيش في الطين، ولكنه مع ذلك لا يلمسها أبداً.

السؤال الرابع.

«إنني مشوش كثيراً بشأن السؤال التالي. لقد تدرّبتُ كطبيب، ولطالما شعرتُ في أعماقي دائماً أنّ هذا شيء جيد. بيد أنه هناك شيء أساسي في عملي ونشاطي، هو رفض قبول المرض والموت، ورفض اعتلال الصحة ومُعاناة الإنسان. إنّه عميق جداً، وبذلك يُمثل رفضاً لقبول الحياة أو الوجود كما هو. هناك في العمق رغبة في تصحيح بعض هذه الآليات الخاصة بالطبيعة. إنّ كلّ أنشطتي المُتخصصة يدفعها الخوف، خوف شخصي عميق من المرض، المُعاناة، الموت. أنا لا أعرف كيف أرى عملي في ضوء النظرة الشاملة. رجاء قُم بتسليط ضوء الوجود على هذه المساحة من الارتباك من أجلي».

هذه مسألة هامة، بيد أنّ هذا السؤال نشأ بسبب السلوك الخاطئ في الطبّ الغربي.

نمتلك في الشرق نظرة مُختلفة كلياً. إنّ القطب المُعاكس للطبّ الغربي هو الموقف «الطاوي» من الطبّ. عليك أن تفهم القليل من الأشياء.

بداية يقول السؤال: «إنني مشوش كثيراً بشأن السؤال التالي. لقد تدرّبتُ كطبيب، ولطالما شعرتُ في أعماقي دائماً أنّ هذا شيء جيد. بيد أنه هناك شيء أساسي في عملي ونشاطي، هو رفض قبول المرض والموت، ورفض اعتلال الصحة ومُعاناة الإنسان».

الآن، لا بُدّ من توضيح الفارق. إنّ المرض، واعتلال الصحة، المُعاناة، هي شيء، والموت شيء مُختلف تماماً. بالنسبة إلى التفكير الغربي، فإنّ المرض، اعتلال الصحة، المعاناة، الموت، كلّها معاً تُشكل حزمة واحدة، ومن هنا تنشأ المشاكل.

إنّ الموت جميل، بينما المرض ليس كذلك، كذلك المعاناة، واعتلال الصحة ليسا كذلك. إنّ الموت جميل، وهو ليس السيف الذي يُنهي حياتك، إنّه مثل الزهرة المُطلقة التي تُزهر في الدقيقة الأخيرة. إنّه الذروة. إنّ الموت هو الزهرة على شجرة الحياة. إنّه ليس نهاية الحياة بل ذروة التصعيد. إنّه النشوة المطلقة. ليس هناك شيء خاطئ في الموت، إنّه جميل، ولكن على الإنسان أن يتعلّم كيف يعيش وكيف يموت.

هناك فنّ للعيش، وهناك فنّ للموت، والفنّ الثاني أكثر قيمة من الفنّ الأول. بيد أنك تستطيع أن تعرف النوع الثاني فقط إذا عرفتَ الأول. فقط هؤلاء الذين يعرفون كيف يعيشون الحياة بصورة صحيحة، يعرفون كيف يموتون بطريقة صحيحة. وعندها يكون الموت هو البوابة إلى الألوهية.

هكذا، الشيء الأول: رجاء إحتفظ بالموت مُنفصلاً. فكّر فقط في المرض، اعتلال الصحة، المُعاناة. لستَ في حاجة أن تُحارب الموت. إنّ ذلك يخلق مُعاناة في الفكر الغربي، في المستشفيات الغربية، في الطبّ الغربي، حيث يُحارب الناس الموت. إنّ الناس يعيشون تقريباً في المستشفيات، ويعيشون على الأدوية. إنّهم يُجبرون على العيش بلا داع، في حين أنّهم ماتوا بصورة طبيعية. من خلال الدعم الطبي يتمّ تأجيل وفاتهم. إنّهم بلا فائدة، والحياة بالنسبة إليهم دون فائدة، لقد انتهت اللعبة، وانتهوا. عندما نُبقيهم الآن أحياء، فهذا يعني أننا نجعلهم يُعانون أكثر. أحياناً قد يكونون في غيبوبة، وقد يبقى الإنسان في غيبوبة أشهراً وأعواماً، بيد أنه بسبب العداوة مع الموت، أصبح الأمر مُشكلة هائلة في التفكير الغربي: ما العمل عندما يكون أحدهم في غيبوبة ولن يفيق أبداً، في حين يُمكن الاحتفاظ به على قيد الحياة أعواماً؟ سوف يكون مُجرّد جثة تتنفّس. هذا كلّ شيء. إنّه ببساطة سوف يحيا حياة فارغة، بل لن تكون

هناك حياة.

ما الهدف؟ لماذا لا ندعه يموت؟ هناك خوف من الموت. إنّ الموت هو العدو، فكيف نستسلم إلى العدو، إلى الموت؟

إذاً، هناك جدل هائل في التفكير الطبي الغربي، فما العمل؟ هل يجب أن يُسمح للإنسان أن يموت؟ هل يجب أن يُسمح للإنسان أن يُقرر إذا كان يرغب في أن يموت؟ هل يجب أن يُسمح للعائلة أن تُقرر ما إذا كانوا يُريدون له أن يموت؟ لأنّه أحياناً قد يكون الإنسان غير واع ولا يستطيع أن يُقرر.

بيد أنه هل من الصحيح مُساعدة شخص ما على الموت؟ ينشأ خوف هائل في التفكير الغربي. على الموت؟ هذا يعني أنّك تقتل الشخص! لقد وُجدت كلّ العلوم حتى تُبقيّه حياً.

الآن هذا غباء! إنّ الحياة في حدّ ذاتها ليس لها قيمة إلا أن يكون فيها فرح، ويكون فيها رقص، ويُوجد فيها بعض الابداع، ويكون فيها حُبّ، دون ذلك تكون الحياة بلا معنى في حدّ ذاتها. إنّ مُجرّد أن تعيش لا معنى له. يتحقق الأمر عندما يكون الإنسان قد عاش، وعندما يكون من الطبيعي أن يموت، عندها يكون من الجميل أن يموت. تماماً مثلما تقوم بعمل طوال اليوم، فيتحقق الأمر حينما تغفو. إنّ الموت هو نوع من النوم العميق. إنك سوف تُولد من جديد في جسد جديد وآلية جديدة أكبر، مع تسهيلات، و فرص، وتحديات جديدة. إنّ هذا الجسد قديم وعليك أن تُغادره، إنّه مُجرّد مسكن.

بيد أنّ هناك أشخاصاً يخافون حتى من النوم. منذ أيام قليلة كنت أقرأ كتاباً حيث كان يقول المؤلف: «ليس هناك حاجة إلى النوم، إنّه مضيعة للوقت». إنّ الإنسان يقضي ثلث حياته في النوم، وهذه ليست حياة على الإطلاق، لأنّه لا يصنع شيئاً، ولا يعمل. ما الهدف من إبقاء الإنسان نائماً؟ إنّهم عاجلاً أم آجلاً سوف يبدأون في إيجاد المُخدرات حتى يستطيع الإنسان أن يتجنّب النوم كلياً. فكّر فقط في العالم حينما يُصبح النوم مُستحيلاً، إنّهم لن يسمحوا لك حتى بالنوم.

لقد اخترعوا في «روسيا» أداة من أجل تعليم الأطفال أثناء نومهم. لن يدعوا حتى النوم في شأنه. إنّه يُسمّى التعليم أثناء النوم، حيث يتمّ تشغيل شريط مُسجّل وطوال الليل يقوم هذا الشريط المُسجّل بتدريس الرياضيات، التاريخ، الجغرافيا. لقد كان الطفل يُعذب طول اليوم في المدرسة، والآن أنت لا تستطيع حتى أن تدعه يرتاح. إنّ التفكير الغربي يهدف كثيراً إلى المنفعة. إنّه لا يُؤمن بالراحة، بل يُؤمن بالعمل. إنّ روح الجماعة بأكملها تُؤمن بالعمل، وليس بالاسترخاء. ثمّ في الصباح يجب على الطفل أن يذهب مرة أُخرى إلى المدرسة. إنّك سوف تخلق المزيد من الأشخاص العصابيين في العالم إذا لم تسمح حتى بالنوم.

يقترح هذا الكاتب أنّ هناك إمكانية أن يبتعد الإنسان عن النوم من خلال بعض العقاقير، إذ يستطيع الإنسان أن يعيش مُستيقظا سبعين سنة. إنّ مُجرّد التفكير في ذلك كابوس حقيقي! هؤلاء الناس الذين ضدّ النوم هم ضدّ الموت أيضاً. إنهم ضدّ أيّ نوع من الاسترخاء، وهم يتركون الأمور تمضي في اتجاه الصراع والقتال.

نمتلك في الشرق نظرة مُختلفة: إنّ الموت ليس عدواً بل هو صديق. إنّ الموت يُعطيك راحة. لقد أصبحتَ مُتعباً، فقد عشتَ حياتك، وعرفتَ كلّ الفرح الذي يُمكن أن تعرفه في الحياة، وقد أحرقتَ شمعتك بالكامل. الآن اِذهب إلى الظلام، اِرتح فترة وبعدها يُمكن أن تُولد من جديد. إنّ الموت سوف يُحييك مرة

أخرى بطريقة أكثر حيوية.

هكذا، الشيء الأول: هو أنّ الموت ليس عدواً.

الشيء الثاني: إنّ الموت هو أعظم تجربة في الحياة إذا استطعتَ أن تموت بوعي. ولن تستطيع أن تموت بوعي إلا إذا لم تكن ضدّ الموت. أمّا إذا كنتَ ضدّه فستُصبح مذعوراً للغاية، وخائفاً جداً. عندما تكون خائفاً بشدة إلى درجة أنك لا تستطيع تحمّل هذا الخوف، هناك آلية تعمل في الجسم تقوم بإفراز مُخدّر في الجسم فتُصبح فاقداً للوعي. هناك نقطة سوف يكون الثبات بعدها مستحيلاً، فتُصبح فاقداً للوعي, هكذا، يموت الملايين من الناس وهم فاقدون للوعي وتفوتهم اللحظة العظيمة، بل الأعظم على الإطلاق، وهي لحظة «سامادهي»، أو لحظة «ساتوري»، إنّها حالة تأمل تحدث معك، إنّها هبة طبيعية.

إذا استطعتَ أن تكون مُنتبهاً وترى أنّك لستَ الجسد، يجب عليك أن ترى ذلك، لأنّ الجسد سوف يختفي. عمّا قريب سوف تكون قادراً على أن ترى أنّك لستَ الجسد، وأنّك مُنفصل، عندها سوف ترى أنّك مُنفصل عن التفكير أيضاً. ثمّ سيختفي التفكير، وعندها ستكون مُجرّد شعلة من الوعي، وهذه هي أعظم بركة في الوجود.

هكذا، الشيء الأول: لا تُفكّر في الموت على أنّه مرض، وعلة، ومُعاناة بشرية.

الشيء الثاني: المرض، اعتلال الجسد، المُعاناة هي أشياء سيئة، لأنّها تحدث فقط عندما لا تكون طبيعياً. هناك شيء خاطئ يحدث. إنّ الصحة شيء طبيعي، والموت شيء طبيعي، بيد أنّ المرض ليس شيئاً طبيعياً. إنّ المرض ببساطة هو مؤشر على أنّ هناك شيئاً خاطئاً في طبيعتك. على سبيل المثال، أسرفتَ في الطعام وهناك ألم في معدتك. إنّ هذا الألم ليس طبيعياً، فقد قمتَ بفعل شيء غير طبيعي. رُبّما لم تنَم يومين أو ثلاثة أيام، لأنّك كنتَ تركض خلف المال، ولم يكن من المُمكن أن تنام، أو كنتَ تُقاتل من أجل الانتخابات ولم يكن من المُمكن أن تنام، أو تُعطي وقتاً كافياً من أجل النوم. لقد كنتَ في حملة انتخابية، ولم تنم ثلاثة أيام، والان أصبحَت دماغك عصبية، مُجهدة، وهناك ألمٌ هائل في رأسك. إنّ هذا مُجرّد عرَض. إنّ الطبيعة تقول لك: «عُد إليّ، لقد جمحتَ بعيداً عني».

إنّ الإنسان حرٌ، ويستطيع أن يكون غير طبيعي. تحدث أنواع كثيرة من الأمراض فقط عندما نذهب إلى مكان شارد عن الطبيعة. إذا عاش الإنسان حياة طبيعية فلن يكون هناك مرض.

بيد أنّ الإنسان لا يستطيع أن يعيش بطبيعته باستمرار، لأنه يمتلك الحرية أيضاً. أحياناً تستطيع أن تأكل أكثر قليلاً، هذه حريّتك. وأحياناً تستطيع أن تصوم، وهذه أيضاً حريّتك. إنّ الإنسان هو الحيوان الوحيد في العالم الذي يمتلك الحرية: إنّها كرامته. بيد أنّ الحرية تجلب المخاطر. الخطر الأول هو أنك يُمكن أن تذهب عكس الطبيعة، بينما الطبيعة مُهذبة للغاية فهي لا تصيح، بل تهمس. إنّ الطبيعة في غاية الهدوء، وصوتها ساكن وخافت. إنّها تستمرّ في القول: «لا تفعل ذلك، لا تفعل ذلك، لا تفعل ذلك»، وتستمرّ في التحمّل، ولكن تصل إلى نقطة حيث لا تستطيع التحمّل بعدها، فيندلع المرض.

الآن، ماذا يُفترض أن يفعل الطبيب؟ إن الطبيب في الشرق لا يُحارب المرض، لا يُفترض بالطبيب أن يُدمّر المرض. بل يُفترض به ببساطة أن يقوم بإعادة الإنسان إلى الطبيعة.

يسأل السائل: «بيد أنه هناك شيء أساسي في عملي ونشاطي، هو رفض قبول المرض والموت، ورفض اعتلال الصحة ومُعاناة الإنسان. إنّه عميق جداً، وبذلك يُمثل رفضاً لقبول الحياة أو الوجود كما هو. هناك في العمق رغبة في تصحيح بعض هذه الآليات الخاصة بالطبيعة».

نعم، إنّ الرغبة حقيقية تماماً. بيد أنّها ليست من أجل تصحيح بعض آليات الطبيعة، وإنما من أجل تصحيح بعض الآليات التي تعمل ضدّ الطبيعة.

إنّ الطبيب لا يُصحح الطبيعة، بل يُصحح الإنسان فقط. هذه رؤية مُختلفة تماماً. إنّ الطبيب لا يقوم بإصلاح الطبيعة، فالطبيعة صحيحة دائماً. أحياناً يُمكن أن يكون الإنسان مُخطئاً، لأنّه يمتلك الحرّية، ووظيفة الطبيب أن يُصحح الإنسان.

سوف تتفاجأ بمعرفة أنّه كان هناك مفهوم تقليدي في «الصين»، مفهوم تقليدي قديم جداً، وهو أنّه عندما يُصاب شخص بالمرض يتوقّف عن الدفع إلى طبيبه. وإلا عليه أن يدفع، طالما بقي يتمتّع بصحة جيدة. يتوقّف المريض عن الدفع في حال المرض، لأنّ ذلك يعني أنّ الطبيب لم يكن ينظر إلى الطبيعة، ولم يكن يساعد الطبيعة، ولم يكن يُساعد الشخص على أن يبقى «بالشكل الصحيح»، مُتناغماً مع الطبيعة. لقد فشل الطبيب.

إنّ هذه نظرة غريبة للغاية. عندما تكون مريضاً، تذهب إلى الطبيب وتدفع له. بينما في «الصين»، ومنذ قرون كانوا يدفعون طالما يتمتّعون بالصحة. كانوا يذهبون إلى الطبيب ويدفعون له لأنّهم يتمتّعون بالصحة، فوظيفة الطبيب أن يُبقيهم أصحاء. حينما يمرضون، يتوقّفون عن الدفع. لماذا يجب عليهم أن يدفعوا؟ إنّ الطبيب لم يقُم بعمله. إنّ عمله هو أن يُحافظ على الناس طبيعيين. هذه سوف تكون الرؤية في المستقبل. عاجلاً أم آجلاً، لا بُدّ أن تظهر هذه الرؤية.

إنّ الطبيب ليس ضدّ الطبيعة، بل يقوم فقط بوضع الناس على الطريق الصحيح، لأنّ الناس يمتلكون الحرية في أن يُخطئوا. إنّهم يستطيعون ذلك.

إذاً لا داعي أن تبقى بائساً بشأن أنّك تفعل شيئاً جيداً، ولكنك ترفض قبول المرض، واعتلال الصحة. نعم، هناك رفض لقبول المرض واعتلال الصحة، لأنّ المرض واعتلال الصحة ليس طبيعياً، بل هما انحراف عن الصراط السوي. ضَع الإنسان على الطريق الصحيح. إنّك لا تُحارب ضدّ الكلّ، أنت تُحارب مع الكلّ ضدّ الإنسان. دعنا ننظر إلى الأمر بهذه الطريقة.

يقول السائل إنّه خائف، إنّ الأمر كما لو كان يُحارب ضدّ الكلّ. لو أراد الكلّ المرض، فلتدعه يكون هناك. إذا كانت هذه هي إرادة الكلّ، فلتدعها تكن، يجب أن يستسلموا في النهاية.

إنّك لا تُحارب ضدّ الكلّ، أنت تُحارب المرض، وتُحارب الجزء الذي هو ضدّ الكلّ. إذا كان الجزء في تناغم مع الكلّ، وفي توافق، فلن يكون هناك مرض، أو اعتلال في الصحة.

بيد أنّ الإنسان يمتلك الحرّية، ومع الحرّية تدخل الكثير من المخاطر.

إذا ذهبتَ إلى الغابة، وإلى الأدغال، فسوف تتفاجأ عندما ترى أنّ الحيوانات لا تمرض أبداً. أنا لا أتحدّث عن الحيوانات التي تعيش في حديقة الحيوان، فهم مرضى. لقد أصبحوا مُحاكيين للبشر، فالعيش مع

البشر خطير جداً. بيد أنه في الأدغال، حيث تعيش الحيوانات في الحياة البرّية وتموت، فإنّها لا تمرض أبداً. إنّها لا تُسرف أبداً في الأكل، لأنّها لا تملك الكثير من الحرّية. إنّها لا تصوم أبداً، فهي لا تمتلك الكثير من الحرية، ولا تمتلك الكثير من الوعي. إنّهم لا يقومون بأيّ شيء غير طبيعي. إنّهم يقومون بفعل الشيء الطبيعي، فيبقون أصحاء.

ذات مرة ذهبتُ إلى محميّة طبيعية مع القليل من أصدقائي. وكان معي سيدة ممتلئة للغاية، لقد كانت سمينة على نحو استثنائي. لقد كانت تجلس في جواري في السيارة «الجيب» عندما ذهبنا إلى الغابة. لقد كان هناك آلاف الغزلان في هذه الغابة، وقد مرّ صف من الغزلان بينما كنّا نُشاهد، فأخبرتُ السيدة: «فقط لاحظي شيئاً واحداً، حاولي أن تجدي غزالاً سميناً»، لقد مرّ آلاف الغزلان، وكان السيدة مُحرجة جداً، لأنّها لم تستطع إيجاد ولا غزال واحد سمين. لقد كانوا جميعاً مُتشابهين، ولم يكن هناك ولا غزال واحد سمين، لأنّ الغزلان لا تأكل كثيراً. حينما لا تأكل الغزلان كثيراً، فلا تضطرّ أبداً إلى إتباع حمية، فليس هناك حاجة إلى ذلك، وبالتالي ليس هناك حاجة إلى الطبيب.

إنّ الأمراض مثل السلّ أو السرطان لا تحدث في الطبيعة. يحدث السرطان فقط عند مستوى مُتقدّم جداً من الحضارة.

إنّ الاسم القديم لمرض السلّ في «الهند» هو «المرض الملكي». لقد كان يُصيب الملوك فقط. إنّه يُسمّى «راج ياشيما»، أي خاص بالملوك فقط. إنّه لا يُصيب الفقراء أبداً، ولا يُمكن أن يصيبهم. إنّ الرجل الفقير لا يستطيع أن يُعاني بهذا القدر حتى يُصاب بالسلّ، مع مرور الوقت أصبح الفقراء أغنياء، وعندئذ أصبح السلّ مُتاحاً للجميع.

إن السرطان ظاهرة حديثة. إنّه حديث تماماً، فلم يُذكر في أيّ من كتب الطبّ القديم «الطاوية» أو «الهندوسية»، إنّه حديث بكلّ تأكيد. لقد كان عليه أن ينتظر حتى القرن العشرين كي يحدث. إنّه يحتاج إلى توتر شديد حتى يحدث. إنّه يحتاج إلى قدر كبير من التوتر غير الطبيعي والذي لم يكن مُمكناً من قبل. نحن فقط مَن يستطيع تحمّل مرض السرطان، لقد أصبحنا أغنياء بالقدر الكافي كي نُصاب به. لقد أصبح تفكيرنا عصبياً من الرغبات، إننا نجري في جميع الاتجاهات، إننا ننهار.

ليس هناك حاجة أن تقلق من أنك تُحارب ضدّ الطبيعة أو ضد الكلّ. إنّك لا تُحارب ضدّ الطبيعة، بل تُصارع ضدّ غباء ذلك الجزء الذي شرد عن الكلّ. إنّك تقوم بإعادة الإنسان مرة أُخرى إلى الكلّ.

تذكّر دائماً، إنّ الطبيب لا يشفي أبداً. إنّه لا يستطيع أن يشفي. إنّه يستطيع فقط أن يجعل قوى الشفاء الخاصة بالوجود الكليّ مُتاحة للمريض. إنّ الكلّ هو ما يشفي، وليس الطبيب ولا الدواء هو ما يشفي. إنّ الدواء والطبيب والمستشفى تُعيد الشخص مرة أُخرى أقرب إلى الكلّ، حيث يحدث الشفاء. لقد كان الطبيب والدواء مُجرّد أدوات. لا داعي أن تقلق. إنك في خدمة الطبيعة. تستطيع أن تسعد أنك تفعل شيئاً جميلاً.

السؤال الأخير:

هناك سؤالان مُرتبطان. الأول:

السؤال الخامس

«منذ عدة سنوات كان لديّ كلّ أعراض الأزمة القلبية، وتمّ إيداعي في المُستشفى مدة خمسة أيام، بيد أنه لم تكن هناك أزمة قلبية. مُؤخّراً سمعتُ أنّ هناك أشخاصاً آخرين أُصيبوا بالشعور نفسه. ماذا يعني ذلك؟».

هذا السؤال من «شيلا».

والسؤال الثاني من «ساتيا»:

السؤال السادس:

«يبدو أنّ الكثير من الأشخاص في الزاوية هنا يشعرون مُؤخّراً بشيء يحدث في قلوبهم: ألم في القلب، حرقة في القلب، احساس وكأنّ قلوبهم على وشك أن تنفجر من الحُبّ، والامتنان. إنني أشعر بدغدغة في قلبي. تقول «شيلا» أنّه عندما ضربتها يدك الطويلة في تلك المُحاضرة في ذلك اليوم، فإنّها شعرت بها في قلبها. ما الذي يحدث؟».

أولاً: إنّ قلبك المادي ليس هو قلبك الحقيقي. يُوجد القلب الحقيقي خلف القلب المادي. إنّ القلب الحقيقي ليس جزءاً من آليتك المادية على الإطلاق، بل هو موجود داخل الروح، إنّه مركز الروح.

إنّ القلب المادي هو مركز الجسد، بينما القلب الحقيقي هو مركز الروح. إنّهما موجودان معاً جنباً إلى جنب. إذ يُوجد القلب الروحي خلف المادي تماماً. إنّ سوء الفهم هذا، سوف يحدث مع الكثير من الناس.

عندما يبدأ القلب الروحي في التفتّح، ستشعر بتموجات في قلبك المادي أيضاً. إنّهما متوافقان، ومُرتبطان جداً ببعضهما. عندما تشعر باهتزاز في القلب الروحي، فستشعر بأصداء ذلك في القلب المادي أيضاً. في الحقيقة، ستشعر أولاً بذلك في القلب المادي بسبب أنك لا تعلم شيئاً عن القلب الروحي. إنّ إدراكك الأول له سيكون أنك تشعر في قلبك المادي ببعض الاحاسيس الغريبة. أحياناً يُمكن أن تكون حرقة، ويُمكن أن تكون خفقاناً، وأحياناً يُمكن أن تكون شعور الانفجار، وأحياناً يُمكن أن يكون وكأنّه أزمة قلبية.

لقد حدث هذا مع جميع المُتأملين على مرّ العصور. عندما يتعمّق الناس في التأمل يجب أن يحدث هذا. يبدأ القلب في الخفقان، التفتح، وتُزهر البراعم، ويبدأ القلب المادي في التقاط الموجات، والأصداء. بيد أنّ هذه علامة جميلة. لا تخف منها. عمّا قريب سوف تُصبح واعياً بالقلب الروحي، وبعدها تختفي جميع الأعراض المادية.

إنّ الأعراض الأولى سوف تكون اعراض قلق، وعدم ارتياح. إنّها كذلك لأنّ هناك شيئاً جديداً يحدث معك، وأنت لستَ مُعتاداً عليه. عندما تُصبح مُعتاداً عليه بصورة أكثر قليلاً، وتُصبح أكثر تناغماً معه، سوف ترى أنّه لم يكن هناك قلق، بل كان مُجرّد مذاق جديد لم تعرفه من قبل. إنّه يُسبب لك الإزعاج، ولكن حينما تطلع عليه أكثر، وتعرفه أكثر، فسيمنحك نوعاً جديداً من السلام، والهدوء، وينبع من داخله حُبّ هائل.

منذ عدة أيام جاءني مُريد كبير في السنّ، في السبعين أو الخامسة والسبعين، وقال: «لقد حدث شيء غريب، لقد شعرتُ بنوبة قلبية، فذهبتُ إلى الطبيب وقاموا بفحصي وقالوا أنّه ليس عندي أيّ شيء، وأنني في صحة تامّة، وأنني طبيعي. ما الذي حدث لي؟».

أخبرته مازحاً إنها لم تكن نوبة قلبية، بل كانت نوبة حُبّ.

نعم، سوف تشعر بنوبات حُبّ، حينما تبدأ مراكزك الروحية في التفتّح. سوف يشعر جسدك بالخفقان، وعدم الارتياح. سوف تستقرّ الأمور قريباً، وعندما تستقرّ، فستمتلك كياناً جديداً، ومستوى جديداً من الوجود. لقد انتقلتَ من المادي إلى الروحاني.

بين القلب المادي والقلب الروحي هناك حاجز وحيد وهو التفكير. إنّ كلّ عمل التأمل هو إخفاء التفكير. بمُجرّد أن يختفي التفكير، يبدأ كل من القلب المادي والقلب الروحي في الرقص معاً، وعندها ينشأ جمال هائل، ولن يكون روحانياً فقط، بل سيبدو على وجهك المادي أيضاً. سوف تُحيط بك النعمة، ونوع جديد من الطاقة. لستَ وحدك مَن سيشعر به، بل سيشعر به الآخرون أيضاً، وسيكون لديك طاقة جديدة.

إنّ هذا سوف يحدث مع الكثير من الناس لأنّ هناك الكثير من الأشخاص الذين يتأمّلون ويعملون بكدّ. بيد أني لا أقول ألا تذهب إلى الطبيب لو بدأتَ أحياناً تشعر بحدوث شيء خاطئ في قلبك، بل يجب عليك أن تذهب! إنّها أحياناً قد تكون نوبة قلبية. يجب عليك أن تذهب. إذا لم يكن الأمر كذلك، سيُخبرك الطبيب أنّها ليست نوبة قلبية، ولكن يجب عليك أن تفحصها.

إنّ هذا السؤل مُهمّ لأنّه ذو أهمية بالنسبة إلى الكثيرين منكم. لقد حدث مع الكثيرين، وسوف يحدث مع الكثيرين، وأكثر منهم. بيد أنك دائماً، عندما يحدث شيء في جسدك، اِذهب إلى الطبيب وقُم بالفحص. لو لم يكن هناك شيء، فليس هناك مُشكلة. إذا كان هناك شيء، يُمكنك أن تأخذ علاجاً.

لا تُفكّر أنّ الأمر دائماً من القلب الروحي، لأنّه أحياناً قد لا يكون كذلك. أحياناً قد يكون الأمر من القلب المادي، ولو لم تذهب إلى الطبيب قد تكون في خطر.

الفصل السابع

الفراغ التام

2 سبتمبر 1977 صباحاً في قاعة «بوذا».

هذا التبادل بين الحكيم الصوفي «سيماب»، ورجل نبيل يُدعى «مولاكاب»، قد تمّ حفظها من خلال الانتقال الشفوي كحوار يُقدم على المسرح غالباً بواسطة الدراويش الجوالين.

«مولاكاب»: «قُل لي شيئاً من فلسفتك فقد أفهم».

أجاب المُتصوّف: «لن تستطيع أن تفهم إلّا إذا جربت».

«مولاكاب»: «إنني لستُ مُضطراً لأن أفهم الكعك حتى أعرف إن كان سيئاً».

«سيماب»: «إذا كنت تنظر إلى سمكة جيدة وتظنّ أنّها كعكة سيئة، فأنت في حاجة إلى فهم أقل، وأن تفهمها أفضل، وأكثر من أيّ شيء آخر».

«مولاكاب»: «إذاً لماذا لا تتخلّى عن الكتب والمُحاضرات إذا كانت التجربة ضرورية؟».

«سيماب»: «لأنّ المظهر الخارجي مُؤشر إلى ما هو داخلي. إنّ الكتب سوف تُعلّمك بعض الأشياء عن المظاهر الخارجية عمّا هو بالداخل، وكذلك سوف تفعل المحاضرات. ومن دونهم، لن تُحرز أيّ تقدم».

«مولاكاب»: «بيد أنه لماذا يُفترض ألّا نقدر على فعل ذلك من دون الكتب؟».

«سيماب»: «من أجل السبب نفسه أنك لا تستطيع أن تُفكّر دون كلمات. لقد تربيّت على الكتب، وتغيّر تفكيرك كثيراً عن طريق الكتب والمُحاضرات، وعن طريق السمع والتكلّم، بحيث يستطيع الداخل أن يتحدث إليك فقط من خلال الخارج، أيّ كان ما تزعم أنك تستطيع أن تفهمه».

«مولاكاب»: «هل هذا ينطبق على الجميع؟»,

«سيماب»: «إنّه ينطبق على مَن ينطبق عليهم، وينطبق أكثر على أولئك الذين يعتقدون أنّه لا ينطبق عليهم!».

إنّ التصوّف كيمياء. إنّه علم تحويل الرصاص إلى ذهب، ونقل الأدنى إلى الأعلى، والتحوّل من الخارجي إلى الداخلي. إنّها علم تحويل الدنيا إلى الإله.

تذكّر أنّ التصوّف ليس فلسفة، بل إنّه علم. إنّه لا يُؤمن بالتخمينات، بل يُؤمن بالتجربة. إنّه لا يؤمن بالتفكير المنطقي، بل يُؤمن بالتجريب. وحدها التجربة هي التي تُقرر ما الصحيح، وليس هناك شيء آخر يُمكن أن يكون حاسماً. فقط عندما تعرف فأنت تعرف، وليس هناك طريق آخر كي تعرف.

إنّ التصوّف لا يثق بالمعتقدات. إنّه يُريدك أن تتخلّى عن كلّ أنواع المُعتقدات، لأنّها سوف تُشكّل الحواجز التي تُعيق المعرفة. إنّ الاعتقاد نوع مُزيّف من المعرفة، فأنت في الحقيقة لا تعرف، لكنك تُؤمن بمُعتقد منذ فترة طويلة، ولذلك تبدأ في الشعور كأنك تعرف. لا بُدّ أن تُؤخذ جميع معتقداتك منك. لا بُدّ من أن تُترك في الجهل والبراءة. ومن هناك فقط يكون التجريب مُمكناً.

لا يفترض العلم شيئاً مُسبقاً، لا ايمان، ولا اعتقادات مُسبقة. ليس هناك أيّ افتراضات على الإطلاق. يبدأ العلم من التفكير الفارغ.

إليك ثلاثة أشياء عليك أن تفهمها بعمق. الأول هو الفنّ، الذي لا يهتمّ كثيراً حول الموضوع، فلديه حقائقه الموضوعية الخاصة. يستخدم الفنّ الموضوع كشاشة يُسقط عليها ذاتيته. حينما ترى وجه امرأة، أو وجه طفل، أو زهرة، فإنّ الفن لا يهتمّ بالموضوع، وبما هو موجود هناك، بل يهتمّ بما تصنعه من الموضوع، وبما تُسقطه عليه. إنّ الجمال ليس جزءاً من الموضوع، بل هو حلمك الذي تقوم بإضافته على الموضوع، وبعد ذلك يبدو الموضوع جميلاً.

إنّ الفنّ يخترع، ولا يكتشف. إنّه لا يهتمّ بالاكتشاف، فهو ابتكاري، تخيّلي، اسقاطي. هذا هو المعنى الأساسي لكلمة شاعر «poet»، فجذور الكلمة الأصلية تأتي من كلمة «POETES»، والتي تعني الشخص الذي يخلق. إنّ الفنّ خلاق.

لكن ماذا يُمكن أن تخلق؟ أيّ ما تخلقه سيكون إسقاط تفكيرك. إنّ الفنّ يخلق الجمال، بينما يبدو العلم ليس خلاقاً من هذا المنظور. إنّ العلم استكشافي، وأيّ ما كان موجوداً، يقوم العلم بكشفه فقط. إنّه لا يخترع، وليس لديه أيّ فكرة كي يُسقطها. إنّ العلم موضوعي، بينما الفنّ لاموضوعي. أنت تمتلك في الفنّ بعض الإسقاطات، وبعض الأفكار كمطلب أساسي. قبل أن تأتي إلى زهرة الورد عليك أن تستحضر بعض الأحلام في دماغك، وتقوم بتغذية هذه الأحلام. حينما تطمح هذه الأحلام، فستغمر الوردة، وتُحيطها بالمجد والهالة، وسوف ترى شيئاً ليس موجوداً. إنّك سوف ترى شيئاً موجوداً داخلك بالفعل، وهو فقط ينعكس إليك مرة أُخرى من العالم الخارجي. إنّ الفن عبارة عن حُلم، إنّه مادة الحُلم.

إنّ العلم موضوعي، والمطلب الأساسي له هو أن تذهب إليه عارياً، أعزلاً، ودون أيّ تحيّز، ودون أيّ فكرة عمّا هي المسألة، فقط كُن هناك على التوازي على نحو موضوعي، دون أيّ أفكار في رأسك، حتى تستطيع أن تُشاهد ما يُوجد هناك أيّ كان. إنّ الحقيقة تكشف نفسها إذا كنتَ تستطيع أن تكون شاهداً. إنّ المراقبة الصرفة هي ماهية العلم.

ثمّ بعد ذلك هناك الفلسفة. إنّ الفنّ يُسقط على شيء خارجي، بينما العلم لا يُسقط على الإطلاق، بل يسمح للعالم الخارجي أن يكشف حقيقته. أما الفلسفة، فهي لا موضوعية بحتة. إنّها لا تُشغل نفسها ولا

حتى بالشاشة. ينشغل الفنّ على الأقل بالشاشة، فلا بُدّ من وجود شاشة عرض، وبعدها يُمكنه أن يُسقط. بينما الفلسفة تفكّر صرف، فأنت تُغلق عينيك وتستغرق في أفكارك، ويُمكنك أن تستمرّ وتستمرّ إلى الأبد. إنّها سلسلة لا نهائية من الأفكار.

إنّ الفلسفة هي اللاموضوعية البحتة، والعلم هو الموضوعية البحتة، بينما الفنّ في المنتصف بين الاثنين، قليل من الفلسفة، مع قليل من العلم، قليل من الموضوعية مع قليل من اللاموضوعية. إنّ الفنّ عبارة عن خليط.

إنّ الدين يُمكن أن يكون واحداً من الأنواع الثلاثة. إنّه يُمكن أن يكون إمّا فلسفياً، أو على علاقة بالفنّ، أو علمياً. بينما التصوّف هو النوع الثالث من الدين. إنّه يُؤمن بالتجريب، والاختبار، ولا يُؤمن بالمُعتقدات. إنّه يثق فقط بما هو موجود بالفعل، وما عليك إلا أن تكشف غطاءه فقط.

كي تبدأ به، يقول التصوّف عليك أن تقوم بإعداد نفسك حتى لا تكون هناك تحيّزات، أو تكيّفات تقف بينك وبين الحقيقة. تبدأ الرحلة بأن تقوم بالتخلّي عن المعتقدات، النظريات، الفلسفات، الأنظمة. فقط حينما تكون خالياً من جميع الأفكار، وتكون عيناك مُستعدة، ومُتقبلة. عندها تستطيع أن ترى.

إنّ الحالة العادية التي يُوجد عليها البشر تُسمّى عند الصوفيين بالنفس. هذه الكلمة تعني: رغبة الطبيعة، والتي يُسمّيها الهندوس «فاسانا»، ويُسمّيها البوذيون «تانها»، أي الرغبة في امتلاك المزيد، الرغبة في الاستحواذ، الرغبة في أن تكون صاحب نفوذ، الرغبة في أن تكون هذا وذاك. إنك مليء برغبات النفس، وبسبب هذه الرغبات لا تستطيع رؤية ما هي الحقيقة. تستمرّ رغباتك في تشكيل ازدحام فائض في وعيك، وإذا كان الوعي مُزدحماً بالرغبات فلن تكون هناك امكانية من أجل رؤية الحقيقة.

عندما تملؤك الشهوة، تبدأ في رؤية الأشياء طبقاً مع شهوتك. عندما تكون مليئاً بالرغبة، تبدأ في الإسقاط، وتبدأ في رؤية أشياء ليست موجودة. طبقاً لرغبتك تبدأ في تلوين الأشياء.

قُم ذات يوم بالذهاب إلى السوق، بعد تناول طعام جيد أصبحت راضياً عنه. اِذهب وقُم بجولة في الشارع. ثمّ في يوم آخر قُم بالصيام، واذهب مُجدداً إلى الشارع نفسه. وسوف تتفاجأ أنّه ليس الشارع نفسه. عندما تشعر بالشّبع ترى أشياء معينة، بينما في الشارع نفسه عندما تكون جائعاً، ترى أشياء مُختلفة تماماً. عندما تكون صائماً، جائعاً، سترى المطاعم، الفنادق، وأشياء من هذا القبيل. لن ترى محلات الأحذية والأشياء الأُخرى. عندما تأكل جيداً، فلن ترى المطاعم والفنادق إطلاقاً، بل قد لا يكون لديك أيّ فكرة أنّها موجودة.

إنّك تختار باستمرار حسب رغبتك. عندما تملؤك الرغبة الجنسية، سوف ترى النساء، لو كنتَ رجلاً، أو إذا كنتِ امرأة، فسترين الرجال. عندما تختفي الرغبة الجنسية، تتوقف عن رؤية الرجال والنساء، وتتوقّف عن التقسيم بهذا الشكل، فهو ببساطة لا يهمّ، وأمر غير مُجد.

إنّ أول ما تراه في الآخر هو إذا كان رجلاً أم امرأة. هل لاحظتَ ذلك. أنت لا تنسى ذلك أبداً. تستطيع أن تنسى أيّ شيء، يُمكنك أن تنسى اسم الشخص، أو وجهه، ولكنّك لا تنسى أبداً إن كان الشخص رجلاً أم امرأة. لماذا؟ هل سبق أن نسيتَ هذه الحقيقة عن أيّ أحد أبداً؟ هل سبق أن تساءلتَ هل هذا رجل أم امرأة؟ قد تقول: «إنني أعرفه منذ عشرين عاماً. أنا لا أتذكّر اسمه، ولا أتذكّر وجهه، أنا لا أتذكّر أيّ

شيء عنه...»، ولكن هل سبق أن تساءلتَ هل كان رجلاً أم امرأة؟ كلا، هذا تتذكّره. إنّه يذهب إلى أعماقك، بسبب النفس. إنّ أول ما تنظر إليه هو ما إذا كان هذا الشخص رجل أم امرأة.

لقد حدث منذ عدة أيام أنّ رجلاً يابانياً أخذ المُريدية، وقد أخبرني «موكتا» أنه كان هي، لقد حدث خطأ في مكتب الاستقبال في المخطط الخاص به. وعليه فقد أعطيته المُريدية و منحته اسماً انثوياً، بيد أنّه كان رجلاً. أنت تعلم أنّ اليابانيين في غاية التهذيب إلى درجة أنّهم لا يقولون كلا. لقد سمعتُ أنّه لا تُوجد كلمة في «اليابانية» مرادفة لكلمة كلا، إنّهم دائماً يقولون نعم. ويتصرّفون فقط بأدب.

من أجل ذلك، فإنّه تقبّل حتى هذا الأمر. إنّه لم يقل: «إنني رجل، أنا لستُ امرأة»، فقط بعد فترة من الوقت عُرف أنّه كان رجلاً وأنني أعطيته اسماً «ذكورياً».

ماذا حدث؟ عندما لا يكون لديك نفس فأنت لا تنظر إلى جنس الآخر، فالآمر لا يهمّ على الإطلاق. إنّك لا تهتمّ بشكل جسده، وهل له ثديين أم لا، سواء كان عنده لحية أم لا. أنت لا تراه بهذه الطريقة. بمُجرّد أن تختفي النفس، تختفي الرغبة الغريزية، ويُصبح الآخر شخصاً خالص دون ذكورة، ولا أنوثة، فليست حقائق ذات صلة بالموضوع، فمَن يقلق بشأنها؟ أمّا لو بقيت النفس، فستبقى الذكورة والأنوثة حقائق مُهمّة وذات صلة وثيقة بالموضوع. إنّ أول ما تراه في الآخر هو انعكاس نفسك.

يقول الصوفيون إنّ النفس هي الحالة التي يُوجد عليها الإنسان، وإنّه لا تُوجد إمكانية لرؤية الإله من خلال النفس، لأنّ النفس تستطيع فقط أن ترى الجنس، المال، القوة. إنّ النفس عمياء تجاه الإله، وما لم تتخلَّ عن النفس فلن ترى الإله مع أنه في كلّ مكان، ولا شيء إلا الإله، بل الإله هو الكل، ولا شيء آخر. بيد أنك لا ترى الإله، ولا تستطيع أن تراه، حتى ترى الإله سوف يكون واجباً عليك أن تُسقط النفس.

لماذا أصبحت النفس تُشكّل مثل هذا الحاجز؟ ما هي النفس بالضبط؟ إنّ النفس هي الجوع العصبي الذي لا يُمكن إشباعه. هذا سبب أنها عصبية، لأنّه ليس هناك طريقة من أجل إشباعها. كلّما قمتَ بإشباعها، نمَت أكثر. إنّ النفس هي الاشتياق المُستمر من أجل الحصول على المزيد، أو أيّ كان. إذا كنتَ تمتلك المال، فأنت تُريد الحصول على المزيد منه، إذا كانت لديك امرأة جميلة، تُريد المزيد من النساء الجميلات، إذا كنت تمتلك نفوذاً، تُريد المزيد منه، دائماً المزيد والمزيد، ولا يُمكن إشباع هذا المزيد. في طبيعة الأشياء، لا يُمكن اشباع هذه الرغبة في المزيد، لأنّه أيّ كان ما تحصل عليه، تبقى رغبتك في المزيد موجودة.

أنت تمتلك عشرة آلاف «روبية»، ولكنّ رغبتك في المزيد تقول: «إحصل على ألف زيادة، إنّ مبلغ أحد عشر ألفاً سوف يكون جيداً»، وعندما تحصل على أحد عشر ألفاً تقول رغبة النفس: «إحصل على اثني عشر ألفاً»، وهكذا، يستمرّ الحال. تستطيع أن تمتلك الملايين، ولن يصنع ذلك أيّ فارق ولو كان بسيطاً. إنّ عشرة آلاف «روبية»، أو عشرة ملايين «روبية»، لن تصنع أيّ فارق ولو كان بسيطاً، ولا حتى ذرة، لأنّ رغبة النفس تستمرُّ دائماً في طلب المزيد. أنت تمتلك عشرة ملايين «روبية»، فتقول رغبة النفس: «إحصل على أحد عشر مليون «روبية».» إنّه التفكير نفسه. عندما كنتَ تمتلك عشرة آلاف كانت تقول لك: «إمتلك أحد عشر ألفاً»، بينما الآن أنت تمتلك عشرة ملايين، فتقول: «إمتلك أحد عشر مليوناً»، إنّ النسبة تبقى نفسها.

إنّ رغبة النفس مثل السراب، يبدو دائماً كأنّه هناك أمامك، رُبّما على بُعد عشرة أميال. إذا أسرعتَ، تستطيع الوصول إليه في غضون ساعتين. بيد أنك لن تصل إليه أبداً. بعد ساعتين، عندما تنظر، سوف تجد أنّه قد انحسر إلى الأمام، وأنّ المسافة ما تزال نفسها.

يستمرّ هذا الأمر، وهذا سبب أنّ كلّ الأديان قد سمّت رغبة النفس هذه مصدر جميع أنواع السراب والأوهام. إنّها تخلق خداعاً بصرياً، خطأً وهمياً، أنّ هناك الأفق. إنّ الأفق ليس موجوداً، لأنّ الأرض والسماء لا يلتقيان أبداً في أيّ مكان. إنّ الأرض كرويّة. يبدو فقط أنه في مكان ما تلتقي الأرض مع السماء، إنّه قائم هناك، وفقط هناك. إنّه يبدو قريباً جداً إلى درجة أنّه يبدو كأنّه يستحقّ المحاولة. إنّه دائماً يبقى قريباً جداً ودائماً بعيداً جداً. إنّ المسافة بينك وبين الأفق ثابتة. إنّها المسافة نفسها.

إنّ الرغبة في المزيد لا يُمكن إشباعها. ولأنّه لا يُمكن إشباع الرغبة في المزيد، لا تستطيع أن ترى ما هو كائن. بل تتوق دائماً إلى ما ليس موجوداً، وهكذا يكون تفكيرك دائماً في مكان آخر إلى درجة أنك لا تستطيع أن ترى ما هو جلي جداً ويُحيط بك. أنت ترى الأفق، ولا ترى نفسك. أنت ترى البعيد، ولا ترى ما هو قريب منك. إنّ الإله جارك، وهو في داخلك بالفعل، أنت الإله. بيد أنّ هذا قريب جداً، في حين أنّه ليس لديك الوقت ولا الطاقة حتى تنظر إلى ما هو قريب. سوف يتوفر لديك الوقت والطاقة فقط حينما تختفي رغبتك فيما هو بعيد.

إنّ النفس هي حالة ذهنية عصبية. فقط اِنظر داخلك وسوف تجد دائماً النفس. لماذا تُوجد هذه النفس من الأساس؟ ما سبب وجودها في المقام الأول؟

يخاف الإنسان من فراغه الداخلي بشدة إلى درجة أنّ ما في داخله يبدو وكأنّه تقريباً نوع من الموت. اِنظر في الداخل وستجد فراغاً ولا شيء آخر، سكون، سكون أبدي، لا يزعجه شيء إطلاقاً، ولا تظهر فيه ولا حتى موجة. بيد أنك لستَ موجوداً حتى هناك، لأنك صاخب، وحشد كبير. في داخلك العميق يُوجد الفراغ النقي، وهذا يخلق خوفاً. إذ يُريد الإنسان أن يملأه بشيء ما، ويحشوه بشيء ما. يُريد الإنسان أن يُصبح شيئاً ما حتى يستطيع أن يتخلّى عن هذا الفراغ. هذا هو سبب تواجد النفس، إذ أنك بسبب الخوف من الفراغ الداخلي، تُريد أن تحشو نفسك بشيء ما.

رُبّما تكون لاحظتَ ذلك، عندما تشعر بالفراغ التام، تبدأ في الأكل، عندما تشعر بالوحدة تبدأ في الأكل، عندما تفتقد محبوبك أو حبيبك، تبدأ في الأكل بشراهة. أنت تحشو نفسك. أنت فقط تُريد أن تشعر بالامتلاء. بيد أنه ليس هناك طعام يذهب إلى فراغك الداخلي، إنّه يملأ معدتك فقط. عندما تأكل كثيراً، فإنّ ذلك يُدمّر جسدك. بينما تبقى فارغاً.

قد يُصبح الإنسان مُدمناً على الأكل، وقد يُصبح مُدمناً على السلطة، وقد يُصبح مدمناً على المال، إنّهم جميعاً مُدمنون. هذه هي المُخدرات الحقيقية. إنّ «عقاقير الهلوسة» أو «الماريجوانا» ليست شيئاً مُقارنة مع المال، أو السلطة. هذه هي عناصر التدمير الحقيقية. أنا لا أقول إنّ «عقاقير الهلوسة» أو «الماريجوانا» ليست مُدمّرة، بلى إنّها مُدمّرة، ولكنها ليست شيئاً مُقارنة مع المال أو السلطة.

حينما تُحاول أن تملأ فراغك الداخلي بأيّ شيء، فأنت تسير عكس الإله، لأنّ ذلك الفراغ الداخلي هو وجه الإله. حينما تتوقّف عن ملء نفسك بالطعام، المال، السلطة، وغير ذلك، تُصبح فجأة مُدركاً مَن تكون.

يقول الصوفيون إنّ أول شيء يجب أن يُفهم، ويُختبر، هو «النفس»، ومن خلال فهمها يكون التخلّي عنها. ليس عليك أن ترميها، فمُجرّد أن تراها يعني ان تتخلّى عنها، مُجرّد أن ترى حقيقتها و سخافتها وعصبيتها يعني أن تتخلّى عنها. إنّ هذا التخلّي له اسم جميل يُطلق عليه الصوفيون لفظ «التوبة».

إنّ «التوبة» تعني العودة، وهي تعني بالضبط ما قاله «المسيح» حينما تحدث عن «التوبة». إنّ الجذور الأصلية للكلمة التي جاءت منها كلمة «توبة» ليس لها أيّ علاقة بـ«الندم». إنّها تعني «العودة إلى المصدر». إنّ العودة هي معنى التوبة، وليس فيها أيّ فكرة عن الذنب. فقط عُد إلى مصدرك. يُسمّيها الصوفيون «التوبة»، ويُسمّيها «باتانجالي» «براتياهار»، العودة إلى الذات، ويُسمّيها «ماهافيرا» «برانكرأمانا»، العودة إلى الديار. إنّها العملية نفسها.

في البداية اِفهم طبيعة النفس، الشهوة، الرغبة في المزيد، هذه الرغبة الجنونية، العصبية في الحصول على المزيد، اِفهمها، وستحدث «التوبة». إنّ رؤية عدم جدواها تعود بك إلى الوراء. عندئذ أنت لا تهرع إلى الأفق والسراب، بل تبدأ في التحرّك ناحية نفسك. إنّه دوران بدرجة مئة وثمانين درجة، إنّه دورة كاملة، هذه هي ماهية «التوبة».

من خلال هذا الدوران يبدأ الشيء الثالث في الحدوث، ويدعوه الصوفيون «الحال»، وهو يعني حالة الكينونة، بيد أنّها حالة مؤقتة، إنّها حالة مغايرة، حالة مُتغيّرة من الكينونة، إنّها حالة اللاتفكير، بيد أنّها لحظة واحدة، وهي مثل الومضات. في مدة لحظة واحدة تكون ثابتاً في جذورك، ومرة أخرى تُستأصل منها. إنّها تأتي مثل البرق. إنّ «الحال» يعني حالة من الوعي، ولكنّها مُؤقتة.

في البداية سوف تحدث فقط بطريقة خاطفة، أحياناً سوف تكون هناك، وأحياناً لن تكون موجودة. إنّها سوف تكون مثل شعاع من الضوء في ظلمتك، أو مثل نجمة وحيدة في السماء المعتمة، أو السماء الممتلئة بالسحب. أحياناً سوف تكون قادراً على رؤيتها، وأحياناً قد لا تكون قادراً على رؤيتها. هذا ما يُسمّى «الحال»، وهو ما يدعونه في «أمريكا» الآن «الحالات المتغيرة من الوعي». في الحقيقة، لقد سمعتُ اقتراحاً من شخص أنّه يجب الان أن يتمّ إخبارهم أن يُغيّروا اسم «الولايات المتحدة الأمريكية». لا بُدّ من إخبار «جيمي كارتر» أن يُغيّر الاسم إلى «الولايات المُتغيرة الأمريكية». إنّه سوف يكون أكثر صلة بالموضوع. إنّ الوعي يتغيّر. إنّ الإنسان أكثر اهتماماً بالوعي الآن أكثر من ذي قبل.

تهتمّ النفس بالمحتوى الذي تملأ به وعيك. هذا المحتوى يُمكن أن يكون مالاً أو طعاماً أو معرفة أو أيّ شيء آخر، بيد أنّ النفس تهتمّ بالمحتوى. بعد «التوبة»، والعودة إلى الداخل، يُصبح الإنسان مُهتمّاً، ليس بالمحتوى، ولكن بالوعي ذاته. ما هذا الفراغ الداخلي الذي تُريد أن تملؤه؟ بداية إنظر إليه، اِعرفه، في البداية كُن مُطلعاً عليه، تعرّف على مذاقه الأصلي، تناول منه لقمة وامضغه، وانظُر هل هو شيء يتمّ ملؤه، أو شيء يتمّ الاستمتاع به. في اللحظة التي تتذوّقه فيها، عندها سوف يُصبح كلّ شيء ذقته من قبل لا قيمة له. إنّ هذا الفراغ هو الامتلاء ذاته، إنّ هذا الفراغ الداخلي هو أعظم فرح في الوجود. إنّه البركة.

في البداية سوف تمرّ بك «أحوال»، حالات، أحياناً مثل الومضة وسوف تشعر أنّك مُستنير، وبعد ذلك تزول وتسقط في البؤس مرة أُخرى أعمق من ذي قبل. إذا لم تقم بخلق «الأنفس» من أجل «الأحوال، فهناك احتمالية أنّك قد تبدأ في التلهف إلى المزيد، وعندها تكون قد عدتَ إلى الوراء، واستدرتَ إلى الخلف مرة أُخرى، لقد خلقتَ أفقاً من جديد، وقد تدخل التفكير، وتكون هناك رغبة النفس مرة أُخرى.

تذكّر أنّ «الأحوال» تحدث مع لكثير من الناس هنا. عندما يحدث الحال، وتتذوّق تلك الحالة، من الطبيعي أن تبدأ في الرغبة في المزيد. سوف تُصبح شديد الرغبة. سوف يظهر لديك توق هائل، كيف تحصل عليها كلّ يوم؟ وكيف تحصل عليها مراراً وتكراراً، في الصباح، الظهيرة، المساء، الليل، كيف تحصل على المزيد؟

أنا أستطيع أن أفهم. إنّه حال في غاية الجمال، يا له من بركة يرغب الإنسان في الحصول عليها. بيد أنك إذا بدأتَ في التوقّع، وفي الرغبة، فستفقد حتى هذه الأحوال. سوف يختفي حتى هذا البرق الذي يُشبه الومضات، حتى هذه اللحظات لن تكون موجودة، لأنّها يُمكن أن تحدث فقط عندما تكون «النفس» غير موجودة. إذا استمتعت «بالحال» ولم تُصبح راغباً فيه، وشعرتَ بالامتنان عندما يكون هناك، ولم تكن متلهفاً عليه عندما ينتهي، تنتظر دون رغبة، بصبر، دون أن تكون مُتطلّباً، فسيحدث الحال أكثر وأكثر.ثمّ تأتي الحالة الرابعة، وتُصبح «الأحوال» دائمة، وهذا يُسمّى «مقام». إنّ «المقام» يعني أنّ الإنسان قد وصل. إنه دائماً موجود. عندها لن يكون الحال شيئاً يحدث معك، بل ستكون أنت الحال. من النفس إلى المقام، هذه هي رحلة الصوفي. وتتكوّن الرحلة كلّها من التجربة، والخبرة. إنّها شيء وجودي.

سوف يكون عليك أن تتعمّق قليلاً في التفاصيل الخاصة بحالة «النفس»، لأنّه كلّما اطلعتَ عليها أكثر، كانت هناك إمكانية أكثر من أجل «التوبة»، الندم، «التحرر، براتياهار»، هذه القفزة العظيمة، التغير في الاتجاه.

هناك ثلاث حالات من «النفس»، وعليه هناك ثلاثة أنواع من الأشخاص المُنومين في العالم. ذات يوم كان هناك سؤال: «أنت تقول إنّ الإنسان نائم، لكن هل كلّ الناس نائمون بالطريقة نفسها؟»، كلا، إنّهم ليسوا كذلك. إنّ الجميع نائمون، ولكن هناك أيضاً فروق كبيرة في التنويم، فروق هامة للغاية.

الأول يُسمّى العدوانيين. إنّهم نائمون، في نوبات الغضب الشديدة، في غضبهم، عدائيتهم، كراهيتهم، عنفهم، قسوتهم، طموحهم. إنّ أول نوع من النوم هو نوم العدوانيين.

تستطيع أن ترى الناس. إنّ الشخص العدواني ظاهر جداً. إنّه دائماً غاضب بشأن كلّ شيء. إنّه مُدمّر، وهو يُريد تدمير كلّ شيء. إنّ العدوانيين يُصبحون ثواراً «ماو»، «ستالين»، «لينين». إنّهم يُريدون أن يُدمّروا. إنّهم يُريدون تدمير الماضي بأكمله، إنّهم يُريدون تدمير المجتمع بأكمله. بالطبع، حينما تُريد أن تُدمّر، لا تستطيع أن تقوم بالتدمير كفعل صرف، بل عليك أن تُعطي فكرة المدينة الفاضلة إلى تفكير الناس مثل الأفيون. إن كلّ المدن الفاضلة عبارة عن أفيون. يجب عليك أن تُخبرهم: «إننا سوف نقوم بتغيير المجتمع إلى وضع أفضل، هذا سبب أننا نقوم بالتدمير»ـ وإلا فلن يدعمهم أيّ أحد. يجب عليك أن تخلق حلماً. حينما تخلق حلماً يُصبح الناس مفتونين بهذا الحلم، وعندها تستطيع أن تُدمّر.

لا يأتي هذا المُجتمع الجميل أبداً، إنّه لم يأتِ أبداً من قبل، ولن يأتِ إطلاقاً. هذا سبب أنّ رجلاً مثل «بوذا» لم يتكلّم أبداً عن المجتمع، ولذلك لن تحدث أيّ ثورة اجتماعية، مَن الذي سوف يقوم بها؟ إنّ العدوانيين هم مَن يقومون بذلك. إنّهم مُهتمّون حقاً بالتدمير. إنّ فكرة خلق مُجتمع أفضل هي مُجرّد استراتيجية للتدمير، كي يُدمّروا دون أن يشعروا بالذنب.

إنّ الشخص العدواني شخص مُتطرف. إنّ غضبه ليس مُوجّهاً تحديداً إلى شيء ما، بل إنّه

ببساطة غاضب بشأن كلّ شيء. إنّه غاضب، وليس لديه هدف من الغضب، بل كلّ شيء وكلّ شخص يبدو مُعادياً بالنسبة إليه. ليس فقط الأشخاص ولكن الأشياء أيضاً تبدو مُعادية بالنسبة إليه. إنّه معادٍ وغير وديّ، ولهذا يبدو الوجود كلّه مُعادياً. إنّ السلبية هي موقفه الأساسي، ونومه هو نوم غاضب جداً، جداً.

إنّ الشيء الجيد بشأنه، هو أنّه مُتحمّس، إنّه ليس بارداً، إنّه يحترق في الواقع ويغلي. إنّه يُمكن أن يتغيّر بسهولة أكبر من النوعين الآخرين لأنه ساخن. إنّ ناره مُتّقدة، ولكنّها موجهة في الاتجاه الخاطئ، بيد أنّ الوجهة يُمكن أن تتغيّر. إنّه يمتلك الطاقة. إذا تغيّرت وجهته، وتحوّل غضبه إلى وقود للتحوّل الداخلي، يستطيع في مُنتهى السهولة أن يُصبح «بوذا».

إنّها ليست مصادفة أن كلّ المُعلّمين العظماء في «الهند» ينحدرون من العرق المحارب «كاشاتريا». إنّ طبقة رجال الدين «البراهمانيين» لم يُنتجوا الكثير من الأشخاص المستنيرين، مع أنه قد نتوقع أنّ هذه الطبقة قد أنتجت عدداً أكبر من الأشخاص المُستنيرين لأنّهم أشخاص مُتمرّسون جيداً، منطقياً وفلسفياً، وفي جميع النواحي. إنّهم أناس جيدون ولكنّهم لم يُنتجوا الكثير من الأشخاص المُستنيرين. لقد كان «بوذا» مُحارباً، وكذلك كان «مهافيرا»، وكذلك «نيميناث»، و»أديناث»، وهكذا كلّ المعلمين الأربعة عشر TEERTHANKARAS في تعاليم «الجاين»، «بوذا»، «رام»، «كريشنا»، «ناناك»، جميعهم كانوا من طبقة المُحاربين «كشاتريا»، لقد انحدروا جميعاً من العرق المحارب، ولم يكن الأمر مُصادفة. لو تغيّر الشخص العدواني، يُمكنه أن يتحوّل إلى «بوذا» في مُنتهى السهولة. من أجل ذلك، هذا هو أفضل نوع من النوم، النوم العدواني.

هذا سبب أنّ عملي هنا يتكوّن بداية من جعلك مُتحمّساً وساخناً من خلال المواجهة، من خلال مجموعات العلاج المسهل، من خلال التأمل الحركي، «الكونداليني». إن كلّ الهدف هو إشعال النار أكثر في داخلك، وجلب عدوانيتك إلى السطح، لأنّه من هذه النقطة، تُوجد إمكانية التغيير.

إنّ النوع الثاني من النوم، والنوع الثاني من الناس هم الزائفون. هذا هو الطرف الآخر. أحد الطرفين هو العدواني، والطرف الآخر هو المتصنّع. إنّهم الأشخاص الجذابون، إنّهم دائماً مبتسمون، كاذبون، مُزيفون، دائماً مخادعون، وغير صريحين بالمرة. إنّ الشخص العدواني صادق. إنّه يُظهر وجهه أيّ ما يكون. إنّه قبيح بكلّ تأكيد، ولكنّه يُظهره. إنّ الشخص المزيف لديه وجه قبيح، بيد أنّه يمتلك قناعاً. إنّك لا ترى أبداً وجهه الحقيقي.

إنّ السياسيين والكهنة، هؤلاء هم المزيفون. إنّ طبقة الكهنة «البراهمانيين» لم يستطيعوا أن يُنتجوا الكثير من الأشخاص المُستنيرين، إنّهم مزيفون. إنّهم يُحاولون دائماً أن يكونوا لطفاء.، وهذه خدعة من أجل حماية أنفسهم. إنّ هؤلاء هم الأشخاص الذين يُعانون من الكبت الشديد. إنّهم يكبتون كلّ عدوانيتهم. إنّ العدوانية ما تزال موجودة ولكنها مدفونة في الأعماق. مخفية في اللاوعي.

إنّ الشخص العدواني هو شخص بسيط. تذكر أنك تستطيع دائماً الوثوق في الشخص الغاضب. لا تثق أبداً في شخص يبتسم على الدوام. لقد سمعتُ عن أشخاص يبتسمون حتى أثناء نومهم. إنّهم في غاية الزيف إلى درجة أنّ الابتسامة قد أصبحَت تقريباً في حال ثابت في كلّ الأمور. لقد أصبحت الشفاه مشلولة على وضع الابتسام، ولا تستطيع فعل أيّ شيء آخر. لقد أصبحَت الابتسامة شيئاً مادياً جامداً، ولم تعُد شيئاً يخرج من القلب، إنّها شيء مرسوم.

هذا هو الشخص التقليدي للغاية. يُصبح النوع الأول ثورياً، بينما يُصبح النوع الثاني تقليدياً. إنّه دائماً يُؤمن بالقوانين، إنّه مطيع جداً للمجتمع، وتراه في أيّ مجتمع يتواجد به مُطيعاً جداً لقوانينه. إنّه لا يُشغل باله بما يُذعن إليه، بل إنّه ببساطة مُطيع. إنّ هؤلاء الناس يُصبحون مُحترمين للغاية، هذا طبيعي، لأنّهم يُطيعون المجتمع. إنّهم لا يفعلون أيّ شيء خاطئ، إنّهم دائماً على صواب. إنّ رحلة الأنا المزيفة الخاصة بهم في اتجاه الصواب. إنّهم يمتطون الحق، إنّهم أناس صالحون. إنّهم يفعلون الصواب دائماً، لا يفعلون أبداً ما هو خاطئ. من الطبيعي أنّهم يحصلون على كلّ أشكال الاحترام والشرف من المجتمع. إنّهم أناس محترمون.

إن النوع الثاني أصعب قليلاً لأنّ النوم في النوع الثاني يحتوي على أحلام حلوة بصورة أكبر. يُعاني النوع الأول من الكوابيس. تذكّر، عندما تعاني كابوساً فهناك احتمالية أن تستيقظ. هذا ما يحدث دائماً. حينما تندمج في الكابوس، ويُصبح الكابوس شديد التأثير، تستيقظ فجأة، وينقطع نومك. يعمل الكابوس آلياً ضدّ النوم. بيد أنه حينما تنام نوماً هادئاً، وترى أحلاماً جميلة عن النعيم والجنة، فلا تكون هناك مشكلة، إذ يُمكن أن يستمرّ النوم. يحافظ الحلم اللطيف على النوم، بينما يكون الكابوس ضدّ النوم.

هكذا، فإنّ النوع الثاني، الشخص المهذب، هو أقل الأشخاص تديناً في العالم. ومن الطبيعي، إنه بارد جداً، فهو لا يستطيع تحمّل أن يكون ساخناً. هؤلاء هم نوعية الناس الذين إذا جاؤوا إلى هذه الزاوية، فسوف يفرّون في الحال.

كان هناك امرأة، وقد بقيَت هنا مدة شهر واحد، وكانت فقط تستمع إليّ، ثمّ بعد ذلك هربَت، وهي تُراسلني باستمرار: «أُريد أن أراك «أوشو»، بيد أني لا أستطيع أن أُمارس تأملاتك. إنّها خطيرة. أنا لا أستطيع الانضمام إلى أيّ مجموعة لأنّها أيضاً خطيرة. أنا أستطيع فقط أن أستمع إليك. فأنا أُحبّ ما تقول».

بيد أنه أيّ نوع من الحُبّ هذا؟ إذا أحببتِ ما أقول، فسيقودك هذا الحُبّ بصورة طبيعية إلى ما أقول أن تفعلينه. إذا تجنبتِ التأملات، وتجنبت المجموعات التي تُقام هنا، عندئذ، أيّ نوع من الحُبّ هذا؟

أنت تعلمين أنّه لن يحدث أيّ تغيير من خلال الكلمات. تستطيعين أن تستوعبي الكلمات، لقد أصبحتِ خبيرة جداً، جداً في استيعاب الكلمات، ومع الكلمات أنت حرة، يُمكنك أن تقومي بتفسيرها بطريقتك. وتستطيعين أن تُسقطي بضع كلمات، وتستطيعين أن تُضيفي القليل من الكلمات، تستطيعين أن تُغيّري نوعية ما أقوله. بيد أنّك لا تستطيعين أن تُغيّري التأمّل، ولا تستطيعين أن تُغيّري عمل مجموعة مثل التصادم. سوف يتعيّن عليك أن تمضي إليها، بيد أنّ الشخص غالباً ما يكون خائفاً.

الآن هذه المرأة مزيفة. إنّها في نوع من النوم أعمق من الشخص العدواني. يستطيع الشخص العدواني أن يتغيّر لأنّه ساخن. أمّا هذه المرأة فهي مزيفة، وباردة كالثلج. عندما تكون المياه ساخنة، تكون قريبة جداً من التبخّر، قليل من الحرارة وسوف تتبخّر. إمّا عندما يكون لديك مكعبات ثلج، يجب أولاً أن تقوم بإذابتها، ثمّ سيكون عليك أن تسخنها. إنّها عملية أطول.

النوع الثالث هو النوع الأكثر صعوبة، وهم الأموات العائدون إلى الحياة «زومبي». هناك العدوانيون، المزيفون، الأحياء الأموات. إنّ الإنسان من نوع «زومبي» يقف في المنتصف، فهو ليس عدوانياً ولا مُزيفاً. إنّه في المنتصف، إنّه كلاهما. إنّه ميت. ليس بساخن ولا بارد، إنّه عاجز. إنّه لم يتخذ

أيّ جانب، إنّه خائف، يتدلّى في المُنتصف، ولا يستطيع أن يُقرر، ومن أجل ذلك، قرر أن يكون مُجرّد آلة.

إن هؤلاء الأشخاص «زومبي» هم مُجرّد أموات. إنّهم جثث مُتحركة، مُتكلّمة. إنّهم مثل الآلات. إنهم يعرفون الحياة فقط على أنّها دورة، ونمط مُتكرر. إنّهم يُقيمون الشعائر، ويُصبحون قديسين عظماء ويحوزون على ألقاب «مهاتما»، بينما يُصبح العدوانيون ثوريين، مجرمين، مذنبين، ويبقى المُزيفون أناساً مُحترمين للغاية، ويُعبّر عنهم الرجل النبيل والسيدة النبيلة.

فقط في الأمس كنتُ أقرأ عن قرار محكمة في «الولايات المتحدة الأمريكية». حيث كانت هناك قضية طلاق في إحدى الولايات الأمريكية وحكم فيها القاضي أنّ الشخص الذي يُطلّق زوجته، والمرأة التي تقوم بتطليق زوجها لا ينبغي أن يُلقبون بالرجل النبيل والسيدة النبيلة، إنّهم ببساطة رجل وامرأة.

لقد تفاجأتُ! هل هذا يحدث في القرن العشرين؟ في «أمريكا»، من دون كلّ الدول! يحكم القاضي أنّ الشخص الذي يُطلّق لا يعود رجلاً نبيلاً، بل يُصبح مُجرّد رجل عادي. لا يُمكنه أن يرتدي ملابس النبلاء. والمرأة التي تُطلّق، بالطبع، كيف يُمكن أن تكون سيدة نبيلة؟ إنه أمر مُستحيل. لا ينبغي إظهار أيّ احترام لهما، هذا ما كان يقوله القاضي.

إنّ هؤلاء المزيفين يحصلون على كلّ الاحترام. إنّهم النبلاء والسيدات الفضيلات. إنّهم القسيسون والسياسيون، إنّهم الناس أصحاب النفوذ. بينما يُصبح الأشخاص «زومبي» قديسين وأرواحاً عظيمة. وحدهم مَن يستطيعون ذلك، إنّهم فقط مَن يستطيعون تحمّل ذلك. إنهم ميتون للغاية، ويجلسون تماماً مثل التماثيل الميّتة.

لقد قيل أنّه ذات مرة جاء باحث إلى «رينزاي» مُعلّم «الزن» العظيم، وقال: «لقد ذهبتُ إلى أديرة أُخرى، لقد تعلّمتُ الكثير. والآن أتيتُ إليك، إنك أعظم مُعلّمي هذا العصر».

نظر «رينزاي» إلى الرجل. لا بُدّ وأنّه كان يبدو من الموتى الأحياء «زومبي»، قال «رينزاي»: «ماذا تعلّمتَ؟ فقط دعني أرى».

كان هذا الطلب نادراً، وغير مسبوق. لقد ذهب إلى مُعلّمين آخرين، ومُدرسين آخرين، وأديرة أُخرى، ولم يطلبوا منه إطلاقاً: «دعنا نرى». نعم، لقد سألوا أسئلة، وقد أجاب بصورة جيدة تماماً، لأنّه كان مُتمرساً جداً. لقد كان في مهنة البحث على مدى ثلاثين عاماً، ولذلك هو يعرف كلّ أسرار المهنة، لكن: «أرنا إياه!» كيف لك أن تعرض فلسفتك؟

إنّه لم يستطيع أن يُفكّر في أيّ شيء آخر، ولذلك أغمض عينيه وجلس في وضعية «بوذا»، تماماً مثل التمثال. ضحك «رينزاي»، وضربه بشدة على رأسه وقال: «أنت أحمق! اِخرج من هنا! لدينا ما يكفي من تماثيل «بوذا». ألا تستطيع رؤية المعبد؟» لقد اعتاد «رينزاي» على العيش في معبد، كان يُسمّى معبد عشرة آلاف «بوذا»، لأنه كان يحتوي على عشرة آلاف تمثال «بوذا». قال: «اِنظر، لدينا عشرة آلاف أحمق مثلك من التماثيل الرخامية. لسنا في حاجة إلى المزيد. اِخرج من هنا! ببساطة لا تُرينا وجهك مرة أُخرى!».

إنّ الموتى الأحياء «زومبي» يُمكن أن يكونوا «مهاتما» على نحو كبير، لأنّهم ميتون بشدة. لقد

تقلّصت الحياة داخلهم. ليس الأمر أنّهم أصبحوا دون رغبة، كلا، لقد أصبحوا بلا حياة، وعندما لا تكون هناك حياة، فلا تُوجد رغبة، ولكن ليست هذه هي النقطة. إنّ الحكيم الحقيقي مَن ليس لديه الرغبة، ويمتلك الحياة المطلقة. أمّا القديس المُزيف فهو من قتل الحياة في نفسه، لأنّ هذه هي أبسط طريقة من أجل قتل رغبته. إنّه إنسان ميت.

هذه هي الأنواع الثلاثة من الأشخاص النائمين، وهي أنواع «الأنفس» الثلاثة. يجب عليك أن تُراقب نفسك، وتعلم أيّ نوع من النفس تمتلك. إذا كنت عدوانياً، كُن سعيداً بذلك، فالأمور أسهل، ولو كنتَ مُزيفاً، كُن سعيداً بذلك، مع أنّ الأمور أصعب قليلاً، ولكنّها لا تزال مُمكنة. أمّا إذا كنت ميتاً «زومبي»، كُن سعيداً أيضاً، لأنّك فهمت أنّك كذلك، هناك بعض الامكانية!

الآن إلى هذا الحوار الجميل.

هذا التبادل بين الحكيم الصوفي «سيماب»، ورجل نبيل يُدعى «مولاكاب»، قد تمّ حفظها من خلال الانتقال الشفوي كحوار يُقدم على المسرح غالباً بواسطة الدراويش الجوالين.

«مولاكاب»: «قُل لي شيئاً من فلسفتك فقد أفهم».

يبدو كأنّه سؤال هام للغاية. «قُل لي شيئاً من فلسفتك فقد أفهم»، كما لو كان الشخص يستطيع أن يفهم لو قيل له شيء ما.

إننا نُؤمن كثيراً بالكلمات، كما لو أنّ الكلمات في حدّ ذاتها تُمثل الحقيقة، كما لو أنّ الحرف هو الروح. إنّه ليس كذلك، بيد أننا تربينا على الكلمات، فكلّ ما نعرفه هو الكلمات. من الطبيعي جداً أنّ الباحث جاء إلى المُعلّم المُتصوّف «سيماب»، وسأل: «قُل لي شيئاً من فلسفتك فقد أفهم».

إنّ التصوّف ليس لديه فلسفة، ولا يُمكن أن يُقال، بل يُمكن أن يُعاش، ويُختبر، بيد أنه لا يُمكن أن يُقال. ليس الأمر أنّ الصوفيين لم يُحاولوا أن يُخبروا عنه، لقد حاولوا ذلك، بيد أنه يستمرّ في الإفلات. هذا ما أستمرّ في فعله. أنا أستمرّ في إخبارك، بيد أنّ الأمر يستمرّ في الإفلات. إنّ الكلمات لا تفي بحقّ الحقيقة أبداً، فكلّ الكلمات زائفة. يتفق الصوفيون تماماً مع «لاو تزو» حين قال: «إنّ «التاو» الذي يُقال لا يُبقى «تاو». إنّ الحقيقة التي يُمكن التلفظ بها قد أصبحت بالفعل كذبة.

سوف يكون عليك أن تختبرها بنفسك. بيد أنّ الإنسان يُحبّ التقليد. إنّه مُقلّد تماماً، حتى أنّه يقلّد كلمات الآخرين، فلسفاتهم، مُعتقداتهم.

لقد سمعتُ...

كان هناك رجلان وامرأة شابة في حافلة مُتجهين إلى «كاليفورنيا»، وقرروا أنّه من الأفضل أن يتعارفوا.

قال أحد الرجلين: «اسمي «بول» ، بيد أني لستُ من الحواريين».

قال الآخر: «اسمي «بيتر»، بيد أني لستُ قدّيساً».

دمدمت البنت: «اسمي «ماري»، اللعنة ، لا أعلم ماذا أقول».

هكذا يتمّ الأمر. لقد رأينا للتو ماذا يحدث، ماذا يفعل الناس، ونفعله. إننا نُقلّد.

في أثناء النوم، يبقى الإنسان قرداً، وفيما يخصّ النائمين فقد كان «داروين» مُحقاً تماماً حين قال إنّ الإنسان أصله قرد. وإلّا، كيف تستطيع أن تُفسّر كلّ حركات القرود هذه، وكلّ هذه المُحاكاة؟

وقف القسّ الجديد جوار الباب يُحيي أبناء الأبرشية بينما كانوا يُغادرون بعد انتهاء الشعائر. كان الناس يمدحون الكاهن بسخاء على هذه الخطبة، ما عدا رجل واحد قال له: «كانت الخطبة مُملة، أيها المُبجل»

في غضون دقيقة أو اثنتين ظهر الرجل نفسه مرة أخرى في الصفّ وقال: «خطبة مُملة، أيها المُبجل».

ثمّ ظهر الرجل مرة أُخرى، وهذه المرة دمدم قائلاً: «إنّك في الحقيقة لم تقُل أيّ شيء على الإطلاق. أيها المُبجل».

حينما سنحت له الفرصة، أشار القسّ بانزعاج مضاعف إلى أحد الشماسين، واستفسر عنه.

قال الشمّاس: «أوه، لا تدع هذ الرجل يُسبب لك الإزعاج، إنّه روح مسكينة، فهو يتجوّل في الأنحاء مُرديداً أيّ شيء يسمعه ممّا يقوله الآخرون».

فقط راقِب تفكيرك. ماذا لديك هناك؟ هل هناك شيء مُبتكر؟ أيّ شيء حقيقي خاص بك؟ أم أنك مُستمرّ فقط في تكرار ما يقوله الأخرون؟ تخلّ عن هذا التكرار، وعندها سوف يفتح لك باب التجربة. إنّ الفلسفة لن تُساعدك، وحدها النظر المُتعمّقة إلى داخل كينونتك هي ما سيُساعدك.

كان هناك سيدة عجوز وكان لديها ببغاء يستخدم لغة عدوانية. في كلّ مرة تدخل فيها السيدة إلى الغرفة كانت يقول الببغاء: «أتمنى لو كانت ميّتة، أتمنى لو كانت ميّتة».

أخبرَت القسّ عنه فقال لها: «لديّ ببغاء أيضاً، بيد أنّه ليس فظاً على الإطلاق. اِحضري ببغاءك إلى هنا واتركيه عدة أسابيع، رُبّما يُحاكي سلوك ببغائي الجيد».

هكذا فعلَت العجوز، ثمّ عادت إليه بعد فترة، وعندما فتحَت الباب ودخلَت إلى الحجرة، رآها الببغاء وقال: «أتمني لو كانت ميّتة»، فوافق ببغاء القسّ قائلاً: «آمين، أيها الربّ، حقق طلبه».

حتى الببغاوات لا يُشبهون الببغاوات، بل يُشبهون البشر. إنّ الإنسان ببغاء أكثر ممّن نُطلق عليهم ببغاوات. لو كررَت الببغاوات وقلّدت، يُمكن أن نُسامحها ونعذرها، بيد أنّ الإنسان لا يُمكن أن نُسامحه. لا تُسامح نفسك أبداً على التقليد، وإلّا فستبقى مُقلّداً. توقّف عن مُسامحة نفسك على التقلّيد. دع التقليد يكون الخطيئة الأصلية، وعندما أقول الخطيئة الأصلية، فأنا اعني ذلك.

إنّ كلمة «خطيئة» جميلة جداً، فهي تعنى الانفصال. إذا كنتَ مُقلّداً فستبقى مُنفصلاً عن ذاتك الحقيقية. إذا كنت مُقلّداً فستبقى مُنفصلاً عن الإله، لأنّ ذاتك الحقيقة فقط تستطيع ملاقاة الإله. أمّا هذا القناع

الزائف، الكاذب فلا يُمكنه أن يحصل على أيّ لقاء مع الإله. إنّ الزائف لا يُمكن أن يُواجه الحقيقي، وحده الحقيقي يمكن أن يلتقي مع الحقيقي.

«مولاكاب»: «قُل لي شيئاً من فلسفتك فقد أفهم».

أجاب المُتصوّف: «لن تستطيع أن تفهم إلّا إذا جربت».

إنّ الفهم هو ناتج ثانوي للتجربة، إنّه ظلّ التجربة، نتيجة التجربة، وليس شرطاً مُسبقاً. لستَ في حاجة إلى الفهم حتى تُجرّب، بل العكس هو المطلوب. أنت في حاجة إلى التجربة حتى تفهم الشيء، فلا يُمكن أن تفهم إلّا إذا جربت. إنّ الإله ليس افتراضاً، وليس تخميناً، إنّه ليس ما نعتقد أنّه الإله، فالإله موجود، سواء فكّرنا أم لا. نستطيع أن نستمر في إنكار الإله، ولكنّ هذا لن يصنع أيّ فارق، يبقى الإله موجوداً. إنّ الإله باق. سواء آمنتَ بذلك أم لم تُؤمن فذلك لا يُؤثر على الحقيقة. إنّ إيمانك، وعدم إيمانك، لن يُغيّر ما هو قائم بالفعل. إذاً ما الهدف من الإيمان، وعدم الإيمان؟ تخلّ عنهما، وحاول أن ترى الحقيقة أيّ كانت. عندما تكون تفحّصتَ ذلك، ينشأ الفهم.

«مولاكاب»: «إنني لستُ مُضطراً لأن أفهم الكعك حتى أعرف إن كان سيئاً».

إنه أمرٌ منطقي للغاية. لستَ في حاجة أن تُجرّب الكثير من الأشياء في الحياة، وأنت تشعر أنك تعرف. بيد أنه لا يُمكن أن يمتدّ هذا المنطق نفسه كي يشمل الإله.

إنّك تعيش في هذه الحياة مع أشخاص نائمين يعملون من خلال الإيمان. لو اتّبعت ما يُؤمنون به، فستعيش حياة مُريحة، وسوف يُساعدك إيمانك على أن تبقى مُرتاحاً ومُتلائماً. بيد أنك مع الإله لا تبحث عن المُلائمة أو الأمن أو الأمان، ولكنك تتلهف مع الإله إلى معرفة الحقيقة.

ذات يوم كنتُ أقرأ عن كلية في «أمريكا»، حصلَت فجأة على تبرع ضخم، ومنحة ضخمة، فقررَت أن تُصبح جامعة. هكذا أرادوا شعاراً يُعلّق على باب الجامعة، وقرروا أنّ هذا الشعار يجب أن يكون باللغة «السنسكريتية»، وليس باللاتينية، ولا باليونانية، وقرروا أن يكون معنى الشعار شيء من هذا القبيل: تتكشّف الحقيقة مثل الزهرة.

من أجل ذلك، بحثوا عن أعظم مُعلّم للغة «السنسكريتية» في «أمريكا»، وقد وصلوا إلى أستاذ جامعي ذي شهرة عالمية في اللغة «السنسكريتية»، فقالوا: «هذا ما نُريده كشعار على باب الجامعة: تتكشّف الحقيقة مثل الزهرة. رجاء قُم بترجمتها إلى «السنسكريتية»، فنحن نُريد وضعها «بالسنسكريتية».

رفض الأستاذ، وقال: «لا يُمكن ترجمته إلى «السنسكريتية»، لأنّ التفكير الشرقي يقول إنّ الحقيقة لا تتكشّف، بل هي موجودة ببساطة. إنّ الحقيقة لا تنمو إطلاقاً، وليست شيئاً يتفتح، بل شيء تقوم أنت باكتشافه، وتنمو في اتجاهه. إما تقترب من الحقيقة أو تبتعد عنها، بيد أنها تبقى نفسها. يحدث النمو معك، وليس مع الحقيقة. إنّ الحقيقة لا تتفتح، وهي ليست زهرة، لأنّ الزهرة تكون أحياناً في شكلّ بذرة، وأحياناً في هيئة شجرة، وأحياناً في صورة برعم، ثمّ تُزهر بعد ذلك. إنّها تتطوّر مع مرور الزمن. بيد أنّ الحقيقة كائنة ببساطة، ولا تتطوّر، إنّها هناك ببساطة. ليس لها ماض، ولا حاضر، ولا مُستقبل. إنّها الشيء نفسه إلى الأبد.

إنني أتفق مع مُعلّم اللغة «السنسكريتية». إنّه مُحقّ. ليس الأمر أنّه لا يُمكن ترجمتها إلى «السنسكريتية»، فهي يُمكن أن تُترجم إلى اللغة «السنسكريتية»، ولكنّها لن تعكس روح «الشرق»، وسوف تكون الترجمة خاطئة. إنّها لن تعكس الفهم الصحيح للحقيقة .

لو آمنتَ أو لم تُؤمن، فستبقى بعيداً. هناك شيء يحول بينك وبين الحقيقة، إنّه إيمانك أو عدم إيمانك.

إذا أردتَ أن تعرف الحقيقة، تحتاج ألّا يكون هناك شيء يحول بينك وبين الحقيقة، عليك أن تقوم بإزالة كلّ أثاث التفكير. عليك فقط أن ترى. يجب أن تكون عيناك صافيتين تماماً.

«سيماب»: «إذا كنت تنظر إلى سمكة جيدة وتظنّ أنّها كعكة سيئة، فأنت في حاجة إلى فهم أقل،».

لأنّ فهمك خاطئ، إنّه مقلوب رأساً على عقب. إنّها سمكة، وأنت تظنّ أنّها كعكة سيئة. إنّ معرفتك لن تُساعدك. من الأفضل أن يكون لديك معرفة أقل. بل ألا يكون لديك معرفة هو أفضل شيء، حينها لن يكون هناك شيء يُلهيك عن الحقيقة. إنّ كلّ المعرفة تُشتت انتباهك. عندما تعرف، تتدخل المعرفة في الأمر، ومن هنا يجب على الإنسان أن يكون بريئاً. وحدهم الأبرياء يعرفون، لأنّ أولئك الذين يظنون أنّهم يعرفون قد أتلفتهم المعرفة.

«وأن تفهمها أفضل، وأكثر من أيّ شيء آخر».

إنّ كلمة «فهم» قد تمّ استخدامها بمعنيين مختلفين: مرة بمعنى المعرفة، والأُخرى بمعنى التأمل، مرة بمعنى الفكر، والأُخرى بمعنى الوعي.

إنّ الكلمة الإنجليزية تأمل «meditation» مُشتقة من الجذور «السنسكريتية» لكلمة «ذكاء» «ميدها»، وهي تعني الإدراك.

في الحقيقة، إنّها سوف تكون صحيحة أكثر إذا اسميناها «MEDHA-tation» بدلاً من «meditation»، الكلمة التي لها دلالة سلبية في التفكير الغربي. إنّها تبدو وكأنك تُفكّر في شيء ما وتتأمل فيه. كلا، كي نجعل الأمر أقرب إلى الواقع يجب استخدام كلمة «MEDHA-tation». إنّ «MEDHA» تعني الإدراك، وليس التفكير في شيء ما، فقط كونك تتمتع بالإدراك، اليقظة، الوعي، النقاء، البراءة.

عندما لا يكون لديك أيّ معرفة، أنت تعرف، حينما يكون لديك المعرفة، تكون عيناك مغطاتين ولا تستطيع أن تعرف.

«سيماب»: «إذا كنت تنظر إلى سمكة جيدة وتظنّ أنّها كعكة سيئة، فأنت في حاجة إلى فهم أقل، وأن تفهمها أفضل، وأكثر من أيّ شيء آخر».

يُريد الباحث الآن أن يعرف المزيد عن الفلسفة الصوفية، فيقول المُتصوّف: «إذا أردتَ حقاً أن تفهم المزيد عن الفلسفة الصوفية، فسيكون من الجيد ألا تعرف أيّ شيء على الإطلاق، وأن تأتي مع الحالة

الفكرية التي ندعوها اللامعرفة».

«مولاكاب»: «إذاً لماذا لا تتخلّى عن الكتب والمُحاضرات إذا كانت التجربة ضرورية؟».

هكذا يعمل التفكير المنطقي، إمّا/أو. إنّ التفكير المنطقي مُقسّم دائماً إلى إما/أو. إنّه لا يعرف كيف يقوم بربط الأقطاب المُتضادّة. إنّه لا يعرف كيف يستخدم الكلمات «و»، «كلاهما».

في البداية يُريد «مولاكاب» أن يعرف عن فلسفة «سيماب»، الفلسفة الصوفية، ثمّ لأنّه يقول إنه لا تُوجد فلسفة، وإنما تُوجد التجربة فقط، ينتقل «مولاكاب» إلى النهاية القصوى، إذا لم يكن هذا، فليكن الآخر. ثمّ يقول: «إذاً لماذا لا تتخلّى عن الكتب والمُحاضرات إذا كانت التجربة ضرورية؟».

يأتي إليّ الكثير من الناس ويقولون لي أيضاً: «إنّك تستمرّ في القول إنّ هذا لا يُمكن أن يُقال، ولكن لماذا تستمرّ في الحديث آنذاك؟ إنّك تستمر في التكرار مراراً وتكراراً أنّ النظريات والفلسفات والأنظمة ليس لها أيّ فائدة، إنّهم مُعيقات، بيد أنّك تستمر في التحدّث إلينا. إذاً، لماذا تتحدّث إلينا من الأساس؟».

هذا هو التفكير المنطقي: إمّا أن تتحدّث بشرط أن تُفهم الحقيقة من خلال هذا الحديث، أو لا تتحدّث على الإطلاق. بيد أنّ كلاهما سوف يكون موقفاً غريباً.

يجب أن يتكلم المُعلّم بطريقه تجعلك مُدركاً أنّ هذا الكلام لن يُقدّم لك المُساعدة. يجب على المُعلّم أن يستخدم الكلمات بطريقة تجعلك لا تقع في شرك الكلمات، ويجب عليه أن يشرح لك الكثير من الأشياء، وفي الوقت نفسه يجعلك مُنتبهاً حتى لا تقع في مصيدة التفسير، ويجب عليه أن يستخدم التفكير حتى يصل إليك لأنك موجود في التفكير، ولا تُوجد طريقة أُخرى من أجل الوصول إليك. يجب عليه أن يُبقيك مُنتبهاً، وأن يُذكّرك مرة بعد مرة أنّ هذا ليس كلّ شيء، وأنّ هذه هي مُجرّد البداية، وأنّ هذا ليس الشيء الحقيقي. إنّ الحقيقي لم يأتِ بعد. يجب عليه أن يُبقيك مُنتبهاً حتى تستطيع أن تتحرّك من الكلمات إلى اللاكلمات، ومن النظرية إلى الحقيقة، ومن الفلسفة إلى التجربة.

تأتي اللحظة التي يستطيع أن يصمت فيها المُعلّم، بيد أنّ هذا مُمكن فقط حينما يصل الطالب إلى المرحلة التي يرتبط فيها مع المُعلّم بطريقة مُختلفة تماماً، من القلب.

حتى عندما كان «بوذا» حياً، وبينما كان هناك آلاف الطلاب، عندما التزم «بوذا» الصمت يوماً كاملاً، فإنّ طالباً واحداً فقط وهو «ماهاكاشياب»، قد فهم صمته من بين آلاف الطلاب.

لقد قيل عن مُعلّم «الزن» «هيون صاه»، أنّه ذات يوم كان على وشك أن يُلقي موعظة حينما بدأ طير في الغناء بالقرب منه. فبقي صامتاً، وأشار إلى الطير، وغادر. في وقت لاحق قال إنّه لم يكن أحسن في التعبير من الطائر، ولذلك بقي صامتاً. كان الطائر يقول الحقيقة نفسها التي كان على وشك أن يقولها، ولكن بطريقة أكثر تفوقاً. بيد أني لا أعلم ماذا حدث للطلاب، وهل فهمه أيّ منهم، هل فيهم مَن تلقّى الرسالة.

حتى مع «بوذا»، فإنّ «ماهاكاشياب» وحده مَن ابتسم حينما بقي «بوذا» صامتاً ناظراً إلي زهرة

لوتس في يده. لقد كان الجميع مُتلهفاً إلى سماع الكلمات، ولكنّه لم يكن يتحدّث. ثمّ ضحك «ماهاكاشياب»، فدعاه «بوذا» وأعطاه زهرة اللوتس وقال لباقي الطلاب: «إنّ ما يُمكن أن يُقال من خلال الكلمات قلته لكم، وما لا يُمكن أن يُقال من خلال الكلمات، أعطيته إلى «ماهاكاشياب».

نعم، إنّ هناك شيئاً أبعد من الكلمات، ولكن لا بُدّ أن يتمّ إعدادك من خلال الكلمات لما هو أبعد.

تحدث هذه المغالطة المنطقية عندما يؤمن التفكير المنطقي أنّه إما أن يكون كلّ شيء مُمكن من خلال الكلمات، أو لا شيء مُمكن من خلال الكلمات.

أخذ أحد طلاب «القديس يهودي» على نفسه عهداً بالصمت، وعلى مدى ثلاثة أعوام لم ينطق بأيّ كلمة محتفظاً بالكلمات من أجل «التوراة» و الصلاة. أرسل إليه «يهودي» وقال: «أيّها الشاب، كيف يُعقل ألا أرى ولا كلمة واحدة من كلماتك في عالم الحقيقة؟».

لقد كان «يهودي» أحد مُعلّمي «الهاسيد».

عندما برر الشاب نفسه بالتحدّث عن «تفاهة الحديث» رد عليه «يهودي»: «إنّ ذلك الذي يتعلّم ويُصلّي فقط يقتل الكلمة في روحه. أيّ ما تقوله يُمكن أن يكون تافهاً، ويمكن أن يكون حقيقياً».

اِستمع إليها مرة أُخرى.

قال «يهودي»: «أيّ ما تقوله يُمكن أن يكون تافهاً، أو يُمكن أن يكون الحقيقة. تعال إليّ بعد صلاة الليل وسوف أُعلّمك كيف تتكلّم. إنّ الكلمات الحقيقية ليست تافهة، والكلمات التافهة ليست حقيقية».

نعم، هناك واقع في الكلمات أيضاً. إنّها ليست مُطلقة، إنّها إرشادية فقط. إنّها مثل الإيماءة. عندما أُشير إلى القمر بإصبعي، فإنّ إصبعي ليس هو القمر. لا تُخطئ الأمر، ولا تبدأ في التشبث بأصبعي، فهو ليس القمر. لكن لا تنتقل إلى الطرف الأخر، وتقول إذا لم يكن الإصبع هو القمر، فكيف يُمكن أن تُشير بالإصبع إلى القمر؟ هذا سخف مرة أُخرى. إمّا أنك تتشبث بالإصبع لأنك تقول: «أنت تعرض الإصبع»، أو تقول: «إذاً لا تعرض الإصبع، فالإصبع ليس القمر».

يُمكن أن يُشار إلى القمر بواسطة الإصبع، في حين أنّ الإصبع ليس هو القمر. يُمكن أن تُصبح الكلمات مُؤشراً، إنّها إيماءات.

«مولاكاب»: «إذاً لماذا لا تتخلّى عن الكتب والمُحاضرات إذا كانت التجربة ضرورية؟».

«سيماب»: «لأنّ المظهر الخارجي مُؤشر إلى ما هو داخلي. إنّ الكتب سوف تُعلّمك بعض الأشياء عن المظاهر الخارجية عمّا هو بالداخل، وكذلك سوف تفعل المحاضرات. ومن دونهم، لن تُحرز أيّ تقدم».

إنّ الخارج و الداخل ليسا مُختلفين تماماً. إنّ الخارج هو أيضاً جزء ممّا هو في الداخل، إنه بالطبع الجزء الخارجي منه. وما هو في الداخل أيضاً جزء من الخارج، إنه بالطبع الجزء العميق ممّا في الخارج. بيد أنهما ليسا منفصلين، بل متصلان ببعضهما، فلا تفصِل بينهما أبداً. إنّهما واقع واحد، تماماً مثل

مُحيط الدائرة والمركز، إذ لا يستطيع المركز أن يتواجد دون المحيط، ولا يستطيع المحيط أن يُوجد دون المركز. إذا وُجد محيط الدائرة دون المركز فلا يُمكن أن نُسمّيه محيطاً، وإذا تواجد المركز دون محيط الدائرة الذي هو مركزه، فلم يعُد مركزاً لأيّ شيء. إنّ المركز يعتمد على المحيط، بقدر ما يعتمد المحيط على المركز. إنّ السطح جزء من العمق، مثلما العمق جزء من السطح. هذا هو الفهم الصحيح.

«سيماب»: «لأنّ المظهر الخارجي مُؤشر إلى ما هو داخلي».

لقد حدث عدة مرات أنه كان يأتي إليّ الناس ويقولون: «نُريد أن نُصبح مُريدين، ولكن ما فائدة الشكل الخارجي: الرداء، والسبحة والأشياء المُشابهة؟» كتبت إليّ امرأة: «أوشو»، أنا أُحبّك، وأريد أن أستسلم لك، ولكنني لا أستطيع أن أستسلم إلى هذا الرداء البرتقالي، كما إنني أكره سبحتك».

هذا هو التفكير المنطقي، وهو يقول: «إنّ الداخلي هو الداخلي، والخارجي هو الخارجي، لذا أحبي «أوشو» من خلال ما هو داخلي. ما الحاجة إلى أيّ عرض خارجي». حينما تكون جائعاً، تقوم بتناول شيء ما من الخارج. أنت لا تقول: «إنّ الجوع شيء داخلي، وأنا لا أستطيع الذهاب إلى «فرينادافان»، كما إنني لا أهتمّ ولو قليلاً بالطعام. ما الحاجة إلى الطعام؟ إنّ الجوع شيء داخلي».

بيد أنه تمّ إنهاء الجوع الداخلي، وتمّ اشباعه بواسطة الطعام الخارجي، لأنّ الخارجي يتغيّر على نحو مُستمر إلى الداخل. عندما تأكل، تمضغ، وتهضم، يُصبح الطعام داخلياً، وما هو داخلي يُصبح باستمرار خارجك. إنّ الحياة تتغيّر دائماً، إنّها تتحرّك من الداخلي إلى الخارجي، ومن الخارجي إلى الداخل, إنّها تنقل رائع بين القطبين.

إذاً لا تخلق مثل هذه المشاكلّ المنطقية لنفسك. لا تقُم بالتقسيم، فأنت واحد، أنت الداخل وأنت الخارج، إنّك كلاهما. ثمّ يجب على «المُريد» أن يكون كلّ منهما، الداخلي والخارجي.

فقط اِنظُري إلى غرابة الأمر. أنتِ تقولين، «أنا أُحبّك «أوشو»، بيد أني أكره سبحتك»، هذا غير مُمكن. لا بُدّ أنّ هناك شيئاً خاطئاً، إما أنكِ لا تحبينني أو أنكِ لا يُمكن أن تكرهي سبحتي. إذا كنتِ تكرهين السبحة فلا يُمكن أن تُحبّيني، لو كنتِ تحبينني فلا يمُكن أن تكرهي السبحة. بيد أني أفهم لماذا هذا الجملة ممكنة. لقد قمتِ بفصل الداخلي عن الخارجي.

عندما تُحبّ رجلاً أو امرأة هل تفصل الخارجي عن الداخلي، فتقول: «أنا لن ألمس جسدك لأنني أُحبّك من الداخل فما هي الفائدة من لمس جسدك؟ أنا أُحبّك ولكن أكره جسدك». هل سبق أن قلتَ هذا الكلام لأيّ امرأة: «أنا أُحبّكِ ولكن أكره جسدكِ». إنّها لن تغفر لك. هل سبق أن قلتِ هذا الكلام لأيّ رجل: «أُحبّك بشدة لكن لا تلمسني، لا تقُم بأيّ عرض خارجي. ما الهدف من الاحتضان والتقبيل والإحراج؟ ليس هناك داع. يُمكن أن نُحبّ بعضنا كمراكز داخلية». هل سينمو هذا الحُبّ؟ هل سيكون هذا الحُبّ وافياً؟ هل سيُصبح هذا الحُبّ مرضياً؟ هذا غير مُمكن.

«سيماب»: «لأنّ المظهر الخارجي مُؤشر إلى ما هو داخلي. إنّ الكتب سوف تُعلّمك بعض الأشياء عن المظاهر الخارجية عمّا هو بالداخل، وكذلك سوف تفعل المحاضرات. ومن دونهم، لن تُحرز أيّ تقدم».

«مولاكاب»: «بيد أنه لماذا يُفترض ألّا نقدر على فعل ذلك من دون الكتب؟».

يُريدك المنطق أن تكون ثابتاً في حين أنّ الحياة ليست ثابتة. يقول المنطق إذا كانت الكتب غير ضرورية، فهي غير ضرورية. عندئذ لماذا لا نستطيع أن نستمرّ بدونها؟ إذاً لماذا لا تكون ثابتاً؟ لماذا أنت لستَ ثابتاً على مبدأك؟ إما أن تقول إن الكتب بلا فائدة أحرقوها، أو تقول إنّ الكتب مُفيدة اِعبدوها.

بيد أنّ الإنسان الذي يفهم الحياة ليس مُتطرفاً. إنه يقول: «يُمكن استخدام الكتب، ولكن لا تُوجد حاجة إلى عبادتها. يُمكن استخدام الكتب، ولكن ليس هناك حاجة إلى حرقها». إنّ كليهما مُتطرف، وكليهما وجهات نظر جزئية.

لن تتفّق الصوفية مع مُعلّمي «الزن» في حرق الكتب المُقدّسة، لأنّه عندما تحرق الكتب المُقدّسة، فذلك يُظهر أنّك ما زلتَ مُتعلّقاً بها بشدة، وإلّا لماذا تحرقها؟ لماذا تُزعج نفسك إلى هذا الحدّ؟ لديك بعض التعلّق، بعض الهوس، والذي يتمثل في أنك إما أن تعبدها، أو تحرقها، ولا تستخدمها ببساطة. إنّ الصوفية منطقيون أكثر.

يقفز الناس ببساطة من النقيض إلى الآخر، لأنّ المنطق يستطيع دائماً أن يخدعك، لأنّه يتظاهر بنوع من الثبات.

كان هناك رجل ضئيل الحجم يسير مُتمهلاً في طريق «أم. جي»، يقف عند التقاطعات وينثر هنا وهناك في الشارع نوعاً من المسحوق من حقيبة كان يحملها في يده. لقد كان سلوكه غريباً حتى أنّه سرعان ما جذب إليه حشد من المراقبين. عندها قرر شرطي أن يقوم بالاستجواب والتحري عن الرجل.

سأل الشرطي: «ما هذا الموجود في الحقيبة؟»،

ردّ الرجل القصير: «مسحوق الوافل».

سأل الشرطي، «وماذا يكون؟».

قال الرجل: «إنّ مسحوق «الوافل» هو اكتشاف خاص بي، وهو من أجل القضاء على مُعظم أنواع الثعابين السامّة، الأسود، النمور ، الأفيال، إلى آخره، إلى آخره».

شرح له الشرطي: «بيد أنه ليس هناك أيّ ثعابين، ولا أسود، ولا نمور، ولا أفيال في طريق «إم. جي».»

قال الرجل: «أعلم، إنها مادة قوية للغاية».

هذا في غاية الاتساق. بسبب هذه المادة، أنت لن ترى أيّ أفيال، نمور، أسود.

إنّها مادة فعالة للغاية.

إنّ المنطق راض ذاتياً على نحو كبير. إنّه يخلق عالماً ثابتاً من المفاهيم. إذا قررتَ أنّ الكتب المُقدّسة مُفيدة، يقول المنطق: «اِعبدها. ضعها على قاعدة عالية، إنّها الحقيقة الشاملة»، ولو قلتَ: «إنّ

الحقيقة ليست في الكلمات»، عندئذ تكون الكتب المُقدّسة بلا معنى، ألقِ بها بعيداً، أحرقها. إما أن تُقدّسها أو تُهينها.

بيد أنّ الإنسان العملي فعلياً، والإنسان الواقعي، سوف يستخدم الكتب ولن يعبدها ولن يُهينها، لأنّ كلاهما مواقف عاطفية. إنّك لا تعبد الجدول الزمني ولا تحرقه أيضاً، أنت ببساطة تستخدمه. إنّ جميع الكتب المُقدّسة ما هي إلا جداول زمنية للرحلة الداخلية. إنّها ليست الرحلة الداخلية، تذكّر، إنّها خرائط. إنّ خريطة «الهند» ليست «الهند»، ورؤية خريطة «الهند» لا يجعلك تزور «الهند»، بيد أنه ليس هناك داع كي تحرقها لأنّها ليست «الهند». نعم يُمكن أن تكون مُفيدة. بل يُمكن أن تكون ذات فائدة هائلة، إذ يُمكن أن تصل بك إلى «الهند» الحقيقية.

إنّ خريطة الطريق شيء ضروري عندما تكون مُسافراً إلى أرض غريبة. إنّ خريطة الطريق تحتوي أشياء كثيرة، ما عدا شيء واحد: كيف تطويها! يُمكن أن تُستخدم، هذه هي وجهة النظر الواقعية.

«مولاكاب»: «بيد أنه لماذا يُفترض ألّا نقدر على فعل ذلك من دون الكتب؟».

«سيماب»: «من أجل السبب نفسه أنك لا تستطيع أن تُفكّر دون كلمات. لقد تربيّت على الكتب، وتغيّر تفكيرك كثيراً عن طريق الكتب والمُحاضرات، وعن طريق السمع والتكلم، بحيث يستطيع الداخل أن يتحدث إليك فقط من خلال الخارج، أيّ كان ما تزعم أنك تستطيع أن تفهمه».

لقد تربيّنا على الكتب. إن تفكيرنا ليس إلا كلمات، منطق، فلسفة. إذا كان هذا التفكير سوف يتحوّل، عندئذ يجب أن يتمّ الوصول إليه بطريقة يستطيع أن يفهمها. من أجل ذلك، يستخدم المُعلّمون الكلمات، بل يستخدمون حتى المنطق، ويستخدمون كلّ ما يكون ذا فائدة بالنسبة إليك.

إنَ كلّ جهودهم منصبة على أن يأخذوك إلى ما هو أبعد من نفسك. إنّهم يستخدمون الكلمات حتى يذهبوا إلى ما وراء الكلمات، ويستخدمون تفكيرك حتى تتخلّى عنه، وتُصبح بلا تفكير، وتُصبح في حالة اللاتفكير.

«مولاكاب»: «هل هذا ينطبق على الجميع؟»,

إنه المنطق مرة أُخرى يُحاول أن يجد بعض الثبات والاتساق. «هل هذا ينطبق على الجميع؟», إنّ المنطق يُعمم دائماً، بينما الواقع ليس تعميماً. هناك أشخاص مُتفرّدون، وليس هناك تعميمات. هل سبق أن رأيت كائناً بشرياً؟ أنت ترى «تيريثا»، «مانيشا»، «سودها»، «شيلا»، «مادهوري»، أنت ترى الكثير من الأشخاص. لكنك لم ترَ إطلاقاً كائناً بشرياً. إنّ الكائن البشري تعميم. إنك لم تُصادف إطلاقاً كائناً بشرياً، بل إنّك دائماً تُصادف رجالاً مُحددين، ونساء، وليس كائنات بشرية محددة. يعيش المنطق على التعميمات.

«مولاكاب»: «هل هذا ينطبق على الجميع؟»,

«سيماب»: «إنّه ينطبق على مَن ينطبق عليهم، وينطبق أكثر على أولئك الذين يعتقدون أنّه لا ينطبق عليهم!».

هذا ذو أهمّية هائلة. اِحتفظ به دائماً في عقلك الواعي.

«إنّه ينطبق على مَن ينطبق عليهم، وينطبق أكثر على أولئك الذين يعتقدون أنّه لا ينطبق عليهم!».

بيد أنّ هذه آخر خدعة يستطيع التفكير أن يلعبها. هذه هي الحيلة الأخيرة، والاستراتيجية الأخيرة عند التفكير كي يحمي نفسه: «إنّه لا ينطبق عليّ», أنت دائماً تقع ضحية هذه الخدعة: «إنّه لا ينطبق عليّ».

يكتب إليّ الناس: «أوشو»، إنّ ما تقوله رائع حقاً. سوف يستفيد منه الكثير من الناس، الكثير منهم، ولكن ليس أنا».

لقد سمعتُ عن رجل اعتاد الحضور إلى الكنسية كي يستمع إلى الكاهن، وكلّ يوم بينما كان يهمّ بالمُغادرة، كان يقول للكاهن: «أحسنتَ، لقد طرقتَ بطريقة جيدة. كلّ هؤلاء الناس في حاجة إلى ذلك».

مع مرور الوقت أصبح يُشكّل عائقاً أمام الكاهن، لقد كان الرجل شديد الأنا المُزيفة. لقد كان نمطاً متكرراً يومياً. عندما كان يتحدّث الكاهن، كان هذا الرجل في النهاية ينتظر ويقول له: «أحسنتَ، لقد طرقتَ بطريقة جيدة. إنّ هؤلاء الناس في حاجة إلى ذلك. إنّهم يستحقّون ذلك. لقد وضعتهم على الطريق الصحيح. هذا سوف يُساعدهم».

كان الكاهن ينتظر الفرصة المناسبة حتى يتحدّث مع هذا الرجل. وقد حدث ذلك ذات يوم. لقد كانت تُمطر بشدة ولم يأتِ إلا هذا الرجل، ولم يكن هناك أيّ أحد آخر، ومن أجل ذلك فكّر الكاهن: «الآن، دعنا نرى ماذا يقول» وكان الرجل مُنتظراً.

حينما انتهي الكاهن، وبينما كان الرجل في طريقه من أجل الخروج قال: «أحسنتَ، كانوا سيستفيدون كثيراً لو كانوا موجودين. يا لهم من مساكين. لقد أخطأوا. إنني أشعر بالأسف من أجلهم!».

تذكّر أن كلّ ما يُقال بواسطة المُعلّمين فهو يُقال لك أنت بالتحديد. لا تُقحِم الآخرين فيه. إذا شعرتَ أنّه لا ينطبق عليك، فهو ينطبق عليك تماماً وبالتحديد. حينما تُريد أن تجعل نفسك استثناء، اِحذر. إنك مخدوع من قِبل تفكيرك. اِحترس، واهرب من الفخّ. إذا كنتَ حذراً وهربتَ من الفخّ، يُمكن أن تكون استثناء. عن طريق عدم التفكير في أنك الاستثناء، تستطيع أن تكون استثناء. عندما لا تُفكّر أنّك عظيم، تستطيع أن تكون عظيماً. عندما لا تُفكّر أنّك مُتواضع جداً، تستطيع أن تُصبح متواضعاً. إنّ كلّ ما هو جيد هو من اللاوعي الذاتي البريء.

***

الفصل الثامن

عطلة من سلامة العقل

3 سبتمبر 1977 صباحاً في قاعة «بوذا».

السؤال الأول

«في كلّ مرة أقع في الحُبّ، تبدأ الأشياء في الانهيار حولي. أعتقد أنني أفقد مركزي، ولكن في هذه الحالة أنا لا أعرف هل لديّ مركز أم لا. إنّ الأشياء تُصبح مُشوشة وجنونية».

هذا السؤال من «كريشنا بريا».

في البداية: ليس لديكِ مركز بعد. إنّ هذا الذي تشعرين وكأنّه المركز هو مُجرّد الأنا المزيفة. إنّه ليس مركزك الحقيقي. إنّه شعور زائف، شعور وهمي للغاية. هكذا، عندما تقعين في الحُبّ، يجب على الأنا المزيفة أن تختفي. فلا يُمكن أن تتواجد الأنا المزيفة في الحُبّ. إنّ الحُبّ شيء أكثر صدقاً بكثير، وأكثر أصالة بكثير ممّا أنتِ عليه. هذا سبب أنك تشعرين دائماً أنّ الأشياء تأخذ شكلاً جنونياً قليلاً، لأنّكِ لا تستطيعين السيطرة عليها. لم يعُد المُتحكّم موجوداً. حينما لا تكون الأنا المزيفة موجودة، مَن يتولّى السيطرة والتهذيب؟ عندها تكونين في حالة فوضى.

بيد أنّ هذه الفوضى أجمل من تلك الأنا المزيفة القبيحة. فمن خلال هذه الفوضى تُولد جميع النجوم. ومن خلال تلك الفوضى تُولدين أنت من جديد، إنّها ميلاد جديد. إنّ كلّ علاقة حُبّ هي ميلاد جديد.

إذاً لا تأخذي الموضوع بصورة سلبية. لا تُفكّري أنكِ تخسرين شيئاً في الحُبّ، فليس لديكِ ما تخسرينه. لو كان لديك شيء عندئذ من المُستحيل أن تخسريه. إذا كان لديكِ مركز حقيقي، فإنّ الحُبّ يدعم هذا المركز، ويتحد معه، ويجعله أكثر نقاءً. إنّ الحقيقي يُساعد الحقيقي.

على سبيل المثال، إذا كان هناك ظلام في الغرفة وأحضرتِ مصباحاً، فهذا يقضي على الظلام. بيد أنه إذا كان هناك ضوء ومصباح، عندئذ تكون الغرفة أكثر إضاءة من قبل، إذ يتضاعف الضوء.

إن الأنا المزيفة مثل الظلام، إنّها عنصر زائف. إنها تبدو فقط وكأنّها موجودة، مع أنّها لا تمتلك أيّ واقع إيجابي. عندما يأتي ضوء الحُبّ، ينقشع الظلام. إذا كان لديكِ المركز الحقيقي، والذي يُطلق عليه «غوردجييف» التبلور أو ما تُطلق عليه الهندوسية «أتمان» أو ما يُسميّه الصوفية «الروح»، إذا كنتِ تمتلكين الروح حقاً فسيجعلها كلّ حب أكثر وأكثر نقاءً، أكثر وأكثر شفافية، ويجعلها مُتاحة أكثر وأكثر .

كلّ علاقة حُبّ سوف تكون خطوة، وسوف تتحركين إلى درجة أعلى من التبلور.

إذاً فإن هذا أول شيء يجب ان يُفهم: لا تقُم باختيار الأنا المزيفة، اِختر دائماً الحُبّ. عندما تكون المسألة بين الحقيقة والوهم، اِختر الحقيقة. حتى لو كانت الحقيقة تُسبب بعض الازعاج. نعم، إنّها تُسبب الإزعاج، ولقد اخترنا الوهم لأنه مريح، وليس لأيّ سبب آخر قمنا بهذا الاختيار. هناك سبب واحد: إنّه مريح. يجب عليك أن تمرّ ببعض الانزعاج، وهذا الانزعاج أنا أُسمّيه «تاباسه تشاريا» ، التقشف، الجهد المبذول من أجل تحقيق هدف ما، «سادهانا». هذا ما يعنيه أن تبدأ في طريق.

دائماً قُم باختيار الحقيقة، أيّ كانت سيئة، وأيّ كانت مُؤلمة، وأيّما كانت تبدو مُدمّرة. حتى ولو كانت مثل الموت، قُم باختيارها، وسوف تستفيد من ذلك. لا تقم أبداً باختيار المريح، والمُلائم، والمُحافظ، وإلّا فستعيش حياة العدواني إذا كنت محظوظاً، أو حياة المزيف إذا لم تكن محظوظاً كفاية، أو حياة الشخص الميت «زومبي» لو لم تكن محظوظاً على الإطلاق.

إنّ الحُبّ يُخلّصك من الأنا المزيّفة، ومن الماضي، ومن الحياة النمطية، ومن أجل ذلك يبدو مُربكاً.

إنّ ملاحظة «بريا» صحيحة. إنّها تقول: «في كلّ مرة أقع في الحُبّ، تبدأ الأشياء في الانهيار حولي». إنّها فعلاً تقع في الحُبّ. لقد كنت أُراقب علاقاتها العاطفية. عندما تقع، فإنّها حقيقة تقع! ولم تكن أبداً بين بين، ولم تكن أبداً فاترة. إنّها تُصاب فعلاً بالجنون، الاهتياج. وهو يحدث مُجدداً، وهذا سبب أنها طرحت هذا السؤال.

بيد أنّ هذا جيد، فلا يوجد ما نقلق حياله. اِتركي الأنا المزيّفة. أن تكوني أحياناً مجنونة، هي الضرورة الأساسية للبقاء عاقلة. أما إذا كنتِ عاقلة على الدوام، فإنّ تعقلكِ شيء مريب. عندها لا بُدّ أنكِ تحملين اضطراباً عصبياً هائلاً مخبأ داخلك، يُمكن أن ينفجر ويثور في أيّ يوم. إنكِ تجلسين على بركان. من الجيد أن تأخذي بعض العطل من التعقل. إنّ أيام عطلة نهاية الأسبوع جيدة. اِنسي أحياناً كلّ ما يتعلق بكونك عاقلة، وكلّ ما يتعلق بقوانينكِ، قواعدكِ، سلوكياتك المُتحكّم بها، وكلّ هذا الهراء. خذي عطلة في بعض الأحيان، استرخي، وادخلي في حالة من الجنون الشديد.

إذا دخلتِ في حالة من الجنون الشديد عمداً، بوعي وإدراك تامّ، فستكون تجربة رائعة. ولن تكوني في خطر إطلاقاً. عندما تدخلين في الجنون الشديد وأنت واعية، تستطيعين أن تعودي مرة أُخرى. أنت تعرفين كيف دخلتِ إليها وبذلك تعرفين كيف تخرجين منها.

حينما لا تدخلين بوعي، عندما يُلقى بك وفي داخلك بركان، عندما لا يكون ذلك هو اختياركِ، ولكن مُجرّد مُصادفة، عندما لا تكونين أنت من اخترتِ العطلة، ولكن تمّ اجبارك على أن تذهبي في عطلة، عندها لن تستطيعي أن تعودي. هذا ما حدث مع الأشخاص المجانين. لقد أصبحوا مجانين عندما تراكم لديهم الكثير من الجنون، ثمّ أصبح الآن من غير المُمكن لهم أن يُسيطروا عليه. لقد فاض منهم، وهم لا يستطيعون العودة.

هنا، من خلال العيش معي، أنا أُعلمك مبدأ أساسياً من أجل البقاء عاقلاً، وهو أن تُجنّ أحياناً بتعمد، وعن وعي، ومن خلال الجهد. إنّها تجربة جيدة، فأنت تبقى مُتاحاً لكلا القطبين: العقل والجنون.

أنت تتأرجح، وتمتلك حرية التحرك.

إنّ الشخص المُتعقل دائماً ليس حُراً، كما أنّ الشخص المجنون دائماً ليس حراً أيضاً. بيد أنّ الشخص الذي يستطيع أن يتأرجح بين العقل والجنون بسهولة، بسلاسة، دون عوائق، يمتلك حرّية كبيرة. هؤلاء هم الأشخاص الذين عرفوا ماهية الحياة. إنّ جميع المتصوفين مجانين، كما أنّ كلّ المجانين يُمكن أن يُصبحوا مُتصوفين، ولكنهم أخطأوا الطريقة. عندما تذهب على مسؤوليتك تستطيع أن تعود مرة أُخرى. هذا هو تعليمي الأساسي هنا. أنا أُعلّمك كيف تكون مجنوناً بوعي.

إذاً «بريا»، استمرّي. لا تخافي، فكلّ ما تفقدينه لا يستحقّ الاحتفاظ به.

الشيء الثاني. إنّها تقول: «أعتقد أنني أفقد مركزي، ولكن في هذه الحالة أنا لا أعرف هل لديّ مركز أم لا». هذه ملاحظة جيدة أيضاً. أنت ليس لديك مركز بعد. لا بُدّ أن تختفي الأنا المزيّفة تماماً، عندها فقط سوف يظهر المركز الحقيقي. عندما تختفي السحب سوف ترى الشمس.

فقط بعد أن تكوني قد انتقلتِ إلى الحُبّ العميق، وتخليتِ تماماً عن الأنا المزيّفة. هناك شيء ثمين جداً، يُمكن الحصول عليه فقط إذا تخليتِ عن الأنا، وهذا الثمن لا بُدّ أن يتم دفعه. عندما تكونين قد أحببتِ بعمق فعلاً، عندها سوف يظهر داخلكِ نوع جديد من التكامل.

إنّ الحُبّ يفعل شيئين: أولاً إنّه يُبعد عنك الأنا المزيفة، ثمّ يمنحك المركز. إن الحُبّ كيمياء رائعة.

هناك ثلاثة أنواع من الحُبّ: أنا أُسمّهم الحُبّ واحد، الحُبّ اثنان، الحُبّ ثلاثة. إنّ الحُبّ الأول مُوجه إلى موضوع، وهناك موضوع للحُبّ. أنت ترى امرأة جميلة، رشيقة جداً، ذات قوام ممشوق. فتشعر بسعادة غامرة، وتعتقد أنك تقع في الحُبّ حقاً. لقد نشأ الحُبّ داخلك لأنّ المرأة جميلة، لطيفة، جيدة. هناك شيء من الموضوع قد حرّك الحُبّ داخلك. أنت لستَ المُتحكّم فيه فعلاً، لقد أتى الحُبّ من الخارج. قد تكون شخصاً غير مُحبّ للغاية، قد لا تمتلك هذه الميزة، قد لا يكون لديك هذه البركة، ولكن بسبب أنّ المرأة جميلة، تعتقد أنّ الحُبّ نشأ داخلك. إنّه مُوجّه إلى موضوع مُعين.

هذا هو الحُبّ العادي. هذا ما يُعرف بكلمة «إروس». إنّه شهوة. كيف تمتلك هذه المرأة الجميلة؟ كيف تستغلّ هذا الكائن الجميل؟ كيف تجعلها ملكك. بيد أنه عليك أن تتذكّر أنه إذا كانت المرأة جميلة فهي ليست جميلة في نظرك أنت فقط، إنّها جميلة في نظر الكثيرين، ومن أجل ذلك، سوف يقع الكثير من الناس في حُبّها، وسوف تكون هناك الكثير من الغيرة، المنافسة، وكلّ أنواع القبح الذي يأتي في الحُبّ، أو فيما تدعونه حُبّاً.

لقد تزوّج الملا «نصر الدين» من امرأة قبيحة للغاية، بل الأقبح على الإطلاق. من الطبيعي أنّ أصدقاءه تحيّروا وسألوه: «لديك المال، والجاه، وتستطيع أن تحصل على أيّ امرأة جميلة تُريدها، لماذا اخترتَ هذه المرأة القبيحة.

قال: «إنّ السبب هو أنني لن أُعاني إطلاقاً من الغيرة. هذه المرأة سوف تكون مُخلصة دائماً لي. لا أستطيع أن أُصدّق أن يقع في حبها أيّ شخص آخر. في الحقيقة، حتى أنا لا أُحبّها. هذا مستحيل، وهكذا،

أعرف أنّه لا يُمكن أن يُحبّها أيّ أحد.

هناك تقليد عند المحمديين، بسبب أنّ المرأة «المحمدية» يجب أن تبقى خلف البردة وخلف الستار، ولا تستطيع أن تُظهر وجهها أمام كلّ الناس، فحينما تأتي الزوجة للمرة الأولى، فإنّها تسأل زوجها: «مَن الذي أستطيع أن أُظهر وجهي أمامه، ومَن لا يُسمح لي بإظهار وجهي أمامه؟».

عندما سألت المرأة «الملا»: «مَن الذي أستطيع أن أُظهر وجهي أمامه، ومن لا يُسمح لي بإظهار وجهي أمامه؟»، قال «الملا»: «تستطيعين إظهار وجهك أمام الجميع ما عداي أنا!».

إذا وقعتَ في حُبّ امرأة جميلة أو رجل جميل، تقع في المشاكل. سوف يكون هناك غيرة، أو جريمة، سوف يحدث شيء ما. أنت في ورطة. سوف تبدأ من اللحظة الأولى في التملك حتى لا تكون هناك فرصة أن تسوء الأمور، أو تخرج عن سيطرتك. سوف تبدأ في تدمير المرأة أو الرجل. سوف تتوقّف عن منح الحرية. سوف تُحيط بالمرأة من جميع الاتجاهات وتُغلق جميع الأبواب.

لقد كانت المرأة جميلة لأنّها كانت حرة، فالحرية مُكوّن من مكوّنات الجمال حتى إنّك إذا رأيتَ طائراً يطير في السماء، فإنه سوف يكون نوعاً من الطيور، ولكن إذا رأيت الطير نفسه في قفص، فلن يعود الطائر نفسه. إنّ الطائر الذي يطير في السماء له جماله الخاص. إنّه حيّ. إنّه حرّ، إنّ السماء بأكمها ملك له. أمّا الطير نفسه في القفص فهو قبيح، فقد ذهبت حريته، وذهبت السماء. إنّ هذين الجناحين بلا معنى الآن، إنّهما نوع من العبء. لقد استمرا من الماضي وهما الآن يخلقان البؤس. إنّ هذا الطائر الآن ليس نفسه.

حينما وقعتَ في حُبّ المرأة، كانت حرة، وأنت وقعتَ في حُبّ الحرّية. عندما أحضرتها إلى المنزل دمّرت كلّ الفرص كي تكون حرة، ولكنّك بتدميرك هذا تُدمّر الجمال. من أجل ذلك ستجد ذات يوم فجأة أنّك لا تحُبّ هذه المرأة على الإطلاق، لأنّها لم تعُد جميلة. هذا يحدث في كلّ مرة، وعندها تبدأ في البحث عن امرأة أُخرى، ولا ترى ما الذي حدث، أنت لا تنظر إلى الآلية وكيف أنك دمّرتَ جمال المرأة.

هذا هو النوع الأول من الحُبّ، الحُبّ واحد. اِحترس منه، فليس له قيمة كبيرة، وليس هامّاً جداً، بل ليس له قيمة. إذا لم تكن واعياً فستبقى واقعاً في شرك الحُبّ واحد.

الحُبّ اثنان: إنّ الموضوع هنا ليس هاماً، ولكنّ ذاتيتك هي المهمّة. إنّك مُحبّ للغاية، ومن أجل ذلك، تمنح حُبّك لشخص آخر. بيد أنّ الحُبّ هو نوعيتك، وليس مُوجهاً إلى موضوع. إنّ الذات تفيض بنوعية الحُبّ، والكيان محب من أعماقه. حتى لو كنتَ وحيداً فأنت مُحبّ. إنّ الحُبّ نوع من النكهة لكيانك.

عندما تقع في الحُبّ من النوع الثاني من الحُبّ، فسوف يكون هناك فرح أعظم ممّا في النوع الأول. وسوف تعرف، لأنّ هذا الحُبّ يعرف كيفية المحافظة على الآخر حراً. إنّ الحُبّ يعني أن تمنح من تُحبّ كلّ ما هو جميل. إنّ الحرية هي الهدف الأكثر جمالاً، والأكثر عزاً في وعي الإنسان. فكيف يُمكن لك أن تسلبها؟ إذا كنتَ فعلاً تُحبّ امرأة، أو كنت تُحبين رجلاً، فإنّ الهدية الأولى، وأول ما تهبه له، سوف يكون هبة الحرّية. كيف يُمكن أن تحرمه منها؟ أنت لستَ العدو، بل إنك الصديق.

هذا النوع الثاني من الحُبّ لن يكون ضدّ الحرّية، فهو ليس من النوع التملّكي. إنّك لن تكون قلقاً

للغاية من أنّ أحداً آخر مُعجب بامرأتكَ، أو مُعجب برجلكِ. في الحقيقة، ستكون سعيداً أنّ لديك امرأة يُقدّرها الآخرون، وأنّك اخترتَ امرأة يرغبها الآخرون. إنّ رغبتهم تُثبت ببساطة أنّك اخترت ماسة، وكياناً قيّماً يمتلك قيمة حقيقية. إنك لن تكون غيوراً، بل في كلّ مرة سوف ينظر أحد إلى امرأتك بعيون الحُبّ سوف تشعر بالسعادة مرة أُخرى. وتقع في حُبّ امرأتك من جديد من خلال عينيه.

هذا النوع الثاني من الحُبّ سوف يكون صداقة أكثر منه شهوة، وسوف يُثري روحك على نحو أكبر.

هذا النوع الثاني من الحُبّ يمتلك اختلافاً آخر. في النوع الأول من الحُبّ المُوجّه إلى موضوع، سوف يكون هناك الكثير من المُحبّين يُحيطون بالموضوع، وسيكون هناك خوف. في النوع الثاني من الحُبّ لن يكون هناك خوف، وستكون حراً في أن تمنح حُبّك ليس فقط إلى المحبوب، ولكن ستكون حراً في أن تمنح حُبّك إلى الآخرين أيضاً.

في النوع الأول، يكون الموضوع واحداً، والمحبّون كثيرون. في النوع الثاني، يكون المُحبّ واحداً، ويفيض في عدة اتجاهات، وينشر الحُبّ بطرق مُختلفة على الكثير من الناس، لأنّه كلّما أحببتَ أكثر، ينمو الحُبّ أكثر. إذا أحببتَ شخصاً واحداً فمن الطبيعي أنّ حُبّك ليس غنيّاً جداً، إذا أحببتَ اثنين، يتضاعف الحُبّ داخلك، إذا أحببتَ الكثير، أو استطعتَ أن تُحبّ البشريّة بأكملها، أو استطعتَ حتى أن تُحبّ مملكة الحيوانات، أو استطعتَ أن تُحبّ حتى الشجر ومملكة النباتات، عندها سوف يستمرّ حُبّك في النمو. وكلّما نما حبك وازداد، تنمو أنت وتتوسّع. هذا هو التوسّع الحقيقي للوعي. تُعطيك المخدرات فقط فكرة خاطئة عن التوسّع، بينما يكون الحُبّ هو المخدر الأساسي والجوهري الذي يُعطيك الفكرة الصحيحة عن التوسّع.

هناك احتمالية، فلقد قال «ألبرت تشفايتزر»: «تقديس الحياة، هو محبة كلّ ما هو حيّ. لقد قال «مهافيرا» في «الهند» شيء من هذا القبيل. لقد كانت فلسفته عن اللاعنف «أهيمسا»، تتحدّث عن حُبّ كلّ ما هو حيّ. بيد أنّ هناك رجلاً، وهو أحد المعاصرين في «أمريكا»، يُدعى «بيوجبي»، تقدّم خطوة على «مهافيرا» و «تشفايتزر»، فقد قال: «تقدّيس الأشياء أيضاً». هذا هو الأساس في الحُبّ. أنت لا تُحبّ فقط ما يعيش، إنّك تُحبّ حتى ما لا يعيش. أنت تُحبّ الكرسي، الأعمدة، الأشياء أيضاً، لأنّها موجودة، ولديها نوع من الكينونة أيضاً.

عندما يصل الإنسان إلى هذه النقطة: أن يُحبّ الوجود كلّه بغضّ النظر عمّا يكون، يُصبح هذا الحُبّ حُبّاً لامشروطاً، إنّه يتحوّل إلى صلاة، ويُصبح تأملاً.

إنّ الحُبّ الأول جيد من منطلق أنّك عشتَ حياة خالية من الحُبّ، لأنه أفضل من اللاحُبّ. بيد أنّ الحُبّ الثاني أفضل بكثير من الأول، لأنه يحتوي على كمية أقلّ من القلق، الغضب، الاضطراب، الصراع، القسوة، العنف. إنّ النوع الثاني من الحُبّ سوف يكون حباً أكثر من النوع الأول، ويكون أكثر نقاءً. في الحُبّ الأول، تكون الشهوة كبيرة جداً فتُفسد اللعبة بأكملها، ولكنّ الحُبّ الثاني ليس الأخير، فهناك الحُبّ ثلاثة، حيث يختفي كل من موضوع الحُبّ والذات المُحبّة. إنّ الموضوع مُهمّ في الحُبّ الأول، وفي الثاني تكون الذات المُحِبّة هي المُهمّة، أما في الثالث فهناك التجاوز، فالإنسان ليس هو المُحبّ ولا موضوع الحُبّ، ولا يُقسّم الإنسان الواقع بأيّ طريقة إلى ذات، موضوع، عارف، معروف، مُحبّ،

محبوب. لقد اختفَت كلّ التقسيمات، وأصبح الإنسان ببساطة هو الحُبّ.

حتى النوع الثاني أنت عاشق. عندما تكون عاشقاً، هناك شيء يُحيط بك مثل الحدّ، مثل التعريف. أمّا مع النوع الثالث، تختفي كلّ التعريفات، ويكون هناك حُبّ فقط، ولا تعود موجوداً. هذا ما كان «المسيح» يقصده حينما قال: «إنّ الإله محبّة»، هذا هو الحُبّ ثلاثة. لو أسأتَ فهم النوع الأول، فلن تكون قادراً على أن تُفسّر ما يقصده «المسيح» بصورة صحيحة. إنّه ليس حتى النوع الثاني، بل إنّه النوع الثالث. إنّ الإله هو الحُبّ. الإنسان هو الحُبّ ببساطة. ليست المسألة أن الإنسان يُحب، وليس الأمر فعلاً، بل الأمر أنّ الحُبّ هو نوعية الإنسان اللصيقة.

إنّه ليس أنّك تُحبّ في الصباح، ولا تُحبّ في الظهيرة، أنت الحُبّ، إنّه حالتك. إنّه ليس «الحال»، بل هو «المقام». لقد وصلتَ الى بيتك. لقد أصبحتَ حُبّاً. لم يعُد الآن هناك تقسيمات، وقد اختفت كلّ الثنائيات.

إنّ النوع الأول من الحُبّ هو علاقة «أنا- الشيء»، إنك تتعامل مع الطرف الثاني كأنّه شيء. هذا ما يقوله «مارتن بوبر»: «أنا- الشيء». إنّ الثاني شيء ما، عليك أن تتملّكه. زوجتي، زوجي، ابني، إنّك تقتل روح الآخر بمثل هذا التملّك.

بينما النوع الثاني من الحُبّ يُسمّيه «مارتن بوبر»: علاقة «أنا- أنت». هنا الطرف الثاني شخص. أنت تمتلك الاحترام تجاه الآخر. كيف يُمكن أن تتملك شخصاً تُكنّ له الاحترام؟ بيد أنّ «مارتن بوبر» توقّف عند النوع الثاني، ولم يكن لديه أيّ استيعاب للحُبّ الثالث. لم يستطع «مارتن بوبر» أن يفهم «المسيح»، وبقي «يهودياً». لقد وصل إلى علاقة «أنا- أنت». إنّها لنقلة عظيمة من علاقة «أنا- شيء» إلى علاقة «أنا- أنت»، بيد أنّها لا شيء بالمُقارنة مع النقلة التي تحدث من علاقة «أنا- أنت» إلى اللاثنائية، «أدفاترا»، الوحدانية، حيث يبقى الحُبّ فقط.

هكذا أودّ منكِ «بريا»، أن تتعلمي أكثر عن الحُبّ. انتقلي من النوع الأول إلى النوع الثاني، واحتفظي في وعيك أنّ النوع الثالث هو الهدف، ولا تقلقي بشأن فقدانك لنفسك. اِفقدي نفسك، لأنّ هذه هي الطريقة الوحيدة كي تجدي نفسك.

السؤال الثاني.

لقد قيل: «أنت تعيش مرة واحدة فقط، ولكن إذا عشتها على نحو صحيح، فإنّ مرة واحدة ليست كافية».

«أنوراج»، إنّ مرة واحدة أكثر من كافية!

السؤال الثالث.

«لماذا تقول إلى المُريدات من النساء ألّا يُنجبن أطفالاً؟».

لأنني لا يُمكن أن أقول ذلك إلى المُريدين من الرجال!

السؤال الرابع:

«حينما يعيش الرجل مع امرأتين في الوقت نفسه هل يحدث ذلك فارقاً في طاقته؟».

هل أنت مجنون أو «ماسوشي» أو شيء من هذا القبيل؟ أليست امرأة واحدة كافية بالنسبة إليك؟

لقد سمعتُ...

كان ابن الملا «نصر الدين» يسأله: «مُلّا، لماذا لا يسمح القانون للرجال أن يتزوّجوا امرأتين أو أكثر؟».

قال «الملا»: «إذا كان الرجل لا يستطيع حماية نفسه، فالقانون يحميه!».

إنّ التعامل مع واحدة سوف يكون صعباً بالنسبة إليك. هذا السؤال غير مُوقّع. لا بُدّ أنّ الشخص كان خائفاً أن يسأله. إنّ الخوف يُبين أنّه لديك نوع من الوعي بما تسأل عنه.

إذا كنت لا تزال في الحُبّ واحد فستكون في ورطة كبيرة، وتكون مُمزقاً، وتتقطّع بين امرأتين. في الحُبّ واحد، تكون امرأة واحدة أكثر من كافية.

أما في الحُبّ اثنين فلا تُوجد مُشكلة، ولكن عندها ليست المسألة في وجود امرأتين. بل يتعلّق الأمر بأنّ عنصر الحُبّ ليس ذا أهميّة. عندئذ يرجع الأمر إليك، ما مقدار الحُبّ الذي تمتلكه، وما القدر الذي تستطيع مُشاركته.

بيد أنّ السائل لا بُدّ واقع في مكان ما في النوع الأول من الحُبّ حيث يُريد أن يستحوذ على ما يُمكن من النساء لأنّها علاقة «أنا- شيء». تماماً مثلما تُريد أن تمتلك منزلين، وثلاثة منازل، تماماً مثلما تُريد أن تمتلك المزيد من المال في المصرف، أنت تُريد أن تحصل على المزيد من النساء. في العصور القديمة كانت الطريقة الوحيدة من أجل معرفة إن كان الرجل غنيّاً أم لا، هي أن ترى كم امرأة لديه. لقد اعتاد الملوك على امتلاك المئات. فمنذ ثلاثين عاماً فقط كان لدى «نيجام حيدر أباد» خمسمئة امرأة. في الحقيقة، إنّه لم يكن قادر أعلى تمييز كلّ نسائه من بعضهنّ، ولكنّ الأمر كان نوعاً من النفوذ، وهو يستطيع أن يتحمل مصاريفهم.

إنّ النساء لسنَ أشياءً، إنّهن أشخاص، ويملكنَ أرواحاً بقدر ما تملكون.

لا بُدّ أنّ هذا السؤال قد سأله رجل. إنّه يُريد أن يمتلك الكثير من النساء بقدر ما يُريد. هذه الرغبة في التملك تدلّ على قلب غير مُحبّ. لا بُدّ أنّك في مكان ما من النوع الأول من الحُبّ، حيث يكون الحُبّ علاقة «أنا- شيء». تحرّك من هناك. إنّ امرأة واحدة سوف تكون بؤساً كافياً بالنسبة إليك، أما اثنتين فستكونان أمرٌ كثير جداً.

بيد أنّك قد تُحبّ تعذيب نفسك وتكون «ماسوشياً»، وهنا سيكون الأمر مُختلفاً كلياً. إنّ الماسوشي هو شخص يُريد أن يُعاني، ويكون بائساً، بل يسعد فقط حينما يكون بائساً. إنّ الماسوشي هو الشخص الذي يُريد تعذيب نفسه. إذا كنتَ «ماسوشياً» فليكن، ولكنه ليس أمراً جيداً، إنّه مرض عصبي، وأنت تحتاج إلى

علاج نفسي.

بيد أنه إذا انتقل حُبّك من النوع الأول فلن يكون للسؤال أيّ أهمية على الإطلاق. عندها لن تكون مسألة الحصول على امرأتين أو على واحدة، فالمسألة ليست في الامتلاك على الإطلاق، بل تكون المسألة في النوع الثاني من الحُبّ مسألة وجود. أنت تُحبّ الكثير من الناس بقدر ما هو مُتاح. كما أنّك تُحبّ بطرق مُختلفة، تُحبّ واحدة بصفتها زوجتك. وتُحبّ واحدة بصفتها صديقتك، واحدة بصفتها ابنتك، وأُخرى بصفتها أُختك، وأُخرى بصفتها والدتك. كما أنّه من الممكن أيضاً أن تُشارك نوعاً واحداً من الحُبّ مع الكثير من الأشخاص. ولكن أولاً عليك أن تصل إلى النوع الثاني من الحُبّ، وعندها لن تكون هناك مشكلة.

ثمّ سوف تختفي المشاكلّ تماماً في النوع الثالث من الحُبّ، عندما تكون ببساطة أنت الحُبّ. عندها يُمكن أن تستمرّ في الحُبّ، فليس له نهاية. أنت تمتلك طاقة لانهائية. بيد أنك حالياً لن تقدر على أن تستمرّ في تقديم الحُبّ، فلا تفعل أيّ شيء أكبر من قدراتك، وإلّا ستكون تعِساً. في البداية تعلّم كيف تُحبّ امرأة واحدة، على الأقل تعلّم كيف تُحبّ امرأة واحدة. دعها تكون علاقة «أنا- أنت». لأنّك لو أحدثتَ صراعاً حولك بين امرأتين، فلن تقدر على الانتقال بسلاسة من علاقة «أنا- شيء» إلى علاقة «أنا- أنت».

السؤال الخامس:

يقول «الانجيل»: «اِنتظر وسوف تُعطى كلّ شيء»، «أوشو»، ماذا تقول بخصوص هذا الشأن؟

أنا أقول: «اِنتظر، ولو استقبلتَ شيئاً، فستكون مُعجزة بكلّ تأكيد»، إنّ مُجرّد انتظارك هناك لا يُمثل أيّ التزام على جزء من الوجود كي يمنحك شيئاً، لأنّك رُبّما تطلب الشيء الخاطئ.

بقدر معرفتي بالناس، من بين مئة شخص، هناك تسعة وتسعون، فاصلة تسعة في المئة من الناس يطلبون الشيء الخاطئ. لو أنّ الإله رحيم فلا يُمكنه أن يمنحك هذه الأشياء. إنّ رغبتك هي رغبتك، إنّها جزء من تفكيرك، إنّها جزء من الأنا المزيفة. لا يستطيع الإله أن يُنجزها لك، ولا يجب أن يُنجزها، لأنّه لو فعل ذلك، فستبقى بعيداً، أكثر فأكثر. سوف تتحرّك في الليل المُظلم، وستفقد كلّ احتمالات الدخول إلى مصدر النور مرة أُخرى.

كلا، لا يُمكن تلبية كلّ رغباتك. في الحقيقة، لا يمكن تلبية مثل تلك الرغبات. إنّ رغبتك سوف تكون رغبة خاطئة. أنت مُخطأ، كيف يُمكن أن تُصبح رغبتك صحيحة؟ ليس هناك رغبات صحيحة ورغبات خاطئة، هناك فقط أشخاص مُحقّين وأشخاص مُخطئين. إنّ الشخص الخاطئ هو الذي لديه رغبات، والشخص المُحقّ هو الذي ليس لديه رغبات. حينما لا تكون هناك رغبات يتحقق كلّ شيء.

سوف يبدو الأمر الآن تناقضاً. حينما لا تمتلك أيّ رغبة، يُنجز كلّ شيء. عندها تحصل على ما هو مطلوب، وتحصل على ما هو مفيد. وتكون دائماً سعيداً، لأنّ كلّ شيء دائماً ما يكون هبة.

السؤال السادس:

«لماذا تدعو الرجال بالقرود؟ أليس في ذلك إهانة لكرامة الإنسان؟».

إنّ القرود تُفكّر بالعكس. إنّها لا تُحبّ أن تُقارن بالرجال، إنّها تعتقد أنّ هذا ضدّ كرامة القرود.

عندما قال «داروين» إنّ الإنسان أصله قرد، وأنّه تطوّر من القرود، كانت القرود غاضبة للغاية. لقد كتبَت القرود أبحاثاً هائلة يُثبتون فيها أنّ الإنسان تدهور وليس تطوّر.

هناك خلافات حول الأمر. لقد سقط الإنسان من الشجرة إلى الأرض. إنّه هبوط. لقد أصبح الإنسان أقلّ ممّا كان. اِسأل أيّ قرد. جرّب فقط أن تلحق بأيّ قرد وسوف يكون الأمر مُستحيلاً. يا لقوة القرد! إنّ الإنسان لم يعُد قوياً. إنّ الإنسان عاجز تقريباً مُقارنة مع القرد. اِنظر إلى فرح القرود. إنّ الإنسان تعِس جداً.

لماذا يجب أن يعتقد الإنسان في المقام الأول أنّ كرامته قد أُهينَت أو أنّه أُهين؟ إنّ القرود جماعة جميلة. نعم، أنا أعلم أنّهم لم يُقدّموا «بوذا»، «الرومي»، «الجنيد»، هذا صحيح، بيد أنّهم لم يُقدّموا أيضاً «جنكيز خان»، «تامبورلاين»، «الإكسندر»، «إدولف هتلر» . إنّهم لم يصنعوا الحروب والقتل والتعذيب. إنّ القرود نباتيون، وهم أُمّة جيدة للغاية. إنهم سعداء دائماً، في مزاج المرح، ودائماً ما يحتفلون.

نعم، يستطيع أن يرتفع الإنسان عالياً جداً، أبعد من الإنسانية، بيد أنه يستطيع أن يهبط إلى الأسفل، أدنى من الحيوانات. إنّ سجل ارتفاع الإنسان أعلى من مستوى الإنسانية حتى الآن ليس رائعاً. إنّه مرة في كلّ حين، من بين الملايين، يظهر شخص مثل «بوذا» ، مثل «الجنيد»، بينما يبقى الآخرون قابعين في الوعي المُظلم، الموحل.

لقد تذكّرتُ قصة جميلة، حدثت منذ عدة شهور، في أيام الانتخابات. هناك القليل من الأشياء تُباع على نحو جيد في أيام الانتخابات. كانت أحد هذه الأشياء قبعة «غاندي» البيضاء المغزولة يدوياً. إنّها تُباع فقط عندما يكون هناك انتخابات. حيث يُصبح الجميع مثل «غاندي»، ثمّ بمُجرّد انتهاء الانتخابات، ينسى الناس كلّ شيء بشأن «غاندي». من الجيد أنّهم ينسون كلّ شيء عن «غاندي»، لأنّه أيّ كان الذي علّمه فهو تافه تقريباً. بيد أنه عندما تكون هناك انتخابات، يكون الجميع «غاندي»، حتى أولئك الذين يُشتبه أنهم قاموا بقتله، يُصبحون «غاندي».

هكذا، كان هناك طلب كبير على قبعات «غاندي»، وكان الرجل يقوم بعمل رائع. لقد كان يُسرع من مدينة إلى أُخرى يبيع قبعات «غاندي». ذات يوم كان عائداً إلى البيت من مدينة مُجاورة، وكان مُرهقاً للغاية، وقد كان العمل رائعاً حقيقة. لقد باع تقريباً ألف قبعة، وتبقّى عدد قليل جداً، حوالي خمسين، أو ستين منها في حقيبته. لقد كان مُرهقاً جداً.

من أجل ذلك، ارتاح قليلاً تحت شجرة «تين» فترة من الوقت، واستغرق في النوم. حينما استيقظ رأى أنّ الحقيبة فارغة، وأنّ جميع القبعات قد اختفت. لم يستطع أن يُصدّق لأنّه لم يرَ أيّ أحد في الجوار. ثمّ نظر إلى الأعلى، فرأى مشهداً جميلاً حقيقة! لقد كان كلّ القرود جالسين يمرحون بقبعات «غاندي». كان يُمكن أن تُشاهد هناك «مورارجي ديساي»، «تشاران سينج»، «جاجيفان رام»، لقد كان هناك كلّ أنواع الأشخاص، وكانوا يصكّون أسنانهم ويبتسمون. لقد كان منظراً عجيباً!

في البداية كان الرجل أيضاً مُستمتعاً، ولكنّه فكّر: «لقد فقدتُ ستين قبعة. ماذا أفعل الآن؟ـ كيف أستعيدها مرة أُخرى؟»، ثمّ تذكّر أنّ القرود مُقلّدون، وكان هناك قبعة واحدة مُتبقية على رأسه. من أجل ذلك، صاح: «أبراكادبرا!» حتى يلفت انتباه القرود. نظروا جميعاً إلى ما يجري. ثمّ ألقى قبعته بعيداً، وفي

اللحظة ذاتها ألقى جميع القرود قبعاتهم. إنّهم مقلدون.

قام بجمع القبعات، وضحك بصوت عال، وعاد إلى المنزل. في اليوم التالي كان يُعاني من الحمّى ولم يستطع الخروج كي يبيع القبعات، فأرسل ابنه الصغير، وأخبره القصة: «لو حدث عن طريق المصادفة شيء مثل هذا، تذكّر: قُل في البداية المانترا «أبراكادبرا!»، ثمّ ألقِ قبعتك بعيداً، وسوف تستعيد كلّ القبعات مرة أُخرى. في حال حدث مثل هذا الموقف، أنا أقول لك ذلك فقط كي تكون بأمان».

هكذا ذهب الابن وكان يوماً جيداً فقد باع الكثير من القبعات. وبينما كان عائداً، وبالمصادفة حدث أنّه مرّ جوار شجرة «التين البنغالي» وكان يشعر أيضاً بالإرهاق. وكانت ظليلة للغاية بأوراقها الخضراء الرائعة، إنها مكان جميل للراحة، وهكذا وضع حقيبته واستغرق في النوم. عندما فتح عينيه حدث الشيء نفسه تماماً. لقد كانت مُعجزة! لقد كانت الحقيبة فارغة. نظر إلى أعلى، وكان «مورارجي ديساي»، «تشاران سينج»، «جاجيفان رام»، جالسين هناك، لقد كان كلّ مُؤيدي «غاندي» العظماء واضعين قبعات «غاندي»، وكانوا مستمتعين حقاً بصورة هائلة، وكان شكلهم أكثر جنوناً ممّا قال عنهم الأب في روايته.

بيد أنّ الابن لم يكن مُتحيراً. لقد عرف السر، ولذلك صاح: «أبراكادبرا!» وألقى قبعته. فانتابت القرود حالة من الجنون. لقد ضحكوا بجنون وقاموا بهز الشجرة كما لو كان زلزالاً. هل تعرف ماذا حدث؟ نزل أحد القرود الذين لم يكن لديهم قبعة وأخذ قبعة الابن. لقد تعلّموا الدرس!

إنّ القرود قوم أذكياء. لقد ضاعَت الآن حتى القبعة التي كانت مُتبقية.

يتعلّم الإنسان بطريقة أبطأ من القرود، فيستمرّ ي تكرار الأخطاء نفسها مرة بعد مرة. أيّ نوع من الكرامة هذا الذي تتحدّث عنه؟ لو نظرتَ في تاريخ البشرية ستجد الأخطاء نفسها تتكرر مرة بعد مرة، وتكاد تكون الصورة آلية: الحروب نفسها، العنف نفسه، طريقة اغتصاب الطبيعة نفسها، التدمير نفسه. إنّها القصة نفسها على مرّ العصور.

فقط بين حين وآخر، تظهر واحة في الصحراء المُسمّاة بالإنسانية، مثل «بوذا»، «منصور». بيد أنهم شديدو الندرة وفي غاية الاستثناء حتى أنّه يُمكن عدّهم. بيد أنّهم لا يُمكن أن يُحسب حسابهم، فهم شديدو الندرة إلى درجة أنّه من الصعب علينا أن نعتقد في وجودهم، إنّهم يبدون مثل التعبيرات المجازية، ومثل الأساطير، رُبّما هم من ابتكار التفكير البشري. من أجل أن يُحافظ على كرامته، ويُحافظ على فكرة أنّ له كرامة، اخترع الإنسان «بوذا»، «مهافيرا»، «كريشنا»، «المسيح»، حيث يشكّ الكثير من الناس أنّهم قد وجدوا على الإطلاق.

إنّ شكهم له سبب، فإذا نظرتَ حولك، ترى الإنسان على حالة من القبح والعصبية، حتى يستحيل عليك أن تُصدّق أنّ شخصاً مثل» بوذا» مُمكن. إنّ «بوذا» هو الاستثناء، بينما الإنسان العادي العصبي هو القاعدة. هذا هو سبب أنّ الناس يشكّون في أنّهم قد يكونون يُشبعون رغباتهم من خلال التخيّلات والأحلام. هذا ما يقوله «سيجموند فرويد»: «إنّ جميع هؤلاء الأشخاص العظماء يُشبعون رغبات البشرية فقط، فمن خلال التخيّل وأحلام اليقظة، يُريد الإنسان أن يكون بصورة معينة، ولذلك يقوم بخلق الأساطير.

أيّ كرامة تتحدّث عنها؟ تبدو الأرض أجمل بكثير دون الإنسان. سوف تكون أقل تسمماً، وتعود الأنهار نقية مرة أُخرى، ويكون الهواء غير ملوث مرة أُخرى، وتنمو الأشجار مُجدداً، وتبدأ الحيوانات

بالتجوّل مُجدداً، وتُحلّق الطيور مُجدداً. هل تعتقد أن الأرض سوف تفتقد الكثير دون الإنسان؟ نعم، إنّها سوف تفتقد تسميمك، تلوثك، تدميرك، حروبك، دماؤك. إنّها سوف تفتقد هذه الأشياء، ولكنّها سوف تكون أجمل بكثير. سوف تكون الأشياء أكثر سكوناً وموسيقية، في تناغم أكثر.

أنا لا أقول إنّ الإنسان ليس له كرامة. إنني لا أتفق أبداً مع أشخاص مثل «ب. ف. سكينر» الذي كتب كتاباً بعنوان: «فيما وراء الحرية والكرامة»، والذي يقول فيه إنّ الإنسان ليس حُراً، ولا يتمتّع بالكرامة أيضاً. كلا، أنا لا أقول ذلك. يُمكن للإنسان أن يتمتّع بالكرامة، ولكن لا يجب عليه أن يتقبلها كحقيقة حتمية. إنّها يجب أن تُخلق. إنّها احتمال ولكنّها ليست واقعاً. إنّها مُمكنة، ولكن هذه الإمكانية ليست إلا احتمالات. إنّها لم تحدث بعد، ولا تستطيع أن تتعامل معها كأمر مُسلّم به. إنّ مُجرّد أنّك وُلدتَ إنساناً، لا يعني أنه لك أيّ كرامة، إنك فقط تمتلك وجه إنسان ولكن داخلك كلّ الصفات الحيوانية.

سوف تتفاجأ أن تعرف أنّ الكلمة الإنجليزية وحش «beast» أتت من الكلمة السنسكريتية بقرة «PASHU»، مع أنهما على السطح لا تبدوان مُرتبطتين على الإطلاق. ولكن في «مصر» تحوّلَت كلمة «PASHU» إلى كلمة «PASHT»، ثمّ أصبحَت «BAST»، ثمّ أصبحَت «beast». والكلمة الإنجليزية «ابن غير شرعي» «bastard» أيضاً مأخوذة من «BAST» ،«PASHT» ،«PASHU». إنّ كلمة «bastard» تعني أنّه لا يعرف أباه. هذا هو حال الحيوانات. لا يستطيع أيّ حيوان أن يُخبرك مَن الوالد. حينما لا يستطيع الإنسان أن يُظهر أباه، ولا يستطيع أن يُعرّف أباه، ندعوه «ابناً غير شرعي».

إن كلمة «وحش» وكلمة «ابن غير شرعي» مأخوذتين من الكلمة «السنسكريتية» «PASHU»، التي تمتلك أهمية بالغة. إنّ «PASHU» تأتي من جذور أخرى «PASH»، وهي تعني عبودية. إنّ الذي في العبودية يكون «PASHU»، ويكون حيواناً. كذلك مَن لا يزال في عبودية الأنا المزيفة، ولا يزال في عبودية التفكير، ولا يزال في عبودية الرغبة، الشهوة، الأفكار، هو «PASHU»، إنه حيوان.

هكذا، بكون الإنسان إنساناً فقط على السطح. إنّ «بوذا» هو إنسان في العمق فقط. إذا وقف «بوذا» جوارك، فسيبدو كلاكما مُتشابهاً، ولكن فقط ظاهرياً، يبدو وجهاكما مُتشابهين، ولكنكما في العمق مُختلفان تماماً، وعلى نحو جذريّ. إنّك تعيش في الدرجة الأدنى، بينما هو يعيش في الدرجة الأعلى. إنّ الفارق شاسع، لانهائي تقريباً.

يمتلك الإنسان كرامة من مُنطلق أنّه يستطيع أن يُصبح مثل «بوذا»، وليس فقط من خلال كونه إنساناً. لا يُوجد مَن يُولد إنساناً. يجب أن يتمّ البحث عن الإنسانية، واكتشافها، وخلقها. إذاً، لا تظنّ أنّه بسبب أنك وُلدت حيواناً بشرياً فأنت إنسان. كلّا ليس بعد. تستطيع أن تُصبح انساناً، هذه هي كرامتك، بيد أنّك لستَ مُستعداً. إنّها كرامتك، إنّها حرّيتك في أن تختار أن تُصبح أو لا تُصبح، بينما يختار الملايين ألّا يُصبحوا. نادراً جداً، وعلى نحو قليل، وعلى فترات مُتباعدة، أن يختار أحد أن يُصبح إنساناً. من أجل ذلك، يعيش الملايين في نوع من العار، ونوع من حالات الخطيئة، وحالة من انحطاط الوعي. يعيش الناس على الحدّ الأدنى.

ما لم تعِش عند الحدّ الأعلى، فليس لديك أيّ كرامة. أنت تستطيع أن تمتلكها، بيد أنّك لا تمتلكها. اِسعَ إليها، اِبذل الجهد من أجلها. كُن إنساناً حقيقياً قبل أن يأتيك الموت.

السؤال السابع:

لقد قال «براون»: «إنّ المُشكلة الأساسية ليست الذنب، ولكن عدم القدرة على العيش. إنّ وهم الذنب هو شيء ضروري بالنسبة إلى الحيوان الذي لا يستطيع أن يستمتع بالحياة، من أجل أن يُصدّق أنّ الحياة ليست مُمتعة».

أنا لا أُوافق، لأنّ الإنسان قد وُلد مع القدرة على العيش. لقد وُلد الجميع مع القدرة على الحياة، هذا ما يعنيه الميلاد: القدرة على العيش. ولكن في مكان ما على الطريق يفقد الإنسان قدرته على العيش، ويُصبح غير مُتحمّس، حزيناً، جاداً، مُملاً، غبياً.

يُولد كلّ طفل واعياً، مليئاً بالفرح، الذهول، المُغامرة، الاستفسار، يُولد كلّ طفل بلا حدود. ولكن في مكان ما، بالقرب من عمر ثلاث أو أربع سنوات، يتشتت انتباه الطفل بواسطة المجتمع، ويفقد كلّ اتصال مع قدراته الأصلية، ويُصبح كائناً مزّيفاً. حتى عمر الثالثة يبقى الطفل بصورة جزئية طبيعياً، مُتدفقاً، سعيداً، دون أيّ شيء على الإطلاق، إنه سعيد بلا سبب، سعيد ببساطة. فقط راقِب طفلاً. ماذا يمتلك حتى يكون سعيداً؟ إنه يبدو وكأنّه يتربع على قمة العالم. إنّه يستطيع أن يكون سعيداً بأشياء بسيطة: إنّ مُجرّد جمع الحصى على شاطئ البحر، يجعله سعيداً أكثر ممّا تستطيع أن تكون أبداً. حتى لو جمعت «ماسات رائعة وكبيرة»، فلن تستطيع أن تكون بمثل سعادته. إنّ مُجرّد جمع الحصى، والصخور الملونة، أو الجري وراء فراشة، يجعل الطفل فرحاً للغاية.

في مكان ما بالقرب من الثالثة يُصبح الطفل مُتحضراً. نحن نُجبره. نُهيئه من أجل التمدن، في حين أنّ التحضّر إلى الآن ليس إلا نوعاً من الجنون، إنّه مستشفى مجانين. إننا نُجبر الطفل كي يكون أكثر ذكاءً، وأقلّ وعياً. نحن ندفع الطفل كي يكون أكثر واقعية، وأقلّ شاعرية. نحن ندفع الطفل كي يُصبح مُهتمّا أكثر بما هو ليس هاماً: المال، النفوذ، القوة، الطموح، وأقلّ اهتماماً بالمتع الحقيقية في الحياة. إننا نُحوّل الطفل من كائن مرح إلى عامل. ونُدخل إليه أخلاقيات العمل. لقد أصبحت الواجبات الآن أكثر أهمية من الحُبّ، وأصبحت الشكليات أكثر أهمية من التدفق غير الرسمي، وأصبحت العادات أهمّ من الحقيقة، وأصبحت السياسة أهمّ من الأصالة.

بمُجرّد أن يتعلّم الطفل هذه السياسات، لا يعود سعيداً، وعندما لا يعود الطفل سعيداً، فهو في حاجة إلى سبب لماذا لم يعُد سعيداً. لقد جعلناه في البداية غير سعيد، ومن الطبيعي أنه سوف يتساءل في يوم ما: «لماذا لستُ سعيداً؟»، عندها سيكون عليك أن تجد أسباباً. يقول الهندوس لأنّه في حياتك السابقة قد ارتكب كارما سيئة، ويقول المسيحيون بسبب الخطيئة الأصلية، لأنّ «آدم» ارتكب خطيئة عدم إطاعة الإله؛ هذا هو السبب. وهكذا دواليك.

اِنظر الآن الى الغباء التامّ في الأمر. لقد دمّرتَ في البداية القدرة على الاستمتاع، بعد ذلك طبيعياً، عندما يُصبح الطفل غير مُستمتع، يسأل: «لماذا أنا تعِس؟ لماذا لستُ سعيداً؟ لماذا لا أستطيع أن أكون سعيداً؟ ما الخطأ الذي حدث؟». من الطبيعي ألّا تستطيع أن تقول ما الذي حدث خطأ. رُبّما لم تكُن حتى مُدركاً لما حدث. إنّك لا تستطيع أن تقول إنّك وضعته على المسار الخاطئ. رُبّما لم تعلم حتى أنّك تضعه على الطريق الخاطئ، بل أعطيتَه ذلك الموروث ببساطة. إنّ ما أعطاك إياه والدك، والدتك، المجتمع، منحته إلى أطفالك. يُمرر كلّ جيل اضطراباته العصبية إلى الجيل الجديد، ويستمرّ الجنون حياً.

يستمرّ الناس في التغيّر، بينما يبقى جنونهم حياً.

رُبّما لا تُدرك أنّ كلّ طفل يُولد بإمكانيات لا متناهية كي يكون سعيداً. إنّ كلّ طفل يمتلك امكانية النشوة الجنسية، ولكنّه في يوم أو آخر سوف يسأل وسيكون عليك أن تُوفّر الإجابات، بيد أنك تخلق الشعور بالذنب، فتقول: «لأنّك ارتكبتَ خطيئة في الحياة السابقة»، أنت، «آدم»، حواء»، لا يهمّ الاسم، أيّ شخص «س»، «ص»، «ع»، يفي بالغرض، عليك فقط أن تُعطي تفسيراً أنّ شيئاً قد حدث خطأ في الماضي، وأنّ الماضي أكبر من قدراتك، وأنك لا تستطيع أن تفعل أيّ شيء. ماذا نستطيع أن نفعل أنا أو أنت بشأن «آدم وحواء»؟ كيف نستطيع أن نجعله لا يأكل التفاحة؟ هذا مُستحيل، لقد أكلها بالفعل، لقد حدث الأمر بالفعل، ولا نستطيع أن نتراجع فيه. إنّها ليست مأساة تحدث الآن.

لقد سمعتُ ذات يوم عن طفلين صغيرين، ولد وبنت، أخ وأخت، يلعبان. ضرب الولد أخته بشدة، فبدأت في الصراخ. جاءت الأم وسألت: «ما الأمر؟ لماذا قمتَ بضرب أُختك؟»، فقال الولد: «كنا نلعب «آدم وحواء» وبدلاً من أن تُعطيني التفاحة أكلتها بنفسها.

هذه ليست مأساة، إننا لا نستطيع أن نُغيّرها بعد الآن. لقد حدثَت بالفعل. لقد أكلّ «آدم» ثمرة المعرفة. أنت لا تستطيع ان تفعل أيّ شيء، بيد أنّك ببساطة تشعر بالذنب.

يبدو «الهندوس» أكثر عقلانية. إنّهم كذلك، ولكنّ ذلك لا يُحدث فارقاً كبيراً. يقول الهندوس إنّ الأمر يبدو غريباً أنك يجب أن تُعاني من خطيئة «آدم». إنّهم يجعلون الأمر عقلانياً أكثر. إنّهم أناس عقلانيون، فقد كانوا يتفلسفون مدة قرون. إنّهم يقولون إنها الكارما السيئة من الماضي. لقد فعلتَ شيئاً خاطئاً في حياتك السابقة. الآن مَن الذي سيُعاني؟ إنّك الشخص الذي يجب عليه أن يُعاني من خطيئتك. يبدو الأمر أكثر منطقية.

بيد أنّ الأمر ليس كذلك. تستمرّ في سؤال المُعلّم الهندوسي: «حسناً، لقد أخطأتُ في حياتي السابقة، ماذا لو كنتُ عانيتُ أيضاً في حياتي السابقة؟ إلى أيّ مدى يُمكنك العودة إلى الوراء؟ لا بُدّ أنّ هناك حياة أولى في مكان ما. لماذا فعلتُ شيئاً خاطئاً في حياتي الأولى؟ ليس هناك حياة تسبقها حتى تستطيع أن تُلقي بالمسئولية على تلك الحياة السابقة. لماذا حدث الأمر في المقام الأول؟»، إنّه شيء غريب. ولا يُملك أحد الإجابة.

في الحقيقة، إنّه لم يحدث في جنة «عدن»، ولم يحدث في حياتك السابقة، بل حدث في حياتك الحاضرة، وحدث في منزل والديك، وحدث في مدرستك، وحدث في مجتمعك، في بلدك، وقد تمّ فعله بواسطة والديك، القساوسة ، السياسيين. هؤلاء هم المُتهمون، هؤلاء هم المُجرمون.

لقد سلبوك فرحك وأعطوك أشياء خاطئة. لقد أخذوا منك الطعام الحقيقي المُغذّي وأعطوك سكاكر تلهو بها، وحتى لو كان طعمها جيداً، فهي لا تُشبع جوعك. حتى لو كان طعمها جيد، فهي لا تُفيدك، ولا تجعلك قوياً. نعم، إنّ الطموح مذاقه جيد، ولكنه سكاكر. إنّ الشهرة، النجاح، ذات مذاق جيد، بيد أنك في اعماقك تبقى فقيراً.

اِنظر إلى مَن تدعوهم الأثرياء، بنظرة أعمق قليلاً إلى دواخلهم، إنّهم مُعدمون، بل أسوأ من المُعدمين. أحياناً من المُمكن أن يمتلك الفقير شيئاً داخله، كياناً مُضيئاً. لقد كان «بوذا» فقيراً مادياً، وكذلك

كان «مهافيرا». لكن انظر إلى الملوك وإلى الأثرياء، إنّهم باهتون وميتون، لا يُحيط بهم الفرح. إنّهم مسحوبون فقط بطريقة ما.

لقد تمّ وضعك على المسار نفسه. إنّك في حاجة إلى شخص ينتشلك من هذا التكييف. هذا هو دور المُعلّم، أن يُنسيك التكيّف، ويأخذ كلّ ما منحك إياه والداك من تكيّف. إنّ المُعلّم في الأساس يعمل ضدّ والديك، وضدّ مُجتمعك، وضدّ السياسيين، من أجل ذلك، ليست مُصادفة أنّ السياسيين والآباء والمجتمع والقساوسة دائماً ما يكونون ضدّ المُعلّم الحقيقي أينما وجد. هنا يحدث التضارب.

هذا ما أفعله هنا: أُنسيك تكيفاتك الخاطئة حتى يُمكن للفرح أن ينفجر داخلك مرة أُخرى. إنّه موجود، هذا الربيع موجود، ولا يُمكن لأحد أن يُدمّره. إنّه أزلي، إنّه جزء من كيانك، لا يُمكن لأحد أن يأخذه منك، لقد تمّت اعاقته فقط. إنّ الربيع موجود هنا، ولاتزال المياه العذبة تجري هنا، ولكن تمّ وضع الصخور حولها. لقد تمّت اعاقتك. بمُجرّد أن يتمّ إبعاد هذه الصخور بعيداً سوف تعود طفلاً مُجدداً. سوف يكون الأمر بمثابة إعادة ولادتك. ستبدأ مُجدداً في التدفّق. سوف يعود البريق إلى عينيك مرة أُخرى، ويُشعّ وجهك بالفرح، وتُصبح مضيئاً مجدداً. هذا ما كان يقصده «المسيح» حينما قال: «فقط أولئك الذين يُشبهون الأطفال سيكونون قادرين على الدخول إلى مملكة الربّ».

أنت تسأل: لقد قال «براون»: «إنّ المُشكلة الأساسية ليست الذنب، ولكن عدم القدرة على العيش. إنّ وهم الذنب هو شيء ضروري بالنسبة إلى الحيوان الذي لا يستطيع أن يستمتع بالحياة، من أجل أن يُصدّق أنّ الحياة ليست مُمتعة».

كيف تمّ تدميرك في طفولتك؟ هذا شيء يجب النظر فيه. لقد وُلدتَ قادراً على العيش، والجميع وُلد كذلك، ثمّ سُلبَت منك قدرتك على الحياة، وكانت الطريقة المخادعة التي تمّ استخدامها من أجل ذلك هي منحك أهدافاً خاطئة، وغايات مزيّفة، كي تُحرّكك في اتجاهات عديمة الفائدة، بلا معنى، ويتمّ وضعك على مسار لا يصل بك إلى أيّ مكان، وينتهى دائماً في مكان مسدود. من الطبيعي أنّه عندما تكون في ترى نهاية طريقك مسدودة، وأنّ حياتك لا تتحرّك إلى أيّ مكان، أو عندما تدور في دوائر، أن تكون هناك حاجة إلى تفسير. «لماذا يحدث لي ذلك؟ لماذا يحدث لي وليس للآخرين؟».

إنّ هذا الأمر موجود في أذهان الجميع أيضاً: «إنّ الجميع سعداء، وأنا التعِس الوحيد». لأنك تنظر فقط إلى الوجوه، بينما يتحكّم الناس في وجوههم. إنّهم يمتلكون أقنعة، ولا يُريدون أن يُظهروا بؤسهم، ما الهدف من ذلك؟ إنّهم يبقونه مخفياً. من أجل ذلك، حينما تنظر حولك، قد ترى الجميع يبدو سعيداً، بينما أنت وحدك التعِس، وهكذا يُفكّر الجميع: «يبدو أنّ الجميع سعداء، وأنا التعِس فقط». إنّ الجميع تعساء.

إنّ البؤس موجود، لأنّ المجتمع صرف انتباهك. ليس الأمر أنّ الإنسان وُلد بلا قدرة على العيش، كلا، ليست هذه هي المشكلة. هذا سبب أنني لم أُوافق. إنّ المشكلة ليست في أنّ الإنسان ليس لديه قدرة على الفرح، إنّه يمتلكها، ولكنّ المشكلة هي أنّ الإنسان لا يُسمح له أن ينشأ بطريقة طبيعية.

هناك مصالح راسخة لا تسمح للإنسان أن يمضي في الطرق المرحة. إنّهم يُريدون انساناً بائساً. إنّ الإنسان البائس مُناسب أكثر لأغراضهم من الإنسان السعيد، لأنّ الإنسان السعيد مُتمرّد بينما الإنسان

التعِس لا يتمرّد أبداً، وهو مُستعدّ دائماً للطاعة، والتنفيذ. إنّ الإنسان التعِس بائس جداً إلى درجة أنّه لا يستطيع أن يعتمد على نفسه، إنّه يعرف أنّه بمُفرده مُجرّد بائس، ومن أجل ذلك، مُستعد للوقوع في شرك أيّ أحد.

يستطيع أيّ سياسي أن يُصبح قائداً لو كان الناس تعساء. عندها يُمكن لأيّ شخص غبي أن يُصبح قائدك، رئيس الوزراء، رئيسك، نظراً لأنّه يستطيع أن يعدك بأشياء هائلة، بينما أنت تعِس للغاية إلى درجة أنّك تثق في الوعود. لو كنتَ سعيداً، فلن يتمكّن أحد أن يخدعك بالوعود، لأنّك لست في حاجة إلى أيّ وعود، فأنت سعيد بالفعل. سوف يختفي السياسيون في العالم السعيد.

عندما تكون تعِساً تبدأ في التفكير: «رُبّما ضاعت هذه الحياة، قد لا أستطيع إدارة هذه الحياة، ولكن سوف أستطيع أن أتعامل مع الحياة التالية، الحياة القادمة، ولا أطلب أكثر من ذلك فهو أكثر من كاف»، تذهب إلى رجل الدين، فيعدك بالخير في الحياة الآخرة بعد الموت، بينما يعدك السياسيون بالخير في المستقبل في هذه الحياة. يستمرّ كلاهما في الوعود. يحتاج الأشخاص التعساء إلى الوعود. أما إذا كنتَ سعيداً، فلن تذهب إلى السياسي ولن تذهب إلى رجل الدين، من أجل ماذا؟ إنّك سعيد بالفعل، وتعيش بالفعل في النعيم. عندها تختفي مُهمّة السياسي ورجل الدين.

إنّ هؤلاء هم المُستغلّون، الذين يُثقلون قلبك ويُعيقون طاقتك. إنّهم يبقون أقوياء فقط إذا كنت تعِساً، تذكّر أنك عندما تكون تعِساً، فأنت تُساعد عصابة من المُستغلين. كُن سعيداً وسوف تقوم بأعظم ثورة إلى العالم.

أحياناً يأتي إلي الناس ويسألونني، «لماذا لا تقوم بتدريس شيء يُمكن أن يحدث تغييراً في المجتمع؟»، هذا هو ما أفعله، بيد أنني أقوم به من الأساس. أنا لا أعلّمك أيّ ثورة اجتماعية، ولا أقول لك: «إذهب وأسقِط هذه الحكومة»، فهذا ليس له معنى، لأنّ هؤلاء الذين سوف يُسقطون الحكومة سوف يقومون باستغلالك لاحقاً. هذا لا يُغيّر أيّ شيء. لقد قام الإنسان على مرّ العصور بتغيير الحكومات، وتغيير الكيان الاجتماعي، وتغيير الكيان الاقتصادي، ولكن على نحو أساسي لم يتغيّر أيّ شيء إطلاقاً، بل تكرر الشيء نفسه مرة بعد مرة. لقد سُجن الإنسان. وأصبحت كلّ آماله ميؤوس من تحققها.

إنني أُقدّم شيئاً ثورياً جذرياً حقيقياً، إذ أُحاول أن أجعلك سعيداً. قد لا يكون واضحاً تماماً بالنسبة إليك كيف أنّ ذلك له علاقة بالثورة في المجتمع، مع أنّ له علاقة ماسّة بها. إنّ الشخص السعيد لا يُمكن أن يكون عرضة للاضطهاد، أو الاستغلال، لأنّ الشخص السعيد ليس في حاجة إلى الوعود. إنّ الشخص السعيد سعيد بالفعل، ولذلك لا يقلق بشأن الجنة أو الحياة الآخرة، هذا كلّه هراء! إنّ الشخص السعيد لا يقلق بشأن الغد، فالغد يعتني بنفسه. يقول «المسيح»: انظروا إلى الزنابق في الحقول، إنها لا تُفكّر في الغد، إنّها لا تكدح، إنّها لا تعمل. إنّها تعيش في وجود غير قلق. إنّها هناك فقط. بيد أني أقول لك إنّه حتى ملابس «سليمان» القيمة المكسوة بكلّ هذه الألوان الجميلة، ليست جميلة بقدر هذه الزنابق.

هذا هو كلما تدور حوله المُريدية. أنا أرغب أن تُصبح زنبقاً، زهرة، وألا تقلق بشأن المستقبل، ولا تقلق بشأن الماضي، فقد انتهى الماضي، ولم يأتِ المستقبل. فقط الحاضر هو الموجود الآن. إزدهر فيه، كُن سعيداً فيه، إبتهج فيه، إحتفل فيه، فتقوم بإحداث ثورة عظيمة في العالم، لأنّك سوف تكون هربتَ من شرك كلّ رجال الدين والسياسيين.

يقوم رجال الدين والسياسيون بخلق الإحساس بالذنب داخلك. إنّهم يقومون بأذيتك، ثمّ يجعلونك تشعر بالذنب. إنّهم يُدمّرون قدرتك على العيش، الحُبّ، الابتهاج، ثمّ يُلقون بالمسؤولية على كاهلك: «إنّها خطيئتك، إنّ ما اقترفته من أخطاء هو ما يجعلك تعِساً للغاية»، ثمّ يجعلونك تشعر بالذنب.

بيد أنّ المشكلة الأساسية هي التكيّف. يجب مُساعدة الإنسان على أن يحيا حياة طبيعية، يجب ألّا يتم تكييف الإنسان على أن يحيا حياة غير طبيعية. إنّ المشكلة الأساسية ليست عدم القدرة على العيش، فقد وُلدتّ مع القدرة على العيش، بل المشكلة الأساسية هي كيف لا نسمح للآخرين بتدمير هذه القدرة. بمُجرّد أن يُدمّروا ذلك، يجلبون أيضاً الإحساس بالذنب. إنّ الإحساس بالذنب هو ما يحميهم. إنّهم يقومون بحماية أنفسهم خلف ملابس الشعور بالذنب. إنهم يقتلونك في البداية، ثمّ يجعلونك تشعر بالذنب لأنّك انتحرت.

السؤال الثامن:

«لماذا أتصرّف دائماً من مُنطلق الخوف؟».

إنّه الشيء نفسه. لقد تمّ زرع الخوف عميقاً داخلك. لقد تمّ جعلك خائفاً، لقد تمّ تخويفك، ووضعك في حالات من الوعي مُخيفة جداً، جداً.

يُولد الطفل بلا حول ولا قوة، ولكن لا يُولد خائفاً. تذكر. إنّه بلا حول ولا قوة، ولكنّه ليس خائفاً. إنّ الطفل يستطيع أن يذهب ويلعب مع ثعبان، ويستطيع أن يذهب و يمتطي أسداً. إنّ الطفل ليس خوافاً. نعم إنّه بلا حيلة، هذا حقيقي، إنّه ضعيف، مُعرّض للأذى. إنه يحتاج مساعدتك حتى يكبر، بيد أنّك تستغلّ عجزه، وتبدأ في تغيير لون عجزه فتحوّله وتقوم باختزاله إلى خوف، فمن السهل جداً أن تُحوّل العجز إلى خوف.

بسبب أنّ الطفل عاجز، تستطيع دائماً أن تجعله يشعر بالخوف. يُمكنك أن تقول له: «نحن لن نقوم بإطعامك اليوم»، أو «إننا سوف نقوم بحبسك في الحمام»، أو «سوف نُبرحك ضرباً من أجل ذلك»، أو يُمكن أن تقول الأمّ: «إنني سوف أُغادر»، أو «سوف أتبرأ منك»، أو يُمكن أن يقول الأب: «لن أعود إلى المنزل أبداً إذا فعلتَ ذلك مُجدداً». تستطيع أن تجعل الطفل خائفاً بشدة . إنّه ضعيف جداً ولا يستطيع أن يعيش دونك. إنّه لا يدري حتى كيف يعيش دونك، وليس مُمكناً بالنسبة إليه أن يعيش دونك.

بسبب أنّك قادر على استغلاله، تستطيع أن تجعله خائفاً. حينما يكون خائفاً تكون قوياً، حينما يخاف، أنت تعرف مفاتحه. ثمّ يُمكنك أن تجعله يفعل ما تُريده أن يفعل، وألا يفعل ما لا تريده أن يفعل أيّ كان. عندها يُمكنك أن تفرض عليه أفكارك، دينك، مفاهيمك، نماذجك. لقد كنتَ بائساً وأنت تعرف ذلك، الآن سوف تفرض عليه الشيء نفسه وتجعله بائساً. إذا كنتَ فعلاً تُحبّ طفلك فهناك شيء واحد لن تفعله إطلاقاً، وهو أنك لن تجعله مثلك أبداً. بيد أنّ كلّ أب وكلّ أم يُريدان دائماً أن يكون طفلهما مثلهما تماماً، فهذا يُشعر الناس بالسعادة التامة.

ذات مرة وُلد طفل، وكان والده زميل لي في الجامعة، وقد دعاني من أجل رؤية الطفل، فقد كان في غاية السعادة. وبينما نحن في الطريق إلى منزله قال: «لقد قال أحدهم إنّ الطفل يُشبهني، بل إنّ الكثيرين يقولون عن الطفل إنه يُشبهني تماماً».

عندما ذهبتُ لرؤيته قلتُ للوالد: «إنّه يُشبهك ولكن أرجوك تذكّر ألّا تجعله مثلك». قال: «ماذا تقول؟ ما الذي أستطيع أن أفعله خلاف ذلك؟ إنّ طفلي يجب أن يكون مثلي».

هذا الوالد يسير الآن في درب الأنا المزيّفة، كما هم جميع الآباء كذلك. لماذا يجب على الطفل أن يكون مثلك؟ قد يكون وجهه يُشبهك، هذا مقبول. بيد أنّ الوجه لا يهمّ، بل ما يهمّ هو الروح. إنّه يمتلك روحه الخاصة. فإذا حاولتَ أن تجعلها تُشبهك فستكون رحلة جيدة لأناك. يُحاول الناس أن يكونوا خالدين بهذه الطريقة. إنهم سوف يموتون بيد أنّ طفلهم سيعيش، ويكون مثلهم تماماً، مُدمّراً مثلهم تماماً، بائساً مثلهم تماماً، مُصاباً بالأمراض العصبية مثلهم تماماً.

أخبرتُ الوالد: «على قدر ما أعرف، فقد أتيتَ إليّ الكثير من المرات خلال عدة سنوات، وكنت تأتي إليّ لأنّك تعِس، والآن تُريد أن يكون طفلك الصغير مثلك؟ إذاً سيكون تعِساً. لو كنتَ تُحبّ الطفل حقاً، يجب عليك أن تتخذ قراراً نهائياً ومُلزماً، أنّك سوف تتجنب شيئاً واحداً، وهو أنّ الطفل يجب أن يكون مثلك. يُمكنه أن يكون أيّ شيء آخر، فعندما يكون شخصاً آخر، هناك احتمال أن يكون سعيداً، ولكن على الأقل هناك شيء واحد مُؤكّد: لو كان مثلك، فسيكون بائساً بقدر ما أنت بائس.

بيد أنّ هذا يستمرّ في الحدوث. أنت تسألني: «لماذا أتصرّف دائماً من منطلق الخوف؟»، لأنّك ما زلتَ غير مُتحرر من والديك، فكلّ هذا الخوف أتى إليك منهما. رُبّما تكون كبرتَ في السنّ، بيد أنك لم تكبر في الوعي. تخلّ عن والديك.

أنا لا أقول أيّ شيء ضدّ الآباء، بل إنني مُتعاطف كلياً معهم، فقد فعل آباؤهم الشيء نفسه معهم، وقد عانوا من الكثير. أنا لا أقول اِغضب منهم، بل أقول فقط حاول أن تتخلّص منهم. تخلّ عن هذا التكيف الذي وضعوه فيك عن جهل. تحرَّر منهم، وعندها سوف تشعر تجاههم بالتعاطف والحُبّ الكبيرين، وتشعر بالأسف تجاههم.

يمتلك صندوق التبرعات الجديد بعض الخصائص الجديدة. حينما تضع ربع دولار أو أكثر لا يُحدث صوتاً، بينما عندما تضع عشر سنتات سوف يرنّ الجرس. ضع خمس سنتات وسوف يُطلق صفارة، ضع بنساً، وسوف يُطلق النار، عندما لا تضع شيئاً بجفاء، يلتقط الصندوق صورتك.

هكذا يخلق الدين الخوفَ داخلك.

لقد سمعتُ قصة...

ذهب قسّ في رحلة إلى أعالي الجبال. فجأة أتاه دب ضخم، فأسرع هارباً بسرعة هائلة إلى درجة أنك تستطيع أن تلعب الشطرنج على آثار خطواته، بيد أنّه لم يستطع إيجاد أيّ مكان من أجل الاختباء.

فجأة رأى شجرة، بيد أنّ أقرب فرع كان على ارتفاع عشرين قدماً من الأرض، فقام بقفزة مُذهلة من أجل الوصول إليه، بيد أنه أخطأه. ومع ذلك، قام بشدّه إلى أسفل.

إنّك مليء بالخوف. أنت مُجرّد خوف وارتجاف ولا شيء آخر. بينما يعيش كلّ الآخرين على خوفك. من أجل ذلك لن يُساعدك أحد على التخلّص منه، لأنّ الجميع يعيش عليه.

لن تُساعدك زوجتك على التخلّص منه لأنّها تعيش عليه. إنّ الزوجات يجعلنَ أزواجهنّ خائفين جداً. لن يُساعدكِ زوجكِ على التخلّص منه، لأنّه بمُجرّد أن تتخلّصي من الخوف يُمكن أن تتخلّصي من الزوج نفسه. رُبّما تستمرين مع هذا الرجل القبيح فقط بسبب الخوف. لن يرغب أطفالك في أن تتخلّي عن الخوف. لأنّه بسبب خوفك، يستطيع أطفالك أن يحوزوا بعض السلطة عليكِ. لن يرغب والديك في أن تتخلّص من الخوف. لن يُحبّ أيّ شخص أن تتخلّص من الخوف. عليك أن تُقرر أن تتخلّص منه، لأنّه يعمل ضدّك، بينما يعمل في مصلحة الجميع. إنّه يُدمّرك بينما يُعطي فرصة جيدة للجميع كي يقوموا باستغلالك.

السؤال الأخير:

«أوشو» الحُبّيب، إنني أعاني من توقّف مهارة الكاتب! أنا أتساءل، كيف حدث ذلك مُؤخّراً، كلّما شعرتُ أكثر بالامتنان والحُبّ الغامر، أصبحتُ أقل قدرة على التعبير عنه؟ إنّه أمر مؤلم ألّا أستطيع مُشاركة ما أختبره. المريضة بحبك الشاعرة «مانيشا»».

هذا يحدث «مانيشا». كلّما كان ما تشعرين به تجاهي قوياً، كنتِ أقل قدرة على التعبير عنه.

إنّ المشاعر السطحية يُمكن التعبير عنها بسهولة، فالكلمات تُلائمها. بينما المشاعر الأعمق لا يُمكن التعبير عنها بصورة مُلائمة، فالكلمات لا تكفي من أجل التعبير عنها. إنّ الكلمات سطحية للغاية. عندما تكون المشاعر عميقة، تكون أكبر من الكلمات. يُمكنكِ أن تشعري بها، يُمكنك أن تسعدي بها، تستطيعين الإحساس بنبضاتها في كلّ جسدك وكيانك، ولكن لا تستطيعين صياغتها بالكلمات. تستطيعين تجربة صياغتها، وسوف تشعرين أنّكِ فشلتِ. حينما تضعينها في كلمات يظهر جزء ضئيل جداً، في حين إنّها كانت هائلة عندما كنتِ تختبرينها، لقد كانَت ضخمة، بينما كانت تغمرك بشدة. أمّا الآن وبعد أن قمتِ بصياغتها في كلمات، فإنها تبدو وكأنّها مُجرّد قطرة، بينما كانت كالمحيط حينما كنتِ تشعرين بها.

أنا أستطيع أن أتفهم مُشكلة «مانيشا». إنّها شاعرتي وكلّما تعمّقَت أكثر وأكثر في داخلي وداخل نفسها، كان أكثر صعوبة بالنسبة إليها، وشعرَت بعدم القدرة أكثر وأكثر، بيد أنّ هذه علامة جيدة. إنّها علامة على حدوث شيء هائل حقاً.

واصلي مُحاولة التعبير عنه، لأنّه يجب التعبير عنه، حتى لو لم تستطيعي التعبير عنه. حتى لو لم تستطيعي صياغة المُحيط الذي في قلبك في كلمات، لا تقلقي. حتى لو وصلَت بعض القطرات إلى كلماتك، فهذا جيد، لأنّه حتى تلك القطرات القليلة سوف تقود الناس إليّ، وتمنحهم المذاق، مذاق المحيط.

تذكّري شيئاً واحداً، إنّ القطرة الواحدة من المحيط تكون مالحة بقدر المُحيط بأكمله. حتى قطرة واحدة من المحيط فيها مواصفات المُحيط بأكمله. نعم رُبّما تكون صغيرة، ولكنّها تحتوي كلّ النكهة. قد تكون صغيرة جداً، ولكنّها تحتوي السرّ نفسه. إذا استطعتِ أن تفهمي قطرة واحدة من المياه، فقد فهمتِ كلّ المياه الموجودة على الأرض والكواكب الأُخرى. حتى لو وُجدَت المياه على كوكب مجهول، فإنّها سوف تكون «H2O». نحن لا نعرف هل هي موجودة أم لا، ولكن لو وُجدَت المياه على كوكب مجهول، فإنّها سوف تكون «H2O»، ولا شيء آخر. نحن نعرف السرّ. إنّ القطرة الواحدة من المياه تحتوي على السرّ.

إذاً لا تقلقي. سوف تُصبح الأغنية أكثر صعوبة. كلّما تعمّقتِ أكثر. شعرتِ بالصمت، وشعرتِ

بالحاجة إلى الهدوء، وشعرتِ بالرغبة في أن تُغني الأغنية في صمت. بيد أنّ الصمت لن يكون مفهوماً بالنسبة إلى الآخرين. وبما أن «مانيشا» هي شاعرتي فلا يُمكن أن يُسمح لها بذلك.

إذاً دعي توقّف مهارة الكاتب يكون موجوداً، وسأستمرّ في الطرق عليه حتى أُدمّره، وأنتِ استمري في التغريد بأغنيتك.

***

الفصل التاسع

لمسة المُعلّم

4 سبتمبر 1977 صباحاً في قاعة «بوذا».

لقد كان هناك ذات مرة أحد الصوفيين الذي أراد أن يتأكد من أنّ طلابه بعد وفاته، سوف يجدون لأنفسهم المُعلّم المناسب للطريق.

لذلك فقد قام بعد التركة الإلزامية المنصوص عليها بالقانون، بترك سبعة عشر جملاً لطلابه، وأوصى:

«سوف تقومون بتقسيم الجمال بين ثلاثتكم حسب الحصص التالية: يحصل الأكبر سناً على النصف، ويحصل الأوسط على الثلث، بينما يحصل الأصغر على التسع».

حالما حدثت وفاته وبعد قراءة الوصية، كان الطلاب في البداية مُندهشين من هذا التقسيم غير العادل لممتلكات مُعلّمهم. قال البعض: «دعونا نمتلك الجمال على المشاع». إلتمس البعض المشورة وقالوا: «لقد قيل لنا قوموا بأقرب تقسيم مُمكن». بينما قال القاضي للبعض أن يبيعوا الجمال ويقسموا المال، بينما تمسّك البعض بأنّ هذه الوصية باطلة ولاغية لأنّ شروطها غير قابلة للتنفيذ».

ثمّ تعمّقوا في التفكير واقترحوا أنّه رُبّما تكون هناك حكمة خفية في تركة المُعلّم، فقاموا بالسؤال عمّن يستطيع أن يحلّ هذه المسائل المُستعصية.

لقد فشل كلّ مَن جربوه، حتى وصلوا إلى باب صهر النبي «حضرة علي».

قال: «ها هو حل مسألتكم. سوف أقوم بإضافة جمل إلى العدد. فمن بين ثمانية عشر جملاً سوف تُعطي النصف، تسعة جمال، إلى الطالب الأكبر سناً. والثاني سوف يحصل على ثلث الإجمالي، والذي يُساوي ستة جمال. والطالب الأخير يحصل على التُسع، والذي هو جملين، والجمل المتبقي يُردّ إليّ».

لقد كانت هذه الطريقة التي وجد الطلاب لأنفسهم مُعلّماً.

يعتمد التصوّف كلياً على مبدأ المُعلّم. فمن دون المُعلّم لا يُوجد تصوّف. لا يعتقد التصوّف في الكتب، بل يُؤمن بالمُعلّم الحيّ. يجب على الإنسان أن يذهب إلى شخص يكون قد عرف الأمور بنفسه. قد تحتوي الكتب على حكمة عظيمة، ولكن ليس هناك طريقة من أجل حلّ رمزها. وإذا قمتَ بحلّ رمزها،

فستقوم بذلك وفقاً لتفكيرك. والذي سوف يُكذّب الكتاب.

إن «الإسلام» معروف بأنّه دين الكتاب «القرآن»، كما أنّ «الهندوسية» أيضاً معروفة بأنّها دين الكتاب «الفيدا»، وكذلك هو الحال في «المسيحية»، فكلمة «الانجيل» تعني ببساطة الكتاب. بيد أنّ التصوّف يُصرّ على أنّ الكتاب لا يُمكنه مُساعدتك. لا يُوجد كتاب يستطيع أن يُساعدك. بالطبع يمتلك الصوفيون كتاباً يُسمّونه «كتاب الكتب»، ولكنّه فارغ، وليس مكتوب فيه أيّ شيء، ولا حتى كلمة واحدة. هذا هو موقفهم تجاه الكتب: على الرغم من أنّه سوف يكون فيه الكثير من الأشياء، إلا أنّه سوف يبقى فارغاً بالنسبة إليك، لأنّك تستطيع فقط أن تقرأ ما تعرفه.

لقد سمعتُ ذات يوم أحد الأشخاص يسأل الملا «نصر الدين»: «لماذا قال «المسيح» «طوبى للفقراء بالروح»؟».

فكّر «الملا» وهلة ثمّ قال: «طوبى للفقراء بالروح، لأنّهم لا يملكون المال من أجل شراء الشراب».

في وقت آخر سأل أحدهم الملا «نصر الدين»: «ما هي الوصية الحادية عشرة؟»،

قال: «لا تدعهم يُمسكون بك».

سيُصبح تفكيرك سيدك عندما تقرأ كتاباً، فالتفكير هو المشكلة. يُمكن أن يستمرّ التفكير بصورة مثالية مع الكتاب. فالكتاب ميت، ويجب على التفكير أن يُفسّر، ويُعلّق، ويُقرر ما هو المقصود. إذاً، عندما تقرأ كتاباً، فأنت تقرأ بطريقة غير مباشرة تفكيرك الخاص. يستمرّ الكتاب في الإلقاء بك إلى نفسك مرة أُخرى.

رُبّما تُصبح مُتعلّماً جداً، ولكنّك لن تُصبح الإنسان الذي يعرف حقيقة. قد تعرف الكثير من الأشياء عن الإله لكنّك لن تعرف الإله أبداً. سوف تعرف الكثير عن الحقيقة، ولكنّك لن تعرف الحقيقة أبداً. أن تعرف «عن» شيء هو أمر دون معنى. أن تعرف هذا هو المُهمّ، وليس أن تعرف «عن». أن تعرف «عن» يعني أنّك أخطأت. بيد أنّ الكتاب يُستطيع أن يُعطيك شعوراً قوياً جداً جداً أنّك تعرف، تستطيع أن تمتلك الإحساس بالمعرفة دون أن تعرف على الإطلاق، وسوف يُصبح هذا العائق الأكبر أمام المعرفة الحقيقية، وسوف يُحيط بك مثل سور الصين العظيم . وسوف تتحطّم جسورك. كيف تعبر؟ كيف تتواصل؟ كيف تتصل وتصل إلى هذا الرابط الإلهي؟

يبدو الإلهي شيئاً بعيداً جداً، بل يبدو شيئاً مُستحيلاً. إنّ الإله ليس ظاهراً، وليس قريباً. تنظر حولك من جميع الاتجاهات، فيبدو الوجود شبه خال من الإله. هذا ما قاله «مارتن هيدجير»: «لم أجد ولا شيء واحد في العالم أستطيع أن أدعوه مُقدّساً».

إنّه مُحقّ من وجهة النظر العادية. أين تستطيع أن تجد المُقدّس؟ إنّ المُقدّس مفقود، وليس لأنه ليس موجوداً، ولكن لأنّك لا تعرف كيف تستشعر المُقدّس. إنّك لم تُطوّر بعد هذه القدرة البديهية التي تستطيع استشعار المُقدّس. إنّ الإله بعيد جداً، بينما الدنيا قريبة جداً. إنّ المادة موجودة من كلّ جانب، ولن تلتقي أبداً بالروح. من أجل ذلك يبقى الدين مُجرّد نظرية، ولا يُصبح تجربة أبداً.

يُؤمن التصوف أنّك تستطيع أن تصل إلى الإله فقط من خلال المُعلّم.

إنّ المُعلّم هو الذي يستطيع أن يُصبح الوسيط بينك وبين المُقدّس، البوابة التي من خلالها يُمكن أن تحصل على لمحة. إنّه يعرف، وليس معرفة نظرية، بل إنها خبرة حوّلته وغيّرته ونقلته إلى عالم آخر. يعيش المُعلّم في واقعين معاً، وهو عبارة عن تناقض، فإحدى رجليه في الدنيا، والأُخرى عند الإله. إنه من جهة مثلك تماماً، ومن الجهة الأُخرى على النقيض منك. إنّ المُعلّم عبارة عن تناقض، ومن خلال هذا التناقض سوف تكون قادراً على الوصول إلى المُقدّس، وليس هناك طريق آخر.

من أجل ذلك، فإنّ الخطوة الأولى بالنسبة إلى الباحث هي أن يقع في غرام المُعلّم، بعد أن يبحث عنه. إذا استطعت إيجاد مُعلّم، فقد أنهيت نصف الرحلة. في الحقيقة، لقد انتهى الجزء الشاق. إنّ إيجاد المُعلّم هو المطلب الأساسي كي تُصبح صوفياً. يُسافر الباحثون الصوفيون آلاف الأميال من أجل البحث عن مُعلّم، ويواصلون عملية البحث عن الرجل الذي يستطيعون أن يشعروا بالتناغم معه، ويكونوا على اهتزازات المجهول، ويأخذوا الخطوة الأولى إلى ما وراء المعروف.

إذاً، الشيء الأول والأكثر أهمية، هو أن تجد المُعلّم. يقول الصوفيون إنّ أعظم نعمة في الحياة هي أن تكون بصحبة مُعلّم. إذا لم تكن بصحبة مُعلّم، فقد فوّتَ الفرصة بالكامل. عندها تعيش مع الأشياء غير الأساسية، و لن يتأتى لك أبداً أن تتصل مع الأساسي، فالطريقة الوحيدة كي تتصل بالأساسي هي أن تكون مُتصلاً بشخص يكون على اتصال.

إنّ الأمر يُشبه تقريباً الكرسي الكهربائي. هل سبق أن رأيتَ شخصاً في المهرجان أو «السيرك» أو في معرض يجلس على كرسي كهربائي؟ يبدو الكرسي عادياً. أنت لا تستطيع أن ترى أنّه كرسي كهربائي يهتز بالكهرباء. أنت لا تستطيع أن ترى، لأنّه ليس ظاهراً للعيان أنّ جسد الرجل بأكمله مُتصل بالكهرباء. بيد أنّك إذا لمستَ الرجل، فسوف تُصعق، لأنّ الرجل الجالس في الكرسي الكهربائي مُكهرب. أنت لا تستطيع أن ترى، ولكن إذا لمستَه فستتصل على الفور بالكهرباء.

هكذا هو الحال مع المُعلّم. إنّه مُكهرب بالإلهي، قد لا يكون الأمر ظاهراً بالنسبة إلى أولئك الذين يُشاهدون فقط، بينما يُصبح تجربة فقط بالنسبة إلى أولئك الذين يقتربون ويلمسون.

بمُجرّد أن تلمس المُعلّم أو يلمسك المُعلّم، يحدث شيء لم يكن في وعيك على الإطلاق. ومن هذه المعرفة لا يُوجد طريق عودة إلى الوراء. إنّه طريق لا رجعة فيه. وبمُجرّد أن تشعر به، تعرف أنّه هو. وعندها تستطيع أن ترى الأمر ذاته على الأشجار والأنهار والأشخاص. رُبّما لا يكون الأمر واضحاً جداً، رُبّما يكون مُعتماً، أو مُختفياً وراء الدخان، نائماً، بيد أنه الشيء نفسه سواء كان نائماً أم مُستيقظاً، مختبئاً وراء سحابة من الدخان أم مُحترقاً بسطوع دون دخان. إنّه اللهب نفسه. بمُجرّد أن تلمس المُعلّم، أو يكون المُعلّم قد لمسك.

لقد رسم «مايكلّ أنجلو» «يوم الخلق في كنيسة سيستين»، ولكنه قام بتغيير القصة الواردة في الانجيل بأكملها. وحتى الأشخاص الذين كانوا يبنون «كنيسة سيستين»، المُمولين، «البابا»، لم يستطيعوا أن يكتشفوا أنّه فعل شيئاً جديداً للغاية، شيئاً غير موجود في «الانجيل».

يقول «الانجيل» إنّ الربّ خلق «آدم، من الطين، والتربة السوداء «humus»، ومن هنا جاءت

كلمة إنسان «human». نفخ الربّ في أنف «آدم»، ونفخ فيه الحياة. الآن لا بُدّ أنّ «مايكلّ أنجلو» قد فكّر، كنتُ أبحث في مذكراته، وكان هناك عدة مراجع، لا بُدّ أنّه فكّر عدة أيام: «لو رسمتُ ذلك، سيبدو غبر ملائم قليلاً. الإله ينفخ في أنف «أدم»! سيبدو الأمر غير مناسب قليلاً لو رسمتُه»، من أجل ذلك قام بتغييره، ورسم احدى أشهر رسوماته: الإله يلمس «آدم»، ولا ينفخ فيه. هناك إصبع الإله فقط تأتي من المجهول. إنّ الإله عال في الجنة، في السحب، و»آدم» على الأرض. و يأتي فقط إصبع، ويلمس «آدم». وهذه اللمسة تبعث فيه الحياة.

لم يُفكّر أحد أنّه غيّر القصة بأكملها. إنّها ليست هكذا في «الانجيل»، فما جعل «آدم» حياً هو النفخ فيه وليس لمسه. بيد أنّ «مايكلّ أنجلو» كان طالباً صوفياً، وكان له اهتمام عميق بالتصوّف، لا بُدّ أنّه مرّ على باله فكرة لمسة المُعلّم، وأنّ الطالب يُصبح حياً من خلال لمسة المُعلّم.

نعم، إنّها لمسة. إنّها قفزة الشعلة من مصباح إلى مصباح. بمُجرّد أن تشعر بها، وهو إحساس لا تُوجد طريقة لوصفه، بمُجرّد أن تشعر بها، فقد أصبحت واعياً بالمُقدّس. عندها ينتهي كلّ شيء، ويُصبح هو فقط الموجود.

من أجل ذلك يقول الصوفيون إنّ أعظم نعمة في الحياة هي إيجاد المُعلّم الذي يعرف، ويرى، ويكون بحق. أنت «تُوجد» فقط حينما تتصل بالإله، وقبل ذلك أنت فارغ، أنت منزل بلا مُعلّم، قبل ذلك أنت مُجرّد مسكن لا يسكنه أحد، قبل ذلك أنت تعتقد فقط أنك موجود، بيد أنك لستَ موجوداً. قبل ذلك أنت شيء خاطف، أنت تُشبه الفقاعة. ليس لديك أيّ تماسك، ليس لديك أيّ مركز، ليس لديك أيّ روح.

لقد كان «غوردجييف»، مُتأثراً بشدة بأفكار الصوفية، بل كان في الحقيقية مُعلّماً صوفياً، وقد قام بعرض مفهوم جديد للغاية أمام التفكير الغربي. في الحقيقة، لم يتحدّث عنه أحد بهذه الطريقة من قبل. لقد قام «غوردجييف» بطرح فكرة أنك بلا روح، وأنّه لا بُدّ من تشكيل الروح، فلا تبقى هادئاً، مُعتداً بنفسك، واثقاً أنّه لديك روح. لقد أخبرتك جميع الديانات العظيمة أنّه لديك روح، وأنّها موجودة بالفعل، بيد أنّ «غوردجييف» عرضَ رؤية جديدة للغاية. لقد قال إنّ الروح ليست موجودة، إنما تُوجد فقط إمكانية لها. تستطيع أن تحصل عليها، ولكنّك قد تُفوّتها. ليس هناك شيء مُؤكّد حيالها. يجب عليك أن تُشكّلها. نعم، إذا أردتَ، تستطيع أن تُشكّلها، ولكن لا تعتبرها من المُسلّمات. لا تعتقد أنّها موجودة داخلك.

هذه هي رؤية الصوفية، الذين يقولون إنّه وحده المُعلّم هو الموجود. أما أنت فلا. إنّ الشخص الذي رأى الإله هو الموجود من المرة الأولى. أما أنت فتُوجد فقط حينما تُواجه الإله، وينظر الإله في عينيك، وتنظر في عينيه. أنت تُوجد فقط حينما يلمسك الإله وتلمسه. قبل ذلك، كان وجودك مُجرّد فراغ، ليلة مُظلمة من الروح. لقد كان وجودك مليئاً بالعثرات، الأمل، الانتظار، لقد كان حلماً واهياً للغاية، لا يُوجد أيّ حقيقة فيه.

إن المُعلّم هو الشخص الموجود حقيقة. إنه يمتلك حضوراً، ونوعاً من الإشعاع، تستطيع أن تجده وتُلاحظه. قُم احياناً بمُجرّد الجلوس بالقرب من فندق أو على جانب الطريق، وراقِب الناس المارين بك. اِبدأ في البحث عن شيء واحد: هل تستطيع أن تجد اختلافاً؟ يسير مُعظم الناس مثل القواقع الفارغة، وهم كثيرون، بل إنّهم الأغلبية، ولكن أحياناً تُصادف شخصاً يمتلك نوعاً من الحضور. تستطيع أن تُلاحظ أنّه مُحاط بنوع من الهالة، تستطيع أن تشعر أنّ لديه مغناطيسية. رُبّما لاحظتَ بلا دراية أنّه أحياناً بينما تكون

جالساً مع مجموعة من الأصدقاء، يأتي شخص آخر، وفجأة تدبّ الحياة في المجموعة بأكملها، وكأنّ حضور هذا الرجل الجديد قد بعث فيكم الحياة. قبل ذلك بدقيقة، كان الجميع يشعرون بالملل، والحزن، وكنتم بالكاد تُجرون الكلام، وتتكلّمون في أيّ تفاهة. كان على أحدهم أن يتكلّم، وكنتم فقط تُمضون الوقت. ثمّ أتى رجل أو امرأة، وفجأة أصبح هناك شعاع، وأضاء كلّ شيء، وأصبح كلّ شيء أقوى، وأصبح كلّ شيء يعمل، ولم يعد هناك شخص خامل. لقد دخل الرجل صاحب الحضور.

إنّ هذا نادراً ما يحدث، بسبب ندرة الرجال ذوي الحضور. من النادر أن تجد رجلين لهما حضور في التجمّع نفسه، هذا نادر جداً. ولكن حينما يتواجد رجل له حضور، يكون حضوره واضحاً وجلياً، ولو كنت مُنتبهاً قليلاً فسترى النوعية. إنّ الرجل الفارغ يُرهقك. لو جلستَ بجوار رجل فارغ، فستجد انّه كائن طفيلي. إنّ فراغه يسحب طاقتك لنفسه، ثم تختفي هناك. إنّه يُشبه الثقب الأسود.

يقول علماء الفيزياء إنّ هناك ثقوباً سوداء في الفضاء. إذا دخل أيّ شيء في منطقة الثقب الأسود فسيُمتص ببساطة إلى داخله ويختفي من الوجود. إنّ الثقب الأسود هو نجم قد انطفأ، وانهار إلى داخل نفسه. إنّ النجم شيء كبير، تكون الأرض صغيرة للغاية أمامه. إنّ الشمس أكبر من الأرض بستين ألف مرة، في حين أنّ الشمس نجم متواضع الحجم جداً، جداً. هناك شموس، ونجوم أكبر بملايين المرات. وحينما ينطفئ نجم، ويموت، كما يجب أن يموت كلّ شيء، نعم أيّ شيء وُلد يجب أن يموت. حينما يموت النجم، ينطوي داخل نفسه إلى مركزه. إنّه يمتلك قوة جاذبية مغناطيسية هائلة. بسبب هذه الجاذبية المغناطيسية فإن كلّ شيء يُسحب إلى الداخل. إنّه يخلق مجالاً سالباً هائلاً حول نفسه، وأيّ شيء يمرّ جواره يُسحب إلى الداخل.

يقول «أينشتاين» إنّه حتى ضوء الشمس، حتى أشعة الشمس لو اقتربَت منه، فلن تقدر على العودة مرة أُخرى. من الصعب جداً الآن الاحتفاظ بأشعة الشمس، لأنّها سوف تنعكس. بيد أنّها لن تنعكس من الثقب الأسود، بل سيتمّ ببساطة احتجازها، وسوف تختفي. إنّ أيّ شيء سوف يقترب من الثقب الأسود سيختفي ببساطة من الوجود.

إنّ الرجل الفارغ عبارة عن ثقب أسود صغير، وهذا سبب أنك تشعر أحياناً بالإرهاق الشديد من مُجرّد مقابلة شخص ما. إنّك تتجنبه، فحتى إلقاء التحية عليه في الطريق هو أمر مُرهق. إنّه يأخذ منك شيئاً بمُجرّد أن تمرّ جواره، فتنطفئ شعلة الطاقة عندك. إنّك تُصبح أضعف بمُجرّد إلقائك التحية عليه، أو بمُجرّد رؤيته. إنّه فارغ، إنّه فراغ سلبي، وهو يمتصّ كلّ ما يمرّ جواره. إنّ هؤلاء الأشخاص هم أشخاص مُتعبون، مُرهِقون، طفيليون.

بيد أنّ الحال على العكس تماماً مع الرجل الذي يمتلك الحضور. حينما يمتلك الرجل حضوراً فهو ينضح بالطاقة. إنّه يمتلك الكثير من الطاقة. إنّه يفيض بالطاقة. حينما تقترب من هذا الرجل تُصبح مُباركاً. فجأة تشعر بأنّه يُمطرك. تشعر أنّك على مقربة من الشلال. تشعر بالانتعاش، الهدوء، الحيوية. تشعر في داخلك بنوع من القوة، وأيضاً بنوع من الشاعرية في آن واحد. ترغب في أن تكون في صحبة هذا الرجل مراراً وتكراراً، فمُجرّد كونك في مُحيط هذا الرجل يُثري حياتك.

إنّ الرجل الذي يمتلك حضوراً ينشر طاقته في جميع الأنحاء. إنّه يصل إلى الناس فلديه ما يُعطيه. إنّه معطاء. إنّه إمبراطور. هذا سبب أننا في الشرق ندعو المُريدين بلفظ «سوامي»، الذي يعني

المُعلّم، الشخص الذي لديه ما يُعطيه، الشخص الذي لم يعُد فقيراً.

إنّ الشخص الفارغ الذي لا يمتلك روحاً بعد، هو شخص فقير مُعدم. إنّه يستجدي باستمرار، إنّه أداة استجداء. إنّه سوف يأخذ شيئاً منك. لو ذهبتَ في الزحام، وكان لديك أيّ فهم لطبيعة حياتك، وكيفية عمل الطاقة، فستجد دائماً أنّك تعود إلى منزلك أقلّ قليلاً ممّا ذهبت. لقد أخذ الجمع جزءاً من كيانك. إنّ الزحام دائماً مُتعب، مُرهق، لأنك لن تجد رجلاً يمتلك حضوراً في الزحام، بل ستجد فقط الأشخاص المُغيبين، المُنوّمين، الفارغين.

إن المُعلّم هو الرجل صاحب الحضور. إنّه يمتلك الأصالة المطلقة، الوجود الجوهري، إنّه يمتلك الروح. لا بُدّ من خلق هذه الروح، إنّك مُجرّد مَسكَن، عليك أن تستحثّ الضيف حتى يأتي، يجب عليك أن تدعو الضيف حتى يأتي. إنّ المنزل جاهز، ولكنّ الضيف لم يأتِ بعد.

يقول الصوفيون: «كيف ستتعلّم طرق الحضور إن لم تكن في حضرة رجل له حضور؟». هذا هو المُعلّم. إنّ المُعلّم ليس مُدرّساً، إن المُعلّم عبارة عن قوة مغناطيسية، حقل مغناطيسي من الطاقة الإيجابية، ومن الحضور.

تقول «الصوفية» إنه حينما تأتي إلى المُعلّم تحصل على البركة، والنعمة. هذا هو معنى الكلمة الهندوسية «ساتسانجا»، أن تكون في حضرة المُعلّم كي تتلقى بركته. إنّه يُعطي، وحينما يمنح بركته، لا يجعلك ذلك مُلزماً، لأنّه حتى لو لم تكن موجوداً هناك كان سيُعطي. حتى لو لم يكن هناك أيّ أحد كان سيُعطي، فهذا أمر طبيعي بالنسبة إليه. كما تجري الأنهار، تتفتح الأزهار وتنشر عبيرها، كذلك العطاء أمرٌ طبيعي بالنسبة إلى المُعلّم. لقد أزهر وانتشر عبيره مع النسائم. سواء وجد مَن يستقبله أم لا، هذا ليس مُهمّاً. إذا استطاع أن يستقبله أحد، فسيكون مُباركاً، إذا لم يستقبله أحد، سيستمرّ المُعلّم أيضاً في نشره. إنّه لا يُمطره خصيصاً من أجلك أنت، بل هو شيء خارج عن إرادته يجب ان ينشره. تماماً كما يتدفّق النور من المصباح، وينتشر العبير من الأزهار، هكذا هو الحال مع المُعلّم.

إنّ الصوفيين مُحقّون. إنّهم يقولون إنّ المُعلّم هو الشخص الذي يعرف، ويرى، وهو الشخص الموجود. هذا شيء لا بُدّ من تذكّره: عندما تكون في حضرة الشخص الموجود، فهي الخطوة الأولى على الطريق. قبل ذلك، كلّ شيء دون فائدة. يبدأ الإشباع فقط عندما تتصل بشخص مُشبَع. هذه العلاقة بين المُعلّم والمُريد هي علاقة حُبّ، إنّها ليست شيئاً عقلانياً. إنّها شيء مُتعلّق بالإحساس أكثر من التفكير.

هكذا، فإنّ أولئك الذين يُفكّرون كثيراً قد يستمرّون في تفويت الروح. فقط أولئك الذين يشعرون، يستطيعون أن يتّصلوا. تذكّر، لا بُدّ من حدوث هذه النقلة: عليك أن تنتقل من التفكير إلى الإحساس. إنّ الإحساس أقرب إلى شيء داخلك يُدعى الحدس، بينما التفكير هو أبعد نقطة عن الحدس. إنّ التفكير نوع من التعليم. لقد درّسك الآخرون، هذا التعليم، أمّا الشيء الذي لم يتمّ تدريسه إليك وازدهر داخلك، فهذا حدس لم يُعلّمك أحد إياه، ولا مدرسة، ولا جامعة، ولا كلّية، ولم يُخبرك أيّ أحد أيّ شيء عنه. لقد تفجّر في داخلك، هذا هو الحدس. أنت لستَ في حاجة كي تذهب إلى أيّ مكان، بل تحتاج فقط أن تذهب إلى داخل نفسك. إنّ الإحساس أقرب إلى الحدس.

أنا لا أتوقّع المستحيل. فأنا لا أقول أن تكون حدسياً فقط، فهذا شيء لا يُمكنك فعله. الآن إذا

استطعت فعل شيء واحد، إنتقل من التفكير إلى الإحساس، وهذا سيكون كافياً. بعد ذلك يكون الانتقال من الاحساس إلى الحدس في غاية السهولة. إنّ الانتقال من التفكير إلى الحدس صعب للغاية. إنّهما لا يلتقيان، إنّهما قطبان. أمّا الإحساس فهو في المُنتصف تماماً. يقف التفكير والحدس على المسافة نفسها من الإحساس. إذا ذهبتَ في هذا الاتجاه فستصل إلى التفكير، وإذا ذهبتّ في ذلك الاتجاه فستصل إلى الحدس.

يلتقي كلاهما في الإحساس ويمتزجان. يبقى شيء من التفكير في الإحساس كما يبقى شيء من الحدس أيضاً. ثمّ تستطيع أن تختار.

عندما تجد مُعلّماً فهذا يعني أن تُغيّر تفكيرك. يجب عليك أن تُصبح أكثر إحساساً. لو ذهبتَ إلى المُعلّم بكلّ أنواع الأفكار هذه، فإنّ هذه الأفكار لن تسمح لك أن تكون مُتواجداً هناك. إنّ الأفكار لن تعمل كجسر، بل ستعمل كجدران.

يشعر الناس بالوحدة الشديدة لأنهم لا يبنون الجسور، بل يبنون الجدران، وبعدها يُعانون. إنّك مَن تبني الجدران. عندما تبحث عن المُعلّم، تذكّر أنه عليك أن تتغيّر من التفكير إلى الإحساس. حينما تلتقي برجل تستطيع أن تشعر بحضوره، حتى لو كنتَ مُنغمساً للغاية في التفكير، فستشعر بالحضور. إنّه شيء حيويّ وستشعر به، وعندها سوف يكون عليك أن تسمح به، وتنزلق أكثر وأكثر إلى منطقة الإحساس حتى تستطيع أن تتصل أكثر فأكثر مع الحضور الموجود. بمُجرّد أن يبدأ الاتصال في الحدوث، سوف يأخذك إلى أروع رحلة في حياتك، وإلى أعظم مُغامرة، وإلى أعظم نشوة.

يقول الصوفيون إنّ الخطوة الأولى، هي أن تأتي إلى حضرة شخص له حضور. قبل ذلك، كلّ شيء عبارة عن احباط، وليس هناك حياة. فقط بعد أن يحدث ذلك تُوجد الحياة. تبدأ الحياة فقط حينما تتصل بالمُعلّم. قبل ذلك، يكون الأمر مُجرّد حلم، سراب. قبل ذلك، يكون الأمر مُجرّد أفكار وأفكار، وعبارة عن أرض صحراوية. وحدها المشاعر هي التي تُزهر، إنّ الأفكار لا تُزهر إطلاقاً. إن الأفكار غير مُنتجة، وليست خلّاقة، لأنّها مُستعارة. إنّها لم تكن أبداً أصلية. لا يُمكن خلق ولا وحقيقة واحدة من خلال الأفكار، ولا يمكن اكتشاف ولا حقيقة واحدة عن طريق الأفكار. إنّ الأفكار ضعيفة للغاية. إن كلّ ما هو معروف، فهو معروف من خلال الإحساس، وكلّ ما هو مُكتشف، اكتُشف من خلال الإحساس، وكلّ ما أُبدع فقد أُبدع من خلال الاحساس.

الخطوة الثانية هي الاستسلام، وبعدها لا تُوجد خطوات أُخرى. لقد تمّ تغطية الطريق كلّه بخطوتين بسيطتين: الأولى هي أن تصل إلى الاتصال بشخص مُتصل مع الإله، والثانية هي أن تستسلم إليه. يقول الصوفيون إنّ خطوتين بسيطتين كافيتين. إنّ رحلة المليون ميل تنتهي في خطوتين. الأولى هي الأكثر مشقة. بمُجرّد أن تصل إلى الحضور، سوف تبدأ في الاستسلام شيئاً فشيئاً. لن تستطيع أن تُقاوم فترة طويلة. إنّ الشيء الحقيقي هو أن تصل إلى الاتصال.

أحياناً يحدث أنك لا تدخل في اتصال، ولكنك تستسلم، وعندها يكون استسلامك خطأ، عندها يكون استسلامك عن طريق التفكير، ويكون استسلامك مُزيفاً. أنت تتظاهر أنك استسلمت. بيد أنّك لم تستسلم. إنّها مُجرّد خطة. أنت تُريد استكشاف الرجل صاحب الحضور. ولا تُوجد طريقة كي تستكشفه. أنت تُريد أن تكتسب شيئاً، فتُفكر : «حسناً، لو أنّ الاستسلام هو الشرط، فسأستسلم». بيد أنّ استسلامك لا يُمكن أن يكون استسلاماً. إنّ الاستسلام لا بُدّ أن يحدث، ولا تستطيع أن تفعله، ولا أن تنويه. لو نويته،

تستطيع أن ترجع فيه. إنّ الاستسلام شيء يحدث.

هكذا، اِذهب خطوة وراء خطوة، وهناك خطوتين فقط. الأولى: اِغمر نفسك بحضور المُعلّم، اِثمل، ثمّ سوف يأتي الاستسلام من تلقاء نفسه. سوف تبدأ في الشعور بالإذعان. لا تستعجل. يحدث أحياناً أن تُؤدي المهام في عجالة، ففي هذا العصر تحديداً، يُعدّ التسرع أحد المشاكل. إنّ الجميع متسرعون، يُريدون أن يفعلوا كلّ شيء على نحو سريع وعلى عجل. من أجل ذلك عندما تأتي إلى المُعلّم وتسمع أنّ الاستسلام مطلوب، أنت مُستعد للاستسلام. فتقول: «لِمَ لا؟ دعنا نرى. لو حدث شيء ما، فهذا جيد، لو لم يحدث شيء، فلن أفقد شيئاً». بيد أنّ هذا الاستسلام لن يُفيدك. هذا ليس الاستسلام الذي يتحدّث عنه الصوفيون. هذا سبب أنهم يُحددون الاستسلام على أنّه الخطوة الثانية، وليس الأولى. إنّ الخطوة الأولى هي أن تكون في حضرة المُعلّم.

هناك أحد المُريدين، يُدعى «براغوش»، يكتب إليّ مراراً وتكراراً: «لماذا، «أوشو»؟ إنّك تبدو عادياً جداً بالنسبة إليّ». إنني لم أقم بالرد عليه بعد، ولكن الآن حانت اللحظة المناسبة كي أرد. أنا لا أبدو عادياً، «أنا» عادي، ولكن ما مشكلته؟ أنا لستُ قلقاً بشأن كوني عادياً، أنا سعيد تماماً بهذا. إذاً ما مشكلة «براغوش»؟ إنّ مشكلته هي أنّه يُريدني أن أكون استثنائياً جداً، رجل المعجزات أو شيء من هذا. هناك بعض اللامنطقية في تفكيره. إنّه يُريدني أن أكون غبياً، أن أُنتج رماداً، أو ساعات سويسرية، أو أقوم ببعض المعجزات. إنّه يبحث عن ساحر، وليس عن مُعلّم.

إنّ هذا البحث مصدره الأنا المزيفة. إنّه يُريدني أن أكون فوق العادي حتى تشعر أناه المزيّفة بشعور جيد عن أنّه قد استسلم إلى رجل استثنائي. لو أنني بلمسة أشفي الناس، أو أُحيي الموتى، عندها سوف يكون «براغوش» سعيداً للغاية: هذا هو الرجل الذي يستحقّ أن أستسلم له. بيد أنك عندها لا تستلم لي. إنّها سوف تكون رحلة الأنا المزيفة. سوف تشعر بالراحة والرضا لأنك طالب عند رجل استثنائي كهذا.

إنّ الصوفيين لا يُؤمنون بالمُعجزات. إنّهم يعتقدون أنها غباء، وأنّ الأغبياء فقط هم مَن يتعلّقون بالمُعجزات. إنّ المُعلّم شخص عادي. إنّه رجل طبيعي، مألوف. إنّ المُعلّم شخص عادي للغاية إلى درجة أنّه لا يمتلك أيّ نوع من الأنا المُزيفة داخله. كلّ الاستثناءات ما هي نوع من الأنا المزيفة. إنّ المُعلّم ببساطة لا أحد. إنّ اعتياديته في صفة لا أحد. إنّ الأشخاص الذين يُعانون من النقص هم فقط مَن يبحث عن الاستثنائية. لو أنّ الإنسان عاد إلى منزله الحقيقي فلن يبحث عن الاستثنائية، ولن يبحث عن التميز. أن تكون عادياً هو شيء رائع بصورة استثنائية.

بيد أني أستطيع تفهم مشكلته. إنّه يُريد أن يقوم برحلة الأنا المزيفة من خلالي. إنّه مُضطرب للغاية من واقع أنّ «أوشو» لا يقوم بأيّ نوع من المُعجزات. إنّه مُريد، ولكن أيّ نوع من الاستسلام هذا؟ هذا ليس استسلاماً. إنّه لم يصل إلى حضرتي بعد، ولم يصل إلى ما أدعوه اتصالاً بعد. إنّه لم يلمسني ولم ألمسه بعد. إنه مُريد مُستعجل. لقد كان عليه أن ينتظر قليلاً.

جاءت إلي امرأته وهي تُدعى «أورمي» ذات يوم. كانت تبكي وتقول: «ماذا أفعل، «أوشو»؟ إنّ «براغوش» يضعني في مكانة عالية جداً. إنّه تقريباً يظنّ أنني آلهة، ويجعلني أشعر بالذنب لأنني كائن بشري. إنّه يتوقّع مني أن اكون آلهة، وإذا لم أتصرف وكأنني إلهة، يجعلني أشعر بالذنب». بينما كانت

تروي مأساتها وقصتها كنتُ أفكّر: «إذاً، هو يفعل ذلك معك أنتِ أيضاً». هذا ما يُريد أن يفعله معي وبي. إنّه يُريد أن يضعني في مكانة عالية، كي أكون رجل معجزة، أو شيئاً استثنائياً لم يحدث من قبل.

بمُجرّد أن يضعني على قاعدة التمثال سوف يكون هو المُتحكّم. عندها سوف تكون له السيطرة عليّ، لأنّه سوف يكون المُتحكّم. إذا أراد أن يُنزلني من على قاعدة التمثال، يستطيع ذلك فهي قاعدته. هذا ما يفعله مع امرأته أيضاً. إنه يضعها في البداية في مكانة عالية ثمّ يُعذّبها. إنّه يُصبح قوياً.

كيف تستمرّ الأنا المزيفة في مُمارسة الحيل! عليك أن تُراقب. يبدو الأمر على السطح على العكس تماماً، يا له من رجل مُتواضع، إنّه يضع امرأته في مثل هذا المكان العالي وكأنّها آلهة. سوف تعتقد أنّه متواضع للغاية، بيد أنّه ليس كذلك. إنّه مُخادع جداً، إنّه يتصرف بمُنتهي السياسة. وقد لا يفعل ذلك بوعي، قد تكون هذه مُجرّد لعبة من أناه المزيفة. بمُجرّد أن تضع المرأة كأنّها إلهة، أنت تمتلك القوة. عندها لا تستطيع أن تكون بشرية، وتستطيع أن تجد فيها عيوباً، ثمّ سوف تخاف منك، لأنّك تستطيع أن تُنزلها في أيّ وقت. هذا ما يُريد أن يفعله معي أيضاً.

في البداية يُريد أن يضعني على قاعدة تمثال عالية، ثم يُصبح قوياً وله السلطة. الآن اِنظر إلى اللعبة. حتى المُريد يُريد أن تكون له القوة والسلطة على المُعلّم. أما لو كنتَ عادياً، عندها لا يعود قوياً، ولا يستطيع أن يضعني في أيّ مكان أقلّ ممّا أنا عليه. أنا على أرض مُستوية، أين يُمكنه أن يخفض من مستواي؟ عندها لا يمتلك القوة ولا السلطة، وإلا كان يستطيع أن يأتي ويقول: «أوشو»، إنّك في مكان عالٍ جداً، لا تفعل هذا، ولا تقُل ذاك».

لقد كنتُ أراقب ذلك. على مدى عشرين عاماً سنحَت لي فرصة الاتصال مع الملايين من الأشخاص وكانت إحدى مُلاحظاتي، أنّ كلّ الناس يُريدون أن يتحكّموا في المُعلّم. يأتي إليّ الناس ويقولون: «يجب ألّا تقول هذا لأنّه سوف يحطّ من صورتك. يجب ألا تقول ذلك».

جاء إلي رجل «هندي» من عدة أيام وقال: «يجب ألّا تتكلّم عن الشذوذ الجنسي، حتى لو سأل أحدهم عن الموضوع. حتى لو لم يكن الأمر خاطئاً، يجب أن تقول كلا، وإلا سيعتقد الناس أنّك تدعم الشذوذ الجنسي». كان يقول إنّ هذا سوف يُشوّه صورتي.

لقد كان الناس يقترحون عليّ كلّ أنواع الاقتراحات خلال عشرين عاماً الماضية: يجب ألا تفعل ذلك، يجب ألا تقول ذلك. لقد اعتدتُ أن أعيش مع عائلات «الجاين»، وكانوا يقولون لي: «يجب ألا تأكلّ في الليل، لأنّه لو أكلتَ في الليل وعلم أحد بذلك، فسيتساءل الناس أيّ نوع من القديسين أنت». لو أردتُ الآن أن أعتلي قاعدة التمثال الخاصة بهم يجب عليّ أن أجوع!

لقد مكثتُ في أحد الزوايا، زاوية «فينوبا»، وكنتُ أستيقظ في السادسة. بينما كان «فينوبا» يستيقظ في الثالثة. ولذلك أتى طلابه إليّ وقالوا: «ماذا تفعل؟ يجب أن تستيقظ في الثالثة، وإلّا سيتساءل الناس في الزاوية أيّ نوع من القديسين أنت، لأننا تعوّدنا على رؤية القديسين يستيقظون في الثالثة».

قلتُ: «لا تظنوا أني قدّيس، أنا سوف أنام حتى السادسة. ما تظنه عني ليس له أيّ قيمة. أنا لن أُزعج نومي كي أكون قدّيساً بالنسبة إليك. اِنسَ ذلك».

«يجب ألا تفعل ذلك، يجب ألا تكون ذلك، يجب ألا تقول ذلك، يجب ألا تُعلّق على ذلك»، وهناك الكثير من الناصحين، وكلّهم يعتقدون أنّهم يُحبونني، ويعتقدون أنّهم تابعون لي، ومن المُريدين عندي. إنّهم فقط يُساعدون المُعلّم على أن تكون له صورة عامة جيدة. إنهم يقولون: «إننا لا نقول إنّك مُخطئ. نحن نقول ذلك فقط حفاظاً على الصورة العامة».

يُريد «براغوش» الآن أن يضعني على قاعدة عالية، حينها يُصبح هو قوياً. عندئذ إذا أردتُ أن أبقى على هذه القاعدة العالية يجب علي أن أنظر إلى «براغوش». أين «براغوش»؟ والّا فلن أكون على هذه القاعدة العالية. مَن سيضعني في هذا العلو؟ تذكّر «براغوش»، توقّعك أن أكون غير عادي ليس إلّا من أناك المزيفة. أنت تُريد أن تكون طالباً عند رجل غير عادي، حتى تشعر أناك المزيفة عندئذ بالتحسّن والإشباع الشديد.

أنا عادي على نحو مُطلق. يجب ألا تبدو عادياً، هذه عبارة عن خدعة من جديد. إنّه يسألني: «لماذا تبدو عادياً للغاية؟»، إنّه لا يقول: «أنت عادي». إنّه لا يستطيع أن يُصدّق أنني عادي. رُبّما أتظاهر فقط أنني عادي، وعندها قد يكون هناك بعض الأمل عنده. رُبّما أُظهر مُعجزاتي الخارقة يوماً ما. إنّك تأمل «براغوش»، فيما لا أمل فيه. هذا لن يحدث، فأنا عادي وفي غاية البساطة. ليس الأمر أنني أدّعي أو أُمارس الألاعيب حتى أبدو عادياً. أنا عادي، ولأنني عادي لديك فرصة كي تستسلم. لن أفعل أيّ شيء من شأنه أن يجعلك تظنّ إنني غير عادي، لن أفعل أيّ شيء. وعندها فقط سوف يكون استسلامك حقيقياً. إذا استطعتَ أن تستسلم إلى رجل عادي، فستختفي الأنا المُزيفة. لم يقُم الصوفيون أبداً بالمعجزات، بل كان الصوفيون دائماً أشخاصاً عاديين جداً جداً. هذه واحدة من أساسيات «الصوفية»، لأنّ المُعلّم موجود فقط كي يُساعدك على الاستسلام، ولن يستطيع أن يساعدك أن تستسلم إلّا إذا كان لا أحد. أما إذا كان ذا شأن، فسيُشعرك اتصالك به أنك ذو شأن. سوف تشعر بشعور جيد لأنّك لستَ شخصاً عادياً، إنّك مُتصل برجل غير عادي، ومن أجل ذلك، أنت غير عادي.

اِتصل بشخص ليس ذا شأن، فهذا هو الاستسلام، ومن خلال الاستسلام سوف يتأتى لك أن ترى أنّ الحياة العادية مليئة بالجمال والبركة. هذه الأشجار عادية، وهذه الطيور عادية، وهذه السماء عادية، وهذه الأرض عادية، والإله عادي. ليس لديهم أنا مزيفة، فلماذا يهتمّون بأن يكونوا استثنائيين؟ إنّ الوجود عادي، بيد أنّ طبيعته هذه جميلة، ومليئة بالسعادة. أن تكون عادياً يعني أن تكون مُتديناً.

إنّ هؤلاء الموجودون هنا معي، المتصلون بي فعلياً سوف يعرفون ما الذي أتكلّم عنه. لماذا هذا التوق الشديد إلى الاستثنائي؟ لا بُدّ أنّ هناك نوعاً من عقدة النقص لدى «براغوش»، ومن أجل ذلك هو يبحث عن شخص عال. إذا لم يستطع أن يكون عالياً، على الأقل يستطيع أن يكون تابعاً لشخص عالٍ. بيد أنّ هذه الرغبة المُلحّة نابعة من عقدة نقص. في الاستسلام أنت تستلم كلياً مع كلّ عقد نقصك، عقد العظمة والاستعلاء عندك، أناك المزيفة، تواضعك، أنت تستلم بكليّتك. لا بُدّ أن يكون الاستسلام شاملاً. تضع نفسك في حزمة وتُلقي بها عند أقدام المُعلّم وتقول: «أنا سوف أختفي منذ هذه اللحظة». منذ تلك اللحظة لا يبقى لديك أيّ سؤال.

كيف يُمكن أن يكون هناك سؤال منذ تلك اللحظة؟ أنت لا تسأل المُعلّم. لقد انتهى الأمر. إنّ التساؤل يكون قبل الاستسلام بقدر ما تُريد أن تسأل، ولكن بمُجرّد أن تستسلم، لا يعود هناك حاجة إليه. لو استمرّت التساؤلات، وكنت ما تزال مُتشككاً ومُرتاباً، فهذا يعني أنه لم يحدث الاستسلام.

إنّ الخطوة الأولى هي أن تتصل بالمُعلّم، والخطوة الثانية هي الاستسلام. وعندها كما يقول الصوفيون تكون الرحلة قد تمّت بأكملها.

كيف تجد المُعلّم؟ ليس عن طريق الأفكار بالطبع، فمن خلال التفكير، أنت تحصر نفسك في الأخدود نفسه، وعلى الطريق القديم نفسه، في الماضي. من خلال التفكير تبقى قديماً، أنت تُوقف جميع الاحتمالات كي تكون جديداً. راقِب، إنّك تُفكّر باستمرار، هناك ثرثرة دائمة في داخلك من الحديث الداخلي. حتى وأنت تستمع إليّ، اِنظر إلى الداخل لحظة، وسترى أنّ الثرثرة مُستمرة، وأنّ هناك حديثاً داخلياً بصورة دائمة.

هذا الحديث الداخلي يفصلك عن الواقع. بمُجرّد أن يختفي هذا الحديث الداخلي، حتى لو لحظات، تُصبح واحداً مع الواقع، مع المُعلّم، مع المحبوب، مع الإله. حينما تُريد أن تكون واحداً مع شيء ما، مع امرأتك، رجلِك، مُعلّمك، مع إلهك، مع الوجود، حينما تريد أن تكون واحداً مع أيّ شيء، وفي وحدة، يجب أن يختفي هذا الحديث الداخلي. هذا هو العائق الوحيد.

من دون التخلّي عن الحديث الداخلي، لن تستطيع أن تجد مُعلّماً. يظهر هذا السؤال عند الكثير من الأشخاص: «كيف أجد مُعلّماً؟»، سوف يكون عليك أن تتعلّم أن تكون صامتاً. وحينما تصل إلى حضرة شخص له حضور، اِجلس بصمت. اِجمع نفسك، اِهدأ، لا تُفكّر، لأنّ التفكير عبارة عن نشاط، فقط كُن. سوف يكون الأمر صعباً، ولكن إذا حاولتَ، فسيحدث الأمر لحظات قليلة. سوف تكون لحظات قليلة جداً، جداً، مُجرّد فترات تأتي وتذهب. بيد أنه حتى في تلك الفترات، سوف يهبط عليك شيء ما مثل الومضة. قد تكون مُتصلاً، ثمّ غير متصل، ثمّ تكون مُتصلاً، ثمّ غير متصل، بيد أنّ الأمر سيحدث. لو لامستَ شخصاً في حال الكينونة ولو لحظة واحدة، فستعرف مذاق الأمر. حتى القطرة الواحدة منه سوف تُعطيك المذاق. وتبدأ كلّ المذاقات الأُخرى في الاختفاء، ويُصبح هذا المذاق هو مذاقك الوحيد، وتبدأ جميع الرغبات تتجمع في رغبة واحدة، كيف تكون مع هذا الرجل وكيف تكون معه بكليّتك؟ ويستمرّ هذا في النمو كلّ يوم، إلى أن يأتي يوم تجد نفسك قد استسلمتَ فجأة. نعم، يوماً ما سوف تجد نفسك قد استسلمتَ. إنّه يأخذك على حين غرة، فلم تكن قد خططتَ من أجل الاستسلام، بل حدث الأمر وحسب.

إنّ الحديث الداخلي هو الطريق إلى ذاتك القديمة، إنّه السبيل كي تبقى مُتعلقاً بالماضي، إنّه الطريق كي تبقى في الأنا المزيفة. أنت تُفكّر بصورة مُستمرّة، يوماً بعد يوم. إنّ الأفكار دائماً هناك مثل تيار خفي. بمُجرّد أن يتوقف، تقع في عالم الحدس.

إنّ الحدس قابع هناك خلف تلك الطبقة من الحديث الداخلي، من أجل ذلك، تعلّم كيف تكون بلا حديث داخلي. هذه هي الطريقة كي تجد مُعلّماً. سوف يكون من الأسهل عليك أن تتعلّم وأنت جالس جوار البحر، مُتأملاً هدير الأمواج، حيث لا يُوجد الكثير كي تُفكّر فيه، وتستطيع أن تستمرّ في النظر. مستلقياً على العشب، ناظراً إلى السماء، ناظراً إلى النجوم في الليل، مُراقباً الأشجار، لا يُوجد هناك الكثير كي تُفكّر فيه. ليس هناك حاجة كي تُفكّر في النجوم. إنّها هناك، جميلة جداً، وتستطيع فقط أن تكون معها.

تعلّم أولاً أن تتواجد مع الطبيعة، لأن الطبيعة صامتة. إنّها لا تُجيب، ولا تعرف اللغة. هكذا ستكون قادراً على الدنو إلى مستوى أعمق من مستوى الحديث الداخلي. ثمّ اِبدأ في البحث عن الأشخاص الذين لديهم الحضور. حينما تقترب من شخص له حضور، سترى فجأة أنّك تشرّبت بالطاقة، وأنّك تهتز

بإيقاع جديد. لقد تخللتك الرقصة. إنّ كلّ خلية وكلّ نسيج من كيانك ينبض. إنّك قريب جداً من شيء رائع، شيء مُدهش.

لقد قيل عن «بوذا» إنّه في اليوم الذي أصبح فيه مُستنيراً، كان قد بدأ قبل حدوث ذلك بساعات قليلة في الشعور بوجود شيء هائل على وشك الحدوث في ذلك اليوم. لقد كان ذلك يقوده إلى الجنون. لم يستطع أن يتبين ما هو، ولكن كان هناك شيء قادم، وعلى وشك الحدوث. لقد أصبح هذا الشيء المُلحّ حاداً جداً، جداً. في اللحظة الأخيرة، فقط قبل ساعات قليلة قبل أن يُصبح مُستنيراً، كان الأمر قد أصبح يُشبه وضع المرأة الحامل. لقد انتهت تسعة أشهر وقد يحدث الأمر في أيّ لحظة، إنّ الطفل على وشك المجيء. بيد أنّ المرأة الحامل تعرف، فلديها أعراض يُمكن رؤيتها، فالطفل يركلّ داخل بطنها. بينما عندما تتمّ إعادة ولادتك في «البوذية»، «الساتوري»، «سامادهي»، ليس هناك شيء مرئي، ولا شيء يركلّ في الداخل.

لقد كان «بوذا» جالساً تحت شجرة حيث أصبح مُستنيراً، فعرضَت عليه امرأة طبق فيه بعض الحلوى، فأكل الحلوى وذهب إلى النهر كي يغسل الطبق. كان الأمر يأتي، لقد كان في كلّ مكان، كان يستطيع أن يشعر به. لقد كان شديد الإلحاح إلى درجة أنّه قام بفعل شيء لم يفعله أبداً من قبل. لقد وضع الطبق في النهر وقال، ليس لأحد على وجه الخصوص، بل إلى الوجود نفسه: «لو كان هناك شيء على وشك الحدوث، فلتُعطني بعض التلميحات. لا تُوصلني إلى الجنون».

لم يُؤمن «بوذا» بأيّ إله، ولذلك لم يستطع أن يُخاطب الإله. لم يكن يتحدّث لأيّ شخص على وجه التحديد، بل كان يُوجّه حديثة ببساطة إلى الوجود، أو يتحدّث إلى نفسه: «أعطني اشارة مرئية. دع هذا يكون مُؤشراً: لو طفا هذا الطبق ضدّ التيار، فسأكون راضياً بإجابة أنّ هناك شيئاً على وشك أن يحدث، لأنّ الأمر ثقيل جداً بالنسبة إليّ». تقول القصة الجميلة، إنّ الطبق بدأ يطفو ضدّ التيار. و في غضون ثوان كان قد اختفى في أعالي النهر. عندها كان «بوذا» راضياً. ثم ارتاح تحت الشجرة: «نعم، إنّه سوف يحدث»، ومع حلول الصباح كان قد حدث.

إن هذه مُجرّد حكاية رمزية. لا تفهمها على نحو حرفي. لا تظنّ أنّ الطبق قد طفا فعلاً ضدّ التيار. إنّها تقول ببساطة إنّه عندما تكون مُتصلاً بالإله، فالأمر ظاهرة غريبة بقدر تدفّق الطبق ضدّ التيار. إنّها ضدّ كلّ القوانين، ضدّ قانون الجاذبية. إنّها ضدّ كلّ ما يُسمى قانوناً ونحن نعلم عنه. إنّها ظاهرة جديدة، إنّها قانون جديد يعمل. لقد انقلبَت الأشياء رأساً على عقب. ما لم يحدث إطلاقاً من قبل على وشك أن يحدث. لقد كان الوعي دائماً فارغاً، الآن سوف يكون تاماً. لقد كان الوعي يتجه نحو الخارج دائماً، أمّا الآن فسيتجه الوعي إلى الداخل. هذا هو معنى طفو الطبق ضدّ التيار. لقد كان الوعي دائماً ينجرف إلى الأسفل نزولاً، بينما الآن يرتفع عالياً إلى الأعلى. هذا هو معنى أن يطفو الطبق ضدّ التيار. هناك قانون جديد يتغلغل.

عندما تكون مُتصلاً بمُعلّم فهذه بداية عالم جديد، وكون جديد، ومن أجل ذلك عليك أن تُضحّي بالقديم، وهذا يعني أنه عليك أن تُضحّي بالثرثرة الداخلية التي تُبقيك أسيراً في الواقع القديم، ولا تُوجد حاجة إلى شيء آخر. هذا هو العالم الذي يجب أن يتمّ التخلّي عنه واعتزاله. هذه هي ماهية الاستسلام. حينما ترى شيئاً لم تره إطلاقاً من قبل، عندما تكون في حضرة الرجل صاحب الكينونة، الذي هو رجل الإله، يكون المطلوب حينها أن تتخلّى عن حديثك الداخلي، وتنحني احتراماً.

لقد كان هذا شيئاً رمزياً في الشرق، عندما يقوم الطالب بوضع رأسه عند قدميّ المُعلّم. إنّه مُجرّد شيء رمزي، وليس له علاقة بالرأس الحقيقية. إنّه ببساطة شيء رمزي. يرمز الرأس إلى التفكير، الدماغ. يقوم الطالب بوضع دماغه عند قدميّ المُعلّم ويقول، «الآن اعتنِ أنت بها»، فيهتمّ بها المُعلّم.

في الحقيقة، عندما تستسلم إلى المُعلّم، فليس لديك ما تتنازل عنه. لا تعتقد إطلاقاً ولو لحظة واحدة أنك قمتَ بعمل شيء عظيم. في الحقيقة، لقد كان المُعلّم رؤوفاً جداً عندما قبل بك، لأنّ المسؤولية سوف تقع على عاتقه. هذا هو معنى هذه القصة.

لقد كان هناك ذات مرة أحد الصوفيين الذي أراد أن يتأكد من أنّ طلابه، بعد وفاته، سوف يجدون لأنفسهم المُعلّم المناسب للطريق.

إنّ المُعلّم لن يقوم بمساعدتك فقط أثناء حياته، بل سيتخذ التدابير الاحتياطية من أجل الفترة بعد أن يموت. إنّه سوف يقوم بالترتيبات، لأنّ هؤلاء الذين وثقوا به يجب ألا يُتركوا في المُنتصف. هذا المُعلّم الصوفي على فراش الموت. لقد وصل القليل من الطلاب، بيد أنّ الكثيرين ما زالوا يُعانون.

الآن تذكّر أنّ الكثير من طلاب هذا المُعلّم يجب أن يكونوا قد وصلوا إلى وجهتهم. لماذا لا يعملون كمُعلّمين؟ أن تعرف هذا شيء، ولكن أن تُساعد الآخرين هو شيء آخر مُختلف. ليس كلّ شخص مُستنير مُعلّم، وليس كلّ مُعلّم مُستنير. هناك أشخاص يُعتبرون مُعلّمين جيدين، مُعلّمين عظماء، وهم يستطيعون التدريس بطريقة مذهلة. إنهم يستطيعون أن يكونوا أشخاصاً تفصيليين للغاية، ولديهم قدرة هائلة على شرح أو توضيح الأشياء، ولكنّهم قد لا يعرفون أنفسهم. إذاً كلّ ما يُحاولون تعليمه هو أمر مُستعار وميت. هناك أشخاص قد يعرفون، ولكنّهم غير قادرين على التدريس، لأنّ التدريس ليس له علاقة بالمعرفة فقط.

على سبيل المثال، رُبّما تكون قد رأيتَ شروقاً جميلاً للشمس، ولكن هذا لا يعني أنك تستطيع أن ترسمه، أو تستطيع العودة إلى المنزل، فترسمه لأطفالك وتُريهم كم كان هذا الصباح الذي رأيته جميلاً. من المُمكن لو أنك وصفتَ هذا الصباح الجميل لشخص لم يره ولكنّه رسام، أن يستطيع أن يرسمه دون أن يراه، وسوف يكون رسمه أفضل من رسمك. سوف يكون رسمك لا شيء. إنّه لن يُعطي أيّ فكرة عمّا رأيته، أو عمّا تتكلّم عنه.

إنّه الشيء نفسه مع الرحلة الداخلية. هناك مُدرّسين لم يسمعوا، ولكنّهم يستطيعون التعبير عن أفكارهم، وهناك مُعلّمون يعرفون، ولكنهم لا يستطيعون التعبير. إنّها ظاهرة نادرة حينما يكون المُعلّم مُدرّساً أيضاً، وعندما يكون الشخص المُستنير قادراً على التعبير بوضوح. لقد عرف الأمر وهو يمتلك القدرة، والفنّ كي يُساعد الآخرين كي يعرفوا.

لقد كان هذا الصوفي على وشك الموت. لا بُدّ أنه كان هناك القليل من تلامذته أصبحوا مُستنيرين، ولكنّهم لم يكونوا مُعلّمين. من أجل ذلك، لا بُدّ أنّه ساوره القلق، ما الذي سيحدث مع هؤلاء الذين في منتصف الطريق؟ يجب على المُعلّم أن يجد وسيلة، أو طريقة تُساعدهم على إيجاد مُعلّم.

يعمل الصوفيون بطريقة غريبة جداً، جداً، ولكنّهم يعرفون كيف يعملون. كان يستطيع المُعلّم أن يقول: «إذهبوا إلى «حضرة علي»»، فقد كان «حضرة علي»، صهر النبي «مُحمّد». كان يستطيع أن يقول

«إذهبوا إلى «حضرة علي»، كان ذلك سيكون سهلاً جداً، ولكنّه لن يكون صحيحاً. لقد أرادهم أن يعثروا عليه بأنفسهم، لأنّه عندما تجد شيئاً بنفسك، تكون له قيمة هائلة. عندما يقول لك أحد على شيء وتفعله، لا يعود ذا قيمة. عندها أنت تقوم بواجبك فقط.

لو أن المُعلّم وهو على فراش الموت قال: «عندما أموت إذهبوا إلى حضرة «علي»، فستتبع كلام الرجل الكبير، وتقول: «يجب علينا أن نذهب إلى حضرة «علي». قد تُحبّ حضرة «علي»، أو قد لا تحبه، ولكنّه سيكون نوعاً من الإلزام، والواجب، وعندئذ سيكون الهدف كلّه قد ضاع. إنّ المُعلّم يُريدك أنت أن تبحث عن مُعلّم جديد، ويُريدك أن تتلمّس طريقك في الظلام، حتى إذا عثرتَ عليه، تشعر أنك أنت الذي عثرتَ عليه. هذه أحد الأشياء الهامة للغاية التي يجل أن تتذكّرها.

إنّ هؤلاء الناس الذين وجدوا «مُحمّداً» استفادوا استفادة هائلة، ولكن هناك الآن الملايين من المحمديين، الذين لم يعثروا على «مُحمّد» بأنفسهم، بل أخبرهم آباؤهم، ولم يكن الأمر نتيجة بحثهم الخاص. إنهم الآن مُجرّد بين- بين، «مُحمّدين» فاترين، كما أنّ هناك «مسيحيين» فاترين. إنّ الطلاب الأوائل الذين بحثوا عن «يسوع» كانوا في سعادة غامرة. لقد عثروا فعلاً على شيء بأنفسهم، وقد تبدّلَت حياتهم بالكامل. بيد أنّ والدك يقول الآن: «المسيح» هو المُخلّص. «المسيح» يُنجي، إنّه الخلاص، إذهب إلى «المسيح»، ثمّ يأخذك إلى الكنيسة. فتذهب على مضض، لأنّه لا أحد يُحبّ الحقيقة من وجهة نظر شخص آخر. هذا شيء أساسي في الحياة. إنّه شيء مُرافق للحياة: لا أحد يُحبّ الحقيقة من أحد آخر، لأنّ الحقيقة من أيّ أحد آخر هي مُجرّد كذبة عليك.

هكذا كان المُعلّم يستطيع أن يقول «إذهبوا إلى «حضرة «علي»، وكان الأمر سيكون أسهل. لقد كان «علي» موجوداً في المكان نفسه، وكان رجلاً مشهوراً، وكان واحداً من أندر أتباع «مُحمّد»، رجلاً ذا بصيرة هائلة. كان المُعلّم يستطيع أن يقول: «إنني أموت، سوف يكون من الصعب عليكم الآن أن تسيروا على الطريق الذي كنتم تتبعونه معي. إذهبوا إلى «علي»، سوف يُساعدكم». بيد أنّ هذا سوف يُضيّع الشيء الأساسي، وهو أنّ المُعلّم يجب أن يتمّ العثور عليه. يجب عليك أن تقوم بالمُخاطرة، تبحث، تستسلم. كان الأمر سيكون آمناً جداً لو سمعتَ من الرجل الكبير، وكنت ستقول: «حسناً. حينما تموت سوف نذهب إلى «عليّ». بيد أنّ ذلك سيجعل الأمر بسيطاً، ودون فائدة.

من أجل ذلك، اختلق الصوفي الكبير حيلة قوية جداً.

لذلك فقد قام بعد التركة الإلزامية المنصوص عليها بالقانون، بترك سبعة عشر جملاً لطلابه، وأوصى:

لا بُدّ أنّه كان درويشاً جوّالاً ومعه جمال. لا بُدّ أنّه جاب كلّ أرجاء البلاد مع طلابه. لقد ترك سبعة عشر جملاً بهذا الترتيب:

«سوف تقومون بتقسيم الجمال بين ثلاثتكم حسب الحصص التالية: يحصل الأكبر سناً على النصف، ويحصل الأوسط على الثلث، بينما يحصل الأصغر على التسع».

هذا الأمر غريب جداً وسخيف، وغير منطقي، بيد أنّ المُعلّمين غير منطقيين، إنّهم لا يهتمون كثيراً بالمنطق. إنّه يستعملونه كحيلة. لقد كان شيئاً لا يُمكن حلّه بواسطة الرياضيات.

حالما حدثت وفاته وبعد قراءة الوصية، كان الطلاب في البداية مُندهشين من هذا التقسيم غير العادل لممتلكات مُعلّمهم.

لقد كانوا مُندهشين. لا بُدّ أنهم أصبحوا مُتشككين قليلاً، لأنّه أيّ نوع من الترتيبات هذه التي قد قام بها؟ سبعة عشر جملاً: كي نُعطي النصف، فهذا يعني أنّ هناك جملاً لا بُدّ أن يُقطع بالنصف. ثم يجب منح الثلث، إذاً سوف يكون علينا قتل عدة جمال. كيف يُمكن تقسيم حيوانات حيّة بهذه الطريقة؟ هذا سخيف للغاية. لا بُدّ أنّه قد ساورتهم الفكرة: «هل خرف الرجل أو أصابه الجنون؟ لقد كان طاعناً في السن، رُبّما فقد منطق كيفية معرفة الأشياء». هذا سخيف للغاية، بل سخيف على نحو صاخب. لا بُدّ أنّ الشكّ ساورهم، وأنهم تحيّروا. تلك كانت هي الحيلة. لقد أرادهم المُعلّم أن يحتاروا. الآن شاهد، وسوف تتفاجأ، لأنّك قد لا تفهم تلك النقطة.

قبل أن تختار مُعلّماً آخر، لا بُدّ أن يكون الأول قد مات، وإلّا كيف يُمكن أن تختار مُعلّماً جديداً؟ لقد صنع الرجل حيلة مثالية، مع أنها كانت غريبة جداً إلى درجة أنّهم كانوا سيضحكون منها. كانوا سيقولون: «لقد انتهى هذا العجوز. من الأفضل أنّه مات وأصبحنا أحراراً. من الجيد الآن أن نبحث في مكان آخر. لو كان هذا الرجل ما يزال حياً كيف كنا سنبقى مُتمسّكين به، في حين أنّه فقد عقله». لقد أدان المُعلّم نفسه حتى لا يبقوا مُتعلقين بالمُعلّم القديم، وبذكراه، وكي تكون صفحة الماضي قد أُغلقت، ويكون هذا الفصل قد انتهى، ويستطيعوا أن يبدأوا فصلاً جديداً من حياتهم.

قال البعض: «دعونا نمتلك الجمال على المشاع».

لقد تدخّل المنطق الآن. وبدأوا يُفكّرون ماذا يفعلون. لقد كان من غير الممكن تنفيذ الأمر كما يُفترض، ولذلك كان عليهم إيجاد طريقة. لقد دخلت الآن التفسيرات، والتفكير، وكان الأمر ببساطة غريباً.

اِقترح أحدهم: «دعونا نمتلك الجمال على المشاع». إنّهم يُحاولون إيجاد مخرج.

اِلتمس البعض المشورة وقالوا: «لقد قيل لنا قوموا بأقرب تقسيم مُمكن».

إذاً، هناك شخص ما، رجل حكيم، رجل عارف قد اقترح: «إنّ الأمر بسيط. قوموا بأقرب تقسيم مُمكن. لا تكونوا حمقى. ليس عليكم أن تُقطّعوا الجمال، فقط أقرب احتمال، فالتقريب سيكون صحيحاً».

بيد أنه تذكّر: «إنّ الصوفيين لا يُؤمنون بالحقيقة التقريبية. إنّهم أناس دقيقون للغاية. إنّهم يقصدون ما يقولون، ويقولون ما يقصدون.

في البداية فكّر الطلاب فيما بينهم أنّه من الأفضل أن يمتلكوا الجمال على المشاع. هذا كان الحلّ الأقرب أن يتملكوها على المشاع. ثمّ ذهبوا يسألون أحداً ما. إنّ الأمور تبتعد أكثر وأكثر عن نية المُعلّم. قال البعض:

قوموا بأقرب تقسيم مُمكن». بينما قال القاضي للبعض أن يبيعوا الجمال ويقسموا المال،

لقد أصبحت الآن الأمور مُتعلقة بالدنيا جداً، جداً. بيد أنّ هذا جيد تماماً. لماذا القلق؟ تستطيعون تقسيم المال. بيعوا الجمال.

بينما تمسّك البعض بأنّ هذه الوصية باطلة ولاغية لأنّ شروطها غير قابلة للتنفيذ».

هذا هو الأبعد. يقول بعض الناس: «هذا غير مُمكن. تخلّوا عن الفكرة برمتها. إنّ هذه الوصية باطلة ولاغية، لأنّه لا يُمكن تنفيذها في المقام الأول».

هناك العديد من التفسيرات الآن. لقد بدأ الطلاب في التفكير. عندما يُعطيك المُعلّم أمراً، فليس حتى تُفكّر فيه، بل يجب الاستماع إليه، والتأمل فيه، إنّه ليس للتفكير. وإلّا فستفوتك الرسالة. يجب عليك أن تتأمله، يجب أن تحتفظ به في رحِمك، يجب أن تنام عليه، يجب أن تحتفظ به هناك في داخلك وتنتظر، فقط اِنتظر، أبقِه في الداخل. تذكّر ذلك وانتظِر. لا تبدأ في التفسير. إنّ تفسيراتك هي تفسيراتك وسوف تُصبح بلا معنى. إنّها ليست فقط بلا معنى، بل هي ضارة أيضاً.

لقد سُجن رجل مدة عشرين عاماً، وقد حافظ على عقله عن طريق مُصادقة نملة كانت تُشاركه زنزانته. حتى أنّه صنع لها منزلاً من طابقين من علبة ثقاب. من أجل تمضية الساعات، صنع المحكوم عليه غيتاراً بالغ الصغر، وفي خلال خمس سنوات، كان قد علّم النملة الغناء والعزف على الجيتار. في ليالي الشتاء الطويلة كانت النملة بمثابة عزاء كبير، حيث كانت تُقيم الحفلات الموسيقية من العزف والغناء أمام الرجل الذي أحسن إليها.

في خلال خمس سنوات أُخرى كان المحكوم قد علّم النملة الرقص، وفي عامه الثاني عشر كان قد أنهى تدريبها كي تكون عازفة مزمار بارعة. مع اقتراب موعد اطلاق سراحه، أدرك المُدان أنّه في حوزته أعظم مُؤدّ تليفزيوني معروف على الإطلاق، وأنه يستطيع أن يكون غنياً، مشهوراً...

في يوم إطلاق سراحه، أسرع المحكوم سابقاً إلى أقرب حانة كي يحتفل بحريته. وطلب نصف لتر، وبينما كان يثمل أخرج علبة الثقاب، ودفع النملة إلى ركن المشرب المهجور وطلب لحناً. ارتفعت النملة إلى مستوى الحدث مع عرض جميل لأغنية «القلب المصاب بالسهم». لقد كانت قوية، وكان المالك، مُفعماً للغاية بالفرح، فدعا الساقي وأومأ ناحية النملة.

قال: «ما رأيك في هذا؟».

في هذه الأثناء رفع الساقي يده، وأنزلها في على مقدمة المشرب وقتل النملة.

قال: «أعتذر عن ذلك يا سيدي، إنّه الطقس الحار».

إنّ الساقي يمتلك الآن تفسيره الخاص. إنّه لم ينظر إلى هذه النملة. لا بُدّ أنّ الأمر كان يحدث بصورة يومية، أن يُناديه زبون كي يقول: «اِنظر إلى النمل على الطاولة»، وكان يقوم بقتله ويقول مُعتذراً: «إنّه الطقس الحار».

لقد قتل الآن واحدة من أغلى النملات. هذا ما يحدث عندما تُدخل تفسيراتك إلى الأمر.

لقد ترك المُعلّم حيلة رائعة يستطيع المُريدون من خلالها إيجاد مُعلّمهم الجديد. بيد أنّ التفسيرات كانت تقتل النملة. لقد كانت كلّ الاقتراحات التي طُرحت عليهم ضدّ الوصية، ولم يمتلك أيّ أحد ولا حتى لمحة طفيفة عن الفكرة التي كان يقصدها المُعلّم.

كان هناك امرأة «أيرلندية» كاثوليكية عجوز راقدة على فراش الموت. تمّ استدعاء القسّ من أجل الطقوس الأخيرة. أخذ القسّ بيدها وقال: «ماري»، أنت تعرفين الآن إلى أين أنت ذاهبة، أليس كذلك؟».

قالت، «نعم، أبتي».

«كنتِ جيدة طوال عمرك، لم تُخطئي، وكنت تتلين صلاتك كلّ يوم، وكنتِ امرأة تقية؟».

قالت «ماري»، «أه أجل، أبتي، لقد كنتُ دائماً كاثوليكية جيدة».

قال الأب «باتريك»: «إذاً لديّ سؤال أسأله لك «ماري»، قبل أن تذهبي وتُقابلي القدّيس «بيتر». هل أنتِ مستعدة للإجابة، «ماري»؟».

«أه أجل. أبتي. اِسألني أيّ شيء»,

«حسناً «ماري»، ما أريد أن أعرفه، هل تُريدين للتابوت الخاص بك بطانة بيضاء، أم بطانة أرجوانية؟».

قالت «ماري»: «ما الفارق، أبتِ؟».

قال القسّ: «حسناً، إذا كنتِ فعلاً امرأة جيدة، ولستِ شهوانية، ولم تقومي بالرذيلة، ولم تسرقي أبداً، أو تحسدي، ولم تكوني جشعة، ولم تستخدمي اسم الإله في الأمور الفارغة، وكنت كاثوليكية جيدة، فستحصلين على البطانة البيضاء من أجل كفنك. بيد أنك لو كنتِ مذنبة، شهوانية، مارستِ الرزيلة، أو كنتِ جشعة، مُختالة، حسودة، أو سرقتِ، أو استخدمتِ اسم الإله دون داع، وكنتِ كاثوليكية سيئة، فسيكون عليك الحصول على البطانة الأرجوانية من أجل كفنك. ما أُريد أن أعرفه الآن هو، أيّ لون تُريدين من أجل كفنكِ؟».

أغلقَت «ماري» عينيها، فكّرت لحظة ثمّ قالت: «حسناً يا أبتي، أنا أرغب في بطانة بيضاء فيها بعض الضربات الأرجوانية العنيفة قليلاً هنا و هناك».

إنّ تفسيراتك سوف تعكس تفكيرك. أيّ ما تقوله سوف يعكس شخصيتك. من أجل ذلك، عندما يُعطيك المُعلّم أداة، لا تقُم بالتفكير فيها، وإلّا سوف تفقدها. إن التفكير هو الطريقة الأكيدة لفقدانها. عليك أن تتأملها. إنّ التأمل لا يعني التفكير، إنّه ببساطة يعني أن تُبقيها في إدراكك، فقط احتفظ بها هناك، لا تنسها، هذا كلّ شيء. الجلوس بهدوء، الاحتفاظ بها هناك، عدم نسيانها، هذا كلّ شيء. لا تقُم بفعل أيّ شيء إيجابي حيالها، فقط دعها تكون هناك. عاجلاً أم آجلاً سوف يتفتح شيء داخلك وسوف تمتلك رؤية. هذه الرؤية سوف تكون مقصد الأداة, يجب أن تختفي ثرثرتك الداخلية كي تعرف المعنى. إذا استمرّ حديثك الداخلي، فسيضيع الأمر.

إنّ الطلاب لم يُفكّروا في الأمر بأنفسهم وحسب، بل ذهبوا كي يسألوا أشخاص آخرين. لقد أصبح الأمر الآن حماقة. ما دخل القاضي في مثل هذا الأمر؟ إنّها ليست مسألة قانونية. في الحقيقة، إنّها ليست وصية. إنّ المُعلّم ليس مُهتمّاً بالجِمال وكيفية تقسيمها. كيف يُمكن للمُعلّم أن يهتمّ بأشياء غير هامة مثل هذه؟

ثمّ ذهبوا إلى مُحامي. ما علاقة المُحامي بالأمر؟ إنّه ليس أمراً ذا علاقة بالقانون، وليس له أيّ علاقة بالعالم العادي. لا بُدّ أنّهم قد ذهبوا إلى أناس حكماء، مَن يُدعون حكماء من وجهة نظر العالم: أذكياء، ماكرين، حذرين. إنّهم يقترحون كلّ هذه الأشياء، بيد أنّ الطلاب كانوا محظوظين، حيث لم يتورّطوا في أيّ من التفسيرات.

ثمّ تعمّقوا في التفكير واقترحوا أنّه رُبّما تكون هناك حكمة خفية في تركة المُعلّم، فقاموا بالسؤال عمّن يستطيع أن يحل هذه المسائل المُستعصية.

ثم توصّلوا إلى شيء واحد تعثروا به: أنّ هذه المسألة تبدو مُستعصية الحل، وأنّ أيّ من الحلول التي طُرِحَت عليهم لم تبدو ذات صلة بالموضوع، ولم تبدو مُناسبة. لم يبدو أيّ حلّ مُلائماً تماماً للموقف. تبدو المشكلة مُستعصية على الحلّ، وكانت تُصبح أكثر استعصاء كلّما تلمسوا المشورة من الناس. هكذا، ظهرت فكرة واحدة الآن في وعيهم: يجب أن يبحثوا عن شخص لديه القدرة على حلّ المشكلات المُستعصية. هذا ما يُسميه جماعة «الزن» «كوان»، أي المشكلة المستعصية على الحلّ. إنّها قابلة للحلّ، ولكنها لا تُحلّ بالمنطق والاستنتاجات. إنّها تُحلّ بالطاقة البديهية. إنّها تُحلّ بالهدوء، وليس بالكلمات، ولا الأرقام. إنّها تُحلّ بالهدوء التام. إنّهم الآن يقتربون من الهدف. من أجل ذلك فقد بدأوا يبحثون عن رجل يستطيع أن يحلّ المسائل المستعصية.

إنّ الصوفيين معروفون بقدرتهم على حلّ المشاكلّ المستعصية. في الحقيقة، كلّ المشاكلّ الكبيرة مُستعصية على الحلّ، لأنّ الحياة عبارة عن لغز لا يُمكن حلّه. يهتمّ الصوفيون بالألغاز، وليس بحلّها. إنّ كلّ المُتديّنين، وكلّ الأبحاث الدينية، مُهتمّة بما يستعصى على الحلّ.

لقد ذهبوا في البداية إلى القاضي، ثمّ المحامي، رئيس البلدية، وأشخاص من هذا القبيل. ثمّ أدركوا أنّ هذه المشكلة تبدو مستعصية، ولا يبدو أنّ لها أيّ حل مُلائم. من أجل ذلك فكّروا، «يجب علينا أن نذهب إلى شخص ما مُهتمّ بالمشكلات المُستعصية، وغموض الحياة».

لقد فشل كلّ مَن جربوه، حتى وصلوا إلى باب صهر النبي «حضرة علي».

قال: «ها هو حلّ مسألتكم. سوف أقوم بإضافة جمل إلى العدد. فمن بين ثمانية عشر جملاً سوف تُعطي النصف، تسعة جمال، إلى الطالب الأكبر سناً. والثاني سوف يحصل على ثلث الإجمالي، والذي يُساوي ستة جمال. والطالب الأخير يحصل على التُسع، والذي هو جملين، والجمل المتبقي يُردّ إليّ».

يقول الصوفيون إنّ مشكلاتك لا يُمكن أن تُحلّ كما هي حتى يُضيف إليك المُعلّم شيئاً من كيانه. هذا هو المغزى من القصة بأكملها.

هناك سبعة عشر جملاً. أنتم هؤلاء السبعة عشر جملاً. لا تُوجد أيّ طريقة من أجل حلّ أيّ شيء، إلّا إذا أتيتم إلى رجل شفوق لا يكون مُستعداً من أجل حلّ مشكلتكم فقط، لكنّه مُستعد أيضاً كي يرتبط معكم، هذا هو المقصود. إنّ هذه القصة في غاية الجمال.

لقد قصدوا الكثير من الأشخاص، بيد أنّ أحداً لم يُفكّر أنّه يُمكن إضافة جمل آخر، فبمُجرّد أن يُصبح عدد الجمال ثمانية عشر، تُصبح الأشياء بسيطة، وقابلة للقسمة.

إن المُعلّم هو الشخص الذي يكون مُستعداً كي يرتبط معك. عندما تستسلم إلى المُعلّم، فهو يفتح لك جميع أبوابه، إنّه مُتاح من أجلك، إنّه يُصبح مُرتبطاً معك. أنت مُرتبط به، وهو مُرتبط بك. أنت لا تتنازل عن شيء، فليس لديك أيّ شيء تتنازل عنه. إنّك تتنازل فقط عمّا لا تملك، بينما يبدأ المُعلّم في منحك ما يملك.

لقد جاء هؤلاء الناس بمشكلة، وهي في حدّ ذاتها مُستعصية على الحلّ، بيد أنّ «حضرة علي» قام بحلها. وكانت الحيلة أنّه أضاف واحداً من جماله إلى جمالهم. هكذا، إنّ أول شيء نتذكّره هو أنّ المُعلّم شخص يستطيع أن يمنحك كيانه، ويستطيع أن يُصبح مُرافقاً لك، ويستطيع أن يأتي إليك ويُمسك يدك، يستطيع أن يجعل مشكلتك مشكلته، لا يُفكّر من الخارج كمُشاهد، بل يُصبح مشاركاً.

عندما تأتي إليّ بمشكلتك، لا تُفكّر إطلاقاً ولا ثانية واحدة أنني أقف هناك كرجل حكيم، مُنعزل، بعيد، وأُسدي لك النصح، لا تظنّ ولا للحظة واحدة. أنا أتورّط معك، وأُصبح أنت، أضع نفسي مكانك، وتُصبح مشكلتك مشكلتي، عندها فقط يُمكن أن أكون عوناً لك. إلى أن أُصبح أنت، فلن أستطيع مُساعدتك، ولن أستطيع حتى أن أفهمك، ناهيك أن أكون قادراً على المساعدة؟ إلى أن تبدأ مشاكلك تُصبح مشاكلي، وإلى أن أكون مُحاطاً بمشكلاتك، لا تُوجد طريقة من أجل حلها. هذا هو الفارق بين المُعالج والمُعلّم.

إنّ المعالج يقف بالخارج. إنّه يستحضر خبراته وعلمه من أجل مُساعدتك. أمّا المُعلّم؟ فإنّه لا يستحضر خبراته، فهو لا يملك أيّ منها. إنّه لا يستحضر أيّ معرفة كي يُساعدك، فهو لا يمتلك أيّ منها. إنّه يستحضر كيانه، عرفانه. إنّه يُقرضك عينيه. إنّه يُقدّم لك عينيه، وليس معرفته. إنّه يزودك برؤيته، وضوحه، شفافيته. إنّه يصبح أنت للحظة. إنّ هؤلاء الذين يُحبونني سوف يفهمون ذلك. عندما أتحدّث معهم أُصبح مُتورطاً بشدة في مشاكلهم إلى درجة أنّهم يكادون يُصبحون مُتفرّجين. إنّها تُصبح مشكلتي. وحينما يُصبح الأمر مشكلة المُعلّم، تظهر المساعدة. من أجل هذا السبب، يكون استسلام الطالب التامّ مطلوباً، حتى يستطيع المُعلّم أن يتدخّل ويقوم بلقاء عميق مع كيانك.

قال: «ها هو حل مسألتكم. سوف أقوم بإضافة جمل إلى العدد. فمن بين ثمانية عشر جملاً سوف تُعطي النصف، تسعة جمال، إلى الطالب الأكبر سناً. والثاني سوف يحصل على ثلث الإجمالي، والذي يُساوي ستة جمال. والطالب الأخير يحصل على التُسع، والذي هو جملين»،

هذا يجعل المجموع سبعة عشر جملاً.

هنا يأتي الشيء الجميل الأخير:

والجمل المتبقي يُردّ إليّ.

إنّ ما يمنحك ايّاه المُعلّم أيّ كان، دائماً يعود إليه. أنت تتحوّل وتتغيّر بين ما يأتي إليك من المُعلّم وعودة هذا الشيء إليه. لكن أيّ ما يتمّ منحه يعود إلى المُعلّم، لأنّه حسب طبيعة الأشياء هو شيء لا يُمكن أن يتمّ منحه، بل يُمكن فقط إعارته على أكثر تقدير. إنّه كيانه. كيف يُمكن أن يمنحك إيّاه؟ إنّ الكيان لا يُمكن أن يُمنح، إنّه يستطيع فقط أن يُقرضك إيّاه لحظة، بيد أنه حتى أثناء تلك اللحظة، تُصبح الأشياء واضحة، وبعدها أيّ كان للمُعلّم يعود إليه.

هذه أحد أعظم الحكايات الرمزية التي ابتكرها الصوفيون. في البداية، فإنّ المُعلّم يمنح الطالب، وعندها تُحلّ مشاكلّ الطالب، ثمّ أيّ تمّ منحه يعود إلى المُعلّم. يمنحك المُعلّم كيانه، ويُحولك من خلاله، فتُصبح أنت مُضيئاً، وهو لا يفقد أيّ شيء، لأنّ أيّ كان له، يعود إليه. من أجل هذا السبب، يستطيع المُعلّم أن يستمرّ في منح الملايين ولا يفقد شيئاً.

في كثير من الأوقات تكون هناك أسئلة كثيرة منكم: «أوشو»، لديك الآن الكثير من الطلاب، والكثير من المُريدين. إنّهم بالآلاف، سوف يكون من الصعب عليك أن تُساعدنا». كلا إطلاقاً، لأنّ ما أُعطيه ليس شيئاً يُمكن تقسيمه. أنا أستطيع أن أُعطي رؤيتي إلى الكثير من الأشخاص، بقدر ما يكونون مُستعدّين كي يأخذوا ويستقبلوا، ومع ذلك يبقى ما أُعطيه سليماً، ويعود إليّ دائماً، ولا تستطيع أن تأخذه دون عودة. إنّ العدد لا يهمّ. واحد أو مليون، لا يُشكّل الأمر فارقاً. تذكّر هذا. وحده الذي يكون مُستعداً أن يتورّط معك، هو مَن يستطيع أن يحلّ مشاكلّ حياتك. أمّا الدخلاء فلا يستطيعون حلّها. على المُعلّم أن يُصبح داخلك.

تذكّر إنّه عاجلاً أم آجلاً، حينما تصل إلى المنزل، ويُضاء نورك وتتوهّج بالضوء، لا تكُن بخيلاً. تذكّر، أنت لن تفقد أيّ شيء. تستطيع أن تستمرّ في العطاء إلى كثير من الأشخاص بقدر ما تُريد ولن تفقد أيّ شيء، فليس من المُمكن ذلك. لا يُمكن أن تفقد ما هو ملك لك، فقط ما ليس لك يُمكن أن يُفقد. يمكن أن يضيع المال، يُسرق، يُقسم. من الطبيعي، لو امتلك الوالد أربعة أبناء ذكور، عندها فإنّ الأبناء سوف يقسمون المال على أربعة. لو كان لديه ستة عشر ابناً، عندها ستكون القسمة على ستة عشر ، وكلّما زاد عدد الأبناء، كان الأبناء أفقر.

بيد أنّ هذا ليس المُعلّم. يُمكن أن يكون لدى المُعلّم مليون طالب، أو عشرة ملايين طالب. هذا لا يصنع أيّ فارق. إنّه لا يجعل الطلاب فقراء، تذكّر ذلك، إذ أنه يستطيع أن يستمرّ في العطاء لكلّ واحد، دون أن يفقد أيّ شيء. هكذا عندما تُصبحون مُعلّمين ذات يوم، من مصلحتكم الخاصة ألا تكونوا بخلاء. شاركوا الأمر! كلّما شاركتم أكثر، أحبكم الإله أكثر.

***

الفصل العاشر

الخروج من الطين والوحل

5 سبتمبر 1977 صباحاً في قاعة «بوذا».

السؤال الأول.

«كطبيب نفسي «أمريكي»، أنا مُتدرب جيّداً، ولديّ خبرة، ولطالما كنتُ ناجحاً حسب المعايير الخارجية، ولكن الآن، ماذا أفعل؟ أنا لم أعُد أشعر أنني طبيب أو مُعالج أو مُحلل، أنا مُجرّد إنسان، رُبّما مُعلّم. أنت ومَن يشبهونك هم من يُلامون على ذلك. إنني أستمع الآن إلى الصوت الداخلي فقط من أجل التوجيه. هل هناك أيّ شيء زيادة أستطيع القيام به؟».

في البداية، ليس هناك نجاح طالما الأمر يتعلق بالخارج. كلّ النجاح هو مُجرّد محاولة لتغطية الفشل. هناك نجاح واحد فقط، ليس هناك نجاحات كثيرة، وهذا النجاح الواحد هو أن تعرف نفسك، وأن تكون نفسك.

أنا أفهم ماذا تقصد بكونك ناجحاً وفقاً للمعايير الخارجية. لقد وضع الإنسان معايير خارجية للنجاح كي يخدع نفسه. تستطيع أن تمتلك الأموال، الاسم، النفوذ والسلطة، لكن لو لم تكن أنت، ماذا يهمّ بعد؟ تستطيع أن تمتلك العالم بأسره، ولكن إذا لم تكن، ماذا يهمّ؟

في الحقيقة، يُحاول الإنسان أن يتملّك الأشياء لأنّه لا يملك نفسه. إنّها خطة ومخطط من أجل إخفاء حقيقة أنّه لا يمتلك نفسه، وطريقة من أجل تفسير الفراغ الداخلي، وطريقة كي تشعر: «إنظُر، لديّ الكثير من الأشياء، ماذا يُريد الإنسان أكثر من ذلك؟». عندما تكون مُحاطاً بالكثير من الأشياء، أو ما تُسمّيه «النجاح وفقاً للمعايير الخارجية»، ماذا تفعل بالضبط؟ إنّك تحاول خلق بديل للفراغ الذي تشعر به في الداخل عن طريق «التملك». إنّ الجوهر مفقود، وأنت تُحاول استبداله بالتملك. بيد أنه لا يُمكن استبداله بأيّ تملك.

هذا هو كلّ كفاح التفكير البشري. هذان هما الاتجاهان: التملك والكينونة. في الغرب، تعمل جاهداً كي تمتلك أكثر، بينما في الشرق نعمل جاهدين كي نكون أكثر. نعم، يحدث أحياناً أن يمتلك المُعدم وجوداً أكثر من رجل غني، وأكثر من ملك. إنّ الرجل الذي لا يمتلك أيّ شيء، قد يمتلك نفسه، وفي هذا الذي يمتلكه بالذات يُوجد السلام، السعادة، البركة.

من أجل ذلك، فإنّ أول شيء أحبّ أن أقوله لك هو أنّه لا تُوجد معايير خارجية للنجاح. إنّها مُحاولات من أجل تغطية فراغك الداخلي، مُحاولات تخدع بها نفسك كي تشعر أنك لم تفشل. هناك نجاح واحد فقط بلا شكّ، هو أن تكون، ومن خلال ذلك، يصل الإنسان إلى النشوة، ويصل الإنسان إلى الجوهر.

من أجل ذلك، من الجيد إنني وأمثالي دمّرنا أوهامك. بمُجرّد أن يذهب عنك هذا الوهم سوف تكون في أزمة عميقة. هذا ما يحدث لك.

إنّ اسم السائل «والتر هوفمان»، هذا ما يحدث لك «هوفمان». سوف يجب عليك الآن أن تقوم باتخاذ خطوة حاسمة جداً، خطوة جذرية. يجب عليك أن تتعلّم أساليب النجاح الداخلي. فلن يروق النجاح الخارجي لك بعد الآن إطلاقاً. نعم، يقع اللوم عليّ وعلى الناس أمثالي. ي لن يروق لك الخارج بعد الآن. من أجل ذلك، لا تقُم ببذل الجهد في الخارج. وجّه طاقتك ناحية الداخلي. هذا فقط ما يُمكن أن يكون له معنى.

أنت الآن في مرحلة انتقالية، فالخارجي موجود ولكن ليس له معنى، بينما يبدو أنّ الداخلي له معنى، ولكنّه ليس موجوداً. هذه حالة خطيرة، ولكن على كلّ باحث أن يمرّ خلالها. إنني أتفهم هذا الألم، وهذا الكرب، أنا مُتعاطف معك للغاية، ولكن على الرغم من أنّ الأمر يبدو الآن مثل الألم. إلّا أنّك سوف تتفاجأ بمُجرّد أن تبدأ في التواصل مع الداخل، أنّه لم يكن ألماً، بل كان مُعاناة النمو، وأوجاع الميلاد. سوف تشعر بالبركة من حدوثه لأنك سوف تُولد من جديد من خلاله.

أنت تقول: «كطبيب نفسي «أمريكي»، أنا مُتدرّب جيّد، ولديّ خبرة، ولطالما كنتُ ناجحاً حسب المعايير الخارجية». هناك شيء هام يجب أن يُفهم: يخلق كلّ عصر أسطورته الخاصة ويحيا وفقاً لها. إنّ الأسطورة الجديدة هي أسطورة الإنسان المُحلل كلياً. يُحاول الناس أن يكونوا مُحللين كلياً على أمل أنّهم لو كانوا كذلك، فسيكون هناك فرح، ولكنّ هذا لا يحدث. حتى مُؤسس علم التحليل النفسي، «سيجموند فرويد»، لم يكن شخص فرحاً، وإذا لم يحدث الفرح مع المؤسس، فلن يحدث مع أيّ أحد.

تستطيع أن تستمرّ في التحليل، إنّه لا نهائي. إنّ التفكير خلاق جداً، إنّه يستمر في الاختلاق. إنّه ليس ظاهرة محدودة، ولن يأتِ اليوم الذي تصل فيه إلى نهاية التفكير عن طريق تحليله. تستطيع أن تستمرّ في التحليل وسيبقى هناك شيء لم يُحلل. تستطيع أن تبقى مُستمراً وسيبقى هناك شيء يُحلل. إنّها عملية لا نهائية.

لقد عمل الشرق بطريقة مُختلفة تماماً، فهو يقول إنّ التفكير يجب ألا يُحلل، يجب أن يتخلّى الإنسان عن التفكير. يجب ألّا تحلّ المشكلة، بل يجب أن يتمّ التخلّي عنها. عندما تُحاول حلّها، تبقى مُستغرقاً فيها، وتخلق الكثير والكثير من المشاكل. هذا يحدث. إنّ التحليل شيء مُكلف لا يقدر الملايين على تحمل تكاليفه، بيد أنّ أولئك الذين يستطيعون تحمّل تكاليفه يستمرّون فيه أعواماً. إنّهم يستمرّون في التغيير من محلل إلى محلل آخر، على أمل أنّه إذا لم يحدث مع هذا، فسيحدث مع أحد آخر.

إنّه لن يحدث. لن يستطيع التفكير أن يصل إلى حالة من خلال التحليل حيث تستطيع أن تُصبح شيئاً أبعد من التفكير. فمن خلال التحليل، تبقى فيه. قد تُصبح سلساً قليلاً في حياتك، ولكنّك سوف تكون عصبياً بقدر أيّ شخص آخر. نعم، سوف يكون هناك فارق، سوف تكون أكثر سلاسة في عصبيتك، أكثر تكيفاً، أكثر تفهماً بقليل، بيد أنّ هذا لن يُحدث أيّ تغيير جذري. يأتي التغيير الجذري من إدراك أنّه لا تُوجد

طريقة من خلال التحليل. يجب على الإنسان أن يقفز خارج التفكير.

هذه ماهية التأمل، فهو عكس التحليل تماماً. إنّ التأمل يعني إدراك لانهائية التفكير، فليس هناك حاجة إلى القلق بشأنه، بل تستطيع الخروج منه. أنت لستَ التفكير، فلماذا تستغرق فيه؟ تستطيع أن تنفصل عنه. سوف يبقى التفكير في مكانه، ولكنك مُنفصل عنه. بمُجرّد أن تنفصل عنه، تكون أنت سيد تفكيرك. عندئذ تستطيع أن تستخدمه، وعندها لا يكون هو مَن يستخدمك.

إنّ هذه الأسطورة الخاصة بالشخص المحُلل على نحو مُطلق هي الحلم الجديد. يُحبّ الإنسان أن يحلم، ويخترع أفكاراً جديدة يأمل في تحقيقها. أحياناً تكون «موكشا»، «نيرفانا»، وأحياناً يكون المال، السلطة، الصورة أمام الناس، وأحياناً يُمكن أن يكون حلمك أن تُصبح الشخص المُحلل على نحو تامّ.

لدينا هنا العديد من الأطباء النفسيين، المُحللين النفسيين، وأنواع أُخرى من المُعالجين. إنّ العدد الأكبر من المُتخصصين الذين يأتون إليّ هم من المُعالجين، وهناك سبب لذلك وهو أنّ هؤلاء الذين يعلمون في المعالجة قد أصبحوا مع مرور الوقت مُدركين لحقيقة واحدة، أنّ التحليل يُبقيك تدور في دائرة، ولا يقودك إلى أيّ مكان، إنّه يتظاهر فقط، ويعدك ولكن لا يفي إطلاقاً بالوعد. إنّه مُجرّد دائرة لا نهائية، يُمكن للإنسان أن يستمرّ ويستمرّ. إنّه يُبقيك مُتأملاً، مُنتظراً، بيد أنّ هذا كلّ شيء. بمُجرّد أن تُصبح مدركاً لهذا، عندئذ تنسى كلّ شيء عن التحليل، وتُحاول شيئاً مُختلفاً كلياً، وهو التأمل. إنّ التأمل لا يعني أنّه عليك أن تُفكّر حول التفكير، بل عليك أن تخرج عنه. إنّ التأمل هو خروج من التفكير. إنّ التأمل هو خلق مسافة بعيداً عن التفكير، التأمل هو التجاوز.

بمُجرّد أن تقف خارج التفكير، مُبتعداً، مُنعزلاً، مُراقباً من أعلى التلال، تكون الأشياء مُختلفة كلياً. عندها لا تُعدّ المشاكلّ ذات صلة. حينما تكون مُنغمساً فيها، تكون وثيقة الصلة. إنّها تماماّ مثل أن ترى حلماً، أو كابوساً، في الليل، وتكون فعلياً مُستغرقَاً فيه. هناك أسد يُلاحقك وأنت تجري وتجري والأسد يقترب ويقترب في كلّ لحظة. إنّك تستطيع أن تشعر بأنفاسه على ظهرك. إنّه شيء مُريع! إنّك تتسلق شجرة بينما يبدأ الأسد في التسلق معك، لأنه في الحلم كلّ شيء مُمكن. يتسارع قلبك على نحو جنوني، ويُفرز جسدك بأكمله العرق. حينما تصل إلى أعلى الشجرة يكون الأسد أيضاً معك هناك. تخرج منك صرخة، وبسبب هذه الصرخة تستيقظ. فجأة تبدأ في الضحك، على الرغم من أنّ جسدك ما زال يرتعد، وأنفاسك غير مُنتظمة. وجسدك يُفرز العرق. تستطيع أن ترى القطرات على جبهتك، ولكنّك الآن تبدأ في الضحك. إنّك تضحك من الأمر كلّه، ومن سخافته، لقد كان مُجرّد حلم.

ما الذي حدث؟ منذ لحظة مضت كنتَ مُستغرقاً فيه. إنّه لم يكن حلماً لأنك كنتَ جزءاً منه، لقد كنتَ مُعرّفاً من خلاله، لقد اعتقدتَ أنّه كان واقعاً، وفكرة أنّه كان حقيقة كانت تقودك إلى الجنون. أمّا الآن فقد خرجتَ منه مُبتعداً، مُتيقظاً، وتستطيع أن ترى أنّه كان مُجرّد حُلم. إنّ التفكير عبارة عن حُلم. أحياناً يكون جميلاً جداً، وأحياناً يكون كالكابوس. بيد أنّه مُجرّد حلم.

إنّ الجهود التي كنا نبذلها في الشرق عبر القرون، ليست من أجل حلّ المشكلات. على سبيل المثال، تُحاول في الكابوس أن تحلّ مُشكلة ماذا تفعل بهذا الأسد الذي يُلاحقك. هذا هو التحليل النفسي. أو تبدأ في محاولة معرفة من أين جاء، وكيف حدث في المقام الأول: «لماذا يُلاحقني هذا الأسد؟ من أين يأتي هذا الخوف؟ لماذا أتسلق الشجرة؟». وتقابل شخصاً خبيراً جداً في تحليل الأشياء، في التفسير، في إنشاء

النظريات، في أخبارك كيف حدث هذا الشيء في بداية الأمر. قد تكون صدمة منذ الميلاد، أو أنّ والداك لم يُعاملاك بصورة جيدة. قد يكون هذا الأسد لا يُمثل أحداً. فقط انظر مُباشرة في عينيه، إنّها زوجتك أو زوجك وأنت خائف من زوجتك أو من زوجِك.

بيد أنّ جميع هذه التفسيرات تتعامل مع الحلم على أنّه أمر مُسلّم به، وأنه حقيقة، وهذه هي المشكلة الأساسية، وليس من أين أتى الأسد، أو المعنى الرمزي للأسد. إنّ المشكلة الحقيقية هي أنّ الأسد حقيقي. لا يُساعدك إن التحليل النفسي على أن تُصبح مُدركاً أنّ التفكير ليس شيئاً حقيقياً، بل عبارة عن وهم «مايا». في الحقيقة، إنّه يُعمّقك أكثر في الطين والوحل. إنّه يأخذك عميقاً إلى الجذور. بيد أنّ الوهم لا يُمكن أن يكون له أيّ جذور. سوف تُحاول دائماً الوصول إلى الجذور، ولكنك لن تصل. إنّ الوهم لا يُمكن أن يكون له أيّ سبب.

الآن دعني أُكرر الأمر، لأنّه سوف يجعل الفارق واضحاً جداً. لا يُمكن أن يكون هناك أيّ سبب للوهم، ومن أجل ذلك لن تستطيع أن تصل إلى السبب. تستطيع أن تُحاول وتُحاول، وأن تغوص في لاوعي الإنسان. لقد قام «فرويد» بذلك، وفعله بطريقة مثالية، ولكنّ هذا لم يجد الحل لأيّ شيء. لقد كان على «يونغ» أن يتعمّق أكثر، وكان عليه أن يجد شيئاً يُشبه اللاوعي الجمعي، وأنت تستطيع أن تستمرّ، وعندها يُمكن أن تجد شيئاً مثل اللاوعي الكوني. وهكذا دواليك، طبقة فوق طبقة. تستطيع أن تستمرّ في التحليل: رُبّما تكون صدمة الميلاد، وأنّك أصبحتَ خائفاً بشدة عندما خرجتَ من قناة الميلاد من رحم والدتك. بيد أنّ الأمور لم تنتهِ هناك لأنك كنت في رحم والدتك مدة تسعة أشهر، فلا يُمكن التخلّي عن هذه الشهور التسعة ببساطة. لقد حدث الكثير خلال هذه الشهور التسعة. عليك أن تتعمّق في تحليل ذلك.

إذا ذهبتَ عميقاً إلى درجة كافية فسيكون عليك أن تدخل إلى حياتك السابقة، وهذا ما فعله المُحللون الهندوس. إنّهم يتحدثون عن «الحياة السابقة»، ثمّ «سابقة السابقة»، ويستمرّ الأمر في العودة إلى الوراء، ولن تصل إلى أيّ مكان. في كلتا الحالتين تصل إلى نقطة حيث تُدرك عدم جدوى الأمر كلّه.

كي تُدرك عدم جدوى التفكير، وترى أنّ الوهم لا يُمكن أن يكون له أيّ سبب، وأنّه لا يمكن تحليله، فإنّ الشيء الوحيد الذي تستطيع فعله هو أن تجعل نفسك مُنتبهاً قليلاً، واعياً. ففي هذا الوعي يختفي الحلم، ولا يعود له سطوة عليك، وحينما لا يكون للتفكير سطوة عليك، تُصبح رجلاً جديداً كلياً، ويُولد وعي جديد داخلك.

لا بُدّ أنّ «هوفمان» كان مُدركاً عدم جدوى الأمر. لقد كان يُساعد الناس، يُحللهم، ولكنّه لم يُساعد نفسه حتى. إنّ التحليل لم يُساعد نفسه حتى. رُبّما جعل الأشياء أكثر وضوحاً بقليل، ورُبّما ساعد الأشياء كي تكون أكثر تصنيفاً بقليل، ووضع المُسمّيات عليها، كنوع من التصنيفات، ولكن لم يحدث أيّ شيء جوهري. ولو حدث أحياناً شيء ما، فهو ليس بسبب التحليل. لو حدث شيء ما أحياناً، قد يكون له بعض الأسباب الأُخرى، ولا بُدّ أن يكون له بعض الأسباب الأُخرى.

قد يسأم الإنسان حتى أقصى حدّ من التحليل ككل. هذا السأم من التحليل قد يخلق داخله وعياً جديداً. قد يسأم، ويشعر ذات يوم سيفهم أنه طفح الكيل به، وما عاد يحتمل الركض من مُحلل نفسي إلى مُحلل نفسي آخر، ومن مدرسة إلى مدرسة أُخرى، فيأتي الوقت الذي يُفكّر فيه الإنسان أنّ هذا يكفي، وأنّه لم يعُد يحتاج إلى الاكتراث بهذه الأمور. إنها لا تهمّ. في هذه اللامبالاة هناك شيء مُمكن.

هناك شيء مُمكن أيضاً من خلال الشخصية المغناطيسية للمُعالج. من خلال فهمي فإنّ المُعالج يُساعدك بدرجة أكبر من العلاج. لو كان المُعالج يمتلك حضوراً، كما كان «فرويد»، «يونغ»، «إدلر»، لو كان المُحلل يمتلك حضوراً، شخصية ساحرة، نوعاً مُعيناً من الحضور، فهذا يُساعد كثيراً في العلاج. هذا سبب أنّ العلاج يعمل، طالما ما زال المُعالج حياً وهو يحدث مراراً وتكراراً، بيد أنه حينما يموت المُعالج النفسي، يختفي الأمر بمرور الوقت، ولا يعود العلاج يُؤثر.

لقد مات التحليل النفسي مع موت «سيجموند فرويد». لقد كان حضوره هو المُؤثر، وليس التحليل النفسي في حدّ ذاته. لقد تمتع «فرويد» بنوع من الفتنة في شخصيته، شيء في غاية الغموض. شيء قد يمتلكه الإنسان أو لا يمتلكه. أيّ كان ما يفعله كان يبدو ذا معنى، لأنّه أضاف له معنى. إنّ الشخص الذي يمتلك الحضور والطاقة المغناطيسية، حينما يفعل أيّ شيء، يبدو هذا الشيء هامّاً جداً. في حين أنّه قد يُصبح من أيّ شخص آخر شيء عادياً للغاية، أقلّ من المُتوسط. هذا ما يُصبح عليه.

لقد ساعد «يونغ» الناس ليس من خلال ما كان يقول، ولا من خلال ما كان يُحلل، ولكن فقط من خلال ما كان عليه.

بيد أنّ المُعالجين النفسيين غير مُدركين بعد لحقيقة أنّ العامل الشخصي هو ما يُساعد، وليست النظريات والمبادئ والقواعد. إنّه شيء غامض، إنّ العامل الشخصي هو ما يُساعد.

هل لاحظت حدوث ذلك أحياناً؟ عندما تكون مريضاً ويأتي طبيبك، في اللحظة التي يدخل فيها إلى الحجرة تبدأ في الشعور بالتحسّن. إنّه لم يُعطك أيّ دواء بعد، ولم يقُم حتى بتشخيص نوع المرض الذي أصابك، ولم يلمسك حتى. لقد دخل فقط. في اللحظة التي تعلم فيها أنّ طبيبك قد أتى، وأنّ مُعالجك موجود، يختفي شيء كان يُمثل قلقاً. لا داعي إلى قلقك. لم يعُد التوتر موجوداً. سوف يعتني بك الطبيب الآن. لو أنّ الطبيب لديه بعض الهالة الشخصية، بينما يفحصك، ويأخذ قياس ضغط دمك ونبضك، تكون بالفعل قد بدأت في الشفاء. قبل أن يصف لك أيّ دواء تكون قد شُفيت بنسبة خمسين في المئة. قد لا يفعل الدواء الكثير، ولكنّ الطبيب يكون قد فعل الكثير. إنّها ثقتك فيه، اطمئنانك له، إنّها هالته الشخصية، ثقته: «لا تخف. أنا هنا الآن».

لم يُصبح التحليل النفسي مُنتبهاً بالكامل بعد إلى نظرية أنّه ليس العلاج هو ما يُساعد ولكن العامل الشخصي. قد لا يُدرك الشخص نفسه أنّه يعمل مثل قوة شافية. لو فهمتني بصورة صحيحة، فالإله هو مَن يشفي دائماً. إنّ الإله هو الشافي الوحيد. لو أنّ هناك شخصاً حيّاً يتدفّق، عندها يتدفّق الإله من خلاله. لم يُدرك التحليل النفسي بعد هذا السحر، وهذه القوة، وهذه الطاقة.

في الشرق يذهب الشخص ببساطة إلى المُعلّم، ويلمس قدميّ المُعلّم فيُشفى. إنّ المُعلّم لا يقوم بأيّ تحليل، ولا أيّ علاج، لا شيء، إنّ المُعلّم ليس له أيّ خبرة في الأمر، بل هي الطاقة الشخصية، وهذا العبير الذي يُحيط بالمُعلّم، والثقة التي يُحضرها المريض. لا يفعل التحليل النفسي في الشرق شيئاً، لأنّه يُوجد في الشرق عدد قليل جداً من المُحللين النفسيين. بيد أنّ الناس أكثر صحة من الناحية النفسية من الغرب.

هناك جهود كثيرة تُبذل من أجل مُساعدة الناس في الغرب، هناك طاقة هائلة تُبذل من أجل

مُساعدة الناس نفسياً، بيد أنّهم يبقون مرضى نفسياً. إنّ التحليل النفسي لم يصل إلى بيته بعد، ولا زال أمامه الكثير. عندما يتمّ فهمه حقاً سوف يُكتشف أنّه ليست النظرية، ولكنّ الشخص هو الذي يُساعد.

يقول «هوفمان»: «ولكن الآن، ماذا أفعل؟ أنا لم أعُد أشعر أنني طبيب أو مُعالج أو مُحلل، أنا مُجرّد إنسان، رُبّما مُعلّم. أنت ومَن يشبهونك هم من يُلامون على ذلك». إذا كنت لا تشعر أنّك طبيب، ولا تشعر أنّك مُعالج، ولا تشعر أنك مُحلل، فأنت تقترب من النقطة التي أتحدّث عنها. إنّك تتحول إلى إنسان، والإنسان يعني الحضور. إذا كنتَ تشعر أنّك إنسان فستكون قادراً على مُساعدة عدد كبير من الناس أكثر ممّن ساعدتهم سابقاً، ولكن الآن كُن واعياً بظاهرة أنّ كلّ شيء آخر يكون ثانوياً.

إنّ الشيء الأساسي الذي يجلبه المُعالج إلى المريض هو الحضور. لقد فقد المريض الأمل، وسقط في دائرة السلبية، إنّ المريض يائس، ولا يستطيع الوثوق في أيّ أحد بعد الآن، لقد انغلق المريض على نفسه، وانهار. إنّ المُعالج الحقيقي سيقوم بجلب حضوره، طاقته الإيجابية، حيويته، طاقته المتدفقة إلى المريض. إنه يظهر مثل النسيم العليل، ومثل أشعة شمس جديدة. إنّه يأتي بشيء مُقدّس إلى المريض، وشيء من الصلاة والتأمل. إنّه سوف يغمر المريض، ويُحيط به من كلّ اتجاه، ويُصبح رحماً دافئاً من أجل المريض، وسوف تبدأ الأشياء في الحدوث. سوف تبدأ المُعجزات في الحدوث.

أنا لا أقول إنّه يجب عليك أن تتخلّى عن خبراتك، اِستخدمها، بيد أنها ثانوية. في البداية، اِجعل بينك وبين المريض اتصالاً شخصياً، وشاركه شيئاً من حضورك حتى تبث فيه الأمل مرة أُخرى، حتى يبدأ حيزه السلبي في التحوّل إلى حيز إيجابي. دعه يشعر بفرحك، ويشعر بثقتك في الحياة، دعه يشعر بك، وأنك موجود، دعه يرى أنّ الحياة ليست بلا معنى. غنّ أغنية أو ارقُص حوله، ولكن دع هذه الرسالة تكون عالية وواضحة عنده، وهي أنّ الحياة لها معنى. دعه يرى أنّها تمتلك معنى بالنسبة إليك، فلماذا لا يُمكن أن تكون ذات معنى بالنسبة إليه؟ عندها سيبدأ في الخروج من يأسه. لقد وصلتَ إليه، وأخذتَ يده في يدك؛ إنّك تستطيع أن تُخرجه من ارتباكه وكربه.

بمُجرّد أن يتمّ إخراجه من يأسه، تبدأ قوى الشفاء في العمل. إنّ قوى الشفاء قريبة دائماً، والإله دائماً قريب. بينما حينما تسقط في دائرة السلبية، لا تستطيع أن تتواصل مع الإله وعندها تكون في حاجة إلى خطّ اتصال، وشخص يستطيع أن يصلك بـالإله.

هكذا «هوفمان»، أنا أرى الأمر جيد تماماً! كُن إنساناً. اِنسَ العلاج والتحليل. كُن إنساناً. عندما أقول: «اِنسَ العلاج والتحليل»، فأنا لا أقصد ألّا تستخدمهم، ولكن لا تُعرّف نفسك من خلالهم. سوف يكونا موجودين، إنّ كلّ معلوماتك، وجميع خبراتك، سوف تكون موجودة، ولكن الآن، دَع هذه الخبرة وهذه المعرفة تُصبح شيئاً ثانوياً نسبة إلى حضورك. إنّها سوف تُساعد إلى حدّ مُعين، وتكون شيئاً جيداً.

إنّهم يقولون في «الزن» إنّك إذا أردتَ أن تُصبح رساماً فعلاً، تعلّم الرسم عدة سنوات. ثم اِنسَ كلّ ما يخصّ الرسم عدة سنوات. تخلّص من الفرش والقماش والألوان، وافعَل شيئاً آخر، وكُن واضحاً تماماً لحقيقة أنك لا تعرف أيّ شيء عن الرسم. في البداية تعلّم، ثم اِنسَ ما تعلّمته، ثمّ في يوم ما، فجأة، سوف ترسم، وسوف يكون رسمك بريئاً، براءة الأطفال، مع خبرة شخص يعرف ما يفعل. سوف يكون كلاهما موجوداً, وحينما يتواجد كلاهما، يكون هناك فنّ عظيم.

تذكّر، قد تكون حساساً جداً، جداً، قد تكون شاعرياً للغاية، ولكنك قد لا تعرف كيف تُحوّل الأمر إلى لون، قد لا تكون عالماً بالتقنية. عندئذ سوف تكون لوحتك بلا قيمة، وتنقصها الخبرة. قد تُصبح تقنياً رائعاً، وتستطيع أن تعرف كلّ شيء عن الألوان والفرش والأشكال، تستطيع أن تدرس في أكاديمية، قد تكون تقنياً رائعاً، ولكن ليس لديك أيّ احساس، ولا أيّ حب، ولا أيّ شعر. إنّ قلبك ليس لديه أُغنية. عندها تستطيع أن ترسم، وسوف تكون لوحتك مثالية من الناحية التقنية، لكنّها سوف تكون ميتة. إنّ الفنان الحقيقي يمتلك كلا الصفتين، براءة الطفل وخبرة التقني. بيد أنه حينما يرسم ينسى جميع التقنيات. إنّها موجودة، إنّها تعمل من عمق اللاوعي، بيد أنّه ينسى جميع الخبرات، ويُصبح بريئاً، ويرسم كأنّه هاو. إنّه لا يعرف أيّ شيء يرسمه من اللاوعي، فتكون هناك نضارة ورؤية. وتستمرّ الخبرة في العمل من خلال اللاوعي. إنّها هناك، في دمه، في عظامه. ليست هناك حاجة كي يتذكّرها، ليس هناك داع كي تكون في وعيه الذاتي. عندئذ ينحدر شيء من المجهول إلى المعروف.

يجب أن يكون هذا المبدأ نفسه هو المبدأ في كلّ أنواع الحياة التي سوف تعيشها. أن تعرفها جيداً من الناحية التقنية ثمّ تنسى كلّ التقنيات. ثم تغوص فيها بكلّ براءة. إذا كنت تشعر أنك إنسان، فذلك أفضل شيء يُمكن أن يحدث مع الإنسان.

«رُبّما مُعلّم». جيد. إنّ كلمة «رُبّما» هذه جميلة. فلو كنتَ مُتأكّداً جداً من كونك مُعلّماً، لكنتُ أخبرتك أن تتخلّى عن الفكرة، فهي خطيرة. إنّ كلمة «رُبّما» شيء جيد، إنّ التردد شيء جيد. إنّ المُعلّم الجيد دائماً في حال «رُبّما». إنّه ليس مُؤكّداً، وليس صلباً، إنّه سائل، إنه يتدفّق، إنّه عفوي. إنّه لا يستطيع التدمير، بل يستطيع فقط أن يخلق. عندما تُصبح جازماً ومُؤكّداً للغاية، تُصبح مُدمِّراً. تصبح مُدرساً، وليس مُعلّماً.

إذاً «هوفمان»، كلا الأمرين جيد، تعمّق في الداخل، كُن اِنساناً، ورُبّما مُعلّماً.

أنت تقول: «إنني أستمع الآن إلى الصوت الداخلي فقط من أجل التوجيه. هل هناك أيّ شيء زيادة أستطيع القيام به؟». كلا، إذا فعلتَ أيّ شيء فسوف تُفسد الأمر كلّه. ببساطة عليك الانتظار. ببساطة اِنتظر في حال الصلاة والتأمل، فالأشياء تحدث. سوف يبدأ الصوت الداخلي في توجيهك. لا تكُن مُتشبثاً، لا تختر. لا تقل: «سوف أختار هذا ولن أختار هذا». عندها لن يكون له أيّ معنى. لو بقيتَ الشخص الذي يختار ،عندئذ حتى لو كانت الأمور آتية من الصوت الداخلي، فأنت تُقرر وفقاً الأنا المزيفة. يجب عليك الآن الاسترخاء والإنصات إلى الصوت الداخلي. دعه يستحوذ عليك.

سوف يكون الأمر صعباً عليك لأنّك تقول: « أنا مُتدرّب جيّداً، ولديّ خبرة، ولطالما كنتُ ناجحاً». سوف يكون صعباً عليك لأنّ الإنسان لا يعرف أبداً إلى أين يقوده الصوت الداخلي. قد يقول لك الصوت الداخلي «أن تُصبح مُريداً»، هذا ما أشعر به، ولكن عندها لا تجلب تفكيرك الخبير وماضيك الناجح وتدريبك الجيد إلى الأمر. لا تتدخّل. إذا قال لك الصوت الداخلي: «كُن مُريداً»، كُن كذلك، فلا شيء تفعله غير ذلك. فقط دعه يستحوذ عليك. كلّما وثقتَ أكثر في الصوت الداخلي، أصبح أوضح وأعلى. كلّما وثقتَ فيه وتصرّفتَ وفقاً له، ستُدرك مع مرور الوقت أنّه لا تُوجد حاجة إلى التفكير في أيّ شيء.

يستمرّ الإله في اعطائك تلميحات، ولكنّك لا تُنصت. يستمر الإله في قول ما الذي يجب فعله، لكنّه يهمس بذلك، هذا صحيح. إنّه لا يصيح. بينما نحن مُمتلئون بالضجيج إلى درجة أنّ هذه الهمسات

تضيع. أنصِت إلى الصوت الداخلي، فهو صوت الإله. لا تستمع فقط، بل تصرّف وفقاً له. تحرّك ناحية الالتزام، وإلى جهة الاشتراك معه.

حينما تبدأ في التصرف بناءً على الصوت الداخلي، يكون الأمر أحياناً محفوفاً بالمخاطر، ولكن اِقبل بالمخاطرة، لأنّه فقط حينما تكون هناك مُخاطرة تكون هناك حياة، فقط حينما تكون هناك مخاطرة يكون هناك نمو. يجب عليك أن تحيا على نحو خطير. لو قال لك الصوت: «قُم بذلك»، افعلها ولا تشغل بالك كثيراً بالعواقب. فلا يهمّ أيّ شيء آخر.

سوف يُخبرك تفكيرك أحياناً أنّ هذا كثير جداً، فكّر فيه. بيد أنك إذا فكّرتَ، فستفقد صوتك الداخلي. إنّه يُفقد بالتفكير. لا تُفكّر، بل اِفعل. وسوف ترى أن كلّ فعل يُقرّبك أكثر فأكثر من الصوت. عندما تفعل ذلك مرات عديدة، وترى أنّ الصوت دائماً يأخذك إلى المكان الصحيح، لن يعود هناك شكّ، وعندها سوف يكون من المُمكن التخلّي عن التفكير البديل. علينا أن نُفكّر، لأننا نسينا كيف نُنصت إلى الإله.

إنّ الرجل الحقيقي صاحب الوعي لا يحتاج إلى التفكير، إذ أنّ الإله يستمرّ في تزويده بكلّ ما يحتاج إليه، حينما يُريده.

السؤال الثاني والثالث مُرتبطان:

السؤال الثاني.

«هل لديك نوع من الأدوات الغريبة في غرفتك، والتي تتحكّم عن طريقها أو تُغيّر مزاج كلّ الموجودين في الزاوية، فتجعل الجميع في المزاج نفسه أو مزاج مُشابه في الوقت نفسه؟ يبدو أنّ الجميع يمرّون بالدورة أو المرحلة ذاتها، ليس كأفراد بل كجماعة. فماذا يجري؟».

السؤال الثالث.

«هل يُوجد لاوعي جمعي في الزاوية؟ كلّ سؤال آخر قد فكّرتُ أن أسأله قد طُرح عن طريق شخص آخر، أو أجبت عليه بطريقة ما».

الثاني من «بيج بريم» والثالث من «أناند ساماثا».

هذا هو معنى الجماعة. إنّ الجماعة تُنمّي الروح على نحو بطيء جداً. إذا كانت الروح مفقودة، فإنّ الجماعة لا تكون جماعة، بل تكون حشداً، والحشد ليس له روح. عندما يكون للحشد روح، يكون جماعة، فهناك مركز حيث يلتقي الجميع.

أنا مركزكم. إنكم هنا بسببي. أنتم جميعاً هنا بسببي، إنّ كلّ واحد منكم مُرتبط معي بعمق. إنني أعمل كمركز لكم جميعاً. إنّ «بريم» مُرتبط معي، وكذلك «ساماثا» مُرتبط معي. وعندما تكونون جميعاً مُرتبطين معي، تُصبحون بصورة طبيعية مرتبطين مع الجميع، ويُصبح كلّ واحد مرتبط مع الجميع.

أنا فضاؤكم، جسركم، الذي تتحركون منه تجاه بعضكم. إذا كنتم تُحبونني حقاً، فسيحدث ذلك

أكثر وأكثر. قبل أن تسألوا السؤال، سوف يكون مُجاباً. قبل أن تسألوا السؤال، سوف يسأله الكثيرون. إنكم في حاجة فقط إلى الانتظار قليلاً.

سوف تكون هناك حالات مزاجية، حيث تمرّ الجماعة بمرحلة أو دورة في التوقيت نفسه. سوف يحدث هذا. كلّما اقتربتم مني أكثر، فسيحدث هذا أكثر. نعم، هناك شيء يجري. وقد شعر به «بريم» بصورة صحيحة.

إنكم تختفون كوحدات مُنفصلة.

هذا هو معنى «الكنيسة» الحقيقي. إنّ معنى «الكنيسة» هو أنّها جماعة. إننا نقوم بتجميع وعينا في فضاء واحد، ثمّ يُؤثر كلّ واحد منا في الآخر. وعندها تنشأ طاقة هائلة.

أنت لا تستطيع بمُفردك أن ترتفع عالياً جداً. أنت وحيد بمُفردك، لديك كلّ أنواع المُحددات. عندما تكون واحداً مع كثيرين، تكون هناك طاقة لانهائية مُتاحة، وتبدأ أشياء كثيرة في الحدوث، لا يُمكن أن تحدث عندما تكون بمُفردك.

على سبيل المثال، إنّ عارف الغيتار المُنفرد شيء، بينما الفرقة المُوسيقية شيء مُختلف تماماً. نعم، إنّ لاعب الغيتار المُنفرد جميل، بيد أنّ هناك نوعاً من المحدودية. إنّ عزفه لا يُمكن أن يكون ثرياً جداً. لأنّه لن يكون فيه أبعاد كثيرة، فهو مُنفرد. إنّ الفرقة الموسيقية أكثر ثراءً، إذ تتلاقى فيها أبعاد كثيرة، واتجاهات مُتنوعة، وأنواع مُختلفة من الآلات، والعديد من الفنانين الذين تجتمع طاقاتهم فيظهر التناغم. هذه هي ماهية الجماعة: إنّها فرقة موسيقية.

إنّكم تحشدون طاقاتكم معي.، ومن الطبيعي أنكم ستبدؤون في الإحساس بالنوع نفسه من التناغم، وسوف تسري الحالات نفسها عبر الجماعة كلّها.

إذا كنتَ وحيداً فمن الصعب أن تبقى مُستيقظاً، ولكن إذا كنتَ مع عدد من الأشخاص، تضحكون، تتحدّثون، تمزحون، تستطيع أن تبقى مُستيقظاً طوال الليل في مُنتهى السهولة. سوف يكون من الصعب على كلّ منكم أن يبقى مُستيقظاً طوال الليل، بيد أنه عندما تكونون مُجتمعين فالأمر بسيط. إنّ الطاقة الإجمالية كثيرة جداً: ضحك، مزاح، غناء، كلام، وهذا يُبقيك مستيقظاً.

هذه التجربة بأكملها هي من أجل تقديم نوع من «البوذية» إلى العالم. إنّ هذه الجماعة ليست جماعة عادية. إنّها تجربة من أجل استدعاء الإله. قد لا تكون واعياً بما يحدث. قد تكون واعياً بمشاكلك فقط. رُبّما أتيتَ إليّ فقط من أجل حلّ مُشكلاتك. هذا شيء ثانوي. إنني أُدبّر شيئاً آخر.

إنني أُحاول أن أخلق مساحة حيث يُمكن أن يتنزل فيها الإله أكثر وأكثر، وسوف تُصبح هذه الجماعة مثل حلقة وصل. لقد فقد العالم الاتصال، ولم يعُد الإله واقعاً. فيما يتعلق بهذا القرن، فإنّ «نيتشه» مُحقّ عندما قال إنّ الإله ميت. لقد فُقد الاتصال. إنّ الإله يُمكن أن يُوجد فقط من خلال الاتصال. سوف يكون الإله هناك. ونحن هنا، ولكن لا يُوجد جسر. إذاً، كيف لنا أن نعرف؟

إنّ هذه الجماعة هي تجربة لإنشاء الجسر. اِندمجوا أكثر وأكثر مع التناغم. جمّعوا طاقاتكم،

وتذكّروا أنّ التدفّق الصغير لا يستطيع الوصول إلى المحيط، بل سيُفقد في مكان ما، إنّه بعيد جداً، وسوف ينتهي في أرض صحراوية، وفي أرض قاحلة. بيد أنه لو تجمّعت العديد من التدفقات الصغيرة في تدفّق واحد، فستُصبح مثل نهر «الغانج»، عندها تستطيع أن تصل إلى المحيط. إنّ «الغانج» الأساسي حتى لا يستطيع الوصول بمفرده.

لو ذهبتَ إلى منبع نهر «الغانج»، سوف تجد أنّه مُجرّد قطرات متساقطة. في «غانجوتري»، منبع «الغانج» يُوجد فم بقرة رخامي ينبع منه نهر «الغانج». إنّه صغير جداً. كيف تأمل أن يبلغ المُحيط؟ بيد أنّ الملايين من الروافد، والسيول الصغيرة، والأنهار، يُجمّعون طاقاتهم، فيُصبح «الغانج» نهراً عظيماً لا يستطيع شيء أن يُوقفه حتى يصل إلى المُحيط.

إنّ الجماعة عبارة عن مُحاولة من أجل خلق «غانج» من الوعي. إنّه يحدث. وسوف يحدث اكثر فأكثر إذا أصبحتَ اكثر تعاوناً ووعياً به. لا تُحدث أيّ صراعات هنا. لا تُقاوم الأشياء الصغيرة. اِسترخ، تعاوَن. حتى لو كان عليك أن تفقد شيئاً ما. لا تخَف، لأنّ ما تفقده سوف يكون مكسباً في النهاية.

لا تجلب الأنا المزيفة إلى الأمر، وإلّا فسوف تُدمّر عملي. أرمِ الأنا المزيفة بعيداً، فهناك شيء أكثر قيمة يحدث هنا. عمّا قريب سوف يأتي الكثيرون، وسوف تُصبح أنت الأقدم، سوف تُصبح النموذج لما سوف يحدث لهم. قريباً سوف يأتي الكثيرون بالآلاف. وقبل أن يأتوا عليك أن تقوم بتجهيز الفرقة الموسيقية، وإلّا سوف تكون هناك ضوضاء هائلة.

هل لاحظتَ ذلك؟ لو أنّ هناك ثلاثين شخصاً يُغنّون بتناغم، بإيقاع، عندما تنضمّ إليهم، تبدأ فوراً في الاندماج مع التناغم والايقاع، ولكن إذا كانوا يُحدثون ضجيجاً، ولم يكن هناك تناغم ولا إيقاع، وكانت مُجرّد فوضى، فستُصبح أنت أيضاً فوضوياً.

إنني أعمل ببطء شديد كي أُضيف المزيد من الأشخاص إلى الجماعة. عمّا قريب سوف يُصبح هناك الآلاف. إنني أرغب عاجلاً أم آجلاً في إنشاء مدينة صغيرة، حيث يعيش الناس دون أنا مُزيفة تماماً. كلّما ازداد تواجد الناس هناك، سوف تكون هناك احتمالات أكبر للحدوث، للمعجزات، لأنّ الإله سوف يكون مُتاحاً أكثر. سوف تكون السماء أقرب إليك.

تذكّر ذلك دائماً، عندما تتدخل الأنا المزيفة الصغيرة يحدث الصراع. حينما يأتي النهر الصغير من أجل مُلاقاة «الغانج»، من الطبيعي أنّ الأنا المزيفة سوف تتدخّل، وتقول لك: «ماذا تفعل؟ سوف تنتهي، لن تكون نفسك بعد الآن. سوف تفقد هويتك. إذا سرت مع «الغانج» فستُسمّى «غانج»، وستفقد اسمك».

هذه هي ماهية المُريدية. في اللحظة التي تأخذ فيها المُريدية، تُصبح جزءاً مني وتنتهي. سوف تكون مُعرّفاً من خلالي، ولن تكون مُعرفاً بذاتك. هذه هي الشجاعة. عندما تأخذ المُريدية، فأنت ببساطة تندمج في نوع مُختلف تماماً من الوجود لأنك تندمج معي. إنّ المُريدية هي وفاتك، وإعادة ولادتك، وفاتك كأنا مزيفة، وإعادة ميلادك كوعي.

بيد أنّ النهر الصغير لو فكّر: «أنا لستُ مُستعداً من أجل فقدان نفسي داخل «الغانج»»، فسيُفقد في الصحراء، ويكون هذا انتحاراً. أمّا الاندماج في «الغانج» فليس انتحاراً. تتحوّل الأنهار الصغيرة في

«الغانج»، كي تُصبح نهراً كبيراً. إنّها فقط مسألة كيف تنظر إلى الأمر. إذا نظرتَ بإيجابية، يُصبح النهر الصغير أكبر. أنّه لم يعُد صغيراً، حبيساً في مجراه الضيق. إنّه الآن نهر «الغانج». إنّ كيان «الغانج» هو كيانه. هذه طريقة أُخرى من أجل النظر إلى الأمر، وهكذا يجب أن يكون موقفك.

حينما تنضم إليّ كمُريد، فأنت تتخلّى عن نفسك وتختفي. حينما تنضمّ إلى الجماعة يجب عليك أن تمحو نفسك تماماً. لو تبقّى جزء صغير مُتعلق هناك، فسوف تُسبب المتاعب لنفسك وللجماعة أيضاً. ولن تستفيد مني أبداً. هذا ما يحدث، وسوف يحدث أكثر وأكثر. كُن مُستعداً من أجله.

السؤال الرابع:

«إيان راند»، مُؤسسة فلسفة الموضوعية، أصابها الجنون وانتحرَت. كيف يُمكن أن يحدث هذا مع مثل هذا العقل المنطقي النادر؟».

هكذا يجب أن يحدث! لقد حدث ذلك بسبب هذا التفكير المنطقي العقلاني. إنّ التفكير العقلاني لا يستطيع تجاوز الانتحار والجنون. هذه هي الذروة، وهذا ما يجب أن يحدث. لو أنّ هناك شخصاً منطقياً وليس مجنوناً، فهذا يعني ببساطة أنّه ليس منطقياً بما يكفي. لو أنّ شخصاً منطقياً لم ينتحر بعد، فهذا ببساطة يعني أنّه شخص عادي، ولم يلمس ذروة المنطقية. لو أنّك وصلت إلى ذروة المنطقية، فستفقد الحياة كلّ معناها، لأنّ المنطق لا يستطيع أن يُعطي أيّ معنى. إنّ المنطق يأخذ بعيداً كلّ المعنى. إنّ المنطق مُدمّر، وسامّ.

إنّ الحُبّ هو الذي يُعطي الحياة معنى، إنّه الحُبّ الذي يتفتح ويُزهر، إنّه الحُبّ يُغني ويرقص، إنّه الحُبّ يُصبح احتفالاً. إنّ التفكير المنطقي مع مرور الوقت يفقد كلّ احتمالات الحُبّ، لأن الحُبّ غير منطقي على نحو كبير، ولا يستطيع التواجد مع المنطق. إنّهم يمنعان ويستبعدان بعضهما البعض. لو أحببتَ، فستُصبح غير منطقي، ولو كنتَ منطقياً بشدة، فستُصبح غير مُحِبّ. من دون الحُبّ، ماذا هناك كي نعيش عليه، نعيش به، نعيش من أجله؟ ماذا هناك؟

كانت «إيان راند» امرأة أنانية بشدة، عقلانية، واقعية. إنّ فلسفتها ذات طبيعة شديدة الأنانية. إذا كنتَ أنانياً بصورة مُطلقة، كيف تستطيع أن تكون مُحبّاً؟ إنّه أمرٌ مُستحيل. إنّ فلسفتها واقعية، ومادية تماماً. حينما تكون هناك المادة فقط، فإلى أيّ شيء سوف تُزهر، وليس هناك روح؟ يختفي كلّ البحث. وتُصبح الحياة باهتة، مُمّلة، ولا يُوجد فيها غموض. مع الروح يأتي الغموض والحياة، ومع الغموض يُوجد الفرح، لأنّ هناك امكانية البحث، الاستكشاف، التوسّع. هناك احتمالية أن يحدث شيء ما، يُمكن أن يحدث.

إنّ الإنسان أكثر ممّا يعرف. أنت أكثر ممّا تعرف. ليس هذا فقط، أنت أكثر ممّا تستطيع أن تعرف على الإطلاق، نظراً لأنّ حقيقتك الجوهرية تبقى غامضة، وتبقى دائماً غير معروفة، وغير قابلة للمعرفة. تستطيع أن تستمرّ في المعرفة أكثر فأكثر، ولكنّ هذا لن يُقلل من غموضك الخاص. هذا هو ما نعنيه بالروح، الغموض التامّ.

بالنسبة إلى «إيان راند» لم يكن هناك غموض. عندما لا يكون هناك غموض، كيف يُمكن أن تكون هناك حياة؟ عندئذ ماذا هناك نعيش من أجله؟ إنّ الانتحار يبدو خاتمة منطقية. إذا لم تُقدم على الانتحار، عندئذ يكون الجنون هو الخاتمة. يبدو أنّ هذين هما البديلان. إما أن تُصاب بالجنون، وهذا يعني

أن تكون لا منطقياً، وأن تتخلّى عن تفكيرك العقلاني، أو تُقدم على الانتحار، وتتخلّى عن هذه الحياة عديمة الفائدة.

لقد قال «جين بول سارتر»: «إنّ الإنسان شغف بلا فائدة». إنني أشعر الآن أنّ «سارتر» لم يكن منطقياً للغاية، والا لكان أقدم على الانتحار. لو أنّ الإنسان شغف دون فائدة، ولم يكن هناك معنى في الحياة، إذاً لماذا تستمرّ في العيش؟ لماذا تُفكّر في الغد، هل كنت سترغب في الوجود غداً؟ هذا غير منطقي أبداً. لو أنّه لم يحدث شيء من قبل إطلاقاً، لو لم يحدث شيء في الواقع، إذاً لماذا نستمرّ في العيش؟ لماذا نستمرّ في الأكل، ونستمرّ في النوم والاستيقاظ مرة بعد مرة؟ هذا مُثير للاشمئزاز.

هناك كتاب آخر لـ«سارتر» عنوانه «الغثيان»، ولكن يبدو أنّه لا يزال فلسفياً، ولم يتقبله على نحو وجودي، وإلا كان الانتحار هو الخاتمة المنطقية للفلسفة. إحترس. هذه الاحتمالات داخلك أنت أيضاً. لو أصبحتَ منطقياً للغاية، فالجنون أو الانتحار أو كلاهما سوف يكون الخاتمة.

هذا سبب أنني أُعلّمك الحُبّ وليس المنطق، الإحساس وليس التفكير، القلب وليس الدماغ. عندها يكون للحياة مثل هذا الجمال، مثل هذه السعادة، مثل هذا الفرح الذي لا يستطيع الإنسان أن يحتويه. إنّه كثير للغاية، إنّه يتدفّق بشدة، إنّه غامر جداً.

أنت سألتني: «إيان راند»، مُؤسّسة فلسفة الموضوعية، أصابها الجنون وانتحرت. كيف يُمكن أن يحدث هذا مع مثل هذا العقل المنطقي النادر؟». هذا السؤال من «شاديير ساراسواتي»، وأنا أقول هكذا يجب أن يحدث!

السؤال الخامس:

«أنا خائف بشدة من الموت. هل تستطيع أن تخبرني ما هو السرّ من أجل الوصول إلى الحياة الطويلة؟».

واصِل التنفّس!

السؤال السادس:

«إنني أُفكّر وأُفكّر منذ خمس سنوات في أخذ المُريدية، وإلى الآن لا إستطيع أن أُقرر ماذا يجب أن أفعل؟».

اِغرب عن وجهي!

السؤال السابع:

«هل يُمكن أن يُحبّ المرء جارته؟».

تأكّد أنّ زوجها ليس بالمنزل.

إذاً فأنت تُحبّ الجمل المُختصرة! بيد أنّ الإله لم يسمع عنها!

لقد سمعتُ...

لقد دعا الإله كُتّابه: «أيها السادة، لديّ عرض كبير الأسبوع القادم على جبل «سيناء» وأنا أرغب في بعض المواد».

سأل أحدهم: «ماذا عن: «لا تسرق»؟».

واقترح آخر: «لا تقتل».

«لا...».

رعد الربّ: «انتظروا! كم مرة قلتُ لكم إنني لا أستطيع استخدام الجمل المختصرة!». بيد أنّ الناس يُحبونها! أحياناً مُجرّد كلمة واحدة، غير مُفسّرة، غير مُرسلة، تدخل إلى الأعماق، تهبط في القلب كالبذرة، تستطيع أن تفتح الأبواب.

السؤال الثامن:

«إذا كنت لا تصنع المُعجزات، إذاً، كيف تحدث المعجزات لي؟».

السؤال من «تشامان بهارتي».

أنا لا أصنع المعجزات، بيد أنّها تحدث. إنّ حدوثها هو ظاهرة مُختلفة كلياً. إنّها تحدث كلّ يوم. أنا لا أصنعها، أنت مَن يصنعها، إنّها تحدث. إننا نخلق المساحة حيث يُصبح من المُمكن لها أن تحدث.

إنّ المُعجزات الحقيقية لا تُصنع إطلاقاً، إنّها تحدث. وهذه التي تُصنع ليست معجزات، وإنما مُجرّد ألعاب سحرية. عندما يكون الفاعل موجوداً، كيف يُمكن أن يكون هناك معجزة؟ إنّ المعجزة تعني شيئاً من عند الإله، شيئاً من الماوراء، شيئاً لم يفعله إنسان أبداً، ولكنّه فجأة تجسّد من اللاشيء.

يمتلك المسيحيون فكرة خاطئة جداً عندما يقولون: «لقد فعل «المسيح» هذا، وفعل «المسيح» ذاك». إنّ «المسيح» لم يفعل أيّ شيء، ولا معجزة واحدة. إنّ المعجزات تحدث، هذا حقيقي، وهي تحدث دائماً. إنّ الحياة بأكملها إعجاز هائل! لو كان لديك قليل من الانتباه فسترى مُعجزات ومعجزات في جميع الأنحاء. إنّ البرعم يتفتح كي يكون زهرة، وأنت لا تدعو ذلك مُعجزة، لأنّك أصبحت مُعتاداً جداً على ذلك. إنّ البذرة تنبت، تخرج من الأرض، وأنت لا تُسمّي ذلك مُعجزة. ماذا يُمكن أن تفعل المُعجزات أكثر من ذلك؟ إنّ مُجرّد قطرة ندى تنزلق على ورقة عشب، وأشعة الشمس تنعكس عليها، تبدو ثمينة للغاية. إنّ الوجود بأكمله ينعكس فيها. نجمة في الليل، طفل صغير يبتسم، امرأة تبكي وعيناها ممتلئة بالدموع، كلّها مُعجزات لأنّها جميعاً غامضة.

أنت مُملّ، ميت، غير حساس، ولذلك تستمرّ في تفويتها. وإلا فإنّها في جميع الأنحاء. وليست هناك حاجة إلى الفعل. على الإنسان فقط أن يكون مُدركاً.

السؤال التاسع:

«أوشو»، أنا أحبّ اسمي، ولكنني أحبّ النساء أيضاً».

السائل هو «سوامي برابو أنوراجي». الاسم يعني: مُحبّ الإله، ومن ثمّ هذا السؤال.

إنّه يقول: «أوشو»، أنا أُحبّ اسمي، ولكنني أُحبّ النساء أيضاً». مَن قال لك إنّ الإله ضدّ النساء، أو أنّ الإله ليس موجوداً في النساء؟ في الحقيقة، إنّ الإله موجود في النساء أكثر منه في الرجال. لقد شرد الرجال أكثر بكثير من النساء، اللواتي ما زلنَ أقرب إلى الطبيعة، أقرب إلى الإحساس، أقرب من الإله.

حينما تُحبّ امرأة، ما الذي تُحبّه فيها فعلياً؟ إنّ الإجابة ستكون مُختلفة مع أشخاص مُختلفين، وسوف يكون مختلفاً في أوقات مختلفة. لو أنّ الحُبّ ينمو فعلاً، فهذه هي الطريقة: في البداية تقع في حُبّ المرأة لأنّ جسدها جميل، فذلك هو أول جمال مُتاح: وجهها، عيناها، تناسقها، بهاؤها، رقصها، طاقتها النابضة. إنّ جسدها جميل. هذا هو الطريق الأول. أنت تقع في الحُبّ.

ثم بعد عدة أيام تبدأ في التعمّق في المرأة. تبدأ في حُبّ قلبها. الآن سوف يتكشف لك جمال أكثر. سوف يُصبح الجسد شيئاً ثانوياً، ويُصبح القلب هو الأولوية. لقد ظهرت رؤية جديدة، وقمة جديدة. إذا بقيت في حُبّ المرأة، عاجلاً أم آجلاً، ستجد قمة وراء قمة، عمقاً وراء عمق، ثمّ تبدأ في حُبّ روح المرأة. عندها لن يكون الأمر في قلبها فقط، الآن أصبح القلب شيئاً ثانوياً. إنّها الآن الشخص نفسه، الحضور، التألق، الحيوية، تلك الظاهرة المجهولة من كيانها، إنّها هي. إنّ الجسد بعيد جداً، كذلك القلب أيضاً قد ابتعد، وبقي الآن الكيان.

ذات يوم سوف يُصبح كيان هذه المرأة عينها بعيداً جداً. سوف تبدأ الآن في حُبّ صفات المرأة، أنوثتها، الأنوثة، ذاك التقبل. إنّها ليست الآن امرأة مُحددة على الإطلاق، إنّها ببساطة تعكس الأنوثة، شكلاً مُحدداً من الأنوثة. إنها الآن لم تعُد فرداً، إنّها تُصبح أكثر فأكثر كونية. سوف تختفي تلك الأنوثة أيضاً ذات يوم، فتُحبّ فيها الإنسانية. إنّها لم تعُد الآن مُجرّد نموذجاً للمرأة، إنّها نموذج أيضاً للرجل بالدرجة نفسها. تُصبح السماء أكبر وأكبر. وذات يوم لن تُحبّ الإنسانية، ولكن الوجود. إنّها موجودة، هذا كلّ ما تُريد، إنّها موجودة، إنّك تقترب كثيراً من الإله.

ثمّ تأتي النقطة الأخيرة: الآن سوف تختفي جميع هذه الصيغ والأشكال ويكون هناك الإله. لقد وجدتَ الإله من خلال امرأتكَ، من خلال رجلكِ. إنّ كلّ حُبّ هو صدى لحُبّ الإله.

إذاً، لا يُوجد داعي إلى القلق، «برابو أنوراجي» . لقد اعطيتُكَ اسم عاشق الإله، ولكنّ ذلك لا يعني أنّه يجب عليك أن تقضي على حُبّك للنساء، ولا يعني أنّه عليك أن تقضي على حُبّك لأيّ شيء. إنّه ببساطة يعني أن تتعمّق فيه أكثر، عليك أن تستمرّ في التعمّق فيه. نقِّب أكثر وأكثر، نقِّب أعمق، وستجد ذات يوم أنّ حبيبتك قد اختفت، وأنّ الإله واقف هناك، لأنّ الإله مختبئ في كلّ كيان، في كلّ شكل. إنّه ساكن في كلّ منزل. إنّ امرأتك منزل، معبد، وكذلك هو رجلِكِ.

إنني مع الحُبّ. حتى عندما تقع في حُبّ الجسد، فأنا لستُ ضدّه. إنّه الأبعد من الإله، لكن لا يزال له علاقة بـالإله. إنّه صدى صوت بعيد جداً، لكنّه لا يزال صدى الصوت، ويبقى الصوت الأصلي موجوداً في مكان ما. لا تدع حُبّك يتوقّف في أيّ مكان أبداً.

السؤال العاشر.

«كيف نُنهي الحكم على الناس؟».

لا يُوجد سبب كي تُوقف أو تُنهي الحكم على الناس، عليك أن تفهم لماذا تحكم على الناس وكيف تحكم.

إنّك تستطيع أن تحكم على السلوك فقط، لأنه وحده السلوك هو المُتاح. لا تستطيع أن تحكم على الإنسان لأن الإنسان مُختبئ خلف السلوك، وهو شيء غامض. تستطيع أن تحكم على التصرّف، بيد أنّك لا تستطيع أن تحكم على الكيان.

إنّ التصرّف ليس ذا صلة، ولن يكون صواباً أن تحكم على كائن من خلال التصرّف. قد يحدث أحياناً أن يبتسم رجل ما، هذا الفعل ظاهر هناك على السطح، ولكن في العمق قد يكون هذا الرجل حزيناً. في الحقيقة، رُبّما يبتسم لأنّه حزين. إنّه لا يُريد أن يُظهر حزنه أمام أيّ أحد، فلماذا يُظهر الإنسان جراحه أمام الجميع؟ لماذا؟ إنّه أمرٌ مُحرج. رُبّما يبتسم لأنّه يبكي في أعماقه.

لقد قال «نيتشه»: «إنني أستمر في الابتسام. يظنّ الناس إنني شخص مُبتهج جداً وهذا خاطئ تماماً. إنني اقوم بالابتسام لأنني أخاف إذا لم أضحك، أن أبدأ في البكاء. من أجل ذلك يجب عليّ أن أُحوّل طاقتي إلى مكان آخر، وإلّا سوف تُصبح دموعاً. قبل أن تُصبح دموعاً يجب أن تُصبح ضحكات». إنّ هذه الرؤية صحيحة تماماً. إنّ «نيتشه» أحد أكثر الرجال شديدي الإدراك الذين ولدوا على سطح الأرض على الإطلاق. إنّ الدموع والابتسامات قريبة جداً.

تقول النساء لأطفالهنّ في القرى «الهندية»: «لا تضحكوا كثيراً وإلّا سوف تبدأون في البكاء»، وذلك يحدث. لو ضحك الطفل بشدة فسيبدأ في البكاء. إنّ الدموع والابتسامات قريبة للغاية. لو أردتَ أن تُخفي دموعك فإنّ أفضل طريقة هي الابتسام، وهذا أحد أسباب ابتسام الناس. إنّ مُجرّد رؤيتك لوجه مُبتسم، لا يجعلك تستطيع أن تحكم على ما يحدث في الداخل. إن الداخل ليس متاحاً لك، فهو شيء خاص، غير مُتاح لأيّ شخص.

من أجل ذلك، فإنّ أول شيء يجب أن تفهمه هو أنّك تستطيع فقط أن تنظر إلى السلوك، في حين أنّ السلوك لا يعني الكثير، وكلّ ما يهمّ حقاً هو الإنسان خلف هذا السلوك، وأنت لا تعرفه. إنّ حكمك سوف يكون خاطئاً، وأنت تعرف ذلك، لأنّه حينما يحكم عليك الناس من خلال تصرفاتك، تشعر دائماً أنّهم قد أساءوا الحكم عليك. إنّك لا تحكم على نفسك من خلال أفعالك، بل تحكم على نفسك من خلال كيانك. وهكذا يشعر الجميع أنّ جميع الأحكام غير مُنصفة. إنّك تشعر أنّ الأحكام غير مُنصفة، لأنّ كيانك مُتاح بالنسبة إليك، فالكيان ظاهرة كبيرة، بينما الفعل ضئيل وصغير. إنّه لا يُعرّف أيّ شيء، بل قد يكون مُجرّد شيء لحظي.

أنت قلت شيئاً لشخص ما، فأصبح غاضباً، لكن لا تحكم عليه من خلال غضبه، لأنّه قد يكون مُجرّد انفعال لحظي، من شخص مُحب للغاية. لو حكمتَ عليه من خلال غضبه، فقد أسأتَ الحكم عليه. وعندها سيعتمد سلوكك على حكمك، وسوف تنتظر دائماً أن يغضب الرجل، وتعتقد دائماً أنّه شخص غاضب، وتقوم بتجنّبه. لقد ضيّعتَ الفرصة. لا تحكم أبداً على أيّ أحد من تصرفاته، ولكن إذا كان هذا هو

الشيء الوحيد المُتاح، ماذا تفعل؟ لا تحكم.

مع مرور الوقت كُن أكثر فأكثر وعياً بخصوصية الكيان. إن كلّ كيان في داخل روحه الخاصة يُعتبر خاصاً جداً ولا تُوجد أيّ طريقة لاختراقه. حتى عندما تُحبّ، يبقى هناك شيء ما في داخلك الأعمق خاصاً. إنّها كرامة الإنسان. هذا هو المقصود عندما نقول إنّ الإنسان يمتلك روحاً، فإنّ الروح تعني هذا الشيء الذي لا يُمكن أن يُصبح عاماً، والذي يبقى شيء منه دائماً في العمق، مفقوداً في بعض الغموض.

لقد سمعتُ...

تمّ استدعاء رجلين إلى أحد المنازل، وطُلب منهما أن يقوما بحمل بعض القمامة إلى مكبّ النفايات. وبعد أن قاما بملء الشاحنة كان صندوق الشاحنة الخلفي يفيض بالقمامة.

قال رجل منهما: «قد نعلق في مشاكلّ مع الشرطة، إذا قمتَ بقيادة السيارة عبر المدينة وبدأت القمامة تطير في الشارع».

قال الرجل الآخر، لا تقلق، لديّ فكرة. قُد أنت، وأنا سوف أفرد جسدي فوق القمامة، وهذا سيمنعها أن تطير».

في الطريق إلى مكب النفايات مرّوا من تحت جسر. وبينما هما تحته، كان هناك رجلان يقفان أعلى الجسر وينظران إلى الأسفل، فرأيا الرجل راقداً فوق القمامة، ويداه ورجلاه متفرقين على وسعهما.

قال أحد الرجال: «إنظر إلى ذلك! لقد تخلّص أحدهم من رجل جيد تماما!».

من النظرة الخارجية هذا ما نستطيع أن نحكم عليه، بينما من الداخل هو دائماً خاطئ.

شاهِده مراراً وتكراراً، إفهمه مراراً وتكراراً، إنفذ إليه مراراً وتكراراً، ولن يكون عليك أن تتخلّى عن الأحكام، إنّها سوف تنتهي من تلقاء نفسها.

لاحِظ فقط. حينما تحكم، فأنت تقوم بشيء أحمق. إنّ حكمك لا ينطبق على الشخص على الإطلاق، إنّه يُمكن أن ينطبق فقط على الفعل، في حين أنّ هذا الفعل أيضاً مُنتزع من سياقه لأنك لا تعرف حياة الشخص بالكامل. إنّه مثل أن تقوم بنزع صفحة من رواية وتقرأها، وتحكم على الرواية من خلالها. هذا ليس صحيحاً، إنّها خارج سياقها. قد تكون الرواية مجموعة شيئاً مُختلفاً تماماً. رُبّما تكون أخذتَ الجزء السلبي، الجزء السيء.

بيد أنّك لا تعرف حياة أيّ شخص في مجملها. لقد عاش الرجل أربعين عاماً قبل أن تأتي لمقابلته. هناك أربعون عاماً من السياق موجودة. إنّ الرجل سوف يعيش أربعين عاماً أُخرى بعد أن تُغادره. سوف تكون هذه الأربعون عاماً من السياق موجودة. في حين أنّك رأيت الرجل، وحكمت عليه من مُجرّد موقف واحد منه. هذا ليس صواباً، بل غباء، ولن يكون حكمك ذا صلة بالرجل نفسه.

إنّ حكمك سوف يُظهر شيئاً عنك أكثر ممّا يُظهر عن الرجل. «لا تحكم حتى لا يتمّ الحكم عليك»، هذا ما قاله «المسيح». إنّ حكمك يعكس شيئاً عنك، وليس شيئاً عن الشخص الذي تحكم عليه، لأنّ

ماضيه يبقى غير متاح بالنسبة إليك. إنّ كلّ السياق مفقود، هناك فقط لمحة لحظية، وتفسيرك سوف يبقى تفسيرك الشخصي. سوف يظهر شيء ما عنك أنت.

من خلال رؤية ذلك، سوف يختفي الحكم.

السؤال الأخير:

السؤال الحادي عشر.

«أوشو» ، هل كلّ الكلمات بلا فائدة؟».

ليس جميعها. كيف يُمكن أن تكون كلّ الكلمات عديمة الفائدة؟ إنّ الكلمات مُفيدة طالما الأمر يتعلّق بالعالم الخارجي، في حين لا تكون الكلمات مُفيدة عندما تكون أنت المعني بالأمر، ويكون الحديث عن الداخل. حينما تبدأ في التحرك إلى الداخل سوف يكون عليك أن تتخلّى عن الكلمات. إنّها غير ضرورية. إنّها تمثل عليك عبئاً غير ضروري، إنّها تشويش، ضوضاء.

حينما تذهب إلى الخارج وتُقابل الناس، تحتاج إلى اللغة. عندما تتحدّث عن أشياء، فأنت في حاجة إلى اللغة. إنّ اللغة مُلائمة تماماً للعالم، وإلّا ستكون هناك صعوبة بالغة. لو ذهبتَ إلى السوق، وكنتَ تُريد أن تشتري شيئاً ما، ستكون في مأزق دون الكلمات، وسوف يكون الأمر مضيعة للوقت دون ضرورة. إنّ الكلمات أدوات ذات فائدة هائلة.

لو أردتَ أن ترى ذلك، قُم بالذهاب إلى السوق، وحاول أن تشتري شيئاً دون كلمات. كلّ شيء صغير سوف يستغرق الكثير من الوقت والكثير من المُعاناة، وسوف يُحاول كلّ بائع أن يتجنّبك: «من فضلك اِذهب إلى مكان آخر». سوف تكون مصدر إزعاج.

تكون الكلمات في العالم مُفيدة للغاية، أمّا في الرحلة الداخلية فهي ليست مُفيدة لأنّها غير ضرورية على الإطلاق. إنّك بمفردك، إذاً ما الحاجة إلى الكلمات؟ عندما تكون مع احد ما، تكون الكلمات ضرورية.

إذا كنتَ تعمل في نوع من الواقع الموضوعي، نوع من العمل العلمي، فإنّ الكلمات مُفيدة، والتفكير ضروري. عليك أن تكون في غاية التأكّد والدقة. إنّك تُفكّر بالمنطق. لكن إذا كنت تتأمل، تتجه نحو الإله، فلا تُوجد حاجة إلى الكلمات. إنّ الصمت هو البيئة المناسبة لذلك.

من أجل ذلك، فإنّ الاستماع إليّ، وسماع أنّ الكلمات ليست ضرورية مراراً وتكراراً، وأنّ الكلمات عديمة الفائدة، لا تُسئ فهم قصدي.

تأمّل هذه القصة القصيرة.

ذهب رجل إلى الطبيب وقال له: «دكتور، أُريد أن أُخصى».

قال الطبيب: «ماذا! هذه عملية قاسية للغاية، هل أنت مُتأكّد؟».

قال الرجل: «مُتأكّد تماماً».

«قال الطبيب: «هل أنت مُتزوّج، أو لديك صديقة بصورة مُنتظمة؟».

«قال الرجل: «إنني متزوج، لكن ما علاقة هذا بالموضوع؟».

قال الطبيب: «حسناً، سوف يكون من الأفضل أن تُناقش الأمر مع زوجتك، فسيُؤثر عليها أيضاً».

قال المريض: «نعم، ولكن لبعض الوقت فقط».

قال الطبيب: «بصرف النظر، أعتقد أنّه يجب أن تسألها الليلة، وإذا ما زلتَ تُريد أن تقوم بها غداً، فسأحجز لك في المستشفى. إنّها عملية سريعة جداً وسوف تخرج في خلال يوم واحد».

عاد الرجل في اليوم التالي مؤكّداً الوضع وتمّ إيداعه ذلك الصباح، وتمّت العملية، وكان راقداً على السرير بعد ظهر ذلك اليوم، خارجاً من التخدير. كان ينظر حوله مُبتسماً، ويشعر بشعور جيد، فغمز إلى الرجل في السرير المُجاور وقال مُبتهجاً: «مرحباً، ما الذي جاء بك إلى هنا؟».

قال الآخر: «أوه، لقد جئتُ من أجل عملية الختان».

نقر المريض المخصي أصابعه، وأطلق صفارة من بين أسنانه وقال: «سحقاً، هذه هي الكلمة التي كنتُ أحاول البحث عنها!!!».

حقاً، حقاً آخر سؤال:

السؤال الثاني عشر.

«الحبيب «أوشو» لقد عثرتُ على الإجابة. إنّ قلبي مليء بالفرح حيث كان هناك دائماً ألم. إنني أشعر وبدهشة كبيرة أنّه حقيقي، لديّ اختيار. إنني أنحني بامتنان». «فاني».

هذا أمرٌ هامّ. إنّه مُهمّ لكم جميعاً. هناك دائماً اختيار. إذا كنتَ بائساً، فهذا اختيارك. لا تُلقِ بالمسؤولية على أيّ أحد. لو ألقيتَ بالمسئولية على شخص آخر، فستبقى بائساً. عندما تُلقي بالمسؤولية على شخص آخر ، أنت تتخلّى عن حرّيتك، إنّك تُلقي حريتك في الاختيار جانباً.

يجب أن يكون هذا أحد أهمّ المبادئ الأساسية هنا: إنّ الشقاء أو السعادة هما اختياراتك. دعه يتغلغل داخلك بعمق. أنت اخترت ذلك. حينما تكون تعِساً، فقد اخترتَ أن تكون تعِساً. لا يُوجد عذر آخر. بمُجرّد أن تستوعب ذلك سوف تتحرر من السجن. إنّ الأمر متروك إليك.

لقد سمعتُ عن ناسك صوفي عظيم، كان دائماً سعيداً. مُبتهجاً، راضياً.

سأله تلميذ: «أيها المُعلّم، إنّك دائماً تبدو سعيداً. لقد كنتُ أُراقبك منذ عدة سنوات، وفي مواقف كثيرة. لقد راقبتك عدة سنوات يوماً بعد يوم. لقد مرّت كلّ أنواع المواقف، ولكنّك تبقى سعيداً دائماً. ما

سرك؟».

قال المُعلّم: «ليس هناك سرّ في ذلك. أيّ كان الموقف الذي يُواجهني، فأنا دائماً أملك الاختيار: أن أكون سعيداً أم أكون تعِساً. أنا دائماً أختار أن أكون سعيداً.

جرّب ذلك. إنّها وصفة سحرية. في كلّ موقف، اِنظر قبل أن تُصبح سعيداً أو تعِساً، اِنظر. هل هناك إمكانية كي تكون سعيداً؟ وستجد دائماً أنّ هناك إمكانية. هناك دائماً شيء تكون سعيداً بشأنه. لو أردتَ أن تكون تعِساً، عندها ستجد دائماً شيئاً تكون تعساً من أجله.

إنّ العالم مُمتلئ بالأشواك، وممتلئ بالورود. إنّه ليس إمّا حوض ورد أو حوض شوك، إنّه مُمتلئ بالاثنين. إنّ الأمر متروك لك. تستطيع أن تختار الورود، وتصنع سريراً من الورود، وتنام على سرير من الورود. أو تستطيع أن تختار الأشواك وتُعاني. إنّ الجحيم من صنعك، وكذلك الجنة.

إنّ «فاني» حالة مهمة. لقد طلبَت «فاني» أن تأتي إلى الزاوية مراراً تكراراً على مدى عامين، أو ثلاثة أعوام، وكنتُ أُؤجلها. لقد أخبرتها «إنّكِ مطلوبة هناك». لقد كانت مُضيفة طيران في الخطوط الجوية الألمانية، وكان راتبها جيداً، ولكنّها كانت مُصرّة .

لماذا كنتُ أؤجلها؟ لماذا كنتُ أقول لها: «فقط اِنتظري قليلاً؟»، لأنّها كانت دائماً تعِسة جداً ولم أكن أُريد أشخاص تعساء هنا. إنّ شخصاً بائساً واحداً كافياً كي يخلق تعاسة كبيرة في الآخرين، لأنهم لم يلبثوا طويلاً بعد أن خرجوا من بؤسهم، وعندما يرون شخصاً بائساً للغاية، يميلون إلى أن يعودوا إلى عادتهم القديمة. ثمّ يبدأون في مُنافسة الشخص البائس: «ماذا! هل تعتقد أنّك أكثر مني بؤساً؟ أنا أستطيع أن أهزمك».

من أجل ذلك، فقد أجّلتُ «فاني»، ولكنها كانت مُصرّة، اصراراً ألمانياً، وفي النهاية أتت. وبالطبع، بقيت بائسة طوال الأشهر القليلة التي قضتها هنا. لقد ازدادت بؤساً أكثر فأكثر. بيد أنّ الأمر كان نعمة لها، فقد فهمَت الحقيقة. لقد كنتُ أُخبرها مراراً وتكراراً، وبشتى الطرق أنّ هذا هو اختيارها. لقد تحررَت منه. أتمنى أن تبقى بعيدة عنه. سوف يكون الأمر صعباً. لأنّ العادات القديمة تموت بصعوبة. حيث يميل الإنسان إلى العودة إليها، فهي مُريحة جداً ومُناسبة. إنّ الإنسان يشعر بشعور جيد عند العودة إلى العادات القديمة، فهو يعرفها منذ فترة طويلة. إنّه متآلف معها ومُعتاد عليها كثيراً. أما الجديدة فهي صعبة جداً.

من أجل ذلك، «فاني»، هذا جيد. لقد كنتُ أنتظر أن يحدث ذلك يوماً ما، وقد حدث. أنتِ تقولين: «الحبيب «أوشو» لقد عثرتُ على الإجابة. إنّ قلبي مليء بالفرح حيث كان هناك دائماً ألم. إنني أشعر وبدهشة كبيرة أنّه حقيقي، لديّ اختيار. إنني أنحني بامتنان».

اِستمري في تذكّر ذلك. لا تنسي ذلك لحظة واحدة. سوف يكون عليكِ أن تتذكّريه أياماً قليلة. بمُجرّد أن يُصبح المناخ الخاص بكِ، عندها لن يستطيع القديم أن يتفوّق عليه. لقد كان القديم بشعاً للغاية، بينما الجديد جميل جداً. يبدو الجديد وكأنّه من الجنة، بينما القديم كان كابوساً من الجحيم. إنّه لا يستطيع أن يتفوّق عليه. بيد أنّ الجديد يحتاج إلى القليل من الوقت حتى يتأصّل في كيانك.

أنا سعيد «فاني»، اِسبحي بمباركة مني عميقاً في فضائك الجديد.

***

الفصل الحادي عشر

الطريق الملكي

6 سبتمبر 1977 صباحاً في قاعة «بوذا».

إنّ الصوفي العريق، «الجنيد»، كان قد تعلّم بطريقة المثال التوضيحي، والتي كان من خلالها يعيش بالفعل الدور الذي كان يُحاول إيضاحه. إليك هذا المثال:

لقد تمّ العثور عليه ذات مرة بواسطة مجموعة من الباحثين، جالساً مُحاطاً بكلّ ما يُمكن تخيّله من وسائل الرفاهية.

ترك هؤلاء الأشخاص حضرته وقصدوا بيت أكثر رجال الدين تقشفاً وزهداً، والذي كان محيطه بسيطاً جداً إلى درجة أنّه لم يمتلك شيئاً سوى سجادة وإبريق ماء.

قال المُتحدّث باسم الباحثين: «إنّ أخلاقك البسيطة وبيئتك المُتقشفة أقرب لأن تستحوذ على إعجابنا من التجاوزات المبهرجة والصادمة عند «الجنيد»، والذي يبدو أنّه أدار ظهره عن طريق الحق».

تنفّس المُتقشف نفَساً عميقاً وبدأ في البكاء.

قال: «أصدقائي الأعزاء، أنتم ملوثون بسطحية المظاهر الخارجية التي تُحيط الإنسان من كلّ اتجاه، اِعرفوا ذلك، وتوقّفوا أن تكونوا من التعساء! إنّ «الجنيد» العظيم مُحاط في هذه اللحظة بمظاهر الترف، لأنّه منيع أمام الترف . وأنا محاط بالبساطة لأنني منيع أمام البساطة».

إنّ الاعتقاد في أسطورة التغيير هو أخطر أنواع الاعتقاد. لقد عانى الإنسان منه كثيراً، أكثر بكثير من أيّ نوع آخر من الاعتقادات. أسطورة التغيير، وأنّ هناك شيئاً أفضل يُمكن أن يحدث، وأنّ الإنسان يُمكن أن يُحسّن من نفسه، وأنّ هناك مكاناً يُمكن الذهاب إليه، وأنّ هناك شخصاً يُمكن أن يُصبحه، وأنّ هناك نوعاً من المدينة الفاضلة، هذه الأسطورة أفسدت العقل البشري بصورة لا نهائية على مرّ العصور. لقد كانت تسميماً مُستمراً.

إنّ الإنسان هناك بالفعل. لقد كان الإنسان طوال الوقت ما يُريد أن يكون، وهو ليس في حاجة أن يتغيّر من أجل أن يكون. كلّ ما هو مطلوب هو الفهم، والوعي، وليس التغيير. إنّ التغيير لن يمنحك الكيان. عن طريق التغيير ستبقى باستمرار في كرب، وفي توتر، لأنّ التغيير يعني أنّ الهدف في مكان آخر، وأنّ

الهدف ليس هنا إطلاقاً، وليس الآن، وأنه بعيد، وأنه عليك أن تُناضل من أجله وتكون حياتك كلّها كفاح. تستطيع أن تستمرّ في الكفاح، ولن تجده لأنّ الهدف هنا والآن، في حين أنّك تنظر بعد ذلك وهناك.

إنّ كيانك موجود في الحاضر، وكلّ الأفكار عن أن تُصبح هي إسقاطات على المستقبل. من خلال الإسقاط على المستقبل، تستمرّ في فقدان الحاضر. تلك هي طريقة الهروب من الواقع. إنّ فكرة أنّه يجب عليك أن تكون شيئاً هي الفكرة التي تُبعدك عن كيانك الحقيقي، عن كيانك الأصلي. أنت بالفعل هذا، ولذلك أقول إنّ أسطورة التغيير هي احدى أشد الأساطير خطورة.

يمتلك الأمر بُعدين، أحدهما سياسي، والآخر ديني.

البعد السياسي هو أنّ المجتمع يُمكن أن يتحسّن، وأنّ الثورة يُمكن أن تُساعد، وأنّ هناك المدينة الفاضلة التي يُمكن أن نُحققها. من أجل هذه الأسباب، كان السياسيون قادرين على التعذيب، القتل، الاستغلال، الاضطهاد. بينما كان الناس يُعانون على أمل أنّ الثورة سوف تحدث. بيد أنّ تلك الثورة لم تحدث أبداً. إنّ الثورات تأتي وتذهب بينما يبقى المجتمع كما كان دائماً.

إنّ أمثال «هتلر» ،»ستالين»، «ماو»، قادرون على استغلال الناس من أجل مصالحهم الخاصة. وإذا أردت أن تصل إلى المدينة الفاضلة، إلى بلاد العجائب، إلى الجنة، فمن الواضح أنه عليك أن تدفع من أجل ذلك. إنّ البعد اللانهائي للأسطورة، هو أنّ هناك شيئاً أفضل ليس موجوداً في الوقت الحالي، ولكنّه يُمكن أن يكون يوماً ما، وعليك أن تُضحّي من أجله. لقد قُتل الملايين من الناس في «روسيا السوفيتية»، وتمّ تعذيبهم بطرق لا إنسانية، من أجل مصالحهم الخاصة. يقول المنطق إنّكم إذا أردتم أن يكون لديكم مُجتمع أفضل، مَن الذي سوف يدفع المقابل؟ أنتم مَن سيدفع الثمن، هذا طبيعي. من أجل ذلك، لا يستطيع الناس أن يثوروا، ولا أن يُقاوموا حتى. لو قاوموا سيبدون كأنّهم أعداء الثورة. إنّ هذه الأسطورة راسخة في أعماق التفكير إلى درجة أنّهم يتحمّلون كلّ أنواع الذل على أمل أنّه إذا لم يستطيعوا أن يعيشوا في العصر الذهبي، فسيعيش فيه أطفالهم. هذا هو الاتجاه المُستمر للعصاب نفسه.

أمّا البعد الديني فهو أنّك تستطيع أن يكون لك مستقبل أفضل، إذا لم يكن في هذه الحياة، ففي الحياة الأُخرى. بالطبع، عليك أن تُضحّي. إذا ضحيتَ بالحاضر، فستمتلك المُستقبل.

هذا المستقبل لا يأتي أبداً. إنّ المُستقبل لا يُمكن أن يأتي في حدّ ذاته. إنّ الغد ليس مُمكناً، إنّه دائماً اليوم. إنّ الحاضر دائماً هو الموجود، بينما المستقبل موجود فقط في التفكير، في الخيال. إنّه حلم، وليس جزءاً من الواقع.

لقد تمّ تناول الأسطورة السياسية من قبل الساديين، أولئك الذين يُريدون أن يُعذبّوا الآخرين. بينما تمّ تناول الأسطورة الدينية من قبل المازوشيين، أولئك الذين يُريدون أن يُعذبوا أنفسهم. عذّب نفسك، صُم، لا تنم، لا تفعل هذا، لا تقُم بذلك. هذا هو كلّ السرّ فيما يُسمّى موقف التقشف تجاه الحياة: عذّب نفسك. ومن الطبيعي، أن يكون جسدك منهكاً، عاجزاً، فهو لا يستطيع الاحتجاج، ولا يستطيع أن ينقلب ضدّك.

هناك احتمال أن يتمرّد الناس على السياسيين، ولكن ما هي امكانية أن يتمرّد عليك جسدك؟ لا تُوجد امكانية لذلك .إنّ الجسد برئ للغاية، ضعيف. تستطيع أن تستمرّ في تعذيبه، وتستمرّ في الشعور بقوتك الهائلة لأنّك تستطيع أن تُعذّبه، وتستمرّ في قتله، كي تشعر بالقوة، وتصل إلى أنا مزيفة كبيرة.

يُوجد نوعان من الناس في العالم: الساديون الذين تتكون متعتهم من تعذيب الآخرين، والمازوشيون الذين تتكوّن متعتهم من تعذيب أنفسهم، بيد أنه العنف نفسه، والعدوانية نفسها. إنّ السادي يُلقي بالعدوانية على شخص آخر، بينما ينقلب المازوشي على نفسه. نظراً لأنّ السادي يُعذّب الآخرين، فإنّهم سيتمرّدون عاجلاً أم آجلاً، ولكن حينما يُعذّب المازوشي نفسه فلا يُوجد مَن يثور.

في الحقيقة، بمُجرّد أن يُصبح كلّ الثوار في السلطة، يفقدون الاحترام مع مضي الوقت، وعاجلاً أم آجلاً يتمّ خلعهم من السلطة، وتنتهي قوتهم، ويُعتقد أنّهم مجرمون. إنّ تاريخك بأكمله يتكوّن من هؤلاء المجرمين. إنّ تاريخكم ليس تاريخ البشرية لأنّه ليس تاريخاً إنسانياً. كيف يُمكن له أن يكون تاريخ البشرية؟ إنّه ليس تاريخ البشرية، إنّه فقط تاريخ السياسة، التضارب السياسي، المُعاناة، الحروب.

إنّه كأنك تكتب تاريخ اللصوص والقتلة وتُسمّيه تاريخ البشرية. إنّ الثوار قتلة بارعون، إنّهم ليسوا قتلة عاديين، وإلّا لكانوا سيكونون في السجن، أو محكوم عليهم بالإعدام. إنّهم أشخاص أقوياء. إنّهم يمتلكون القوة، وإلى أن تذهب قوتهم، سيُعبدون مثل الإله. بيد أنّ قوتهم ستنتهي عاجلاً أم آجلاً. لقد جاء اليوم الذي لم يعُد فيه «هتلر» مُحترماً، بل أصبح اسماً قبيحاً وقذراً. سيأتي اليوم الذي لا يعود فيه «ستالين» مُحترماً، بل سيحدث العكس تماماً.

بيد أنه في البُعد الآخر، البُعد الديني من الأسطورة، هناك التقشّف، التعذيب النفسي، المازوشية، إنّ الناس لم يصلوا إلى معرفة حقيقة هؤلاء لأنّهم لم يُعذبوا أيّ شخص آخر إطلاقاً. إنّهم يُعذبّون أنفسهم فقط. يستمرّ الناس في احترامهم. إنّ الناس يحترمونهم بشدة لأنّهم غير ضارين بأيّ أحد ماعدا أنفسهم. هذا شأنهم. لقد كان المُتقشفون مُقدّسون دائماً، بيد أنّ التقشف نوع من العصاب، إنّه ليس أمراً طبيعياً.

عندما تُسرف في الأكل، فهذا شيء غير طبيعي، وعندما تصوم هو أيضاً شيء غير طبيعي. إنّ القدر الصحيح من الطعام هو الوضع الطبيعي. أن تكون في المنتصف يعني أن تكون طبيعياً. عندما تكون في المنتصف تماماً فهذا يجعلك سليماً وكاملاً ومُقدّساً.

إذا ذهبتَ إلى نهاية أحد الطرفين، تُصبح سياسياً. وإذا ذهبت إلى النهاية الأُخرى، تُصبح مُتديناً مُتعصباً، مُتقشفاً. إنّ كليهما قد فقد الاتزان.

هكذا، فإنّ أول شيء تفهمه هنا هو أنّ المُتديّن الذي نخلقه هنا، والذي يجب أن نُشكّله مرة بعد مرة لأنّه يفسد مراراً وتكراراً، والدين الذي نستحضره هنا ليس سياسياً، ولا هو حتى بالمعني العادي للمُتديّن. إنّه ليس مُتقشّفاً ولا مازوشياً. إنّه طبيعي. إنّه في المنتصف.

ما الطريقة كي تكون في المنتصف؟ إنّ الطريقة كي تكون في المنتصف هي أن تكون في العالم ولا تكون جزءاً منه. أن تعيش في العالم، ولكن لا تسمح للعالم أن يعيش فيك.

أن تكون في المنتصف تماماً، وتكون مُتوازناً يعني أنّك شاهد على كلّ ما يحدث لك. إنّ المراقبة هي الأساس الوحيد للدين الحقيقي الأصيل. أيّ ما يكون، يجب أن تتمّ مُراقبته بفرح، وابتهاج. لا يجب أن يُرفض أو يُنكر أيّ شيء. فكلّ الرفض، والنكران سيجعلك محدوداً، وستبقى في صراع. يجب أن يتمّ قبول كلّ شيء كما هو.

يجب أن تُصبح مُراقباً. تأتي البهجة، راقِب. يأتي الألم، راقِب. لا تجعل البهجة تزعجك، ولا تجعل الألم يُزعجك. اِسمح لهدوئك أن يبقى دون قلاقل. اِسمح لسكونك أن يبقى دون تشويش. سوف يأتي الألم ويذهب، ويأتي السرور ويذهب، ويأتي النجاح ويذهب، ويأتي الفشل ويذهب. قريباً سوف تصل إلى فهم نقطة أنّه أنت فقط مَن يبقى. هذا هو الشيء الأبدي. هذه المراقبة هي الأبدية.

إنّ المحتويات التي تتدفّق في الوعي مُؤقتة. ففي لحظة تكون موجودة، وفي لحظة أخرى تختفي. لا تقلق حيالها، لا تكن مُؤيداً لها ولا تكن ضدّها. لا تُحاول أن تتملكها، ولا تتمسّك بها، لأنها سوف تنتهي. إنّها طبيعة الأشياء فهي لا يُمكن أن تكون دائمة.

عندما يحدث شيء سار، لا يُمكن أن يكون دائماً. سوف يكون عليه أن ينتهي، وفي أعقابه، يكون هناك شيء غير سار يستعدّ كي يحدث. إنّ تناغم الحياة في تعاقب الليل والنهار، الحياة والموت، الصيف والشتاء. وتستمرّ العجلة في الدوران.

كُفّ عن التعلق ولا تُحاول أن تجعل شيئاً ما دائماً ومستمراً بقوة. فهذا غير مُمكن. كلّما حاولتَ اكثر، أصبحتَ أكثر احباطاً، لأنّه غير قابل للتنفيذ، وحينها تشعر بالهزيمة لأنك لم تفهم شيئاً بسيطاً: لا يُمكن أن يكون هناك شيء ثابت، فالحياة عبارة عن سريان. هناك شيء واحد موجود إلى الأبد وهو وعيك الخاص، المراقب الأعمق الداخلي.

يُسمّيه الصوفيون: «المُراقب من أعلى التلال». حيث تستمرّ الوديان في التغيّر، بينما يبقى المُراقب على قمّة التل. أحياناً يكون الوادي مُظلماً، وأحياناً مُضيئاً، وأحياناً يكون هناك رقص وغناء، وأحياناً يكون هناك نحيب وبكاء، بينما يجلس المراقب على قمة التل ويستمرّ في المراقبة فقط.

مع مُضي الوقت لا يُؤثر محتوى الوعي، ويُصبح الوعي فقط هو المُهمّ. هذا هو الأساس الجوهري في الدين الحقيقي، وهذا هو فهم الصوفيين.

قبل أن ندخل إلى هذه الحكاية الرمزية الصغيرة اليوم. دعوني أُخبركم أنّ هناك أربع طرق من أجل الوصول إلى الحقيقة، والاتصال بها.

الطريقة الأولى معروفة في الشرق تحت اسم «الكارما يوغا»، أي طريق العمل. يمتلك الإنسان داخله ثلاثة أبعاد: العمل، المعرفة، الشعور. وعليه هناك ثلاث طرق تستخدم هذه الأبعاد الثلاثة. تستطيع أن تعمل في استغراق تامّ، وتستطيع أن تهب عملك إلى الإله. إنّك تستطيع أن تعمل دون أن تُصبح فاعلاً. هذه هي الطريقة الأولى «الكارما يوغا»: أن تستغرق في العمل دون أن تكون فاعلاً. إنّك تدع الإله يعمل. إنّك تسمح أن يتجلّى الإله فيك. إنّك تمحو نفسك.

في طريق العمل هذا، يُغيّر الوعي المحتوى. يجب فهم هذين الأمرين: الوعي والمحتوى. هذا هو كلّ ما تتكوّن منه حياتك. هناك شيء وهو العارف، وهناك شيء وهو المعروف. على سبيل المثال، أنت تستمع إليّ. الآن هناك أمران: أيّ كان ما أقوله فهو المحتوى، وأيّ ما تكون أنت عليه في الداخل، مُستمعاً، أو مُراقباً، فهذا هو الوعي. أنت تنظر إليّ. إذاً فإنّ أصبعي في عينيك هو المحتوى، والذي ينظر إلى هذا الإصبع في داخل العين، هو الوعي، الشيء الفاعل.

على طريق الفعل، يُغيّر الوعي المحتوى الذي هو ماهية الفعل. أنت ترى صخرة، وقد يتعثر بها شخص ما، لأنّ الظلام بدأ ينتشر، والليل بدأ في الهبوط. من أجل ذلك، أنت تُزيح تبعد الصخرة عن الطريق. هذا فعل. ماذا فعلتَ؟ إنّ الوعي قد غيّر المُحتوى.

على طريق الفعل، يكون المحتوى مُهمّاً، ويجب أن يتمّ تغييره. لو أنّ هناك شخصاً مريضاً، وذهبت وخدمته وأعطيته دواء، فأنت بذلك تُغيّر المُحتوى. لو سقط شخص في النهر وبدأ يغرق، فقفزت في النهر وأنقذته من الغرق. فقد غيّرت المحتوى.

إنّ الفعل مُوجه بالمحتوى. الفعل هو الارادة، هناك شيء يجب أن يُفعل. بالطبع، لو بقيت الارادة موجهة من الأنا المزيفة، عندئذ لن تكون مُتديناً. سوف تكون مُؤدّياً رائعاً، ولكن لستَ مُتديّناً. سوف يكون طريقك هو الفعل، لكن ليس نحو الإله. عندما تسمح للإله أن يكون هو إرادتك، عندما تقول: «فلتكن إرادتك هي إرادتي»، عندما تُسلّم إرادتك عند قدمي الإله، وتبدأ إرادته في السريان من خلالك، عندها يكون هذا هو طريق الفعل «الكارما يوغا».

إنّ هدف «الكارما يوغا» هو الحريّة، «موكشا»، أن تقوم بتغيير المُحتوى بشدة، حتى لا يتبقّى هناك أيّ عداوة، ولا أيّ شيء ضار، أن تقوم بتغيير المحتوى وفقاً لما يرغبه قلبك، حتى تستطيع أن تكون خالياً من القيود. هذا هو طريق «الجاينية»، «اليوغا»، وكلّ الفلسفات الموجهة بالفعل.

الطريق الثاني هو طريق المعرفة، والتعرّف «جيانا يوغا». على الطريق الثاني يتغيّر الوعي عن طريق المحتوى. في الأول، يتغيّر المحتوى بالوعي، بينما في الطريق الثاني يحدث العكس، إذ يتغيّر الوعي بالمحتوى.

على طريق المعرفة، تُحاول ببساطة أن ترى ما هو الأمر أيّ كان. هذا ما يُعلّمه «كريشنامورتي». هذا هو أنقى طريق للمعرفة. لا يُوجد شيء للقيام به. عليك فقط أن تصل إلى الوضوح، وأن ترى ما هو الأمر. عليك فقط أن ترى ما هو كائن. ليس عليك أن تفعل أيّ شيء. عليك ببساطة أن تتخلّى عن أحكامك المُسبقة، أفكارك العامة، تصوراتك، التي يُمكن أن تتداخل مع الحقيقة، وتُفسّرها، وتُلوّنها. عليك أن تتخلّى عن كلّ ما تحمله في عقلك من انطباعات مسبقة، وتسمح للحقيقة أن تكون هناك، وتراها مهما كانت، وهذا سيُغيرك.

أن تعرف الحقيقة يعني أن تتحوّل. عندما تعرف الحقيقة على أنّها الحقيقة، لن تستطيع أن تتصرّف بأيّ طريقة أُخرى غير طريق الواقع. بمُجرّد أن تعرف الحقيقة، تبدأ الحقيقة في تغييرك. يتغيّر الوعي عن طريق المحتوى.

إنّ هدف طريق المعرفة هو الحقيقة. بينما هدف طريق الفعل أو الارادة «الكارما يوغا»، كان الحرية. أمّا هدف طرق المعرفة مثل «فيدانتا»، الهندوسية، «سانخيا»، وطرق المعرفة الأخرى، «أشتافاكرا» ، «كريشنامورتي»، فهو الحقيقة «براهمان». أنت الحقيقة. دع ذلك يتكشّف، عندها تُصبح ذلك. بمُجرّد أن تعرف ذلك، تُصبح ذلك. عن طريق معرفة الإله، يُصبح الإنسان إلهاً. أنت إله، هذه هي الظاهرة الأكثر أهمية في الطريق الثاني.

الطريق الثالث هو «بهاكتي يوغا»، طريق الإحساس، ويكون الحُبّ هو الهدف. حيث الوعي

يُغيّر المحتوى، والمحتوى يُغيّر الوعي، فالتغيير متبادل. إنّ الحُبّيب يُغيّر المحبوب، والمحبوب يُغيّر الحبيب. على طريق الإرادة، يُغيّر الوعي المُحتوى، بينما على طريق المعرفة، يُغيّر المُحتوى الوعي، أمّا على طريق الشعور، فيتفاعل الاثنان، ويُؤثر كلاهما في الآخر، ويكون التغيير مُتبادلاً. من أجل هذا السبب، فإنّ طريق الشعور أكثر اكتمالاً، إنّ الطريق الأول نصف، والطريق الثاني أيضاً نصف، بيد أنّ طريق الحُبّ أكثر استدارة، أكثر اكتمالاً، لأنّه يحتوى الاثنين داخله.

إنّ «الفايشنافا» ، «المسيحية»، «الإسلام»، والطرق الأُخرى، «رامانجا» ،»فالابها»، والتابعون لمثل هذه الطرق يقولون إنّ الموضوع واللاموضوع ليسا مُنفصلين، ولذلك إذا غيّر أحدهما الآخر، فسيبقى هناك شيء غير مُتوازن. دَع الاثنان يُغيران بعضهما. دع كلاهما يتقابل ويندمج في الآخر، اِسمح أن يكون هناك اتحاد. كما يلتقي الرجل والمرأة ويندمجان في بعضهما، اِسمح أن يكون هناك اتحاد. كما يلتقي الرجل والمرأة ويكون هناك فرح غامر، اِسمح بوجود نشوة بين الوعي والمحتوى، بينك وبين الحقيقة، بين الأرضي والسماوي. دعه لا يكون معرفة فقط، دعه لا يكون جزيئاً فقط، دعه يكون مُكتملاً.

تلك هي الطرق الثلاث العادية. التصوف هو الطريق الرابع. إنّ أحد أعظم مُتصوفي هذا العصر كان «جورج غوردجييف». وقد كتب تلميذه، «ب. د. أوزبينسكي»، كتاباً يُسمّى «الطريق الرابع». إنّه رمزي للغاية.

ما هو الطريق الرابع، إذا لم يكن تلك هي الطرق الثلاث: الفعل، المعرفة، الشعور؟ إنّ الطريق الرابع هو طريق التجاوز. إنّه يُسمّى في «الهند» «راجا يوغا»، الطريق الملكي، الطريق الرابع. هنا لا يُغيّر الوعي المحتوى، ولا المحتوى يُغيّر الوعي. لا شيء يُغيّر شيئاً. كلّ شيء كما هو بدون تغيير. يبقى المحتوى هناك، والوعي هنا، ولا يحدث أيّ تغيير. لا تُوجد مُحاولة للتغيير.

هذا ما اقصده بالكينونة. في كلّ الطرق الثلاثة يبقى هناك شيء في التفكير يجب أن يتمّ فعله. في الرابع، تختفي كلّ الصيرورة. إنّك ببساطة تتقبل ما هو كائن. وفي هذا القبول يكون التجاوز. من هذا القبول بالذات، تنتقل إلى ما هو أبعد. إنّك تبقى مُجرّد مراقب. أنّك لا تفعل أيّ شيء هنا بعد الآن، أنت مُجرّد موجود هنا.

إنّ وجود هدف ليس مُمكناً مع الطريق الرابع. لا يُوجد هدف. في الأول، كان الهدف هو الحرية، وفي الثاني، الحقيقة، و في الثالث، الحُبّ. أما في الرابع فلا يُوجد هدف. إن «الزن»، «الصوفية» ينتميان إلى الرابع. من أجل هذا السبب يقول معتنقو «الزن» «الطريق دون طريق، البوابة دون بوابة»، لأنّه لا يُوجد هدف. الهدف دون هدف. نحن لسنا ذاهبون إلى أيّ مكان. إننا لا نكافح من أجل أيّ شيء، فكلّ ما نحتاج إليه موجود هنا بالفعل. لقد كان موجوداً هنا طوال الوقت. عليك فقط أن تكون صامتاً وتنظر. ليست هناك حاجة لأن تُغيّر أيّ شيء. في الرابع، تختفي أسطورة التغيير.

عندما لا تكون هناك حاجة إلى التغيير، يتفجّر الفرح، لأنّ الطاقة التي تُستهلك في تغيير الأشياء لم تعُد مُستهلكة في أيّ مكان، لقد تحررت. هذه الطاقة المُتحررة هي ما يُسمّى فرحاً.

إنّه يحدث لك أيضاً في بعض الأحيان دون أن تعرف. أحياناً وأنت جالس بمُفردك لا تفعل شيئاً، تشعر بحدوث شيء ما. إنّك لا تستطيع أن تُصدق ما هو. إنّك لا تستطيع حتى أن تثق فيما يكون. إنّه جديد

على نحو لا يُصدّق، مجهول تماماً. إنّه يحدث مع كلّ شخص، في لحظات نادرة، دون سبب على الإطلاق. إنّك لا تستطيع أن تستكشفه، لا تستطيع أن تحسب لماذا حدث.

لقد كنت تستحم في مغطسك وفجأة يحدث شيء ما. ولا يتسرّع التفكير في التدخل كالعادة، فالجسد مُسترخ في الماء الساخن. إنّك لا تفعل أيّ شيء؛ أنت فقط موجود هناك. وفجأة يأتي الأمر، هناك هدوء في المنزل، والطيور التي تُغرّد في الخارج، والأطفال يلعبون في الشارع، كلّها موجودة كما كانت، ولكن بنوعية جديدة. هناك راحة عظيمة، استرخاء. هناك شيء في داخلك لم يعُد يُكافح من أجل أيّ شيء. إنّك لست مُوجهاً من الهدف، أنت فقط هنا الآن.

لو أنّك بدأت تُفكّر في ماذا يكون، فستفقده فوراً. إذا بدأتَ تُحاول أن تلتقطه مرة أُخرى، فلن تُمسكه مرة أُخرى. إنّه يأتي وقتما يأتي. إنّه يأتي حينما يتواجد الموقف الصحيح. بيد أنّك لا تستطيع خلق هذا الموقف الصحيح. لو حاولتَ أن تخلقه، فسوف تسقط في احدى الطرق الثلاثة الأولى. إذا حاولتَ أن تُغير المحتوى، فستُصبح تابعاً لطريق الفعل. إذا حاولتَ أن تُغيّر وعيك من خلال المحتوى فستُصبح تابعاً للطريق الثاني، طريق المعرفة. إذا حاولتَ أن تجعل الاثنين يلتقيان ويمتزجان وبندمجان، فستُصبح عندئذ تابعاً للطريق الثالث.

بيد أنك إذا لم تفعل أيّ شيء، لا إرادة، ولا معرفة، ولا شعور، إذا كنتَ مُسترخياً فقط، عندها تكون هناك مراقبة. إنّ المُراقبة ليست معرفة: المراقبة مُختلفة تماماً. في الحقيقة، لا يُمكن أن يُقال أنّك تُراقب. فأنت لا تفعل أيّ شيء، ولا حتى المراقبة. أنت فقط موجود هناك. والأشياء تحدث. فجأة يبدأ طير في الغناء في الخارج، ويُمكنك سماع ذلك، أنت تسمعه لأنّك هناك. أنت لا تبذل أيّ مجهود كي تسمعه، ولا يُوجد تركيز مُتعمّد من أجل ذلك.

لقد وقعت في يدي في ذلك اليوم «شانخيا سوترا» وهي ذات جمال رائع: «دهيانام نيرفيشايام ماناه»، وهي تُحدد ما هو «دهيانا»: التأمل هو دماغ بلا أفكار، بلا شعور، بلا إرادة. التأمل هو وعي دون مقاومة. لا يُوجد توق إلي أيّ موضوع. أنت لا تُكافح من أجل أيّ شيء. عندها، أنت في حال «دهيانا»، وفي تأمل. إنّك لا تفعل أيّ شيء على أيّ مُستوى. لقد اختفى كلّ الفعل ببساطة، وهناك حالة من السكون الهائل داخلك، وحالة من الراحة التامة.

اِحتفظ بهذه الكلمة «راحة» في ذاكرتك، وكذلك الاسترخاء، فأنت لا تستطيع القيام بهما، تذكّر. كيف يُمكن أن تقوم به؟ إذا قمتَ به فلن تستطيع أن تسترخي، لأنّ الاسترخاء يُصبح عندئذ هدفاً وتُصبح أنت مُؤدياً. أنت تستطيع فقط أن تفهمه. تستطيع فقط أن تسمح له أن يحدث، ولا تستطيع أن تقوم به، ولا أن تُجبره، فليس له علاقة بما تفعله. إنّك تستطيع فقط أن تفهم كيف يحدث، و تستطيع أن تبقى في هذا الفهم، وسوف يأتي.

يحدث التأمل عندما يكون التفكير حاضراً، دون رغبة، دون غاية، دون هدف، دون أن تذهب إلى أيّ مكان، عندئذ كيف يُمكن أن تكون مُتوتراً؟ إنّها ليست حالة تركيز. إنّه ليس تركيزاً على الإطلاق، لأنّ التركيز سوف يتطلّب مُقاومة. إن التركيز نوع من التوتر. إنّه ليس انتباهاً حتى، لأنّ الانتباه أيضاً يُعدّ نوعاً من التوتر.

تُعرّف الموسوعة البريطانية كلمة «تأمل» على أنها التركيز. هذا خطأ بكلّ تأكيد. إنّ التأمل ليس تركيزاً، فالتركيز يعني أنّ التفكير يُكافح، يدفع بقوة، يرغب، يُحاول أن يفعل شيئاً. إنّ التركيز يعني وضع طاقة الإنسان بأكملها في اتجاه واحد، أمّا التأمل فيعني أنّك لا تضع طاقتك في أيّ اتجاه، بل هي ببساطة تفيض. إنّها لا تسير في اتجاه معين، بل تفيض ببساطة مثل العطر يتدفّق من الزهرة بلا وجهة، لا إلى الشمال ولا إلى الجنوب. إنّه لا يذهب إلى أيّ مكان، بل ينتشر في كلّ مكان. حيثما سوف تأخذه النسائم، فهو مُستعد للذهاب. إنّه مُسترخ بصورة كاملة.

هذه اللحظة تحدث لك أحياناً. إنني أودّ أن تتذكّر أنّها ليست شيئاً نادراً يحدث فقط مع الأشخاص المُتديّنين. إنّها تحدث في الحياة العادية أيضاً، بيد أنّك لا تنتبه لها، بل تخاف منها أحياناً.

منذ أيام قليلة فقط، استلمتُ رسالة من امرأة كانت هنا، ثمّ عادت إلى موطنها. على مدى ستة أشهر كانت تُحاول أن تتأمل، لكنّ الأمر لم يحدث وفقاً لفكرتها عن التأمل. لا بُدّ وأنّه كان لديها رغبة داخلية عمّا يجب أن يكون عليه التأمل. لا بُدّ وأن كان لديها بعض التوقعات، ولم تحدث.

لقد كتبت رسالة كي تقول إنّها في أحد الأيام كانت جالسة فقط في الغرفة، ولم يكن هناك شيء تفعله. لقد ذهب زوجها إلى المكتب، وذهب الأطفال إلى المدرسة، وكان المنزل خالياً. كانت جالسة فقط لا تفعل أيّ شيء، وليس لديها ما ترغب في القيام به. كانت تجلس في الكرسي مغمضة العينين، وقد حدث الأمر. لقد كان هناك فجأة، بكلّ بركاته. بيد أنّها شعرت بالخوف. لقد خافت لأنّه عندما حدث فجأة، جاءها احساس بالخوف، لأنّ التأمل كان هناك، بيد أنها لم تكن هناك. لقد كان خوفاً هائلاً حتى أنّها ببساطة سحبت نفسها من أجل الخروج منه. لقد شعرَت وكأنّها كانت تختفي.

أجل، إنّه يحدث. إنّ أناك المزيفة لا تستطيع التواجد هناك. إن أناك المزيفة غير مُمكنة هناك، فأناك المزيفة ليست إلا جميع توتراتك مُجتمعة معاً. إنّ أناك المزيفة ليست إلا حزمة من توترات الماضي، وتوترات الحاضر، وتوترات المستقبل. عندما تكون غير متوتر، تنهار الأنا المزيفة ببساطة.

لقد أصبحَت خائفة. لقد كانت تُحاول أن تتأمّل على مدى ستة أشهر، ولم يحدث أيّ شيء، ثمّ ذات يوم حدث الأمر. لقد جاء بينما كانت غير مُدركة تماماً له. لقد أُخذت على حين غرة. لقد كان هناك. عندما كانت تستحثه و ترغب فيه وتطلبه وتُصلّي من أجله، لم يأتِ. ثمّ أتى بعد ذلك. ولكنّها ضيّعته. لقد كان هناك ولكنّها شعرَت بالخوف. لقد كان قوياً جداً، وقد شعرت أنّها قد تختفي داخله، ولا تتمكّن من الخروج منه. لقد سحبت نفسها من أجل الخروج منه. والآن تكتب أنّها تبكي وتنتحب، وتُريده أن يعود.

إنّ هذه الرغبة الملحّة الآن في عودته لن تُساعد، لأنّه جاء ذلك اليوم دون أيّ إلحاح. دون أيّ فكرة عمّا سيحدث، لقد جاء فجأة. إنّه يأتي دائماً مثل البرق المفاجئ.

هذا هو الطريق الرابع، «راجا يوغا»، الطريق الملكي. لأنّ الملك لا يُفترض به أن يفعل أيّ شيء، بل الخدم يفعلون، بينما الملك لا يفعل أيّ شيء، بل يجلس ببساطة على عرشه، ويدع الأشياء تحدث. هناك أناس كثيرون يقومون بما يُريد. هذا سبب تسمية «راجا يوغا»، طريق الملك. إنّ الطرق الثلاثة الأُخرى عادية، بينما الطريق الرابع استثنائي حقاً. لا يُتوقع من الملك أن يقوم بأيّ شيء، إنّه ببساطة يجلس هناك مسترخياً. هذا ما نقصده عندما نقول عن الشخص أنه ملك. لقد اختفى الفعل، اختفت المعرفة، اختفى الشعور، إنّ الملك مُسترخ تماماً. وفي ذلك الاسترخاء يحدث الأمر.

إنّ «الزن»، «الصوفية» هما «راجا يوغا»، الطرق الملكية. حيث لا يُغيّر الوعي المحتوى، ولا يُغيّر المحتوى الوعي. هذا هو المبدأ الأساسي، لا يتغيّر شيء، لا يحدث أيّ تغيير. تبقى الأشياء مثلما هي. الوردة هناك وأنت هناك، أنت لا تُغيّر الوردة، ولا الوردة تُغيّرك. كلاكما موجود معاً. إنّه وجود بلا أيّ دافع.

يُطلق عليه معتنقو «الزن»، «نيرفانا»، أي عدم وجود هدف، حيث يتوقّف الإنسان ببساطة عن أن يكون. إنّ كلمة «نيرفانا» كلمة جميلة، فهي تعني: كما لو أنّ شخصاً نفخ على شمعة. لقد كانت الشعلة هناك منذ لحظات قليلة فقط، لقد كانت الشمعة تتوهج بالضوء، ثمّ نفختَ عليها. لقد اختفت الشعلة الآن في اللانهاية.، وأصبحَت جزءاً من الكون. إنّك لا تستطيع العثور عليها، ولا تستطيع أن تتبع إلى أين ذهبَت، وأين تُوجد. لقد اختفَت ببساطة.

إليك حكاية رمزية صوفية.

كان هناك ناسك صوفي داخلاً إلى قرية، وتصادف مع ولد صغير يحمل شمعة مُضاءة. كان الولد ذاهباً إلى المسجد. كان الليل على وشك الهبوط، وكان الولد ذاهباً إلى المسجد كي يضع الشمعة هناك، كنوع من العبادة.

رأى الصوفيّ الولدَ البريء وقد أضاءت الشمعة وجهه. سأل الصوفي الولد: «هل أضأت الشمعة بنفسك؟»، قال الولد: «نعم، سيّدي».

سأل الصوفي مازحاً: «إذاً لا بُدّ أنّك قد رأيت من أين أتى اللهب. هل تستطيع أن تُخبرني من أين أتى اللهب؟»، ضحك الولد الصغير، وأطفأ الشمعة وقال: « لقد رأيته الآن يذهب. هل تستطيع أن تُخبرني إلى أين ذهب؟».

لا أحد يعلم من أين يأتي ولا أحد يعلم إلى أين يذهب. إنّه يأتي من العدم أو من الكلّ، وهما يحملان المعنى نفسه، وتعود إلى العدم أو إلى الكلّ، هذا هو حال «نيرفانا».

إنّ الصوفيين لديهم كلمة تُعبّر عن ذلك، وهي «الفناء. إنّها تعني الشيء نفسه بالضبط: أن يضيع الإنسان تماماً.

لا يُوجد أيّ داع كي تفعل أيّ شيء على طريق الارادة، أو على طريق المعرفة، أو على طريق الإحساس. لا تُوجد حاجة إلى شيء يجب فعله، لأنّك لو فعلتَ شيئاً فستبقى، وتستمرّ قليلاً، ويتبقّى شيء من الأنا المزيفة. ليس مطلوباً أيّ تغيير، ولا تحسين، ولا مجهود لجعلك أفضل، فقط كُن.

يقول «مُحمّد»: «كُن في الدنيا كغريب أو كعابر سبيل». كُن في هذه الدنيا ولا تكن منها. كن في هذا العالم ولكن لا تسمح للعالم أن يكون فيك. «اعمل لهذه الدنيا كأنّك تعيش أبداً، واعمل للآخرة كأنّك تموت غداً». عِش هذه اللحظة كأنّك سوف تعيش إلى الأبد، ومع ذلك كُن منتبهاً أنّ اللحظة القادمة رُبّما لا تأتي، وهكذا عِشها حتى أقصاها، وابقَ مُراقباً. كُن مشاركاً فيها، ولكن مع ذلك حافِظ على نفسك مثل المراقب من أعلى التل.

هذا ما كان يفعله «الجنيد».

الآن هذه الحكاية الرمزية.

إنّ الصوفي العريق «الجنيد»، كان قد تعلّم بطريقة المثال التوضيحي،

يُعلّم الصوفيون دائماً عن طريق المثال التوضيحي، ولا تُوجد طريقة أُخرى. هكذا دائماً يحدث أنّه عندما يأتي غرباء إلى مُعلّم صوفي، فهم دائماً ما يتحيّرون، لأنّهم لا يستطيعون ان يفهموا ما الذي يحدث. إنّهم لا يعرفون القصة بأكملها. إنّهم فقط يأخذون الجزء الذي يحدث أمام أعينهم. قد يكون الأمر عرضاً توضيحياً. قد يكون شيئاً يعرف التلاميذ والمُعلّم فقط ماذا يجري خلاله.

لقد اعتاد «غوردجييف» على فعل ذلك. وكان الغرباء دائماً يتحيّرون. هناك المئات من الكتب التي كتبها الأجانب عن «غوردجييف». من الطبيعي أنّ جميعها ضده، لأنّهم لا يعرفون القصة كاملة. يستطيع الماهر المُطّلع فقط أن يعرف القصة كاملة.

على سبيل المثال، لو وصلتَ فجأة إلى «غوردجييف»، رُبّما تتفاجأ. قد تجده يصيح، يُهين شخصاً ما، يستخدم كلمات بذيئة. لقد كان من المُعلّمين الأوائل في استخدام الكلمات البذيئة. وعندما يكون فعلاً في حالة من الغضب العارم، يكون غاضباً فعلاً، ويبدو غضبه وكأنّه على وشك أن يرتكب جريمة قتل.

لو رأيتَ ذلك، من الطبيعي أنّك سوف تتعجّب أيّ نوع من المُعلّمين هذا الرجل. إنّه لا يبدو مُستنيراً تماماً، وذلك لأنّك لديك فكرة مُحددة عن التنوير، وأنّ المُعلّم يجب أن يكون كذا وكذا. يجب أن يكون على قدر توقعاتك. بيد أنّ المُعلّمين ليسوا موجودين من أجل أن يكونوا على قدر توقعاتك، بل لديهم شيء آخر يفعلوه أهمّ بكثير من ذلك. إنهم هنا ليس من أجل ذاك النوع من العمل، ولا يطلبون أيّ نوع من الاحترام، ولا يكترثون بالرأيّ العام، ولا يطلبون تصويتكم. إنّهم يقومون شيء هائل، شيء يُمكن فهمه فقط عندما تكون قريباً منهم.

إنّ القريب يعرف على مَن يُلقي «غوردجييف» كلّ أنواع الاساءات. قد يعرف في بعض اللحظات، ويُخطئ في لحظات أُخرى. هناك بعض الأوقات حيث تُفكر طويلاً: «ما نوع هذا الرجل؟ لماذا يُسيء مُعاملتي إلى هذه الدرجة؟ ماذا فعلتُ؟». قد تكون فعلتَ خطأ بسيطاً للغاية، شيء لا يُذكر، بينما يخرج عن طوره بما لا يتناسب مع الخطأ، وكأنك ارتكبتَ خطيئة. إنّ الرجل القريب منه قد يُخطئ التقدير في بعض الأحيان، بيد أنه سوف يتذكّر، أنّ «غوردجييف» قال: «عليك أن تكون مُنتبهاً ومراقباً،فسوف أستفزك وأُثيرك بطرق شتى، حتى يُمكن أن تفقد انتباهك».

هناك الآن شيء يتوضّح بين «غوردجييف» وتلميذه، وأنت كغريب سوف تفقد معناه. إنّه ليس في حالة غضب شديدة. بل إنّ هذه الحالة من الغضب الشديد مُجرّد أداء، فهو يستفزّ الطالب حتى يكون غاضباً. إذا غضب الطالب، يكون قد أغفل الهدف، وضيّع الفرصة. أما لو بقي الطالب هادئاً وساكناً، مُراقباً، ولم يسمح للمُحتوى أن يُغيّر وعيه، ولم يُحاول بأيّ طريقة أن يُغيّر «غوردجييف» أو سلوكه، فهذا هو الوعي يُحاول تغيير المُحتوى. إنّ المُحتوى هناك، إنّ «غوردجييف» غاضب. حسناً، «غوردجييف» غاضب. هناك أحد يُراقب، فلا الوعي يُؤثر على المُحتوى، ولا المُحتوى يُؤثر على الوعي. إنّك لا تستطيع خداع «غوردجييف» لأنّ مُجرّد تغيير طفيف في وعيك سوف يُغيّر سلوكك بالكامل. يتغيّر وجهك، تتغيّر

هالتك، ويتغيّر نمط طاقتك، ولا تعود الشخص نفسه.

إذا استطاع الطالب أن يبقى عير مُعكّر، غير مُضطرب، واستطاع أن يبقى كما كان قبل أن يبدأ «غوردجييف» في نوبة الغضب هذه، يكون قد أتخذ خطوة نحو الرحلة الداخلية. لقد اقترب من المُعلّم.

بيد أنه سوف يكون صعباً على الأشخاص الذين يأتون من الخارج. لو ذهبتَ إلى «غوردجييف»، لوجدتَ ظاهرة نادرة. كان يدعو جميع طلابه كلّ ليلة. كانت الجماعة كلّها تجتمع مع بعضها. ويكون هناك أكل وشرب كثير جداً، حتى أنّ أيّ شخص من الخارج كان ليظنّ أنّ هؤلاء الناس مجانين. ماذا كانوا يفعلون؟ كان «غوردجييف» يستمرّ في اجبار الناس على أن يأكلوا ويشربوا. كان يُجبر الناس على شرب الكثير من المشروبات الكحولية إلى درجة أنّك يُمكن أن تظنّ أنّها كانت ظاهرة «ابيقورية»، «وهي ظاهرة الانغماس في الملذات الحسية الذواقة». أيّ نوع من الدين هذا؟ فقط كُل، واشرب، وتزاوج؟- لقد كان هذا أيضاً مُتطرفاً. كان «غوردجييف» مُصراً للغاية بشأن الاستمرار في الشرب. لقد كان هو نفسه يشرب بقدر ما يستطيع الإنسان أن يشرب، بيد أنّه لم يكن يثمل أبداً. هذا كان بيت القصيد. كان يُخبر التلاميذ أن يشربوا.

ثم تأتي إلى مرحلة حيث تفقد السيطرة. وعلى الفور تظهر حقيقتك، وتصعد إلى السطح. إنّك لا تستطيع إطلاقاً أن ترى الشخص على حقيقته إلا إذا كان ثملاً. لقد كبت الناس أنفسهم بشدة إلى درجة أنّ الكحول وحده هو ما يستطيع أن يُخرجهم من كبتهم. لقد كانت التجربة الأروع على الإطلاق التي قام بها أيّ مُعلّم.

إننا في الشرق نعرف أنّ ممارسي «التانترا» قد فعلوا ذلك على مرّ العصور، بيد أنّ «غوردجييف» كان أول رجل يقوم بهذا في الغرب. كان عندما يرى أنّ الطالب تناول الكثير من الشراب، ووصل إلى حقيقته، وأنّه الآن لم يعُد الشخص نفسه الذي كان يدّعي أنّه هو، عندها كان يُراقبه، وهو الآن يستطيع المساعدة، فهو يعرف لاوعيك. إنّ ما يفعله المُحلل النفسي في أعوام، كان يفعله «غوردجييف» في يوم واحد. يستمرّ التحليل النفسي في دفعك حتى تُظهر لاوعيك إلى السطح. إنّ المُحلل النفسي سوف يجلس يوماً بعد يوم، بجوار الأريكة ويستمع إلى كلّ أنواع الهراء والقاذورات، مدة سنوات، فقط كي يُساعدك على أن تتخلّص من هذه القمامة. مع مرور الوقت سوف يبدأ الحقيقي في الظهور. حينما يتمّ التخلص من طبقة القاذورات التي تُغطي السطح، تبدأ القاذورات الداخلية في الظهور على السطح. بيد أنّ هذا يستغرق أعواماً.

لقد اعتاد «غوردجييف» أن يقوم بضربة مُعلّم في يوم واحد. في اليوم الأول من وجود الطالب، يكون التأهيل الأول عن طريق الكحول. لقد أراد المُعلّم أن يتعرّف على اللاوعي الخاص به فوراً، لأنّ هذا هو المكان حيث سيتمّ العمل الحقيقي. إنّه لم يرغب في إضاعة الوقت مع الشخصية الواعية، فهي قناع. بمُجرّد أن يعرف، لن تكون هناك حاجة إليها، بيد أنه سوف يأخذك إلى الثمالة الشديدة.

لو جاء أحد الآن من الخارج، ممّن يُطلق عليهم الأشخاص المتدينون، فسوف يتحيّرون بشدة. ما الذي يحدث! لو جاء أحد وكان على صيام. فسوف يُعطيه «غوردجييف» كمية كبيرة من الطعام كي يتناولها، ولو جاء أحدهم وكان يُسرف في الأكل، فسيجعله يصوم. إنّه سوف يُربك أنماطك القديمة، لأنّه حينما يتمّ إرباك تلك الأنماط، فستظهر حقيقتك. إنّها مثل تعشيق تروس الحركة. حينما تُغيّر من حركة إلى

أخرى، في المنتصف تماماً سوف يكون عليك أن تمرّ من خلال مرحلة اللاتعشيق .

لو أنّ رجلاً، على سبيل المثال، «جايني»، لم يتناول اللحم إطلاقاً في حياته، وذهب إلى «غوردجييف»، فسيُجبره «غوردجييف على تناول اللحم. هذا الأمر سيُدمر هويته بالكامل. إنّه لم يتناول اللحم على مدار خمسين عاماً، ولم يلمسه أبداً، بل رُبّما لم يره. الآن سوف تثور هويته بأكملها. سوف يشعر بالغثيان. إن الفكرة في حدّ ذاتها قد تكون مقززة.

إنّ جدتي ذاتها عندما كانت على قيد الحياة، لم تكن تسمح بدخول الطماطم إلى المنزل لأنّها تُشبه اللحم. كانت هذه هي معتقداتها. نعم الطماطم، هذه المخلوقات البرية! لم يكن يُسمح لها بالدخول إلى المنزل.

هكذا إذا كان هناك شخص لم يتناول حتى الطماطم، وتمّ إجباره على تناول اللحم، تستطيع أن تفهم إلى أيّ اضطراب ألقى به المُعلّم. إنّه يضعه رأساً على عقب. هذا سوف يكون حقاً تدميراً لكلّ أساليبه. إنّه سوف يتقيأ، ويسقط مريضاً، قد يُصاب بالحمى، قد تُصيبه الكوابيس، بيد أنّ ذلك سوف يُدمّر جميع أنماطه المُكتسبة، وسوف يُصبح طفلاً مرة أُخرى. ومن هناك يُمكن أن يبدأ العمل.

لو أن رجلاً كان يأكلّ اللحم، ويتناول الخمر، فسوف يُلزمه «غوردجييف» بالأطعمة النباتية. ويُخبره ألّا يتناول شراباً على الإطلاق. سوف يجعله نباتياً، ومُمتنعاً عن تناول الخمور، سوف يُجبره على أن يكون تقياً قدر المُستطاع. إنّها الآلية نفسها، ارباك الماضي، أن نضع الأشياء رأساً على عقب حتى لا تتمكّن تلك الواجهة من العمل، ويُمكن إزالة هذا القناع، ورؤية الحقيقة.

على المُعلّم أن يُعيد طلابه إلى طفولتهم مُجدداً لأنّهم قد تاهوا منذ ذلك الحين. فأصبح كلّ منهم على دين مُعيّن، لقد تشتتوا منذ تلك اللحظة. على المُعلّم أن يعيدهم إلى طفولتهم حتى يبدأ في النمو نوع آخر من الحياة، ونوع آخر من الواقع.

إنّ الصوفي العريق، «الجنيد»، كان قد تعلّم بطريقة المثال التوضيحي، والتي كان من خلالها يعيش بالفعل الدور الذي كان يُحاول إيضاحه. إليك هذا المثال:

إنّه سوف يعيش الجزء الذي سوف يشرحه. لكن كيف يُمكن لشخص من الخارج أن يعرف ذلك، ما الذي يحدث الآن؟ إنّها تمثيلية نفسية. وحدهم الأشخاص داخل الجماعة، والذين يعرفون معلومات من الداخل، وماذا يحدث، سوف يستطيعون أن يُدركوا. إنّ هؤلاء حتى قد يفقدوا المعنى في أحيان كثيرة. وقد ينشأ الشكّ في دواخلهم.

على سبيل المثال، هناك امرأة ترقص عارية، وهناك قوارير النبيذ. يُسكب النبيذ في الكؤوس، ويتمّ مُناولته للناس. إنّ مظاهر الترف في كلّ مكان. هناك عزف ورقص، هناك نوع من المجون. بينما يجلس «الجنيد» في منتصف هذا كلّه، إنّه سيد الاحتفال.

أنت ترى ذلك، في حين أنّه لديك تصوّر عمّا يجب أن يكون عليه المُعلّم. من النادر جداً أن تجد شخصاً يأتي دون أيّ تصوّر. إنّه شيء طبيعي، وشيء يُمكن أن يتمّ غفرانه، فكلّ شخص يأتي مع تصوّر مُعيّن. إذا جاء إليّ شخص مسيحي، فإنّه يحمل تصوراً عن «المسيح». إنّه يبدأ في النظر إليّ،

هل أتصرّف مثل «المسيح» أم لا؟ إذا شعر أنني لا أتصرّف مثله، عندها لا يُمكن أن أكون شيئاً. يأتي «جايني»، ولديه تصوّر عن «مهافيرا» وينظر، إنّه يتوقّع مني أن أتصرّف مثل «مهافيرا». أنا لستُ «المسيح»، ولا «مهافيرا»، ولا «بوذا»، أنا مُجرّد نفسي، أنا موجود بطريقتي. ليس لديّ أيّ أهمية مُستعارة، إنّ أهميتي من ذاتي. بيد أنّ الناس تأتي بتصورات، فقد تمّ تدريبهم على ذلك، فأصبح الأمر في غاية الصعوبة. إنّهم ينظرون بتحيز مُتخف وراء أحكام مُسبقة. لو أنني تطابقتُ مع حكمهم المُسبق فهذا جيد، لو لم أفعل، عندها سوف يعتقدون أنني لستُ المُعلّم الحقيقي، وأنّ عليهم أن يذهبوا إلى مكان آخر.

تذكّر، لم يُرضِ أيّ مُعلّم حقيقي أبداً رغبات أيّ شخص. إنّه لا يستطيع فعل ذلك، لو أنّه أراد مُساعدتك. يجب عليه أن يُضايقك، يجب عليه أن يصدمك، لأن كلّ عمله هو أن يصدمك حتى تصل إلى الوعي.

لقد تمّ العثور عليه ذات مرة بواسطة مجموعة من الباحثين، جالساً مُحاطاً بكلّ ما يمكن تخيله من وسائل الرفاهية.

ترك هؤلاء الأشخاص حضرته وقصدوا بيت أكثر رجال الدين تقشفاً وزهداً، والذي كان مُحيطه بسيطاً جداً إلى درجة أنّه لم يمتلك شيئاً سوى سجادة وإبريق ماء.

إنّ «الجنيد» أحد أعظم مُعلّمي الصوفية. إنّ الرجل العادي سوف يُرضي توقعاتك، بل في الحقيقة، فقط الرجل العادي هو من سيُرضي توقعاتك، إنّه سوف يدّعي أنّه أيّ ما تتوقع منه أن يكون، ولكن لا يُوجد رجل حقيقي يُعرّف من خلالك. إنّه سوف يبقى غير معرّف. لا يُوجد رجل حقيقي يُمكن أن يتمّ تصنيفه، بل يبقى غير مُصنّف. إنّ الرجل الحقيقي مثل الزئبق، لا تستطيع أن تحجزه في حيز ضيق. إنّ الرجل الحقيقي حرية. إذا أردتَ رؤية مُعلّم حقيقي، سوف يكون عليك تنحية جميع مفاهيمك جانباً.

كيف تستطيع أن تمتلك مفاهيم صحيحة؟ أنت لا تعرف حتى مَن تكون، وتدعي أنّك تعرف كيف يجب أن يكون المُعلّم! إنّك غافل تماماً عن حقيقتك الشخصية، وتُريد أن تُصدّق أنّك قادر على معرفة الحقيقة المُطلقة أو الوجه المُطلق للحقيقة. إنّه ادعاء خطير، وأنت مَن سيكون الخاسر الوحيد. إذا أردتَ أن تبحث عن المُعلّم الحقيقي، فستحتاج أن تتخلّى عن جميع توقعاتك. سوف يكون عليك أن تذهب مُجرّداً، مكشوفاً، ودون أيّ تفكير، وفقط عندها تُوجد إمكانية من أجل حدوث أيّ اتصال.

ذات ليلة أخذ شاب المُريدية، وكنتُ أُراقبه. لقد كان مُنغلقاً جداً. كنتُ أُراقبه. لقد تحدّثتُ معه قرابة نصف ساعة، ولكن أيّ ما كنتُ أقول له، لم يكن يسمعه. كنتُ أُراقب. كان لا يُصغي، وكان تفكيره غائماً. ثمّ سألتُه أخيراً: «هل لديك ما تقوله لي؟»، قال: «نعم، أنا مسيحي، كيف يُمكن أن يكون لي اسمان؟ لقد تمّ منحي اسم مسيحي، لقد نشأتُ على المسيحية، وأنت تمنحني اسماً آخر. سوف يكون الأمر الآن صعباً».

لقد كنتُ أُراقب، إنّه لم يسمع ولا كلمة. سألته: «إذا كنت تعتقد فعلاً أنّك تنمو، إذا كنت تعرف أنّك هادئ، سعيد، فرح، إذا كنت مُقتنعاً بكونك مسيحياً، عندئذ لا داعي لأن تكون مُريداً. أنت مُريد بالفعل. لماذا جئت إلى هنا إذاً؟ من أجل ماذا؟ إذا كانت الأشياء تسير بصورة جيدة تماماً حيثما تكون، اِبقَ هناك

ولك مُباركتي. لماذا جئتَ من أجل المُريدية؟ لم يطلب منك أحد ذلك. لقد جئتَ من تلقاء نفسك. لقد طلبتَ مني أن أقوم بإدخالك معنا، والآن تقول إنّ هناك مشكلة. إذا لم تكن تتطوّر، ولم تكن سعيداً حيث أنت، إذاً تخلّ عن الماضي».

هذا الشاب يحمل اعتقاداً. إنّه يعتقد إنّه مسيحي. كيف يُمكن أن تكون مسيحياً، إذا لم تكن مُتصلاً مع «المسيح»؟ إنّ من يُسمّى القسّ في الكنيسة لا يستطيع أن يجعلك مسيحياً. فقط حينما تتشرّب «المسيح» تُصبح مسيحياً. إنّ القسّ العادي نفسه ليس مسيحياً، فماذا تقول عن الرجل العادي؟ حتى «بابا الفاتيكان» ليس مسيحياً، ولا يُمكن أن يكون ذاك، فأن تكون مسيحياً لا يعني أن تنتمي إلى كنيسة، بل يعني أن تدخل إلى وعي «المسيح».

إنّ «يسوع» ليس «المسيح» الوحيد. كذلك «بوذا» هو أيضاً «المسيح»، وكذلك «الجنيد»، « كبير»، «ناناك». إنّ «المسيح» حالة، تماماً كما أنّ «بوذا» حالة. إنّهما الشيء ذاته، إنّها الحالة نفسها. هذان الاسمان يُشيران إلى الحالة نفسها. إنّ «الجاينيين» يُسمّونها حالة «جينا»، أيّ الفاتح، لأنّهم اتبعوا مسار الإرادة. بينما يُسمّيها «البوذيون» حالة «بوذا»: حالة الصحوة، الوعي، المراقبة. إنّهم يتبعون الطريق الرابع. إنّ «المسيح» حالة، بل الحالة العليا، حينما لا تُعدّ إنساناً، ولكن تُصبح «إلهاً»، حينما تسمو على الإنسانية، وتتجاوز البشرية.

تستطيع أن تُصبح مسيحياً فقط إذا تشربتَ «المسيح»- وإلّا سوف تكون مسيحيتك زائفة، وستمنعك مسيحيتك الكاذبة من أن تعقد اتصالاً مع أيّ «مسيح» حيّ. بيد أنّ الناس يأتون مع أفكارهم، وهذا يُمكن تفهمه، وغفرانه، ولكنّ الغفران لا يعني أنّه عليك أن تتشبث بها. بل يجب أن تتخلّى عنها.

يستطيع هذا الشاب الأن أن يُصبح مسيحياً للمرة الأولى، لو إنّه دخل إليّ وسمح لي بالدخول إليه. إنّه للمرة الأولى قد اقترب من وعي «المسيح»، زلكّنه خائف. إنّه خائف لأنّه مسيحي، ومن الطبيعي أنه لا يستطيع أن يُفكّر أنني مثل «المسيح»، لأنّه لديه تصوّر عن «المسيح». لو أنّه رآني مصلوباً، عندها فقط سيُصدّق، مع أنه عندها يكون قد فات الأوان.

أنا لن أكرر المـأساة! إنّ مرة واحدة، أمر جيد، بينما مرتين، هو شيء مُمل!.

لقد جاء هؤلاء الباحثون إلى «الجنيد». وكان «الجنيد» جالساً مُحاطاً بكلّ ما يُمكن تخيّله من أشكال الرفاهية. لا بُدّ أنّهم قد فسّروا . لقد صُدموا وانزعجوا. أيّ نوع من المعلمين هذا؟

ذات يوم أحضرت لي «مايتيريا» مجلة هندية، كتبوا فيها من أجل قصة الغلاف مقالاً ضدّي. لقد كتبوا على صفحة الغلاف عنوان :»أيّ نوع من الآلهة؟». هذا طبيعي، فلديهم تصوّر مُعين، أيّ نوع من الآلهة؟ أنا لستُ «راما»، ولستُ «كريشنا»، و لستُ «مهافيرا»، إذاً أيّ نوع من الآلهة أكون؟ هؤلاء الناس هم النوعية نفسها من الناس الذين حينما كان «مهافيرا» موجوداً، كانوا يتساءلون: «أيّ نوع من الآلهة؟ لأنّه لم يكن «راما» ولم يكن «كريشنا». وهم النوعية نفسها من الناس الذين عندما كان «كريشنا» موجوداً، كانوا يتساءلون: «أيّ نوع من الآلهة؟ لأنّه لم يكن «راما». إنّهم النوعية نفسها من الناس الذين يستمرّون في التساؤل مراراً وتكراراً. إنّ «راما» لم يُكرر أبداً, فلا شيء يُكرر. إنّ هذا الوجود فريد للغاية وجميل للغاية.

من أجل ذلك، إذا كنتَ تُريد أن تتصل مع الواقع، سيكون عليك أن تتخلّص من التصوّرات، فلدينا جميعنا تصوّرات.

طلبَت المُعلّمة في مدرسة الأحد من تلاميذها أن يتعلّموا جملة مناسبة من «الكتاب المُقدّس» ويقوموا بتلاوتها حينما يضعوا «السنتات» في صندوق التبرعات.

في الأحد التالي جاء الصغير «لوكاس» بجملة: «مُبارك العطاء أكثر من الأخذ»، بينما كان يضع «سنتاً» في صندوق الادخار.

كانت جملة «ريتشارد» المُقتبسة: «إنّ الإله يُحب مَن يُعطي بفرح»، وهذه أيضاً تمّ استقبالها بصورة جيدة.

هكذا استمرّ الأمر على طول الصفّ إلى أن وصل إلى الصغير «ليود» الذي همهم بينما كان يضع مُشاركته بمرارة: «إنّ الاحمق و نقوده قريباً ما يفترقان».

لقد بحث الأطفال الثلاثة في «الإنجيل» نفسه، ولكنّهم وجدوا ثلاثة اقتباسات مُختلفة.

حينما تبحث، تجد دائماً شيئاً يعكس داخلك.

لقد كان الأب «دافي» يُثرثر مع الحاخام «مانشيك» في اجتماع المدينة.

تساءل الأب «دافي»: «هل لي أن أسألك سؤالاً؟».

قال «الحاخام ماشينك»: «بالطبع».

«لقد كان تصوّري دائماً أنّ الحواريين كانوا يهوداً. هل هذا صحيح؟».

قال «الحاخام»: «صحيح تماماً».

«إذاً كيف جعل الشيطانُ اليهودَ يتخلّون عن شيء جيد كالكنيسة الكاثوليكية، وسمح للإيطاليين بالاستيلاء عليها؟».

إنّ هذا السؤال في مكانه. كيف سمح اليهود لعمل تجاري رائع مثل هذا أن يضيع؟ إنّ أكثر الأعمال التجارية ربحاً في العالم هو الكنيسة الكاثوليكية. إنّ السؤال في مكانه، كيف سمح اليهود له بالضياع من أيديهم؟ كيف فقدوه؟ هذا ليس من شيم اليهود.

إنّ تفكيرنا يعمل باستمرار.

في فصل صغير سأل مُدرّس: «مَن هو أعظم رجل في التاريخ؟».

قال أحد الأولاد: «أبراهام لينكولين».

قال ولد آخر: «المهاتما غاندي».

قال ولد آخر : «واشنطون».

قال ولد آخر: «كارل ماركس».

وهكذا وهكذا.

ثم جاء دور ذلك الولد اليهودي الصغير فقال: «يسوع المسيح».

تفاجأ المُدرس وقال: «ألستَ يهوديا؟ كيف ذلك؟».

قال الولد الصغير: «في أعماق قلبي، أنا أعلم أنّ أعظم رجل في الوجود هو «موسى»، ولكنّ العمل عمل».

حينما تُفسّر شيئاً ما، بدلاً من التفكير في أنّه موضوعي، تذكر دائماً أنّه انعكاس لتفكيرك.

لقد كان هؤلاء الباحثون مُتحيرين للغاية من رؤية الرفاهية وجلوس «الجنيد» هناك. لا بُدّ أنّ هؤلاء الناس كانوا مُرتبطين جداً بالأشياء، لا بُدّ أنّ هؤلاء الناس كانوا شديدي الرغبة في الامتلاك، والتملّك، لا بُدّ أنّ هؤلاء الناس كانوا ماديين للغاية. عند رؤية «الجنيد» مُحاطاً بكلّ هذه الرفاهية، لا بُدّ أنّ الغيرة اشتعلت في دواخلهم ولكنهم لم يروا ذلك. حينما يكون الناس مُتساهلين للغاية، يكون لديهم فكرة دينية أنّ الناس المتساهلين ليسوا مُتدينين. كيف يُمكن أن يكونوا مُتدينين؟ إنّهم مُترفون. من أجل ذلك، فإنّ الناس المُتديّنين لا بُدّ أن يكونوا بعيدين كلّ البعد عن جميع أنواع البذخ. إذا كنتَ مهووساً بالمال، عندها ستكون لديك فكرة عن أنّ الرجل المُتديّن الحقّ لا يمتلك أيّ رغبة في المال.

لا بُدّ من فهم هذه النقطة. إنّك دائماً ما تضع العكس أعلى منك، لأنّك تُدين نفسك تماماً. إنّك تعلم أنّك مهووس بالمال، ولذلك تأتي الفكرة على الفور: «إذاً فهو يُشبهني، إنّه ليس مُميزاً. إنّه يُشبهني تماماً». إذا كنتَ مهووساً بالجنس، وكان تفكيرك باستمرار يتخيّل أموراً جنسية، ثمّ رأيتَ «الجنيد» يجلس مع امرأة جميلة، على الفور ستتمّ إدانة «الجنيد» في تفكيرك. إذاً هو مثلك تماماً. هذا ما تُحبّ أن تفعله، فما الهدف إذن من جعل هذا الرجل مُعلّمك؟

يستمرّ الناس في البحث عن الضدّ، وهم يحترمون العكس فقط. يجب فهم هذه النقطة، وهذه النزعة. إنّ الناس ينجذبون إلى الضدّ، ولكنّ الضدّ لا يستطيع أن يُغيّرك، لأنّ الانجذاب إلى الضدّ قانون طبيعي جداً. ينجذب الرجل إلى المرأة، وتنجذب المرأة إلى الرجل. ينجذب الفقير إلى الغني، وستتفاجأ، أنّ الغني ينجذب إلى الفقير. إنّ الأشخاص الأغنياء دائماً ما يعتقدون أنّ الفقراء يستمتعون بأشياء كبيرة، فهم ينامون على نحو ممتاز، ولديهم شهية ممتازة للطعام. يظنّ الأغنياء أنّ هناك فرحاً كبيراً في العيش في الطبيعة، والعيش في كوخ، أو بيت صغير. إنّ الأثرياء دائماً ما يعتقدون أنّ القرى الصغيرة النائية تمتلك الفرح والنعيم. كيف يُمكن أن يكون هناك فرح في المدن الضخمة؟ إنّهم يعيشون في المدن الكبيرة، ويتوقون إلى القرى.

اِسأل القروي. إنّه يتوق إلى «مومباي»، «نيويورك»، «لندن». إنّ رغبته هي أن يصل إلى أكبر مدينة يُمكن الوصول إليها، ويعيش في ناطحة سحاب كبير. إنّه يُريد كلّ ما يملكه الأغنياء.

تذكّر، إنّ الأغنياء مُهتمّون بالفقراء، ومن أجل ذلك حينما يرون أشخاصاً مُستنيرين يعيشون في فقر ورؤوسهم منحنية، يقولون: «هذا الشيء الصحيح». لو أنّهم رأوا «جاناك»، رجلاً ثرياً، مُستنيراً، فلن يستطيعوا أن يُصدقوه. إنّه شيء مُستحيل بالنسبة إليهم. لقد أصبح فهمهم الشخصي عائقاً.

إنّ الشخص المُستنير ليس عليه قيد، فهو يستطيع أن يعيش في الفقر إذا شعر أنّ هذا سوف يكون مُفيداً لطلابه، ويستطيع أن يعيش في وفرة إذا شعر أنّ ذلك يُفيد طلابه. إنّ حياته كلّها تعليم. إنّها أداة مدروسة. إنّها موقف. إنّها تعتمد عليه وعلى ما يختار. إنّه ليس عبداً لأيّ شيء. إنه يستطيع أن ينتقل من نوعية حياة إلى نوعية أُخرى. إنّه حرٌ تماماً.

لقد ظنوا أنّ ذلك لم يكن الرجل المطلوب. لقد تركوا «الجنيد». لقد أضاعوا فرصة عظيمة.

ترك هؤلاء الأشخاص حضرته وقصدوا بيت أكثر رجال الدين تقشفاً وزهداً، والذي كان مُحيطه بسيطاً جداً إلى درجة أنّه لم يمتلك شيئاً سوى سجادة وإبريق ماء.

لا بُدّ وأنّهم ظنوا أنّه لم يكن الرجل المنشود. لقد كانوا جميعاً أشخاص دنيويين، وعند رؤيتهم «الجنيد» مُحاطاً بكلّ الترف الدنيوي، ظنوا أنّه مُجرّد شخص مثلهم.

اِنظر إلى مَن يُسمّون بالمُتديّنين ولاحظ مَن يحترمون، وستتفاجأ. على سبيل المثال، في «الهند»، يُعتبر «الجاينيون» من بين أكثر الناس ثراء. إنّهم يهود «الهند». إنّهم يمتلكون جميع أشكال الرفاهية. إنّه مُجتمع صغير ولكنّه يمتلك أحد أكبر أجزاء الثروة في هذه البلاد. انظر إلى قديسيهم تراهم عراة، لا يمتلكون أيّ شيء. هذا شيء نادر. إنّ المجتمع غني، ولكنه يُقدّس شخصاً عارياً تماماً، لا يمتلك شيئاً. إنّه يبدو منطقاً غريباً، لكنّه ليس كذلك. إنّ الضدّ جذاب.

يستطيع الأغنياء تقديس الفقراء فقط. إنّهم يعيشون في رفاهية، ولكنهم يستطيعون تقديس الشخص الذي يعيش في تقشف فقط. إذا أردت أن يكون طلابك من طائفة «الجاين»، يجب عليك أن تُصبح ماسوشياً، وتُعذّب نفسك. كلّما أصبحت أكثر هزالاً ونحافة، مُجرّد عظام، نلت المزيد والمزيد من الاحترام. سوف يكون عليك أن تُقدم على الانتحار البطيء. كلّما كنتَ ميتاً أكثر، قدّسك الناس أكثر.

هذا شيء غريب! فهؤلاء الناس يعيشون حياة ثراء وغنى، بيد أنّ الأضداد تتجاذب، والضدّ يجذب ضده.

مثال آخر: إنّ «المُحمديين» أناس فقراء في هذا البلد، ولكنهم عندما تقترب أيام احتفالاتهم الدينية، سوف يشترون ملابس جديدة، وعطوراً جديدة، ويُعدّون أطعمة جيدة لأنفسهم ويدعون أصدقاءهم. عندما تبدأ الاحتفالات الدينية يرتدون الملابس الجديدة، لأنّ هذا هو الوقت الوحيد الذي يشترون فيه، أو يستطيعون أن يشتروا. ثمّ يرتدون الملابس نفسها بقية العام. إنهم يُعدون الحلويات، والطعام اللذيذ، ويدعون الناس. وسوف تكون تلك الأيام ذات فرح غامر. سوف ينفقون الأموال. إنّهم لا يستطيعون تحمل إنفاق الأموال طوال العام، فقط مرة أو مرتين في العام.

بينما طائفة «الجاين» وهم أغنى مجتمع في «الهند»، حينما تكون أيام احتفالاتهم الدينية، يصومون. إنّهم لا يأكلون على الإطلاق! إنّهم يأكلون بإسراف طوال العام، بل هم الوحيدون الذين يقومون

بحميات غذائية في «الهند». إنّهم يأكلون كثيراً، وهم الناس الوحيدون الذين يهتمّون بالعلاج الطبيعي. عندما تحين أيام احتفالاتهم الدينية، ويعيشون حياة ورعة تماماً. إنهم لا يستخدمون ملابسهم العادية، بل يرتدون ملابس بيضاء فقط. إنَهم يبدون في غاية الورع. إنَهم يذهبون إلى المعابد في أثوابهم البيضاء، في مدة عشرة أيام فقط، أما باقي العام فيكونون العكس تماماً.

ما الذي يحدث؟ إنّ الأضداد تتجاذب. تذكّر دائماً أنّ وجود شيء يُعاكسك، لا يعني أنّه حقيقي. قد يكون عكسك، لكنّه قد لا يكون مُعاكساً على الإطلاق. إنّ الشخص الذي يبدو عكسك، قد يُحاول أن يجذب احترامك. من السهل جداً أن تنال الاحترام، بمُجرّد أن تُصبح عكس الناس.

يحترم الناس جداً الأشخاص الماسوشيين. إنّهم يعتقدون انّه شيء رائع. إنّهم يُعذبّون أنفسهم من أجل العالم الآخر، ويقومون بتضحيات عظيمة. أنا أرى أنّها لا شيء! بل إنّها ببساطة مرض عصبي! إنّ هؤلاء الناس مرضى. إنّهم في حاجة إلى علاج نفسي. من الطبيعي أن تكون فرحاً، وتكون في صحة جيدة، وتشعر بالجوع فتأكل، من الطبيعي أن تعيش في راحة، بينما من غير الطبيعي أن تخلق المُعاناة وعدم الراحة. من الطبيعي جداً أن تجد من أجل العيش طريقة أقل صعوبة. إنّ الشخص الذي يبحث عن المعاناة هو شخص مريض بطريقة ما. إذاً فقد تركوا حضرة «الجنيد» وجاءوا إلى رجل زاهد ومُتقشف جداً والذي كان مُحيطه بسيطاً جداً إلى درجة أنّه لم يمتلك شيئاً سوى سجادة وإبريق ماء. لقد فتنهم ذلك.

قال المُتحدث باسم الباحثين: «إنّ أخلاقك البسيطة وبيئتك المتقشفة أقرب لأن تستحوذ على إعجابنا من التجاوزات المبهرجة والصادمة عند «الجنيد»، والذي يبدو أنّه أدار ظهره عن طريق الحق».

كما لو أنّهم قد عرفوا ماذا تكون الحقيقة، وماذا يكون طريق الحق؛ كما لو أنّهم قد عرفوا ماذا كان يحدث بين «الجنيد» وطلابه، كما لو أنّهم عرفوا أنّها كانت دراما نفسية. إنّهم لا يعرفون شيئاً. إنّهم يحكمون من خلال المظاهر الخارجية. لا تحكم على أيّ شيء من الخارج إطلاقاً.

عندما تتعمّق إلى الداخل، كلّما فعلتَ ذلك أكثر، كانت الرؤية مُختلفة اختلافاً كلياً. عندها سوف ترى الواقع، وتُدرك ما هي الحقيقة. لا تُراقب من الخارج إطلاقاً.

يحدث هذا الأمر هنا كلّ يوم. يأتي الناس كي يُراقبوا. إنّهم يرونك ترقص، تُغني، فيقولون: «ما هذا؟ رقص وغناء؟ كيف يُمكن أن يكون للرقص والغناء علاقة بالدين؟». إنّهم يمتلكون فكرة مُحددة أنّ الدين يعني أن يكون الإنسان جالساً تحت شجرة مُغمض العينين في وضعية اليوغا. لو رآكم الناس جالسين في هذه الوضعية، فسيتجمهرون. وعندها ستبدأ البلد كلّها في الاندفاع إلى هنا، الكثير من القديسين!

بيد أني أقوم بمنعهم، ولديّ أدواتي الخاصة من أجل ذلك، وهي أدوات بسيطة! لو أنّهم رأوا رجل وامرأة يُمسكان أيدي بعضهما، يهربون! ليس هذا المكان المطلوب. إنّ ذلك ما أرادوا دائماً أن يفعلوه، ولكنّهم لم يفعلوه. إنّهم يشعرون بالغيرة: «إنّ هذا المكان لا يُمكن أن يكون مكان عبادة. هؤلاء الناس غارقون في الدنيا، إنّهم دنيويين، فهم يضحكون، يرقصون، يغنون، ويُحبّون». إنّ ما يحدث لا يُطابق وجهة نظرهم عن الدين.

بيد أنّهم لا يعرفون ما الذي يجري هنا. إنّ الرجل الجالس في وضعية اليوغا مُغمض العينين تحت الشجرة، سيكون قاتلاً.

لقد حدث ذات مرة:

قتل رجل شخصاً وهرب. تتبعته الشرطة وكانت تقترب أكثر وأكثر. وصل القاتل إلى نهر يفيض. تملكته الحيرة لأنّه لم يكن يعرف كيف يسبح، وكان خطراً أن يقفز إلى النهر. نظر حوله فرأى رجلاً قدّيساً يجلس تحت شجرة، وقد فرك جسده بالرماد. هكذا ألقى بملابسه في النهر، وأصبح عارياً، نثر الرماد على جسده، وجلس تحت الشجرة. جاء ضباط الشرطة ونظروا إلى هذين القدّيسين المُتقشفين. ولمسوا أقدامهما، وهي طريقة تقديم الاحترام في «الهند». ضحك القاتل في داخله. لقد كانت مُعجزة! فقد كانوا يُلاحقونه منذ عدة دقائق فقط. ولو أمسكوا به لحُكم عليه بالإعدام. بيد أنهم الآن أصبحوا من تابعيه. لقد بدأوا يأتون إليه من أجل أن يكونوا مع الحقيقة «ساتسانجا»، ويجلسوا قربه. في «الهند» كلّ شخص غبي يعرف شيئاً ما عن الروحانيات، وهكذا بدأ يتحدّث عن الروحانيات. ومع مرور الوقت أتى إليه ضباط أعلى رتبة، وأخيراً أتى الملك. وعندما لمس قدميه لم يستطع أن يُصدّق أن ذلك يحدث فعلاً.

لقد حدث الأمر. إنك تنظر إلى الوضعية، وتنظر فقط إلى الخارج. من المُحتمل حينما يرقص الناس أن يكونوا في حالة من الصمت التامّ. هناك موسيقى، ضوضاء في الخارج، وأجسادهم تتحرّك بحركة كبيرة، ولكن قد تكون هناك نقطة في الداخل لا تتحرّك نهائياً. في الحقيقة، حتى تصل إلى تلك النقطة التي لا تتحرّك، فإنّ الحركة هي الخلفية المثلى. حينما يكون كلّ شيء حولك يتحرّك، والعجلة تدور بسرعة، يكون في وسطها تماماً شيء لا يتحرّك في وسط الاعصار الحلزوني.

قد ترى رجلاً جالساً بهدوء مُغمض العينيين، بينما يقوم بتخيّلات عن امرأة. ومن المُمكن أنّ رجلاً يُمسك بيد امرأته، بينما لا يشعر بالجنس تجاهها في تلك اللحظة. هذا شيء داخلي. في الحقيقة، بما أنني أرى الواقع، أن تكون مع امرأة مُحبّة، وأن تكوني مع رجل مُحبّ هي أفضل طريقة من أجل تخطي الرغبة الجنسية. حينما تُحبّ، يختفي الجنس. إذا استمتعتَ، وتغلغلتَ، واندمجتَ مع طاقة الحُبّ، عاجلاً أم آجلاً، ستجد أنّ الجنس قد اختفى. إذا أردتَ أن تبقى في حالة رغبة جنسية، اِحرم نفسك من الجنس، وستبقى راغباً في الجنس, ويستمرّ تفكيرك في خلق التخيلات.

تستطيع أن تقوم بتجربة صغيرة. لو أنك تأكلّ جيداً، أنا لا أقول كثيراً، بل تأكل فقط الكمية الصحيحة، ما يُسمّيه «بوذا» «سامياك آهار»، أي الطعام الصحيح، أيّ ما هو مطلوب لجسدك. تستطيع أن تنسى مسألة الطعام. بينما إذا صمتَ يوماً واحداً، فستُفكّر في الطعام طوال اليوم، وتُراودك التخيّلات. تنتج التخيّلات عن التجارب التي لا تُعاش. إنّ مَن تُسمّيهم قدّيسين وتراهم جالسين تحت الأشجار في تقشف، قد يكونون العكس تماماً، وقد يتخيّلون في أعماقهم شتى أنواع الأشياء، ويتصارعون معها.

إنني أخلق موقفاً من نوع مُختلف تماماً، حيث يُسمح لك أن تكون على طبيعتك، كي تتمكّن من رؤية كلّ شيء يُريدك تفكيرك أن تراه. ثمّ تستطيع أن تتخطاه.

لقد كان هذا هو الموقف، ولكنّهم ضيّعوا الأمر. هذا ما كان يحدث هنا. لقد كان «الجنيد» يجلس في رفاهية مع طلابه، يخلق موقفاً حيث يُمكن أن يصبحوا في غاية السكون والمراقبة.

قالوا للزاهد المتقشف: «إنّ أخلاقك البسيطة وبيئتك المتقشفة أقرب لأن تستحوذ على إعجابنا من التجاوزات المبهرجة والصادمة عند «الجنيد»، والذي يبدو أنّه أدار ظهره عن طريق الحق».

تنفّس المُتقشف نفَساً عميقاً وبدأ في البكاء.

لقد كان المتقشف يعرف أكثر عن داخله الخاص. لا بُدّ أنّه كان رجلاً صادقاً. وإلّا سيكون صعباً جداً عندما يقول لك مَن يحترمونك ويُقدّسونك: «كلا، أنت مخطئ». لا بُدّ أنّه كان رجلاً صادقاً.

«أصدقائي الأعزاء، أنتم ملوثون بسطحية المظاهر الخارجية التي تُحيط الإنسان من كلّ اتجاه، اِعرفوا ذلك، وتوقّفوا أن تكونوا من التعساء! إنّ «الجنيد» العظيم مُحاط في هذه اللحظة بمظاهر الترف، لأنّه منيع أمام الترف . وأنا محاط بالبساطة لأنني منيع أمام البساطة».

لقد قال شيئاً ذا مغزى وأهمية كبيرة: «اِعرفوا ذلك. لا تنخدعوا بالمظاهر السطحية، والمظاهر الخارجية، وإلّا ستبقون دائماً تعساء. سوف تفوتون المُعلّم الحقيقي لأنّ الحقيقي لن يُرضي توقعاتكم بأيّ صورة. إنّه ليس مُلزماً أن يُرضي توقعاتكم. أمّا المُعلّم الكاذب والمزيف فسيكون دائماً مُستعداً كي يُرضي توقعاتكم، وعندها ستقعون في مصيدة الكاذب. وتبقون تعساء».

قال: «اِعرفوا ذلك، وتوقّفوا عن أن تكونوا تعساء. اِعرفوا شيئاً واحداً: إنّ الخارجي ليس مُؤشراً على الداخل». لو أردتَ أن ترى الداخل، سيكون عليك أن تراه مُباشرة في الحال. لا تبحث عنه في المظاهر الخارجية.

إنّ «الجنيد» العظيم مُحاط في هذه اللحظة بمظاهر الترف، لأنّه منيع أمام الترف.

قد يكون مُحاطاً بمظاهر الرفاهية، لأنّه يستطيع أن يبقى مُترفعاً عنها، وهو منيع أمامها. لا يُوجد في داخل كينونته طريق أمام الترف كي يدخل ويُؤثر عليه. إنّه مُراقب من أعلى التلال. إنّه هناك ومع ذلك ليس هناك. إنّ الرفاهية تُحيط به، لكنّه ليس مُحاطاً بالرفاهية. هذا سبب جلوسه هناك.

يقول المُتقشّف: «فيما يخصّني، أنا مُحاط بالبساطة لأنني أخاف من الرفاهية. ما زلتُ ضعيفاً، ولا أزال أشتهي الأشياء. أنا أتظاهر بكوني بسيطاً. إنّ «الجنيد» بسيط. إنّه يستطيع تحمّل أن يكون مُحاطاً بالرفاهية لأنّه بسيط. إنّه يعرف أنّ بساطته لا يُمكن أن يُدمّرها أو يُفسدها أيّ شيء. إنّه مُترفع جداً عن الماديات التي لا تهمّ. إنّ الأمور المادية لم تعُد تهمّه. إنّه يستطيع أن يكون في السوق، ويبقى مع ذلك في تأمل عميق. أنا لا أستطيع ان أتحمّل ذلك لأنني لستُ منيعاً ضدّ مظاهر الترف. على العكس، أنا منيع أمام البساطة. وعلى الرغم من أنّ البساطة تُحيط بي من جميع الاتجاهات، إلا أنّها لا تصل إليّ، فلا يُوجد أمامها طريق.

لا بُدّ أنّ الرجل كان شخصاً مُتقشفاً، وصادقاً. بالطبع، كان يتحرّك في الاتجاه الخاطئ، ولكنّه لم يكن مُزيفاً. لقد كان يتحرك في الاتجاه الخاطئ، لكنّه كان يتحرّك بإخلاص. حينما تتحرّك على الطريق الخاطئ بإخلاص، عاجلاً أم آجلاً سوف يُرشدك إخلاصك إلى الطريق الصحيح.

إنّ القصة لا تقول أيّ شيء آخر، بيد أنّ هناك شيئاً واحداً مُؤكّداً: ذلك الرجل يفهم «الجنيد». إلى متى يستطيع أن يبقي بعيداً عن «الجنيد»؟ سوف يكون عليه أن يذهب إلى المُعلّم. إنّه يفهم المُشكلة الخاصة به، إلى متى سوف يستمر في الادعاء عن طريق تنظيم مظاهر البساطة حوله؟ في يوم أو آخر سوف يخرج منها، ويبدأ في البحث عن المفتاح الصحيح. إنّ المفتاح الصحيح هو الطريق الرابع.

إنّ الطريق الرابع يعني أنّ المحتوى لا يُؤثر على الوعي، كذلك الوعي لا يُؤثر على المحتوى. إنّ العالم هناك، وأنا هنا. لا يُوجد جسر، ولا يُوجد التقاء. هذا هو طريق التصوّف، طريق «الزن»، طريق جميع الديانات الأساسية.

***

الفصل الثاني عشر

نسائم مختلفة

7 سبتمبر 1977 صباحاً في قاعة «بوذا».

السؤال الأول:

«أنا دائماً في عجلة من أمري، ودائماً ما أقلق بشأن إذا كنتُ سوف أتمكّن من الوصول أم لا؟».

لا يُوجد مكان تصل إليه ولا يُوجد مَن تصل إليه. إنّ فكرة الهدف بأكملها عبارة عن وهم. عندها تبدأ العيش في المستقبل، بينما الوقت هو الآن، والمكان هنا. عندها تبدأ العيش هناك في مكان ما بعيد جداً. يُصبح لاحقاً وهناك، أكثر من الآن هنا. إنها الفنّ الكامل كي تُصبح تعِساً، الأسس الكاملة للكرب، والقلق. إنّها تقسمك وتفصلك عن الواقع الحالي. إذ يُصبح الهدف أكثر أهمية، وتُصبح اللحظة الحالية أقلّ أهمية، إنّ اللحظة الحالية حقيقية بينما الهدف مُجرّد حلم. عندما تعيش من أجل حُلم سوف تُعاني، لأنّ الحلم لا يُمكن أن يُنجز، ولا يُمكن أبداً أن يُصبح واقعاً، بل يبقى الحلم حلماً، وأنت سوف تُضيّع حياة ثمينة.

أنا ضدّ جميع الأهداف. إنّ الإله ليس هدفاً، كذلك الحقيقية ليست هدفاً. إنّ الحقيقة هنا بالفعل. لو أنّك أيضاً هنا، فسيكون هناك لقاء، ولكنّك لستَ هنا. إنّ الإله ينتظرك هنا ولا يجدك أبداً هنا، إنّك في مكان آخر، على كوكب آخر، في زمن آخر، في مكان آخر. إنّها ليست مسألة أنّك ذاهب إلى الإله، بل المسألة هي أنّك قادم إلى الإله. إنّها ليست مسألة ذهاب، إنّها مسألة عودة إلى الأصل. إنّ الإله ينتظرك هنا.

إنك تحمل هذه الفكرة، وهي كذلك لدى الجميع، لأنّه على مرّ العصور كان هناك شيء واحد يتمّ تعليمه للإنسان: أنّه يجب عليه أن يُصبح شيئاً ما، يجب أن يتفوق على نفسه، ويجب أن يتقدّم. لقد تغلغلَت هذه الفكرة إلى عظامك، ونخاعك، وهي تُواصل قيادتك إلى الجنون! إنّها لا تتركك أبداً في سلام، ولا تدعك ترتاح. من المُستحيل أن ترتاح مع هذا التفكير. بيد أنّك تعلّمتَ دائماً: اِدفع، أسرع، تعجَّل، الوقت قصير والوقت هو المال. اِدفع، تعجّل، اِفعل شيئاً قبل أن يفوت الوقت. ماذا تُريد أن تفعل؟ كُن! والكينونة مُمكنة فقط «هنا الآن». إنّ فكرة «أن تُصبح» مُسممة. لو كنتَ عالقاً في مصيدة الصيرورة، فستبقى عصابياً.

ليس هناك شيء تحتاجه حقاً. لقد تمّ اعطاؤك كلّ شيء بالفعل. ذلك الذي تريد أن تُصبحه، كنت إياه طوال الوقت، ولم تفقده ولا لحظه واحدة. حتى عندما تكون في بؤس، لا تفقد واقعك لحظة واحدة، ولا حقيقتك. كيف يُمكن أن تفقد واقعك وحقيقتك؟

أنا هنا لا أحدد لك هدفاً، لأنّ كلّ التوجيه بالأهداف سيجعلك أكثر فأكثر تعاسة. أنا أقوم بمحاولة كي آخذ بعيداً عنك جميع الأهداف، وجميع المثل العليا، وأتركك «هنا الآن»، في نوع مُختلف تماماً من الفضاء، في حضور مُختلف. هذه اللحظة جميلة، هذه اللحظة مثالية.

أنت تسألني: «أنا دائماً في عجلة من أمري، ودائماً ما أقلق بشأن إذا كنتُ سوف أتمكّن من الوصول أم لا؟». إلى أين تُريد الذهاب؟ إلى ماذا تُريد أن تصل؟ إنّ الباحث هو المبتغى. أن تعرف الشخص المُختفي داخلك، هو كلّ المطلوب، ومن أجل ذلك، ليس هناك حاجة إلى الذهاب إلى أيّ مكان، ولا تحتاج من أجل ذلك أن تفتح عينيك حتى، ولستَ في حاجة إلى أن تخطو ولا حتى خطوة واحدة. هذا سبب قول «لاو تزو»: «إذا بحثتَ، سوف تضلّ، لا تبحث، وسوف تجد».

إنّ البحث رغبة. بمُجرّد أن تبدأ في البحث فسوف تستمرّ في الانحراف من هدف إلى آخر. أحياناً يكون المال هو الهدف، أحياناً السلطة، ثمّ أحياناً يكون التأمل، وأحياناً التنوير، الإله، «نيرفانا». يتغيّر الاسم ولكن يبقى الهدف، وتبقى مُتوتراً لأنّ الوقت يمضي. كيف يُمكن أن تتجنّب التوتر؟ يمضي الوقت وتهدر الطاقة، ولم يتحقق الهدف بعد، وتُصبح الحياة أقصر فأقصر. كيف يُمكن أن تكون سعيداً؟ إنّك تُصبح محموماً أكثر فأكثر، تُصبح أكثر فأكثر جوعاً للهدف. إنّ الموت قادم والهدف لا يبدو موجوداً في أيّ مكان.

من الطبيعي كلّما تقدّم بك العمر أن تُصبح أكثر بؤساً. إنّه ليس الموت، وليس السنّ الكبير الذي يجعلك بائساً، بل استحالة الهدف. حينما تكون صغيراً تستطيع أن تأمل، فهناك وقت كاف، وطاقة كافية، والجسد في صحة جيدة، وأنت لم تذق بعد طعم الاحباط، وتبدو الأحلام جميلة. مع مرور الوقت، كلّما كبرتَ في السنّ، سوف يكبر الاحباط. وتتكسّر الأحلام في مكان ما، وتستمرّ في خلق أوهام جديدة، لأنّك لا تستطيع أن تعيش دون وهم. إنّ الموت يقترب منك، والهدف لا يتحقق، هذا هو البؤس. هذا ما يُخيف.

بيد أنه إذا لم يكن لديك أيّ هدف، فلن تكون خائفاً من الموت. إذا لم يكن لديك أيّ هدف، فلن تكون خائفاً من أيّ شيء، فلا يُوجد ما يُمكن أن يُؤخذ منك. لا يُمكن أن تضلّ في طبيعة الأشياء! من المُستحيل أن تضلّ.

إنّ التفكير الحديث أكثر إدماناً على الأهداف، لأنّ التفكير الحديث مُتعلّم، ومُتحضر. كلّما كنتَ أكثر تعليماً، أصبحتَ أكثر طموحاً، لأنّ كلّ ما يفعله التعليم هو خلق آلية دقيقة من الطموح داخلك. إنّ التعليم يُفسدك، ويُفسد مصدر فرحك، ويمنحك طموحاً كبيراً، ورحلات للأنا المزيفة. كلّما أصبح العالم أكثر تعليماً، أصبح الناس أكثر ذعراً، ولا يعود هناك أحد واثق هل سيفعلها أم لا.

في كتاب «لويس كارول» المعنون «مُغامرات أليس في بلاد العجائب»، هناك قطعة جميلة:

تقول «أليس»: «أيها القطّ «تشيشر»، هلا قلتَ لي من فضلك أيّ طريق يجدر بي الذهاب منه؟».

قال القطّ: «هذا يعتمد على نحو كبير على المكان الذي تُريدين الوصول إليه».

قالت «أليس»: «لا أهتمّ كثيراً إلى أين».

قال القطّ: «إذاً لا يهمّ أيّ طريق تسلكين».

أضافت «أليس» تفسيراً: «طالما أصل إلى مكان ما».

قال القطّ: «أه، بالتأكيد سوف تفعلين، إذا سرتِ مسافة كافية».

إلى أين أنت ذاهب؟ ما الهدف؟ بمُجرّد أن ينحصر تفكيرك في هدف تبدأ في التماس الوسائل والطرق من أجل الوصول إلى الهدف. بمُجرّد أن يكون لديك غاية في تفكيرك، تبدأ في البحث عن الطرق، الأساليب، التقنيات. إنّ التوجّه إلى الهدف يخلق الطريق، الأسلوب، التقنية. بمُجرّد أن تتخلّى عن الهدف، لا تُوجد حاجة إلى أيّ آلية أو وسيلة. عندئذ فجأة أنت هنا. ولم تفقد أيّ شيء. إنّ فكرة الفقد نشأت من فكرة الهدف. بمُجرّد أن تمتلك هدفاً عندها تبدأ في الشعور أنك تفتقد شيئاً.

على سبيل المثال، لو كان لديك هدف أن تُصبح مليونيراً، عندئذ أنت تفتقد المليون، لأنّك لا تمتلك ولا حتى دولاراً واحداً في جيبك. أنت تُريد أن تمتلك مليون دولار، ولذلك ينقصك مليون دولار. إنّ الرجل الجالس بجوارك والذي لم تُراوده تلك الفكرة الخاصة بالمليون دولار، ليس على هذا القدر من الجنون، ولا ينقصه شيء. كلاكما في الموقف ذاته، كلاكما قد يمتلكّ المقدار ذاته من المال، بيد أنّ أحدكما ينقصه شيء، والآخر لا ينقصه أيّ شيء. إنّ الأمر يرجع إليك.

إنّك تفتقد الإله لأنه أصبح هدفاً بالنسبة إليك. تفتقد التنوير لأنّه أصبح هدفاً لديك. بينما لا أحد آخر ينقصه أيّ شيء. ضَع هدفاً وسوف تُصبح هذه مشكلتك. لو أنصتَ إليّ على نحو صحيح، تخلّ عن الأهداف، ولن تفقد أيّ شيء. لن تكون هناك طريقة للفقد عندئذ! كيف يُمكن أن تفتقد دون أن يكون لديك هدف في تفكيرك؟ حينما لا تفتقد، هذه هي حالة كونك إلهاً، أو في حضرة الإله. حينما لا تفتقد، هذا يُسمّى تنويراً. إنّ التنوير ليس هدفاً، بل هو إدراك أنّه لا يُوجد ما نفتقده، لأنّه لا يُوجد ما نصبو إليه.

دعني أُكرر ذلك: إنّ التنوير ليس هدفاً. إنّه استيعاب عدم وجود شيء نصبو إليه، وعدم وجود ما نفقده. عندئذ تكون مُستنيراً.

تستطيع أن تُصبح مُستنيراً في الحال. ليس هناك مَن يُغلق الطريق، لا يُوجد ما يُعيقك. بيد أنّ المُشكلة فيك أنت، أنت تُريد أن تُصبح مُستنيراً في المستقبل، ولكن لو كنتَ مُصراً على أنّك تستطيع أن تُصبح مُستنيراً الآن، ينشأ السؤال: «الآن؟ كيف يُعقل أن يكون ذلك مُمكناً؟ أعطنا بعضاً من الوقت، علينا أن نستعدّ. سوف يكون علينا أن نكون على استعداد. سوف يكون علينا أن نُمارس يوغا «أسانا»، التأمل الحركي، «الكونداليني»، وأشياء من هذا القبيل. أعطنا قليلاً من الوقت. كيف يُمكن أن نُصبح مُستنيرين كما نحن؟».

إنك مُستنير، هذا سبب قولي إنّك تستطيع أن تكون مُستنيراً الآن. إنّك لم تكن غير مستنير إطلاقاً! لقد كنتَ مُستنيراً طوال الوقت. بيد أنك فقط لم تُدرك الحقيقية.

أنت تسأل: « كيف يُمكن أن نُصبح»، أنت ضائع مع سؤال كيف بالذات، لقد فقدتَ المعنى كلّه. لا تُوجد كيف في الأمر. بمُجرّد أن تبدأ في المحاولة، عندها تدخل في الصعوبات.

ذات ليلة كنتُ أقصّ قصة:

أسقط مُعلّم «الزن» منديله وقال لأحد طلابه الذي كان جالساً هنا: «حاول أن تلتقط المنديل،

حاول أن تلتقطه».

على الفور التقط الطالب المنديل وأعطاه إلى المُعلّم. بيد أنّ المُعلّم لم يكن سعيداً، فأسقطه مرة أُخرى.

قال: «إستمع إليّ، إستمع إلى ما أقول. حاول أن تلتقطه». مُجدداً التقطه الطالب، ثمّ تكرر الأمر ست مرات، إذ كان المُعلّم يُسقط المنديل مرة تلو الأُخرى، وحينما القاه في المرة السابعة أدرك الطالب ماذا كان يقصد. لقد كان يقول شيئاً غريباً. لقد كان يُعطيه لغزاً «كوان».

«حاول أن تلتقطه!»، «كيف يُمكن أن «تُحاول أن تلتقطه؟»، إنك إما أن تلتقطه أو لا تلتقطه. كيف يُمكن أن تحاول؟

ثمّ فهم القصد وهو أنّ المحاولة ليست شيئاً مُمكناً. إمّا أن تلتقطه أو لا تلتقطه، والمحاولة ليست شيئاً ممكناً. ثمّ ضحك.

قال: «لقد فهمت». ثمّ انحنى شاكراً مُعلّمه.

قال المُعلّم: «تذكّر، لا تُحاول أبداً. إما أن تفعل أو لا تفعل. لا يُوجد مجال للمحاولة».

إما أن تكون مُستنيراً أو لا تكون مُستنيراً. ليس هناك طريقة من أجل بذل الجهود كي تصل إلى الاستنارة. ليس هناك مجال للمحاولة، فالمُحاولة تُؤدي إلى التوتر. لقد كنتَ تُحاول بطرق شتى. حينما تُخفق بطريقة تعتقد أنّها خاطئة. كلا سيّدي، هذه الطريقة ليست خاطئة، بل المحاولة هي الخطأ. عندما تفشل مع أحد المُعلّمين تعتقد أنّ هذا المُعلّم مُخطئ. كلا ليس بالضرورة. قد لا يكون المُعلّم مُخطئاً على الإطلاق. لقد فشلتَ لأنّك كنتَ تُحاول.

أنت تفشل في الكنيسة فتذهب إلى المعبد، تفشل في المعبد فتذهب إلى المسجد، تفشل في المسجد فتذهب إلى معبد الهندوس «غورودوارا». بيد أنّك لا تتخلّى عن إدمانك على المحاولة. لا المعبد، ولا المسجد، ولا الكنيسة، ولا «غورودوارا» ستمنحك الأمر لأنّك تمتلكه بالفعل.

إنّ الشيء الوحيد المطلوب هو أن تفهم عبثية المحاولة. إنه جنون السرعة، إذ تُحاول في البداية، ثمّ من الطبيعي، أن تأتي الفكرة الثانية تلقائياً: أن تصل إلى هناك قريباً وبسرعة. مَن يدري، إنّ الحياة في الغد قد لا تكون هناك. هكذا، في البداية يبدأ الإنسان في المحاولة، البحث، التمسّك بالوصول إلى الهدف، ثمّ يُصبح الإنسان مُهتمّاً بكيفية تحقيق السرعة.

في الحياة اليومية، أو ما يُدعى بالحياة الروحية، تُوجد المشكلة ذاتها.

كنتُ أقرأ ذات يوم أنّ «الأمريكي» المُتوسط يقضي ألف وخمسمئة ساعة سنوياً في القيادة، مسافة حوالي سبعة آلاف ميل، ويكسب من المال ما يكفي كي تبقى سيارته تعمل، وما يكفي لصيانتها، ركنها، دفع رسوم الطريق السريع. في مقابل كلّ ساعة يستثمرها من عمره، يقطع فقط خمسة أميال بسيارته.

في الدول حيث الطرق السريعة قليلة، يقطع المواطنون مثل هذه المسافة سيراً على الأقدام. إنّ الفارق بين «الأمريكان» وذلك الشعب المتأخر، اللاصناعي هو أنّ «الأمريكان» يقضون خمسة وعشرين في المئة من أوقاتهم يومياً في الذهاب والقدوم، بينما تقضي الشعوب الأُخرى التي تسير على الأقدام فقط خمسة في المئة.

إنّ هذه الجهود الجبارة من أجل الوصول إلى هناك سريعاً، بأقصى سرعة لم تخلق إلا المشاكل. إنّها مدعاة للسخرية أنّ سكان البلدان المُتأخرة يقضون فقط خمسة في المئة من وقتهم من أجل الذهاب إلى أشغالهم والعودة إلى منازلهم، بينما يقضي «الأمريكان» خمسة وعشرين في المئة، مع كلّ هذه التقنيات الحديثة، والمركبات السريعة. هذا سخيف! ما الهدف من كلّ ذلك؟

لقد حدث كلّ ذلك بسبب السرعة، ومنطق عليك أن تصل سريعاً.

أولاً، لا يُوجد مكان تصل إليه. ثانياً، لا يُوجد سبب كي تكون سريعاً جداً. كُن في رحلة بهجة. دَع هذه الحياة تكون رحلة مُفرحة إلى اللامكان، من اللامكان إلى اللامكان. لقد أتيت من اللامكان، وتذهب إلى اللامكان. في الوسط تُوجد أنت. لقد جئت من العدم، وتختفي إلى العدم. وفيما بينهما مُجرّد لمحة من الوجود، وعليك أن تستمتع بها طالما هي مُتاحة. اِحتفل بها. لا تُدمّرها في الوصول إلى مكان ما، فلا يُوجد مكان تصل إليه، والأكثر أهمية، أنّه لا يوجد أحد في داخلك يقوم بالوصول. لا وجود للمُسافر، إنّ المُسافر أسطورة.

إنّ الحج حقيقي، بيد أنّ الحاج مُزيف.

اِنظر داخل لحظات فرحك العميق وسوف تفهم ماذا أعني. عندما تكون فرحاً حقاً، لا يُوجد مَن يشعر بالفرح داخلك، هناك فرح فقط. عندما تحتفل، لا يُوجد مَن يحتفل، هناك احتفال فقط. عندما ترقص، اِنظر إلى الداخل، ليس هناك مَن يرقص، هناك رقص فقط. هذا ما يُسمّيه الصوفيون «الفناء»، إذ لا يُوجد أحد في الداخل. إنّه كلّه فراغ، إنّه فراغ نقي بالكامل.

أنت تخلق الهدف، والهدف بدوره يخلق الأنا المزيفة. ثمّ تُريد الأنا المزيفة أهدافاً أعلى وأعظم وأكبر. ثمّ تخلق الأهداف الأكبر والأعلى أنا مُزيفة أكبر وأعلى، وهذا طبيعي. بالنسبة إلى الرجل الدنيوي يكون المال هو الهدف، فالأنا المُزيفة عنده ليست ضخمة جداً. بيد أنّ الرجل الروحاني، يمتلك أنا مزيفة ضخمة للغاية، لأنّه يمتلك هدفاً أكبر. إنّ المال أقل منه، إنّه يُريد الإله، ولن يرضى بأقل من ذلك. إنّ السلطة والمكانة أدنى من رغباته، إنّه يُريد حالة «نيرفانا»، التنوير. من أجل ذلك سوف ترى أنا مزيفة أكبر، وأكثر اشتعالاً عند الرجل الروحاني ممّا هي عند الرجل العادي الدنيوي. إنّ الرجل الدنيوي ليس شديد الأنانية، فأهدافه عبارة عن أشياء يومية، توافه، والأهداف التافهة تخلق أنا مزيفة تافهة، بينما مع الأهداف العظيمة تخلق أنا مزيفة عظيمة. مع اللاهدف، تختفي الأنا المزيفة، ويحدث «الفناء، اللانفس «أناتا».

من أجل ذلك حاول أن تفهم كيف أنّك تستمرّ في خلق البؤس والأنا المزيفة عن طريق خلق الأهداف. إنّها حلقة مُفرغة. ثمّ تأتي السرعة إلى التفكير، وعندئذ تُريد أن تُحقق الأمر بأسرع ما يُمكن. أولاً، لا يُوجد هدف، ثانياً، لا يُوجد مَن يُحاول تحقيقه، ثالثاً، أنت تقوم بخلق مأساة أُخرى لنفسك من خلال محاولة تحقيقه بسرعة. إنّ الهدف غير موجود، والباحث غير موجود، والآن هناك هذه الفكرة عن

السرعة، والتي تخلق المزيد والمزيد من الكرب. أنت لا تستطيع أن تنام، ولا أن ترتاح، ولا أن تُحبّ. كيف يُمكنك أن تكون، بينما لا يزال هناك الكثير لإنجازه، وفي حين تبدو الحياة بأكملها مثل أرض قاحلة، لأنّ الهدف لم يتحقق بعد؟

إنّ الفهم هو الهداية، وهو ما يُسمّيه الصوفيون «التوبة»، أي العودة، الدوران مئة وثمانين درجة. إنّك ببساطة تفهم المغزى، فتضحك، وتستطيع أن تتناول قدحاً من الشاي.

هذا هو التنوير: ضحكة، وقدحٌ من الشاي.

السؤال الثاني:

«أنت تُؤمن أنّ الإنسان يجب أن يعيش بطريقة تأملية أكثر. كيف يُمكن أن يحلّ ذلك مُشكلات الحياة أو يمنع الحروب؟».

بداية، أنا لا أؤمن بشيء. أنا لستُ ممّن يُؤمنون بشيء على الإطلاق. لا تربط كلمة «يُؤمن» بي إطلاقاً.

إنّه ليس اعتقادي «أنّ الإنسان يجب أن يكون مُتأملاً أكثر»، بل ما أفهمه أنّ الإنسان يُمكن أن يعيش فقط في التأمل، وإلا فهي ليست حياة. إنّ التأمل هو الحياة، وألّا تكون في حالة تأمل يعني أنك لا تعيش، بل تتظاهر أنّك تعيش، وتكون حياتك حينها مُجرّد قناع، ليس فيها أيّ أصالة، ولا أيّ عمق. إنّها مُجرّد قشرة، واجهة كاذبة.

هكذا أولاً، أنا لا أُؤمن أنّ الإنسان يجب أن يعيش أكثر من خلال التأمل. ثانياً، أنا ليس لديّ «يجب»، أو «لا يجب». لا تُقحم هذه الكلمات عندما يتعلّق الأمر بي. أنا لا أُعطيكم أيّ «واجبات»، لأنّ كلّ «ما يجب فعله» يُؤدي إلى الشعور بالذنب. لو قلتُ لك إنّه يجب عليك أن تفعل كذا، فأنا أخلق بذلك داخلك شعوراً بالذنب. لو لم تستطع أن تفعله، فسيكون هناك إحساس بالذنب. سوف تشعر أنك فشلتَ في شيء ما، وتُصبح أكثر بؤساً. ثمّ إنّ «يجب» تعني المستقبل، وأنا غير مُهتمّ بالمستقبل على الإطلاق. اِنظر إلى الزنابق في الحقل. إنّها لا تُفكّر في الغد، ومن أجل ذلك هي جميلة. أنصِت إلى الطيور على الأشجار. إنّها لا تُفكّر في الغد، ومن أجل ذلك، هي رائعة، خلابة. وتعيش كلّ دقيقة في فرح غامر.

أنا لا أُعطي أيّ «يجب»، لأنها تعني المستقبل، وأنه عليك أن تقوم بشيء غداً، أو في اللحظة القادمة. إنّ «يجب» لا يُمكن أن تكون مُرتبطة بالحاضر، بل تُقحم المستقبل، بينما كلّ اهتمامي بالحاضر، بهذه اللحظة. أنا لا أُقدّم لكم أيّ أحلام. إنّ كل ما يتعلّق بفعل «يجب» غير عمليّ. إنّهم يقولون: «إذا فعلتَ كذا، فسيحدث كذا». إنّها شرطية. أنا أقول لك إنّ الإله مُقدّم إليك بلا شروط. إنّه هبة. لا يُوجد طريقة من أجل كسب الإله، وتُصبح مستحقاً «للإله»، فالإله ليس شيئاً يُمتلك. إنّه هبة غير مشروطة. إنّه متاح لكلّ وأيّ أحد، لا يُوجد ما «يجب» تحقيقه.

إذاً، حتى التأمل ليس «واجباً».

ثالثاً، كيف يُمكن أن «تفعل» التأمل؟ إنّه ليس مسألة فعل. إنّك تستطيع أن تكون في حالة تأمل

لكن لا تستطيع أن «تفعله». إنّه مثل الحُبّ. يُمكن أن تكون في حالة حُبّ، ولكن لا يُمكن أن «تفعله». هل سبق أن حاولتَ القيام بالحُبّ؟ عندها أنت تقوم بفعل شيء آخر، ولا يكون هناك تدفّق، ولا توهّج، ولا فرح. إنّه يتحوّل إلى مُهمّة. إنك تقوم بإيماءات فارغة، وحركات عقيمة لا يُوجد فيها أيّ روح. لا تستطيع أن تفعل الحُبّ، فالحُبّ حالة، وليس فعلاً، وكذلك التأمل.

إنّ التأمل هو حالة الصمت، حالة عدم وجود الرغبة، انعدام الماضي، عدم وجود المستقبل، إنّ التأمل هو الحالة حيث لا تفعل أيّ شيء، بل تستمتع بكينونتك. إنّك سعيدٌ فقط بما أنت عليه، سعيد لأنّك تتنفّس، سعيد ببساطة دون سبب على الإطلاق. في تلك اللحظات يكون هناك تأمل.

أنا لا أستطيع أن أقول لك إنّ التأمل شيء «واجب»، و أنّه يجب القيام به. أنا أستطيع فقط أن أشرح لك ما هو التأمل. إذا فهمتني، فستكون في حالة تأمل. لا يُوجد «يجب» في الأمر. إذا لم تفهمني، فلن تكون في حالة تأمل. بيد أنه في هذه الحالة أيضاً لا داعي كي تشعر بالذنب. يأتي الشعور بالذنب عندما تفعل شيئاً وتفشل. هكذا يُمكن أن يكون التأمل هو الطريقة المؤكدة من أجل خلق الإحساس بالذنب. لو أنّك «قمتَ» به، فستفشل! هكذا يشعر الناس بالذنب.

إنّهم حاولوا أن يصنعوا الحُبّ ولم يحدث، فأصبحوا يشعرون بالذنب. لقد بدأوا يُفكّرون: «أنا غير مُحبّ، إنني أبذل قصارى جهدي ولا يحدث الحُبّ». من الطبيعي أنهم يعتقدون بوجود شيء خاطئ فيهم. لا يُوجد شيء خاطئ، بل الشيء الوحيد الخاطئ هو أنك تُحاول القيام بشيء لا يُمكن أن يُفعل. أنت تُحاول أن تفعل شيئاً يُمكن أن يحدث بعفوية فقط، إنّه يأتي حينما يأتي. على أقصى تقدير، فإنّ الشيء الوحيد الذي يُمكنك القيام به هو عدم مُقاومته، عندما يأتي لا تُقاومه. عندما يأتي، دع الباب مفتوحاً، هذا كلّ شيء. بيد أنّ هذا لا يُعدّ بمثابة الفعل الكثير، إنّه أقرب أن يكون لافعل. تستطيع أن تسمح للتأمل بالحدوث، أو تستطيع أن تُقاوم التأمل ولا تسمح له بالحدوث، ولكن لا يُمكن أن تخرج «يجب» من التأمل.

أنا لا أُعطي أيّ توصيات، فأنا لستُ قائداً. إنّ جميع القادة أناس خطرون، وقد دمّروا الإنسانية. لقد دمّر هؤلاء القادة الإنسان لأنّهم سببوا الشعور بالذنب. إنّ «يجب» عبارة عن هدف.

إنني أُشاركك فهمي ببساطة. أنا لستُ مُهتمّاً بأيّ طريقة بالتفوق عليك. أنا لا أُحاول إصلاحك. إذا كنتَ تُريد أن يتمّ إصلاحك عليك الذهاب إلي الطبيب النفسي، المُحلل النفسي، المُعالج النفسي. إنّهم الأشخاص المعنيون بإصلاحك.

بيد أنّ فكرة إصلاح شخص ما فكرة مُهينة. إنّها تعني أن يتمّ التعامل معك على أنّك شيء. أجل، يُمكن إصلاح السيارة في المرأب، وعندما يُسرّب حمامك يستطيع السمكري أن يُصلحه لك، بيد أنّ الإنسان ليس شيئاً، ولا تستطيع إصلاحه.

في البداية اعتاد رجل الدين على فعل ذلك، والآن المعالج النفسي هو مَن يقوم بذلك. لقد فشل رجل الدين، ويفشل الآن المعالج النفسي، ليس بسبب وجود شيء خاطئ في رجل الدين، أو وجود شيء خاطئ في المُعالج النفسي، كلا. إنّ المُحاولة بأكملها خاطئة. لا يُمكن أن تصلح أيّ أحد، لأنّ الإنسان حرية. إنّ فكرة الإصلاح تحطّ من شأنه كي يكون شيئاً، وتقتل روحه. أنا لا أُعطيك أيّ «يجب» ولا أقوم بإصلاحك. في الحقيقة، أنا لستُ مُهتمّا بنموك الروحي على الإطلاق.

ما أنا مُهتمّ به هو مُشاركة ما حدث لي. إنّه ليس شيئاً فعلته، بل حدث لي، فكيف أستطيع أن أملي عليك ما «يجب»، والأمر قد حدث معي. أنا أستطيع فقط أن أجعلك مُدركاً كيف حدث. إنّه ليس له علاقة بك أو بأفعالك. عليك أن تكون مُنفتحاً، فالفهم يجعلك مُتقبلاً، أكثر استرخاءً، ويُدخلك إلى نوع من التسامح والتخلّي، وفي هذه المساحة، يحدث التأمل ببساطة.

إنّ التأمل هو حالة حيث لا تُحاول من أجل أيّ شيء، ولا حتى من أجل التأمل. إنّ التأمل هو حالة اللاسعي، الاسترخاء التام. لا يُوجد هدف، ولا مكان تذهب إليه، ولا شيء تفعله. إنّ الفرح الصرف بالكينونة هو التأمل. كيف تستطيع أن تفعل ذلك؟ لو فعلته فأنت تُدمّره.

من أجل ذلك، لا أستطيع أن أُعطيك «يجب».

أنت تسأل: «أنت تُؤمن أنّ الإنسان يجب أن يعيش بطريقة تأملية أكثر». كلا. كلّ ما أُريد قوله لك هو أنّ التأمل حقك الطبيعي. إنّه هناك في انتظارك حتى تسترخي قليلاً، حتى يستطيع أن يُغني لك أغنية، ويستطيع أن يُصبح رقصة. إنّ الزهرة هناك بيد أنّك قلق بشدة بشأن الأشياء الأخرى التي لا تستطيع رؤيتها. لقد حدث التأمل بالفعل لحظة ميلادك، لقد حدث في اللحظة التي أصبحتَ فيها حياً. في اللحظة التي دخلتَ فيها إلى الوجود، أزهر التأمل داخلك.

هناك لحظات تُصبح فيها مُدركاً للتأمل. إنّه مُخبأ فقط هناك تحت سطح أنشطتك اليومية، ألم تُصبح واعياً بالأساس العميق في داخلك حيث لا يحدث شيء أبداً، حيث كلّ شيء صامت؟. يقولون في «الأوبانيشاد» إنّ الحياة تُشبه طائرين يجلسان على شجرة، إذ يجلس أحدهما أعلى الشجرة، ساكنٌ، صامت، كأنه غير موجود. بينما يقفز الطير الآخر من غصن إلى آخر، ومن هذه الثمرة إلى تلك الثمرة، يُحارب، يُعاني، يُحاول الوصول، إنّه شديد التوتر، مُتعب، مُحبط. تقول «الأوبانيشاد» إنّ هذين الطائرين هما أنت. على الغصن القريب من الأرض يقفز أحد هذين الطائرين، يندفع في عجلة، يقوم بهذا وذاك. بينما على الغصن الأعلى يستمرّ الطائر الآخر في الجلوس، إنّه يقوم فقط بمُراقبة الطائر الآخر وما يقوم به من جهود حمقاء. وكلاهما أنت.

إنّ التأمل في أعماقك هو الأساس. من أجل ذلك، حينما يحدث أن تكون فوضى حياتك أخف، رُبّما تُراقب غروب الشمس، ومع مراقبة الغروب تُصبح ثرثرة دماغك ساكنة، لقد جعلها جمال الغروب تسكن. إنّك في حالة من الخشوع، التعجب، الغموض، جمال الشمس وهي تغرب، والليل يهبط، الطيور عائدة إلى أعشاشها، الأرض بأكملها تستعد من أجل الراحة، المناخ الكامل للراحة. لقد انتهى النهار مع اضطرابه، ويشعر تفكيرك بالهدوء. يجلس الطائر على الغصن السفلي ساكناً لحظة. وفجأة لا يعود هناك طائران، هناك طائر واحد فقط. وفجأة تشعر بفرح غامر ينشأ في داخلك.

أنت تظن أنّك تشعر بهذا الفرح بسب غروب الشمس الجميل. هنا يكون خطأك. إنّ مشهد غروب الشمس الرائع أنشأ موقفاً، ولكنّ الأمر ليس بسبب ذلك. إنّ الفرح قادم من الداخل. رُبّما تكون الشمس ساعدَت، بيد أنّها ليسَت هي المصدر. رُبّما تكون ساعدَت على خلق الموقف، لكنّها ليست السبب. إنّ الفرح قادم من داخلك. إنّه ينمو من داخلك. لقد كان هناك: كان على التفكير السطحي فقط أن يستقرّ في فضاء هادئ، وهنا يبدأ الفرح في الظهور.

قد تنظر إلى القمر، أو أحياناً تُنصت إلى موسيقى «بيتهوفن» أو «موتسارت»، أو أحياناً تعزف

على «الفلوت»، أو أحياناً لا تفعل أيّ شيء، بل تجلس فقط على العشب، مستمتعاً بدفء الشمس، أو أحياناً تسير في المطر، والماء مُستمرّ في الانهمار عليك، وكلّ شيء بارد ورطب، ورائحة الأرض وموسيقى المطر المنهمر، فجأة يكون الفرح هناك والبركة. إنّه لا يأتي من الخارج، بل يأتي من أعماقك الداخلية. هذا ما أُسمّيه تأملاً.

بمُجرّد أن تفهم ذلك، سوف تستغرق أكثر فأكثر في حالة التأمل. إنّه ليس شيئاً تفعله، إنّه شيء تفهمه.

أنت تسأل: «كيف يُمكن أن يحلّ ذلك مُشكلات الحياة أو يمنع الحروب؟». أنا لستُ قلقاً بشأن مشاكل الحياة، ولستُ قلقاً بشأن الحروب. في الحقيقة، أنا لستُ مُهتمّاً بالمجتمع على الإطلاق. إنّ اهتمامي كلّه هو الفرد. اهتمامي كلّه هو أنت. اهتمامي كلّه هو الشخص، وليس المجتمع.

نعم، لو أنّ عدداً أكثر وأكثر من الناس استغرقوا في حالة التأمل، سوف يتغيّر المُجتمع تلقائياً. بيد أنّ هذا ليس من شأني، أنا لستُ قلقاً بشأن ذلك. لو حدث ذلك، فقد حدث. لو بدأ الكثير من الناس في العيش في حالة التأمل هذه، مُستمتعين بتلك الحالة التأملية من انعدام الكفاح، وعدم وجود الطموح والرغبة، لو عاش الكثير من الأشخاص في هذا النوع من الراحة، فسيخلقون اهتزازات حول أنفسهم، ومن الطبيعي سوف يهدأ المجتمع.

يغرق المُجتمع في الحرب لأنّ الناس متوترون، ويتصارعون مع أنفسهم باستمرار، ولأنهم غاضبون، ثائرون، يشتكون بشدة، إنّهم ليسوا سعداء، إنّهم يريدون أن يُدمّروا. حينما تكون سعيداً فأنت تُريد أن تبني، حينما تكون تعِساً تُريد أن تهدم. حينما تكون في حالة ثورة تُصبح قاتلاً أو انتحارياً، بينما عندما تكون في حالة امتنان تكتب أغنية أو ترسم لوحة، أنت تفعل شيئاً خلاقاً. يأتي الابداع من السعادة، بينما يأتي التدمير من التعاسة.

إنّ الناس بؤساء. ملايين وملايين من الناس البؤساء، الذين يتجمّع بؤسهم مثل السحب. هل سبق أن رأيت الدخان يتصاعد أحياناً من جميع الأسقف في قرية «هندية»؟ يستمرّ هذا الدخان في التجمّع، ويُصبح سحابة تُخيّم على القرية. لقد ساهم الجميع في تكوينها. هذه ماهية الحرب: ثورة، غضب، عنف، طموح، قسوة ترتفع من سقف كلّ شخص، من رأس كلّ شخص، مثل الدخان. ثمّ تتجمّع مع بعضها، وتُصبح سحابة هائلة، هذه ماهية الحرب. ثم في يوم ما تُصبحون جميعاً مُحاطين بالظلام، القتل، تقتلون وتغتصبون بعضكم البعض.

بعد كلّ عشر سنوات تكون هناك حاجة إلى حرب، لأنّه في عشر سنوات نكون راكمنا الكثير من الغضب بحيث تستطيع الحرب وحدها أن تُفرغه. لقد تراكم لدينا الكثير من القيح إلى درجة أنه بعد كلّ عشر سنوات يجب أن يُصبح العالم مجنوناً، عصابياً، حتى نستطيع أن نتخلّص ممّا تراكم لدينا من القيح والسمّ.

بيد أني لستُ مُهتمّاً على نحو مباشر، لأنّ هذا ليس الشيء المباشر. لا يُمكن فعل شيء حياله بطريقة مباشرة. هذا ما يستمرّ السياسيون في فعله: التحدّث عن السلام، إطلاق حمائم السلام. كلّ ذلك هراء! إنهم يستمرّون في صناعة القنابل. يتحدّثون عن السلام ويُعدّون من أجل الحرب. إنّهم يقولون حتى

هذا الشيء السخيف: أنّهم يُعدّون من أجل الحرب حتى يُمكن أن يكون هناك سلام في العالم.

أنا لستُ مُهتمّاً بالمجتمع بصورة مُباشرة. أنا مُهتمّ بالأفراد، لأنّ تحول الفرد وحده هو ما يستطيع أن يأتي بنوع مُختلف تماماً من المجتمع إلى العالم. لا يُمكن الإتيان بهذا الأمر بطريقة مُباشرة، ولكنّ السياسيين يُحاولون فعل ذلك. أنا لستُ سياسياً على الإطلاق.

يُمكن أن يأتي المجتمع الجديد في يوم واحد، لو أنّ الوعي الجديد حدث. بيد أنّه سيكون نتيجة الوعي الجديد، وليس العكس.

يقول «ماركس»: «في البداية يجب أن يتغيّر المجتمع، وبعدها سوف يُولد الوعي الجديد». أنا أقول: «في البداية يجب أن يتكوّن الوعي الجديد، وبعد ذلك سوف يتغيّر المجتمع». إنّ الوعي أكثر قيمة. يجب إطلاق الوعي التأملي في العالم، فلا تستطيع أن تفعل شيئاً آخر غير أن تُصبح مُتأملاً. إذا قمتَ بالانتقال أكثر وأكثر إلى هذه الفسحة، فستقوم بخلق نوع من الطاقة حولك تُساعد الآخرين على أن يُصبحوا أكثر تأملاً. عندما تجلس بجوار شخص متأمل، يبدأ شيء في داخلك بالتغيّر في الحال.

عندما تجلس بجوار شخص غاضب حقاً، يبدأ شيء داخلك في الاضطراب. إن غضبه يعصف بك، ويستفز غضبك. عندما تجلس بجوار شخص مُنغلق تُصبح مُنغلقاً. إن انغلاقه يميل لأن يخلق داخلك انغلاقاً. إننا نتأثر ببعضنا البعض لأننا نعيش في المحيط نفسه، وهذا أمر طبيعي. عندما ترى شخصاً يضحك، فجأة يُشرق وجهك بابتسامة. رُبّما كنتَ في بؤس، ولكنك تنسى ذلك لحظة، فالضحكة كانت جميلة جداً، مُلفتة جداً، تنتقل بسهولة إلى درجة أنّك تنسى بؤسك لحظة وتندمج في تناغم مع هذا الشخص. لقد أشعلتك ضحكة ذلك الشخص، فابتسمت. إنّك سوف تعود مُجدداً إلى المصيدة، هذا شيء آخر، ولكنّ الموجات من حولك تُؤثّر عليك.

إذاً، فإنّ توجهي ليس نحو المجتمع. فالمجتمع بالنسبة إليّ غير موجود، لأنّ المجتمع لا تُوجد فيه روح، بل الأفراد فقط هم الموجودون الذين يمتلكون الروح. إنّ توجهي نحو الفرد، ومُناشدتي مُوجهة إلى الفرد، أنا استحثّ الفرد، وأدعو في صالح الفرد. لو كان هناك الكثير، والكثير من الأفراد في نوع من الفضاء الذي أدعوه التأمل، عندئذ في وقت قريب لن يعود هناك المزيد من الحروب. لن يكون الأمر أننا سوف نضطر إلى تنظيم احتجاجات من أجل السلام أو مسيرات من أجل السلام، كلا، كلّ ذلك هراء! هل سبق أن رأيتَ الناس يحتجّون ضدّ الحرب؟ إنّهم يبدون في مُنتهى الغضب. إنّهم مُستعدون كي يتشاجروا مع أيّ أحد. ينتهي كلّ احتجاج من هذا النوع بالشجار مع الشرطة. إنّهم يبدأون في قذف الحجارة، اشعال الحافلات. كلّ مسيرة سلام تنتهي بحرب. إنك ترى الناس يصيحون، كم يبدون غاضبين!

إنها طريقة أُخرى كي تتخلّص من غضبك، وهذا كلّ شيء. إنّهم ضدّ الحرب. إنّ الشخص الغاضب يحتاج أن يكون ضدّ شيء ما، وأيّ شيء سوف يفي بالغرض. إنّه يحتاج أن يكون ضدّ شيء بحيث يستطيع أن يُظهر غضبه ولا يشعر بالذنب.

أنا لا أؤيد كلّ هذه الأشياء. إنّها لا تزال سياسية. إنّها جزء من الطريق نفسه، إنّها لا تُغيّر شيئاً، بل تخلق فقط الوهم أنّ التغيير قادم، وهو لم يأتِ بعد. لقد حاول الإنسان أن يُغيّر المُجتمع على مدار خمسة آلاف عام، بيد أنّ المجتمع لم يتغيّر. إنّ كلّ ما يُمكن فعله يُمكن فعله مع الفرد- الذي يمتلك وحده إمكانية

التغيير، لأنّه وحده الذي يمتلك القدرة على الانقلاب على نفسه.

لو تغيّر عدد أكثر من الأفراد، فسيكون هناك نوع مُختلف من المُجتمع، ولن تكون هناك حرب.

أنت تسأل: «كيف يُمكن أن يحلّ ذلك مُشكلات الحياة؟». أنا لا أقول إنّه سوف يحلّ مشكلات الحياة، أنا ببساطة أقول إنّك لو كنتَ في حالة تأمل، فستختفي المشاكل. إنّها لن تحلّ، فليس هناك حاجة إلى حلّ المشاكل. يتمّ خلق المشاكلّ في بادئ الأمر عن طريق التوتر.

على سبيل المثال، جاء إليّ رجل. كان يُعاني من الأرق. لقد كان سياسياً في مرتبة وزير في أحدى المحافظات في «الهند». لقد أراد مني أن أُعطيه بعض التأملات حتى يستطيع أن يسترخي وينام. قلتُ له: «ليست مُشكلتك في الأرق، بل إنّ الطموح هو مشكلتك. ما الذي تستمرّ في التفكير فيه ليلاً؟».

قال: «السياسة، بالطبع، السياسة، أنت تعلم، إنّها معركة مُستمرّة، ومن أجل ذلك، أنا أستمرّ في التفكير فيها، وهذا يجعلني مُتوتراً جداً إلى درجة أنني لا أستطيع أن أنام».

هكذا قلتُ: «إنّ المسألة ليست في التأمل، بل كيف تتخلّى عن طموحك، كيف تفهم طموحك».

بيد أنّه لم يكن مُهتمّاً بذلك. قال: «هذا كثير للغاية، أنا لا أستطيع أن أتخلّى عن السياسة. لقد أتيتُ فقط من أجل مُباركتك حتى أستطيع أن أنام».

إنّه يُريد أن يقوم بمُعجزة. إنّه سوف يتسبب في الأرق، وأنا عليّ أن أُباركه حتى يستطيع أن ينام جيداً. قال: «لقد ذهبتُ إلى «مهاريشي ماهيش يوغي»، وأعطاني تأمل تجاوزيّ، ووعدني أنّ كلّ شيء سيكون على ما يُرام، وأن مشكلتي سوف تُحلّ».

أخبرته: «هذه حماقة. سوف تتسبب في المشكلة باستمرار. إنّ المسألة ليست في إيجاد حلّ. أنت تستمرّ في سكب الماء على جذور الشجرة، ثمّ تستمرّ في تشذيب الشجرة. توقّف عن ريها، وإلا فلن يُفيد التشذيب. في الحقيقة، إنّ التشذيب قد يجعل أوراقها أكثر سمكاً. أنا لا أستطيع أن أُعطيك أيّ تأمل ولكن أستطيع أن أُريك، وأجعلك تفهم كيف أنّك تُسبب الأرق لنفسك. إنّ طموحك هو السبب. لو اختفى الطموح، سوف يختفي الأرق».

إنّ مشاكلّ الحياة لا تحتاج إلى الحل، بل يجب فهم لماذا وُجدَت في المقام الأول.

إنّ التفكير المُتأمل يمتلك بصيرة. إنّه يستطيع أن يرى بنفسه كيف أنّه يخلق المشاكل. وبعدها من الطبيعي أن يتوقّف عن التسبب فيها. ليس الأمر أنّه قام بحلّها، بل لم يعُد يُوجدها.

هناك ثلاثة أنواع من المُشكلات. الأول تلك التي تقوم بالتسبب فيها وهي تُمثل تقريباً تسعين في المئة من مشكلات حياتك. أنت تستمرّ في اختلاقها، وتستمرّ في القول إنك لا تُريدها، ولكنّك تستمر في خلقها. يجب عليك أن ترى سخافة وحماقة الأمر. تختفي تسعون في المئة من مشاكلك ببساطة حينما تكون في حالة تأملية، نظراً لأنك تستطيع أن ترى، وعن طريق رؤيتها، تتوقف عن خلقها.

ثمّ هناك النوع الثاني من المشاكل، وهي تسعة في المئة، والتي لا تخلقها أنت. إنّها تنشأ نتيجة

معيشتك بين الناس. عن طريق التأمل، يتمّ حلّ القليل منها، ويبقى القليل دون حلّ لأنّك لست مصدره. على سبيل المثال، أنت تغار على زوجتك. هذا سوف يتمّ حلّه، ولكن إذا كانت زوجتك تغار عليك، فلن تجد حلاً من خلال تأملك. في الحقيقة، إنّها ليست مشكلتك على الإطلاق، كيف يُمكن أن تُحلّ من خلال تأملك أنت؟ إنّ مشكلتك سوف تُحلّ، ولن تشعر بالغيرة بعد الآن، ولكن إذا كانت زوجتك تشعر بالغيرة، فهذا شأنها، فهي من سيُعاني. أنت لم تعُد تتحمّل أيّ مسئولية عن هذا الأمر بعد الآن، ولا تُعاني من أجله. من خلال إدراك أنّه ليس لك أيّ شأن بهذا الأمر، وأنّه لم ينشأ داخلك، تكون قد تجاوزته. إنّه شيء يجب على الزوجة أن تقوم به: عليها أن تُصبح مُتأملة.

إذاً هناك مُشكلات تنشأ عند الأشخاص الآخرين وتنعكس عليك، وأحياناً لأنّك لستَ مُتأملاً تقوم بدمج نفسك مع هذه المشاكل. إنّها لن تُحلّ من خلالك، فلا يُمكن حلّها بواسطتك، لأنه ليس لها علاقة بك. تستطيع أن تعيش رغماً عنها، بجمال وسعادة. بمُجرّد أن تفهم أنّها ليس لها علاقة بك، تكون قد انتهيت منها.

سوف تجد حلاً بالنسبة إلى تسعين في المئة، وتبقى تسعة في المئة دون حلّ حتى لو مارستَ التأمل، ولكنها سوف تنحلّ من خلال ادراكك أنّها لا تتعلق بك على الإطلاق. سوف يتبقى واحد في المئة، وهو ليس له علاقة بك ولا بالآخرين، وهذا الواحد في المئة هو جزء من الوجود نفسه.

ثمّ إذا كانت المشكلة جزءاً من الوجود نفسه، على سبيل المثال الموت، فهذه ليست مشكلة. إنّها ليست مشكلة يخلقها أحد، لا أنت ولا الآخرين، إنّها ليست مشكلة على الإطلاق. حينما تختفي تسعة وتسعون في المئة من المشاكل، لن يتمّ اعتبار الواحد في المئة مُشكلة بل لغزاً. سوف تتغيّر النظرة بأكملها، إنّه لغز.

هناك أنواع من الأشياء حولنا تُعتبر غامضة، نُحوّلها إلى مشاكلّ لأننا جدليون. نحن نحوّل كلّ شيء إلى مُشكلة. حتى لو تمّ تقديم الحلول إلينا، نقوم بتحويل تلك الحلول إلى مشاكل.

على سبيل المثال، أنا استرسل في الحديث عن التنوير كي أُساعدك على الفهم. فتجعل أنت منه مشكلة. فتقول: «كيف الوصول إليه؟»، لقد صنعتَ مشكلة. تقول: «أيّ الأساليب أستخدمها؟ أيّ طرق أتبعها؟». لقد جعلتَه مشكلة.

لقد كنتُ أُحاول أن أُشارك فهمي، كنتُ أُحاول أن أُشاركك حُبي، كنتُ أُحاول أن أُشاركك كياني، وأنت جعلتَ منه مشكلة. أنت الآن تشعر بالقلق، ولن تكون قادراً على النوم بصورة جيدة. سوف تُفكّر الآن باستمرار: «متى وكيف سأُصبح مُستنيراً؟ إنني لم أُصبح مستنيراً بعد». وهذا سوف يخلق البؤس.

سوف تقوم بأشياء كثيرة، وتفشل كلّ هذه الأشياء. أنا أقول «كلّها»، «ولا» شيء واحد يُمكن أن ينجح، لأنّ التنوير ليس شيئاً تستطيع النجاح فيه. إنّ التنوير شيء ينشأ داخلك، حينما تكون قد فشلتَ تماماً، وفعلتَ كلّ ما تستطيع فعله ولم يعُد هناك المزيد كي تفعله، في هذه الحالة بالذات يحدث الاستسلام. إنّه يحدث لأنّك لا تستطيع أن تفعل أيّ شيء بعد الآن، لقد فعلتَ كلّ شيء، وهكذا أنت تسترخي، فلم يعُد هناك ما تفعله. لقد انتهَت رحلتك. يحدث التنوير في هذا الفشل، فهذا الفشل التامّ هو البوابة.

إنني أُشاركك فهمي، فتجعل منه مشكلة. أُخبرك عن التأمل وعن جماله والبركة التي فيه، فتجعله

على الفور رغبة. ثمّ تنشأ المشكلة.

يتبقى واحد في المئة، ولكنّه لن يُعتبر مُشكلة على الإطلاق. في الحقيقة، سوف يُصبح شيئاً ذا قيمة هائلة. إنّه لغز. إنّ الميلاد لغز، وكذاك الحُبّ، الموت، الوجود، كلها ألغاز ولا تُوجد وسيلة لتفسيرها. إنّ مادته مصنوعة من الغموض، يُمكنك أن تستمرّ في التعرّف عليه. كلّما عرفت أكثر، شعرت أنّك لا تعرف أكثر. عندما تُصبح حكيماً حقيقة، وتكون قد عرفت كلّ شيء، فجأة تُصبح جاهلاً، فتقول: «أنا لا أعرف أيّ شيء على الإطلاق». إنّ الحكمة المُطلقة هي جهل المعرفة.

إذاً، هناك ثلاثة أنواع من المشاكل: تسعون في المئة منها سوف تُصبح بلا معنى لأنّك لن تختلقها. تسعة في المئة ستبقى موجودة، ولن تُؤثر عليك على الإطلاق، لأنّه ليس لك دخل بها. ثمّ يتبقّى واحد في المئة، لكنّها لن تكون مشكلة بعد الآن، سوف تبقى ألغازاً جميلة تُعاش، كي نمضي خلالها. في هذه الحالة، عندما لا تكون هناك مشكلة تحوم حولك، يكون هناك فرح.

السؤال الثالث:

«لقد كانت الأسرة هي بنية المُجتمع الأساسية آلاف السنين، مع ذلك أنت لا تزال تُشكك في فاعليتها في عالمك الجديد. ماذا تقترح بديلاً عن ذلك؟».

لقد ساهم الإنسان في نمو العائلة. لقد انتهت وحدة الأسرة، فقد عاشت طويلاً جداً. إنّها واحدة من أقدم المؤسسات، وهكذا يستطيع الأشخاص الواعون للغاية فقط رؤية أنّها ميتة بالفعل. سوف يستغرق الأمر وقتاً كي يُدرك الآخرون حقيقة أنّ الأسرة كيان ميت.

لقد قامَت الأسرة بدورها، ولم يعُد لها علاقة بالسياق الجديد للأشياء، ولا علاقة لها بالإنسانية الجديدة التي وُلدت للتو.

لقد كانت الأسرة جيدة وسيئة، لقد كانت عوناً، فقد نجا الإنسان من خلالها، وكانت مُؤذية بشدة لأنّها أفسدت تفكير الإنسان. بيد أنه لم يكن هناك بديل في الماضي، ولم تُوجد طريقة من أجل اختيار أيّ شيء آخر. لقد كانت شراً لا بُدّ منه، ولكن ليس هناك داع كي يستمرّ ذلك في المُستقبل. يُمكن أن يُوجد في المستقبل أنماط بديلة.

إنّ فكرتي هي أنّ المستقبل لن يكون نمطاً ثابتاً، سوف يكون هناك الكثير من الأنماط البديلة. سوف يبقى هناك القليل من الناس ممّن يختارون الأسرة، يجب أن تكون لديهم الحرية كي يختاروها. سوف يُشكّلون نسبة ضئيلة جداً. هناك عائلات على الأرض جميلة حقاً، نادرة للغاية، وليس أكثر من واحد في المئة، إنها ليست مُتملكة، ويحدث فيها نمو، لا يُوجد فيها سلطة، ولا تملّك، ولا فخاخ الأنا المزيفة، ولا يتمّ فيها تدمير الأطفال، ولا تقوم الزوجة بمحاولة تدمير الزوج، ولا الزوج يُحاول أن يُدمّر الزوجة، حيث يكون الحُبّ والحرية، ويجتمع الناس مع بعضهم فقط بدافع الفرح، وليس انطلاقاً من دوافع أُخرى، حيث لا تُوجد سياسة. نعم، لقد وُجدت هذه الأنواع من الأسر على الأرض، ولا تزال موجودة. بالنسبة إلى هؤلاء الناس لا يُوجد داعي إلى التغيير، بل يستطيعون أن يستمرّوا في العيش في عائلات في المستقبل.

بيد أنه بالنسبة إلى الغالبية العظمى، فإنّ الأسرة شيء قبيح. تستطيع أن تسأل المُحللين النفسيين

وسيقولون: «إنّ جميع الأمراض الفكرية تنشأ بسبب الأسرة. جميع أنواع الذهان، العصاب، تنشأ بسبب العائلة. إنّ الأسرة تخلق إنساناً مريضاً جداً، جداً».

لا يُوجد داع إلى ذلك. يجب أن تكون الأنماط البديلة مُتاحة. بالنسبة إليّ، أحد هذه الأنماط هو المجتمع الصغير «commune» ، وهو الأفضل.

يُقصد بالمجتمع الصغير «commune» أن يعيش الناس في أسرة متحركة، حيث ينتمي الأطفال في هذا المجتمع الصغير إلى الجميع. لا تُوجد ملكية فردية، ولا أنا مزيفة شخصية. يعيش الرجل مع المرأة لأنّهما يشعران بالرغبة في العيش معاً، ولأنّهما يُحبّان ويستمتعان بذلك. في اللحظة التي يشعران فيها أنّ الحُبّ لم يعُد موجوداً، لا يستمرّان في التشبث ببعضهما. بل يُودّعان بعضهما بكلّ الامتنان، ومع كلّ مشاعر الصداقة. إنّها يبدآن في الانتقال مع أشخاص آخرين. إنّ المشكلة الوحيدة في الماضي كانت ماذا نفعل بالأطفال. في المجتمع الصغير «commune»، يُمكن أن ينتمي الأطفال إلى هذا المجتمع، وسيكون ذلك أفضل بكثير. سوف تكون لديهم فرصة ان يكبروا وسط أنواع كثيرة ومُختلفة من الأشخاص. بخلاف ذلك يتربى الطفل مع الأمّ، وفي مدة سنوات كثيرة يكون الأبّ والأمّ هما النموذجان الوحيدان للكائن البشري. من الطبيعي أن يبدأ في محاكاتهما وتقليدهما، ممّا يجعله يتحوّل كي يكون نسخة عن والديه، ويُخلّد في العالم النوع نفسه من الأمراض كما فعل والديه. إنّه يُصبح نسخة مُكررة، وهذا مُدمّر للغاية، ولكن لا يُوجد سبيل آخر عند الأطفال كي يفعلوا شيئاً آخر، إنّهم لا يمتلكون أيّ مصدر آخر للمعلومات.

إذا عاش مئة شخص مع بعض هذا المجتمع الصغير «commune» فسيكون هناك الكثير من الأفراد الرجال، والكثير من النساء، ولن يحتاج الطفل أن يكون مُلتزماً ومهووساً بنمط واحد من الحياة، إذ يستطيع أن يتعلّم من والده، ومن أعمامه، ومن جميع الرجال الموجودين في المجتمع، وتكون لديه روح أكبر.

تسحق الأسر الناس وتمنحهم أرواحاً ضئيلة، بينما في المجتمع الصغير سوف يمتلك الطفل روحاً كبيرة، وتكون لديه امكانيات أكثر، ويكون كيانه أغني بكثير. سوف يرى الكثير من النساء، ولن تكون لديه فكرة واحدة عن المرأة. إنّه شيء مُدمّر للغاية أن تمتلك فكرة واحدة فقط عن المرأة، لأنّه على مدار حياتك بأكملها ستبقى تبحث وتبحث عن والدتك. حينما تقع في حُبّ امرأة، اِحترس! هناك فرصة كبيرة أن تكون وجدتَ شخصاً قريب الشبه من والدتك، وقد يكون ذلك هو الشيء الذي يجب عليك أن تتجنّبه.

إنّ كلّ طفل يشعر بالغضب من والدته، فالأمّ يجب عليها أن تمنع الكثير من الأشياء، ويجب أن تقول لا، هذا شيء لا يُمكن تجنّبه. حتى الأمّ الجيدة يجب عليها أحياناً أن تقول كلا، وتمنع وترفض. يشعر الطفل بالثورة، بالغضب. إنّه يكره الأمّ، مع أنه يُحبها أيضاً لأنّها ملاذه، ولأنّها مصدر حياته وطاقته. إنه يكره الأمّ ويُحبها في الوقت نفسه، ويُصبح ذلك هو النموذج. إنّك سوف تُحبّ وتُكره المرأة نفسها، وليس لديك أيّ مجال آخر للاختيار. إنّك سوف تستمرّ دائماً في البحث دون وعي عن والدتك. ويحدث ذلك للنساء أيضاً، إنّهنّ يُتابعنّ البحث عن شبيه آبائهنّ. إنّ حياتهنّ بالكامل عبارة عن بحث من أجل إيجاد الأب في صورة الزوج.

إنّ والدكِ ليس هو الشخص الوحيد في العالم، فالعالم أغنى بكثير. في الحقيقة، إذا تمكنتِ من إيجاد شبيه الأب فلن تكوني سعيدة. تستطيعين أن تكوني سعيدة مع حبيب، عاشق، ولكن ليس مع والدك.

إذا استطعتَ أن تجد شبيه والدتك فلن تكون سعيداً معها. إنّك تعرفها بالفعل، لا يُوجد شيء آخر تستكشفه. إنّه مألوف لديك بالفعل، والأشياء المُعتادة تُؤدي إلى النفور. يجب عليك أن تبحث عن شيء جديد، بيد أنّك لا تمتلك أيّ صورة له.

في المجتمع الصغير «commune» سوف يمتلك الطفل روحاً أغنى. إنّه سوف يعرف الكثير من النساء، إنّه سوف يعرف الكثير من الرجال، ولن يكون مُدمناً على شخص أو شخصين.

تخلق الأسرة هاجساً داخلك، وهذا الهاجس يكون ضدّ المجتمع. إذا كان والدك يتشاجر مع أحد ورأيت أنّه مُخطئ، فذلك لا يعني شيئاً، إذ يجب عليك أن تقف مع والدك وتكون في صفّه، تماماً كما يقول الناس: «على خطأ أو على حقّ، بلدي هي بلدي!»، وكما يقولون: «والدي هو والدي، سواء كان مخطئاً أو مُحقاً. والدتي هي والدتي، يجب علي ان أكون معها». خلافاً لذلك فسيكون الأمر خيانة.

إنّه يُعلّمك أن تكون غير منصف. أنت تستطيع أن ترى والدتك مخطئة وهي تخوض شجاراً مع الجيران الذين على حقّ، ولكن يجب عليك أن تكون مع والدتك. هذا هو تعليم الحياة غير المنصفة.

في المجتمع الصغير «commune» لن تكون مُتعلقاً جداً بأسرة واحدة- ولن تكون هناك أسرة ترتبط بها. سوف تكون أكثر حرية، وأقلّ قلقاً. سوف تكون أكثر إنصافاً، وتكون مُحاطاً بالحُبّ من مصادر عديدة. سوف تشعر أنّ الحياة مُحبة. تُعلّمك الأسرة نوعاً من الصراع مع المُجتمع، ومع الأسر الأُخرى. إنّ الأسرة تطلب الاحتكار، وتطلب منك أن تكون معها وضدّ الجميع. يجب عليك أن تكون في خدمة الأسرة، وأن تُحارب من أجل اسم وشهرة العائلة. إنّ الأسرة تُعلمك الطموح، الصراع، القسوة. بينما في المجتمع الصغير سوف تكون أقلّ قسوة، وتكون مُتصالحاً أكثر مع العالم لأنّك عرفتَ الكثير من الناس.

هذا ما أقوم بإنشائه هنا، في مجتمعنا الصغير، حيث سيكون الجميع أصدقاء. حتى الأزواج والزوجات يجب ألا يكونوا أكثر من أصدقاء، ويجب أن يكون زواجهما مُجرّد اتفاق بين الاثنين، لقد قررا أن يكونا معاً لأنّهما سعيدان مع بعضهما. في اللحظة التي يُقرر ولو حتى واحد منهما أنّ التعاسة قد خيّمت، عندئذ يتفرقان، وليس هناك داع إلى أيّ طلاق. نظراً لأنّه لا يُوجد زواج، فلا يُوجد طلاق. يعيش الإنسان بعفوية.

حينما تعيش بائساً، تُصبح مع مرور الوقت مُعتاداً على البؤس. بيد أنّ الإنسان يجب ألا يحتمل أيّ بؤس ولو لحظة واحدة. رُبّما كان العيش مع رجل أمراً جيداً في السابق، رُبّما كان شيئاً ساراً، لكن إذا لم يعُد هناك شيء سار عندها يجب أن تخرجي من العلاقة معه، ولا يُوجد أيّ داع كي تشعر بالغضب والتدمير، ولا أن تحمل ضغينة، لأنّه لا يُوجد ما يُمكن فعله حيال الحُبّ. الحُبّ مثل النسمة، تراه عندما يأتي فقط. عندما يكون موجوداً فهو موجود، ثمّ ينتهي، وحينما ينتهي بكون قد انتهي. إنّ الحُبّ لغز لا يُمكنك التلاعب به، ولا ينبغي استغلاله، ولا تقنينه، ولا فرضه بالقوة، ولا لأيّ سبب على الإطلاق.

في المجتمع الصغير، سوف يعيش الرجل والمرأة مع بعضهما فقط من دافع الفرح الذي لا يُوصف لكونهما معاً، وليس لسبب آخر. حينما يختفي الفرح، يتفرقان. رُبّما يشعران بالحزن، ولكن يجب أن يفترقا. رُبّما يبقى الحنين إلى الماضي عالقاً في أذهانهما، ولكنهما يجب أن يفترقا. إنّهما يُدينان لبعضهما بأنهما يجب ألا يعيشا في بؤس، وإلا سيُصبح البؤس عادة. إنّهما يفترقان بقلوب مثقلة، ولكن دون ضغينة.

سوف يبحثان عن شركاء آخرين.

لن يكون هناك زواج في المستقبل بالمفهوم الذي كان سائداً في الماضي، ولا طلاق كما كان في الماضي. سوف تكون الحياة أكثر سلاسة، وأكثر ثقة. سوف تكون هناك ثقة في أسرار الحياة أكثر من الثقة في شفافية القانون، سوف تكون هناك ثقة أكبر في الحياة ذاتها أكثر من أيّ شيء آخر مثل المحكمة، الشرطة، الكاهن، الكنيسة. يجب أن ينتمي الأطفال إلى الجميع، وألا يحملوا أحقاد عائلاتهم. إنّهم سوف ينتمون إلى المجتمع الصغير الذي سوف يهتمّ بهم.

سوف تكون هذه أكبر خطوة ثورية في تاريخ البشرية، عندما يبدأ الناس في العيش في المجتمع الصغير، ويبدأون في أن يكونوا واقعيين، أمناء، جديرين بالثقة، ويقومون بإسقاط القانون أكثر وأكثر.

يختفي الحُبّ في الأسرة عاجلاً أم آجلاً. في بادئ الأمر قد لا يكون الحبّ موجوداً. قد يكون زواجاً مُرتباً، من أجل دوافع أُخرى، من أجل المال، أو السلطة، أو المكانة الاجتماعية. قد لا يكون هناك أيّ حُبّ منذ البداية. ثمّ يأتي الأطفال من رباط الزوجية الذي يُشبه الورطة، يأتي الأطفال دون وجود حُبّ، ويُصبحون منذ البداية مهجورين، إذ أنّ حالة اللاحُبّ هذه الموجودة في المنزل تجعلهم فاترين، غير مُحبّين. إنّهم يتعلّمون درسهم الأول في الحياة من والديهم، في حين أنّ الوالدين غير مُحبّين، وهناك حالة دائمة من الغيرة والصراع والغضب. يستمرّ الأطفال في رؤية الوجوه القبيحة لذويهم.

لقد تدمّرت آمالهم تماماً. إنّهم لا يستطيعون تصديق أنّ الحُبّ سوف يحدث في حياتهم، فهو لم يحدث في حياة والديهم، كما أنّهم يرون آباء آخرين أيضاً، وأُسر أُخرى أيضاً. إنّ الأطفال مُدركون للغاية، إنّهم ينظرون فيما حولهم ويُراقبون. حينما يرون أنّه لا تُوجد امكانية للحُبّ، يبدأون في الاعتقاد أنّ الحُبّ موجود فقط في الأشعار، وأنّه موجود فقط من أجل الشعراء والرواة، وليس له وجود حقيقي في الحياة. بمُجرّد أن تترسّخ لديك الفكرة أنّ الحُبّ مُجرّد شِعر، عندها لن يحدث أبداً، لأنّك أصبحتَ مُنغلقاً أمامه.

إنّ السبيل الوحيد الذي يسمح له بالحدوث مُستقبلاً في حياتك الخاصة، هو أن تراه يحدث. لو أنّك رأيت والدك ووالدتك في حُبّ عميق، حُبّ كبير، يهتمّان ببعضهما، يعطفان على بعضهما البعض، يحترمان بعضهما، عندها تكون قد رأيت حدوث الحُبّ، وعندها ينشأ الأمل. تقع البذرة في قلبك وتبدأ في النمو. أنت تعرف أنّه سوف يحدث لك أيضاً.

إذا لم تره، كيف يُمكن أن تعتقد أنّه سوف يحدث لك أيضاً؟ إذا لم يحدث مع والديك. كيف يُمكن أن يحدث معك؟ في الحقيقة، ستفعل كلّ ما في وسعك كي تمنعه من الحدوث معك، وإلا سيبدو كأنّه خيانة لوالديك. هذه هي ملاحظتي عن الناس: تُردد النساء في أعماقهنّ في اللاوعي: «إنظري أُمّي، إنني أُعاني كما كنتِ تعانين». بينما يقول الأولاد لأنفسهم لاحقاً: «أبي لا تقلق، إنّ حياتي بائسة كحياتك. إنني لم أتفوّق عليك، ولم أخنك. لقد بقيتُ الشخص البائس نفسه مثلما كنتَ. إنني مُلتزم بالقيد والتقاليد. إنني أُمثلك أبي، إنني لم أخنك. إنظُر، إنني أفعل مع أمّ أطفالي الشيء نفسه الذي اعتدتَ أن تفعله مع والدتي، وأفعل مع أطفالي ما أعتدتَ أن تفعله معي. إنني أُربّيهم بالطريقة نفسها التي ربيتني عليها».

إنّ فكرة تربية الأطفال عبارة عن هراء. تستطيع أن تُساعد على أقصى تقدير، ولكنك لا تستطيع أن تُربيهم. إن فكرة بناء الأطفال فكرة سخيفة، وليست كذلك فقط، بل إنها مُؤذية جداً، وضارة على نحو

هائل. إنّك لا تستطيع أن تبني الطفل فهو ليس شيئاً يُشبه المبنى. إنّ الطفل يُشبه الشجرة. أجل، تستطيع أن تُساعد. تستطيع أن تُجهّز التربة، تضع الأسمدة، تستطيع أن ترويها، تستطيع أن تُلاحظ هل تصل الشمس إلى النبات أم لا، هذا كلّ شيء. بيد أنّ الأمر ليس كأنك تبني النبات، فهو سينمو من تلقاء نفسه. أنت تستطيع أن تُساعد، لكن لا تستطيع أن تُربّيه، ولا أن تبنيه.

إنّ الأطفال ألغاز هائلة. في اللحظة التي تبدأ في بنائهم، وتبدأ في إنشاء نماذج وشخصيات من حولهم، فأنت تقوم بتقييدهم. إنهم لن يكونوا قادرين أبداً على مُسامحتك، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي سوف يتعلّمونها. ثمّ سيفعلون الشيء نفسه مع أطفالهم، وهكذا يستمرّ الحال. سوف يقوم كلّ جيل بتمرير عصابيته إلى الأشخاص الجدد القادمين إلى الكرة الأرضية، ويصرُّ المجتمع على كلّ الجنون والبؤس.

كلا، هناك حاجة الآن إلى شيء من نوع جديد. لقد بلغ الإنسان سنّ الرشد، وأصبحَت الأسرة شيئاً من الماضي، إنّها لا تملك أيّ مُستقبل حقاً. سوف يكون المجتمع الصغير هو الشيء الذي يُمكن أن يكون بديلاً عن الأسرة، وسوف يكون أكثر فائدة بكثير.

بيد أنه في هذا المجتمع الصغير، يُسمح للأشخاص المتأملين فقط أن يجتمعوا معاً. عندما تعرفون كيف تحتفلون بالحياة، تستطيعون أن تكونوا معاً، فقط عندما تعرفون الفضاء الذي أُسمّيه تأملاً، تستطيعون أن تكونوا معاً، وتستطيعون أن تكونوا مُحبّين. يجب التخلي عن الهراء القديم بخصوص احتكار الحُبّ، عندها فقط تستطيعون أن تعيشوا في المجتمع الصغير. إذا استمررتَ في حمل الأفكار القديمة بشأن الاحتكار، وأنّ امرأتك يجب ألا تُمسك بيد شخص آخر، وأن زوجكِ يجب ألا يضحك مع امرأة أُخرى، إذا احتفظتَ بهذه الأشياء السخيفة في ذهنك، عندها لن تستطيع أن تصبح جزءاً من هذا المجتمع الصغير.

إذا كان زوجكِ يضحك مع انسانة أُخرى، فهذا جيد، فالضحك دائماً شيء جيد، ولا يهمّ مع مَن يضحك. إنّ الضحك جيد، وله قيمة. لو كانت امرأتك تُمسك بيد شخص آخر، فهذا جيد، فالدفء يتدفق، وسريان الدفء شيء جيد وله قيمة، ولا يهمّ مع مَن يحدث ذلك. إذا كان الأمر يحدث مع امرأتك من خلال العديد من الأشخاص، فسيستمرّ في الحدوث معك أنت أيضاً. لو توقّف مع أيّ شخص آخر، عندها سيتوقّف معك أنت أيضاً. إنّ الفكرة القديمة برمتها في منتهى الغباء!

إنّ الأمر كما لو أنكِ في اللحظة التي يخرج فيها زوجكِ، تقولين له: «لا تتنفّس في أيّ مكان آخر. عندما تعود إلى المنزل تستطيع أن تتنفّس كما تشاء، ولكن يُمكنكَ فقط أن تتنفّس عندما تكون معي. أمّا في الخارج، عليك أن تحبس أنفاسك، وتُصبح مُمارس «يوغا». أنا لا أُريدك أن تتنفّس في أيّ مكان آخر». يبدو هذا الكلام غبياً. لكن عندها لماذا لا يجب أن يكون الحُبّ مثل التنفّس. إنّ الحُبّ تنفّس.

إنّ التنفّس هو حياة الجسد، بينما الحُبّ هو حياة الروح، وهو أهمّ بكثير من التنفّس. عندما يخرج زوجكِ، أنت تجعلين الأمر واضحاً، لا يجب أن تضحك مع أيّ شخص آخر، على الأقل ليس مع امرأة أُخرى. يجب ألا تكون مُحبّاً لأيّ شخص آخر. إنّه ليس مُحباً ثلاثة وعشرين ساعة، ثمّ في الساعة التي يكون فيها معكِ في الفراش، يتظاهر بالحُبّ. لقد قتلتِ حُبّه، فلم يعُد يتدفّق. إذا كان يُحافظ على وضعية ممارس «اليوغا « ثلاث وعشرين ساعة، وكان مُتمسّكاً بحُبّه، خائفاً، هل تعتقدين أنه يستطيع أن يسترخي فجأة في مدة ساعة واحدة؟ هذا شيء مُستحيل. إنك تُدمّرين الرجل، وأنتَ تُدمّر المرأة، ثم تُغذيان الأمر بالمتابعة، والملل، ثمّ البدء في الشعور: «إنه لا يُحبّني!»، أنت الذي خلق كلّ شيء، ثمّ بعد ذلك يبدأ

الشعور أنك لا تُحبّ الشريك، وأنك لم تعُد سعيداً، كما كنتَ من قبل.

حينما يتقابل الناس على شاطئ، حينما يتقابلان في حديقة، حينما يكونان في موعد، لا يكون هناك شيء ثابت بل يكون كلّ شيء سلس، يكون كلاهما سعيداً، لماذا؟ لأنّهما أحرار. إنّ الطير المُحلّق شيء، والطير نفسه في قفص شيء آخر. إنّهم سعداء لأنهم أحرار.

لا يُمكن أن يكون الإنسان سعيداً دون الحرية، بينما نظام العائلة القديم يُدمّر الحرية، ونظراً لأنه يُدمّر الحرية فهو يُدمّر السعادة، ويُدمّر الحُبّ. لقد أصبح هذا النظام مثل طوق النجاة. نعم، لقد حمى الجسد بصورة ما، ولكنّه دمّر الروح. لم يعُد الآن هناك حاجة إلى ذلك. علينا أن نحمي الروح أيضاً. هذا شيء أساسي أكثر فأكثر أهمية.

لا يُوجد مُستقبل للأسرة بالمعنى المفهوم حتى الآن. هناك مُستقبل للحُبّ وعلاقات الحُبّ. «سوف تتحوّل كلمات «زوج» و «زوجة» إلى كلمات وسخة.

في الوقت الذي تمتلك فيه المرأة أو الرجل، من الطبيعي أن تمتلك الأطفال أيضاً. أنا أتفق تماماً مع «توماس جوردون»، الذي يقول: «أنا أعتقد أنّ جميع الآباء مُسيئين مُحتملين للأطفال، لأنّ الطريقة الأساسية لتنشئة الأطفال تكون من خلال القوة والسلطة. أنا أعتقد أنّه شيء مُدمّر حينما يمتلك العديد من الآباء والأمهات فكرة: «هذا طفلي، أنا أستطيع أن أفعل ما أُريده مع طفلي». إنّه شيء عنيف ومُدمّر، أن تمتلك فكرة: «إنّه طفلي وأنا أستطيع أن أفعل ما أُريد به». إنّ الطفل ليس شيئاً. إنّه ليس مقعداً، وليس سيارة. أنت لا تستطيع أن تفعل ما تريده به. لقد جاء من خلالك، بيد أنه لا يخصّك. إنّه ينتمي إلى الإله، وإلى الوجود. إنّك على أقصى تقدير راع له، فلا تُصبح مُتملكاً.

بيد أنّ فكرة الأسرة بكاملها قائمة على التملك، حيازة الممتلكات، امتلاك المرأة، امتلاك الرجل، امتلاك أطفال، والتملك سمّ. من أجل ذلك، أنا ضدّ الأسرة. بيد أني لا أقول أنّ هؤلاء السعداء فعلاً في أسرهم، المتدفقون، الأحياء، المُحبّون، يجب عليهم أن يُدمّروا ذلك. كلا، ليس هناك داع إلى ذلك. إنّ عائلاتهم عبارة عن مُجتمع صغير بالفعل.

بالطبع إنّ المجتمع الصغير الأكبر من الأسرة أفضل بكثير، نتيجة وجود إمكانيات أكثر، وأشخاص أكثر. إنّ الأشخاص المختلفين يجلبون أغاني مُختلفة، أنماط حياة مُختلفة، أنفاساً مُختلفة، نسمات مختلفة، أشعة ضوء مختلفة، ويجب أن نُمطر الأطفال بالعديد من أنماط الحياة المُختلفة قدر الإمكان، حتى يتمكّنوا من الاختيار، وحتى تكون لديهم الحرية كي يختاروا.

يجب أن يتمّ إثراؤهم من خلال التعرف على الكثير من النساء حتى لا يُصبحوا مهووسين بوجه الأم أو أسلوب الأم. عندها سوف يكونون قادرين على حُبّ الكثير من النساء، والكثير من الرجال. وسوف تكون الحياة أكثر من مُجرّد مغامرة.

لقد سمعتُ...

قامت احدى الأمهات بزيارة إلى متجر كبير وأخذت ابنها إلى قسم الألعاب، فلمح حصاناً هزازاً عملاقاً، فامتطاه وتأرجح ذهاباً وعودة مدة ساعة تقريباً.

قالت الأمّ: «هيا يا بني، يجب عليّ العودة إلى المنزل حتى أعدّ العشاء لوالدك». رفض الصبي الصغير ان يتزحزح وكانت كلّ محاولاتها دون فائدة. حاول صاحب المتجر أيضاً أن يُلاطف الصبي الصغير، دون أن يُحرز أيّ نجاح. في النهاية، في حالة من اليأس، قاموا باستدعاء الطبيب النفسي الخاص بالمحل.

تقدّم في منتهى الهدوء، وهمس بضع كلمات في أذن الولد، وعلى الفور قفز الصبي من فوق الحصان وركض إلى جانب والدته.

سألَت الأم وعليها علامات الحيرة: «كيف فعلتَ ذلك؟ ماذا قلتَ له؟».

تردد الطبيب النفسي لحظة، ثمّ قال: «كلّ ما قلته كان: «بنيّ، إذا لم تنزل عن ذلك الحصان الهزاز في الحال، سوف أنزع الحشو من داخلك!».

تعلّم الناس عاجلاً أم آجلاً أنّ الخوف يعمل، والسلطة تعمل، والقوة تعمل. بينما الأطفال لا حول لهم ولا قوة، إنّهم يعتمدون بشدة على الوالدين إلى درجة أنّك تستطيع أن تجعلهم خائفين، وتُصبح هذه هي التقنية التي تستخدمها من أجل استغلالهم والإثقال عليهم، بينما هم ليس لديهم أيّ مكان آخر يذهبون إليه.

في المجتمع الصغير سوف يكون لديهم أماكن كثيرة يذهبون إليها، ويكون لديهم الكثير من الأعمام والعمّات والكثير من الأشخاص، ولن يكونوا عاجزين بهذه الدرجة. لن يكونوا في قبضتك بالقدر الذي هم عليه الآن. ويكون لديهم قدر أكبر من الاستقلال، وقدر أقلّ من العجز والضعف، ولن تقدر على أن تجبرهم بسهولة.

إنّ كلّ ما يرونه في المنزل هو البؤس. نعم أنا أعرف أنه أحياناً يكون الزوج والزوجة مُحبيّن، ولكن حينما يكونا في حالة حُبّ يكونا دائماً في حالة من الخصوصية، ولا يعرف الأطفال أيّ شيء عن ذلك. يرى الأطفال الوجوه القبيحة فقط، والجانب القبيح. حينما يكون الأمّ والأبّ مُحبّين، ويتحابّان خلف الأبواب المغلقة. إنّهما يلتزمان بالهدوء، ولا يسمحان أبداً للأطفال برؤية ما هو الحُبّ. يرى الأطفال فقط اضطراباتهما، تذمرهما، شجاراهما، ضربهما لبعضهما البعض بطرق فظة وماكرة، يؤذيان ويُهينان بعضهما، بينما يستمرّ الأطفال في رؤية ما يحدث.

جلس الرجل في غرفة الجلوس يقرأ الجريدة حينما دخلت زوجته وصفعته.

سأل الزوج الساخط: «ما سبب ذلك؟».

«بسبب كونكَ حبيباً سيئاً».

بعد فترة قصيرة يأتي الزوج، إلى حيث تجلس الزوجة تشاهد التلفاز، ويصفعها صفعة مدوية.

تصرخ فيه الزوجة: «ما سبب ذلك؟».

أجابها: «حتى تعرفي الفارق».

يستمرّ هذا الوضع ويستمرّ، ويُتابع الأطفال مُشاهدة ماذا يحدث. هل هذه هي الحياة؟ هل هذا ما

وُجدت الحياة من أجله؟ هل هذا كلّ شيء؟ يبدأ الأطفال في فقد الأمل، وقبل أن يدخلوا إلى الحياة يُصبحون بالفعل فاشلين، لقد تقبّلوا الفشل. إذا كان آباؤهم الحكماء والأقوياء لم يستطيعوا النجاح، فماذا يتبقّى لهم من الأمل؟ إنّه شيء مستحيل.

لقد تعلّموا الحيل كي يكونوا بؤساء، عدوانيين. إنّ الأطفال لا يرون أبداً حدوث الحُبّ. أمّا في المجتمع الصغير، فستكون هناك امكانيات أكبر. يجب أن يظهر الحُبّ في العلن بصورة أكثر بقليل. يجب أن يعرف الناس أنّ الحُبّ يحدث. يجب أن يعرف الأطفال الصغار ما هو الحُبّ. يجب أن يروا أشخاصاً يهتمّون بأمر بعضهم.

من أجل ذلك، يأتي الناس إليّ في هذا المعبد وخصوصاً «الهنود» ويقولون: «لماذا الأمر كذلك؟ إنّ المُريدين يُظهرون الكثير من الحُبّ تجاه بعضهم البعض في العلن؟». إنّ هذا يُضايقهم. هذه احدى مشاكلهم الكبيرة.

لقد أتت مجلة «ماراسي» ذات يوم، وكان رجلاً قد كتب مقالاً ضدّي قال فيها: «إنّ كلّ شيء جيد، بيد أني لا أستطيع أن أفهم، حينما يذهب «أوشو»، بعد محاضرته، يكون هناك الكثير من العناق والتقبيل، هذا قبيح جداً».

هذه ليست فكرة رجل واحد، بل إنها فكرة عتيقة جداً، وقديمة، وهي تقول إنك تستطيع أن تتقاتل في العلن، ولكن لا يُمكنك أن تكون مُحبّاً في العلن. إنّ القتال مقبول. تستطيع أن تقتل، هذا مسموح . في الحقيقة، حينما يتقاتل شخصان، سوف يقف الجميع من أجل مُشاهدة ماذا يحدث، بل إنهم يستمتعون بذلك! هذا سبب استمرار الناس في قراءة قصص القتل، الإثارة، التحري واستمتاعهم بها. إنّ القتل مسموح، بينما الحُبّ غير مسموح. لو كنتَ تُحبّ في العلن يُعتقد أنّه شيء فاحش. هذا سخيف. هل الحُبّ فاحش، والقتل ليس كذلك؟ لا يُسمح للمُحبّين أن يُظهروا حبّهم في العلن، بينما الجنرالات يُسمح لهم بالسير في العلن مُستعرضين ميدالياتهم، هؤلاء هم القتلة وقد حصلوا على هذه الميداليات مكافأة على القتل! هذه الميداليات تُبيّن كم قتلوا من الناس. أليس هذا فاحشاً؟

هذا ما يجب أن يكون الشيء الفاحش. لا يجب أن يُسمح لأحد بالاقتتال في العلن. هذا فاحش: إنّ العنف فاحش. كيف يُمكن أن يكون الحُبّ فاحشاً؟ بيد أنّ الناس يعتقدون أنّ الحُبّ فاحش، وأنه يجب عليك أن تُخفيه في الظلام، وتُمارس الحُبّ بحيث لا يدري أحدٌ بذلك. يجب عليك أن تفعله بهدوء شديد، وفي خلسة، ومن الطبيعي حينها ألا تستطيع أن تستمتع به للغاية، وألا يُصبح الناس واعين بما هو الحُبّ. إنّ الأطفال، على وجه الخصوص، ليس لديهم أيّ طريقة لمعرفة ما هو الحُبّ.

في عالم أفضل، بفهم أعمق، سوف يكون الحُبّ في كلّ مكان. سوف يرى الأطفال ما هو الاهتمام، ويرون الفرح الذي يأتي عندما تهتمّ بشخص آخر. إنّك تستطيع أن ترى ذلك هنا. تستطيع أن ترى الصغير «سيدهارثا» يُمسك بيد فتاة باهتمام وحُبّ كبيرين. لو أنّهم شاهدوا، فسيتعلّمون. لو عرفوا أنّ هذا يحدث، فستفتح أبوابهم.

يجب تقبّل الحُبّ بصورة أكبر، ونبذ العنف أكثر. يجب أن يكون الحُبّ متاحاً أكثر. عندما يُمارس اثنان الحُبّ يجب ألا يكونا قلقين أنّه يجب ألا يعرف أحد بذلك. يجب أن يضحكا، يُغنيا، يصرخا بفرح،

حتى يعرف الحي بأكمله أنّ هناك أحداً يتودد إلى أحد، وأنّ هناك أحداً يُمارس الحُبّ.

يجب أن يُعتبر الحُبّ كأنّه هبة. يجب أن يكون الحُبّ إلهياً. إنّه مُقدّس.

تستطيع أن تقوم بنشر كتاب عن رجل قُتل، وسيكون هذا مقبولاً، وليس اباحياً، مع أنني أعتبره اباحياً، بيد أنك لا تستطيع أن تنشر كتاباً عن رجل عاشق يُمسك بيد امرأة في عناق عميق صريح، فهذا فعل اباحي. لقد نشأ هذا العالم حتى الآن على أن يكون ضدّ الحُبّ. إنّ عائلتك ضدّ الحُبّ، مُجتمعك ضدّ الحُبّ، ولايتك ضد الحُبّ. إنّها لمعجزة أنّ الحُبّ لا يزال باقياً ولو قليلاً. إنّه شيء لا يُصدّق أنّ الحُبّ لا يزال مُستمراً، مع أنه ليس كما ينبغي أن يكون، إنّه مُجرّد قطرة صغيرة وليس مُحيطاً، بيد أنّ كونه تخطّى الكثير من الأعداء فهذه مُعجزة. أنّه لم يُدمّر بالكامل، هذه معجزة.

إنّ تصوّري عن المجتمع الصغير، أنه يتكوّن من أشخاص مُحبّين يعيشون جنباً إلى جنب دون وجود تنافر بينهم، ولا مُنافسة، مع الحُبّ الذي يتدفّق، كي يكون مُتاحاً أكثر، دون غيرة ولا استحواذ. سوف ينتمي الأطفال إلى الجميع لأنهم ينتمون إلى الإله، فيهتمّ بهم الجميع. يا لهم من أشخاص رائعين هؤلاء الأطفال، هل هناك مَن لن يعتني بهم؟ سوف يكون أمامهم الكثير من الفرص من أجل رؤية الكثير من الأشخاص المُحبّين، وكلّ شخص يعيش بطريقته الخاصة، وكلّ امرأة تُحبّ بطريقتها الخاصة. دعوا الأطفال يرون، يلعبون، يستمتعون. عندما يُمارس الوالدان الحُبّ، اِسمحوا للأطفال بالتواجد هناك، دعوهم يكونوا جزءاً منه. دعوهم يُشاهدوا ما يحدث مع أُمهاتهم عندما يُمارسنَ الحُبّ، وكيف يُصبح وجهها مُنتشياً، أيّ بريق يملأ وجهها، كيف تُغمض عيناها وتغوص إلى أعماق نفسها، كيف يُصبح آباؤهم مُثارين، وكيف يصرخون بفرح. دعوا الأطفال يعرفون!

دعوا الأطفال يعرفون الكثير من الأشخاص المُحبّين، فهذا سيجعلهم أكثر غنى. أنا أُخبرك أنه إذا وُجد هؤلاء الأطفال في العالم، فلن يقرأ أيّ منّهم مجلات «البلاي بوي»، فلن يكون هناك أيّ داع لها، ولن يقرأ أحد منهم «فاتاساينا كاما سوترا»، فلن يكون هناك حاجة إليها. سوف تختفي صور العري، فهي تُظهر ببساطة التعطّش إلى الجنس، وإلى الحُبّ.

سوف يُصبح العالم تقريباً بلا جنس، سوف يكون مُحبّاً. لقد خلق القسّ والشرطي جميع أنواع الفحش في العالم. إنّهم مصدر كلّ ما هو قبيح. لقد لعبت أسرتك دوراً كبيراً. يجب أن تختفي الأسرة، داخل نموذج أكبر مثل المجتمع الصغير ، حيث لا تعتمد الحياة على كيانات صغيرة، بل تكون عائمة أكثر.

في المجتمع الصغير ، سوف يكون أحدهم «بوذياً»، والآخر «هندوسياً»، وقد يكون أحدهم «جاينياً»، أو «مسيحياً»، أو «يهودياً». إذا اختفَت الأُسر، سوف تختفي الكنائس تلقائياً، لأنّ الأُسر تنتمي إلى الكنائس. في المجتمع الصغير، سوف يكون هناك كلّ أنواع الناس، كلّ أنواع الديانات، كلّ أنواع الفلسفات تطفو في الأنحاء، وسوف يكون لدى الطفل فرصة من أجل التعلّم. فيذهب في يوم مع أحد الأعمام إلى الكنيسة، ويذهب في يوم آخر مع عمّ آخر إلى المعبد، ويتعلّم كلّ ما هو موجود ومُتاح، ويُمكن أن يكون لديه الاختيار. إنّه يستطيع أن يختار ويُقرر أيّ ديانة يرغب في الانتماء إليها. لن يُفرض أيّ شيء.

يُمكن أن تصبح الحياة جنة هنا الآن. يجب إزالة العوائق. إنّ الأسرة هي أحد أكبر العوائق.

السؤال الثالث والأخير:

«على مرّ العصور، كان مقبولاً أن تأتي رموز مثل «المسيح»، «بوذا»، ويُقدّموا المُساعدة إلى البشرية. إذا كانت الحياة ليست إلا مزحة، فلماذا تكبدوا العناء؟».

إنّ ذلك يُعد أيضاً جزءاً من المزحة الكونية الكبيرة. إنّ «بوذا»، «المسيح»، جزء من هذه اللعبة، وهذه المسرحية «LEELA». لا تأخذهم بجدية، إنّهم ليسوا أناساً جديين. إنّهم يلعبون لعبة. إنّ الأمر كلّه عبارة عن مزحة.

حينما أقول: «إنّ الأمر كلّه عبارة عن مزحة»، فأنا ببساطة أقصد ألا تأخذ الأمر على محمل الجدّ، ولا تأخذه بحزن. دعه يكون مُمتعاً.

ليس هناك مُخلّص، لا «بوذا» ولا «المسيح»، ولا أيّ أحد، وهذا يشملني. ليس هناك مُنقذ. إذاً، ماذا يكون «بوذا»؟ إنّ «بوذا» مُجرّد خلاص، وليس مُخلّصاً، إنّه الخلاص. لو فهمته، لو نظرتَ داخله، لو تماثلتَ معه، فلن تعود حياتك بائسة. إنّها نعمة.

ليس الأمر أنّ «بوذا» أنقذك، ولا «المسيح» أنقذك. لا يستطيع أحد أن يُنقذ أيّ أحد. أنت فقط مَن تستطيع إنقاذ نفسك. إنّهم خلاص، وسرّ الخلاص هو: كُن فرحاً، لا تكُن حزيناً. سرّ الخلاص هو: لا تستمرّ في خلق البؤس. إنّ الوجوه الجادة، الوجوه الطويلة، ليست وجوهاً مُتدينة. هذا سبب أنني أقول: «إنّ هذه الحياة عبارة عن مزحة كونية». لستُ أقول ذلك من أجل الحطّ من قدرها، وليس من عدم الاحترام تجاهها. إنّه أكبر قدر من الاحترام أستطيع أن أُظهره لها، إنّها لعبة، وهذا سبب أنّ «الهندوس» يدعونها«LEELA» أي لعبة.

كُن لاعباً، ففي هذا اللعب يكون خلاصك. أنت وحدك مَن تستطيع انقاذ نفسك. أنا أستطيع جعل قلبي مُتاحاً أمامك. أنا لستُ مُخلّصاً، أنا الخلاص.

***

الفصل الثالث عشر

مُخطط داخل مُخطط

8 سبتمبر 1977 صباحاً في قاعة «بوذا».

سُئل «صوفي من جماعة «النقشبنديين»: «إنّ اسم جماعتك يعني حرفياً «المُخططين». فماذا تُخططون وما هي فائدته؟»،

قال: «إننا نقوم بمُخططات رائعة، وهي مُفيدة للغاية. إليك حكاية رمزية عن أحد هذه الأشكال:

هناك حداد تمّ سجنه ظلماً، وقد سُمح له أن يتلقّى سجادة نسجتها زوجته. كان يسجد عليها يوماً بعد يوم وهو يُؤدي صلواته، بعد فترة من الوقت قال للسجانين: «أنا فقير وليس لديّ أمل، وأنتم رواتبكم زهيدة. لكنني حداد. أحضروا لي صفيحة وأدوات وسوف أصنع بعض المشغولات اليدوية التي يُمكن أن تقوموا ببيعها في السوق، وسوف يستفيد كلانا».

وافق الحراس على ذلك، وفي الوقت الحالي كانوا يقومون والحداد جميعاً يجني الأرباح، التي أحضروا بها لأنفسهم طعاماً ووسائل للراحة.

ثمّ ذات يوم، عندما ذهب الحراس إلى الزنزانة، كان الباب مفتوحاً، وكان الرجل قد ذهب.

بعد عدة سنوات، حينما ظهرت براءة هذا الرجل، سأله الرجل الذي كان يسجنه عن كيفية هروبه، ما السحر الذي استخدمه. فقال: «إنّها مسألة مُخطط، ومُخطط داخل مُخطط. إنّ زوجتي تعمل في الحياكة. لقد عثرَت على الرجل الذي صنع الأقفال الخاصة بباب الزنزانة، وحصلت منه على المُخطط. وقد نسجت ذلك على السجادة في الموضع الذي تلمسه رأسي في الصلاة خمس مرات باليوم. أنا صانع معادن، وقد بدا لي هذا المُخطط وكأنه قلب قفل. فصممت خطة المشغولات اليدوية حتى أحصل على الأدوات لصنع المفتاح، وهربت».

قال الصوفي النقشبندي: «هذه واحدة من الطرق التي قد تجعل الإنسان يهرب من طغيان أسره».

لقد وُلد الإنسان دون تعريف. إنّه يعلم أنّه موجود، لكنّه لا يعرف مَن يكون. لقد جاء إلى العالم غير مُعرّف تماماً، غير مُصنف، غير معنون، لقد جاء إلى الدنيا مع كامل الحرية. إنّ مُهمة الحياة بأكملها هي أن يُعرّف نفسه، وأن يعرف مَن يكون.

إن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يسأل السؤال، «مَن أنا؟»، وهو وحده القادر على أن يسأل، لأنّ كلّ حيوان آخر له تعريف كامل، فالوردة وردة والكلب كلب، أمّا الإنسان فليس مُجرّد إنسان، فهو يمتلك أكثر داخله، أكثر بلا حدود. إنّ الوردة ظاهرة مُغلقة، مُحددة، بينما الإنسان مُطلق. إنّ الوردة قابلة للتنبؤ، أمّا الإنسان فليس كذلك. بل إنه لا يُعرف أبداً. قد يكون أحدهم عاصياً اليوم، ويُصبح غداً أعظم القديسين، أو العكس. يبقى الإنسان غير مُحدد، ويبقى مُتحركاً، سلساً، مُتدفقاً. إنّ الإنسان أكثر شبهاً بعملية منه إلى شيء محدد. هذا هو مجد الإنسان، وهو بؤسه أيضاً، لأنّه يتطلّع باستمرار إلى معرفة مَن هو، ويتعثر مراراً وتكراراً في ظلام كينونته. إنّ كينونته ليست واضحة، ومن هنا يحدث البحث والتحقيق.

عند هذه النقطة يجب أن يتمّ فهم الإنسان، لأنه فقط من خلال هذا الفهم يستطيع أن يبدأ في العمل نحو التعريف، الإدراك، الحقيقة.

حينما أقول: «لقد وُلد الإنسان دون تعريف»، فأنا أقصد أنّ الإنسان لم يُولد جاهزاً. إنّ ما يقوله الوجوديون صحيح، إنّهم يقولون: عند الإنسان، إنّ الوجود يسبق الجوهر. في الشجرة، يأتي الجوهر أولاً، ثم يأتي الوجود، والشيء نفسه صحيح بالنسبة إلى كلّ شيء آخر، ماعدا الإنسان. في كلّ شيء يأتي الجوهر أولاً، البذرة، البرنامج الأساسي، المُخطط الرئيس، المخطط الأولي، ثمّ ينمو المُخطط الأولي ويُصبح وجوداً.

بينما في الإنسان يكون العكس هو الصحيح. إنه يبدأ في الوجود دون أيّ مُخطط أولي، دون أيّ مُخطط، دون أن يكون مُبرمجاً بأيّ طريقة. إنّه ببساطة يبدأ في التواجد وكأنّه عدم لا شيء، لا أحد. ثمّ بعد ذلك مع مرور الوقت، يكون عليه أن يخلق هويته الخاصة، ويخلق نفسه ويُوجدها، ومن هنا يكون القلق. قد يستطيع أحد أن يفعل ذلك، وقد لا يستطيع شخص آخر، مَن يعلم؟ قد ينجح أحدهم، وقد لا ينجح الآخر، لا يُوجد ضمانية فيما يتعلّق بالإنسان.

إنّ الكلب متلازم مع النجاح، إنّه سوف يُصبح كلباً، ولا يُوجد ما هو أكثر من ذلك. لا يملك الطاووس أيّ خوف من أنّه قد يكون فاشلاً. كذلك النمر ليس عليه أن يقلق، فلا يُوجد داع أن يُعاني من الأرق. إنّه بالفعل ما يُمكن أن يكون عليه.

أمّا الإنسان فليس على ما يُمكن أن يكون عليه، إنّ الإنسان مُجرّد بداية، بينما تبقى النهاية غير معروفة. لا يأتي الإنسان إلى العالم مع برنامج، ولا يُولد جاهزاً, إنّه يُولد كحرية مُطلقة.

إذاً، فإنّ المسئولية عظيمة نحو ذاتك، لأنك خلافاً لذلك سوف تستمرّ في فقدان روحك، ولن تشعر أبداً بالاكتفاء، بل ستبقى دائما فارغاً. إذا لم تبدأ في الاستكشاف، الخلق، الاختراع، العمل من أجل كينونتك، فستبقى مُجرّد وجود بلا روح.

هذا ما يحدث مع الملايين من الناس. إنّهم بلا روح . إنّهم موجودون ظاهرياً، بيد أنّ وجودهم ليس فيه أيّ كمال، ولا أيّ اكتفاء، أو فرح. هذه الحالة هي حالة الكرب الوجودي، التوتر، البؤس، وما يُطلق عليها «بوذا» «دوكها» أي البؤس المُطلق. تأتي السعادة حينما تكون خرجتَ من الظلام، وأصبحتَ مُعرّفاً، واضحاً، إنّك تمتلك لهباً داخلياً، والآن أنت تعرف جيداً مَن تكون. عند معرفة ذلك، تكون قد وجدتَ مسكنك، خلافاً لذلك ستبقى غريباً تبحث دائماً عن غايتك، ولا تصل أبداً إلى بيتك، تبقى مُسافراً ولا ترتاح إطلاقاً، لأنّ الراحة مُمكنة فقط حينما تصل إلى غايتك.

هكذا، فإنّ الحياة بأكملها بحث عن البيت، والمكان حيث تستطيع أن تهدأ وتسترخي، والمساحة حيث تستطيع أن تكون نفسك، وتكتفي تماماً بكينونتك. لا بُدّ أن يُصبح الوجود روحاً. يجب أن يُنتج الوجود جوهراً.

عندما أقول «يجب على الإنسان أن يخلق نفسه»، فأنا أقصد كيف يتشارك في الإله. تعيش الحيوانات، ولكنهم لا يَخلِقون. تعيش الأشجار، ولكنها لا تَخلُق، وحتى لو خرج منهم شيء، فهو إنتاج طبيعي، سوف تخرج الفاكهة، وتنمو الزهرة. وحده الإنسان هو مَن يخلق. ولكن ليس هناك حاجة مُلّحة. لم تكن هناك أيّ إمكانية للتنبؤ أنّ «بيكاسو» كان سيرسم لوحاته. إنّ شجرة المانجو سوف تنتج مانجو، ولكن لا يوجد شيء مُؤكّد يقيناً عن الإنسان، فلا أحد يعلم أنّ «بيكاسو» سوف يرسم لوحات، أو سوف يُصبح «بوذا» أو راقصاً..

إنّ الإنسان فوضى خلّاقة. إنّه غامض جداً في كينونته. لا تستطيع أن تُحدده، ولا تستطيع أن تقول بالضبط ماذا يكون، فهو يستمرّ في التغيّر كلّ يوم. إنّه يُشبه النهر. هذه هي كرامة الإنسان. إنّه الحيوان الوحيد الذي يستطيع أن يخلق، إنّه الحيوان الوحيد الذي يُشارك في الخلق مثل الإله.

حينها يكون هناك مشكلة أيضاً. لا يُمكن أن يأتي المجد دون أن تكون فيه مُشكلة. إنّ المجد هو أن يكون في استطاعتك أن تُخطئ. قد لا تكون قادراً على أن تشدو بأغنيتك، أو ترقص رقصتك، قد تكون فاشلاً. هكذا يكون الإنسان مُحاطاً دائماً بالخوف من الفشل، ومن أن يبقى لا أحد، ومن أن يبقى لا شيء، دون إنجاز، مُتطلعاً إلى اللاشيء، ومن أن يبقى قاحلاً، ومن أن يبقى صحراء. مَن يدري؟ أنت لا تستطيع التيقن بشأنه. لا يُوجد ضمان في وجود الإنسان.

تكون إمكانية الفشل بنسبة تسعة وتسعين في المئة، وإمكانية النجاح فقط واحد في المئة، ومن هنا تبقى الرجفة في قلب الإنسان. إنّ كلّ خطوة هي في المجهول، دون أيّ ضمانات، دون أمان، فكلّ طريق يأخذك إلى المجهول، ولا تعرف هل سيقودك إلى الهدف أم إلى طريق مسدود. إنّه قد يقودك فقط إلى جرف حيث لا يُوجد مكان تذهب إليه. قد تضطرّ إلى العودة، وقد يضيع كلّ مجهودك هباء. لا أحد يدري.

على الإنسان أن يتحرّك خلال الظلام دون معرفة أين يذهب، بيد أنه يجب أن يتحرّك، لأنّه إذا لم يتحرّك، فستستمرّ الحياة في الانزلاق. من الأفضل أن تتحرك على ألا تتحرك، لأنّه مع الحركة ستكون هناك على الأقل إمكانية أن تصل. بينما دون حركة، لا تُوجد حتى هذه الإمكانية. على الإنسان أن يختار.

تبدو جميع البدائل متشابهة. إنّها وكأنك تقف عند مفترق طرق، إذ تبدو كلّ الطرق متشابهة. قد يكون هذا، وقد يكون ذاك، ولا تُوجد طريقة كي تُقرر مسبقاً أنّ هذا سيكون هو الطريق الصحيح. عليك أن تبحث وتلتمس الطريق. إنّ التجربة والخطأ هي الطريقة الوحيدة المُتاحة أمام الإنسان، هذا سبب أنّ الكثير من الناس يُقررون ألا يختاروا، فذلك يُبقيهم في حياة أكثر مُلائمة وراحة. من الأفضل أن تجلس في مفترق الطرق ولا تختار، ولا تذهب إلى أيّ مكان. على الأقل تستطيع أن تتجنب كونك مُخطئاً.

بيد أنّ مُجرّد تجنبك الوقوع في الخطأ، لا يجعلك مُكتفياً. قد لا تكون اقترفتَ أيّ خطأ، ولكنّك لم تصل إلى أيّ مكان. من أجل ذلك، فإنّ الأشخاص الذين يخافون بشدة من اقتراف الأخطاء هم الذين يُضيّعون هذه الفرصة العظيمة في النمو، وأن يكونوا.

يجب على الإنسان أن يجد نفسه، وعليه أن يسأل. هذا شيء لا يمكن تجنّبه. هؤلاء الذين يفعلون ذلك، يتجنّبون المخاطرة الخاص بهم. إنّ سؤال «مَن أكون؟»، هو السؤال الذي يجب أن يُسأل باستمرار حتى تأتي الإجابة من أعمق أعماق كينونة الإنسان. هذا هو السؤال الديني الوحيد.

تذكّر أنّ الإنسان ليس كائناً، لأنّ الإنسان ليس جاهز الصنع. إنّه ليس كائناً، لأنّه عملية. هكذا، فإنّ الإنسان عبارة عن جسر، يجب عليه أن يتجاوزه، وأن يفوقه، يجب عليه أن يتجاوز نفسه كي يجد نفسه. يُحاول الإنسان باستمرار أن يتخطّى نفسه، ويتفوّق عليها.

إنه أمرٌ مُتناقض جداً، أن يُحاول أن يتفوّق الإنسان على نفسه، ولكنّ الإنسان كائنٌ مُتناقض. إنّه جسر عليك أن تعبر فوقه. لا يُمكن أن تبني بيتك فوق الجسر. إنّ هؤلاء الذين يبنون منازلهم على الجسر لا يصلون أبداً إلى الشاطئ الآخر. على الإنسان أن يستمرّ في التقدّم. هناك آلاف المشاكل، وآلاف المُخاطرات، ولكن على الرغم من كلّ ذلك، يجب على الإنسان أن يتقدّم، ويقترف الكثير من الأخطاء قبل أن يتمكّن من معرفة ماهية الحقيقة.

هذا سبب أنه يجب على الإنسان أن يكون باستمرار مُنفصلاً عن ماضيه. إنّ الماضي معروف منك، بينما المستقبل مجهول بالنسبة إليك، ويجب عليك دائماً أن تُضحّي بما عُرف منك، من أجل المجهول منك. هذا ما تُعلّمه الديانات العظيمة. هذا ما يُطلقون عليه تضحية- أي تُضحّي بما عرفته، بكلّ ما قد أصبحتَ مُعرّفاً ومحدداً به. أن تُضحّي بالماضي من أجل المستقبل، بالمعروف من أجل المجهول، بالمستقرَ من أجل المُضطرب. هذا هو سبيل النمو الوحيد. إذا أصبحتَ مُتماثلاً بشدة مع الماضي، يتوقّف النمو. إذا أصبحتَ مُتشبثاً بالماضي بشدة، فستبدأ في التحرك في دوائر.

إنّ الإنسان ليس حاجّاً وإنما هو الحجّ. بصورة واضحة تُوجد مشاكل كبيرة عند البشر، مشاكلّ غير مُتواجدة بالنسبة إلى الحيوانات والأشجار والصخور والأنهار، إنها توجد عند البشر فقط، لأنّ كلّ شيء آخر مُحدد، كلّ شيء مُستقر بالفعل من خلال الطبيعة ذاتها. لقد تركَت الطبيعة الإنسان غير مُستقر، وقد تُرك الإنسان لجهوده ومساعيه الخاصة. بيد أنه يجب إدراك هذه المشاكل على أنها تحديات وليس على أنها مشاكل، كأنها أصدقاء وليس أعداء، لأنّه فقط من خلالها يتعلّم الإنسان، ويعرف، ويتحوّل.

من أجل هذا البحث، يجب أن تُعد الخرائط، والتصاميم. من أجل هذا البحث، سوف تحتاج إلى التوجيهات. تذكّر، تبقى الخريطة مُجرّد خريطة، وهي ليست الدولة التي تُشير إليها. إنّ خريطة «الهند» ليست هي «الهند». إنّ المُخطط ليس هو الحقيقة، بل المُخطط هو مُجرّد مُخطط، لكنّه قد يُساعد بصورة هائلة. إنّ الخريطة يُمكن أن تُقدّم مُساعدة هائلة، عندما تُدرك تماماً أنّ الخريطة ليست الدولة، وأنّ الخريطة لا تُشبه الدولة، وأنك من خلال النظر إلى خريطة «الهند»، لن ترى أيّ شيء من «الهند». إنّ الخريطة لا تُشبه أيّ شيء، بل هي مُجرّد وسيلة مُوازية، استعارة، تمثيل رمزي.

بيد أنّ الخريطة يُمكن أن تكون ذات فائدة هائلة. إنّ هؤلاء الذين عبروا يُمكنهم أن يُعدّوا لكم التصاميم، هذا هو دور المُعلّم. إنّ هؤلاء الذين عرفوا، وصلوا، توصّلوا إلى تعريفاتهم الخاصة، هؤلاء الذين لم يعودوا مُجرّد وجود، بل أصبحوا جوهراً، هؤلاء الذين أصبحوا أرواحاً، شفافين، مُتوازنين، مُتصلين بالأرض، هؤلاء الذين يكونون، يستطيعون أن يُمدّوك ببعض التوجيهات، التلميحات، الخرائط.

يُسمّيها الصوفيون التصاميم، وتُوجد مدرسة صوفية تُسمّى «النقشبنديون» أي المصممون. إنّها

من أهمّ المدارس الصوفية. هناك مدارس أخرى تُسمّى بأسماء مُشابهة. هناك مدرسة تُسمّى «النساجون»، ومدرسة أُخرى تُسمّى «صانعو المراكب». يُسمّي الصوفيون مثل تلك الأسماء، وهي عملية للغاية، لأنها تُوضّح فوراً ما تفعله المدرسة.

لقد كان «النقشبنديون» يُصممون الخرائط، أو ما نُسمّيها «يانترا» في «الهند». إنّ «اليانترا» تُسمّى مُخططاً عند الصوفيين. قد تكون رأيت «يانتريين هنوداً»، وقد تكون مُتحيّراً بشأن مَن يكونون. عندما تنظر إلى «اليانترا» تجد خطوطاً فقط، وتصاميم هندسية، ولكن إذا عرفتَ كيف تحلّ رمزها، سوف تتفاجأ. إنّها الخريطة الخاصّة برحلتك بأكملها. إنّها تُظهر شيئاً ما، ولكن سوف يكون عليك أن تعرف اللغة. إنّ الخريطة مرسومة بلغة خاصة، وليست مُتاحة أمام العامة، لأنهم قد يستخدمونها بطريقة خطيرة. إنها تُخفي طاقة هائلة داخلها، ويُمكن إعطاؤها فقط للخبراء. لقد خلقَت جميع الديانات في العالم خرائطها الخاصة، ولكنّها لا شيء مُقارنة مع تصاميم «النقشبنديين».

في البداية يجب إدراك أنّ الخريطة ما هي إلا أداة تحكمية. إنّها ليست صحيحة أو كاذبة. إنّها ببساطة مفيدة أو غير مُفيدة. إنّها أداة نافعة، ولكن ليس لها شأن بالحقيقة في حدّ ذاتها.

سُئل «بوذا» ذات مرة: «هل يستطيع «بوذا» الكذب؟ هل يُمكن لإنسان مُستنير أن يكذب؟»، قال «بوذا»، «عليه أن يفعل، لأنّه سوف يكون عليه أن يخترع خرائط. إنّ الخرائط أكاذيب، بمعنى أنّها ليست الحقيقة. إنّها مؤشرات على الحقيقة. بمُجرّد أن تصل، يجب عليك أن تتخلّص من الخرائط. لقد كانت مفيدة وحسب». إذاً، لقد عرّف «بوذا» الحقيقة بطريقة جديدة للغاية. لقد قال: «أيّ ما كان مُفيداً فهو حقيقة». إنّ تعرّيفه واقعي، عملي، علمي للغاية، وهكذا اتجاه «النقشبنديين».

هناك حكاية رمزية قديمة، قصة «نقشبندية» شهيرة عن ذلك الأب الذي دعا أبناءه من أجل الخروج من مبنى كان يحترق. عندما تجاهلوه، دعاهم كي يأتوا ويأخذوا لعبة السيارات التي أحضرها لهم، فجاؤوا يركضون إليه. لم يكن لديه أيّ لعبة سيارات، ولكنّه أنقذ أرواح أبنائه.

نعم لقد كذب الأب. لا بُدّ أنّ الأطفال الصغار كانوا يلعبون داخل المنزل، وكانوا مُستغرقين للغاية في لعبهم إلى درجة أنّهم لم يُلاحظوا أنّ المنزل يحترق. بيد أنّ الأبّ كان في الخارج ورأى الخطر فقام باستدعائهم. لقد صاح: «اِخرجوا!»، ولكنّهم كانوا مُندمجين في لعبهم حتى أنّهم لم يسمعوا، فاخترع كذبة، وقال: «اِنظروا! لقد اشتريتُ لكم لعبة السيارات التي طالما أردتموها. إنّها كثيرة جداً، وجميلة جداً! تعالوا وخذوا لعبة السيارات الخاصة بكم!». جاؤوا جميعاً ركضاً إلى الخارج. لم تكن هناك لعبة سيارات، لقد كان الأب يكذب، ولكنّه أنقذ أرواحهم.

هذا نوع من المُخططات «النقشبندية»، إنّه أداة. إنّه ليس صدقاً ولا كذباً، ولكنّه مُفيد للغاية. هل ستقول إنّه حينما كذب الأب، فقد ارتكب خطيئة؟ لأنّ جميع الديانات تقول: «كُن صادقاً، وتكلّم بالحق».

إنّه يحدث كثيراً، لأنكم جميعاً أطفال، والمنزل يحترق وأنتم لا تسمعون. إنّكم مُستغرقون بشدّة في ألعابكم. هناك شخص مُستغرق في ألعاب المال، وشخص في السياسة، وشخص في شيء آخر. إنّ الناس مُتورطين للغاية. حتى النهاية، سوف تكون الرؤية غائمة لديهم بسبب أحلامهم ورغباتهم.

إنّ المنزل يحترق بصورة مُستمرّة، لأنّكم تعيشون الموت في منزل مُحترق باستمرار. إنّك قد

تموت في أيّ لحظة، بيد أنّك مُندمج للغاية في ألعابك، ممّا يجعل المُعلّم مُضطراً كي يأتي بشيء ما.

لقد حدث:

اعتاد رجل على القدوم إلى قدّيس عظيم وكان دائماً يسأله: «سيّدي، هناك شيء يُحيّرني. إنّك بريء جداً، في غاية النقاء، كيف يُمكن ذلك؟ هناك شكّ ينشأ في داخلي أنك رُبّما تدّعي ببساطة. في هذا العالم من الفساد، كيف يُمكن أن يكون الإنسان شديد النقاء، شديد البراءة، وشديد الطهر؟ كيف يُمكن للإنسان أن يتجنّب أن يُصبح فاسداً تحت تأثير هذا العالم؟ رُبّما ما زلتَ تحمل الشيء نفسه في أعماقك، بيد أنّك استطعتَ مُعالجتها على السطح، وقُمتَ بمُعالجتها بصورة جيدة».

جاء الرجل في أحد الأيام، وبدأ مرة أُخرى في قول الشيء نفسه، فقال المُعلّم: «إستمع، هناك شيء أكثر أهمّية يجب إخبارك به. أرني يدك». نظر إلى يده، وأصبح شديد الحزن، وأغمض عينيه وبدأ في البكاء. قال الرجل: «ما الخطب؟ لماذا تبكي سيّدي؟ إنني لم أركَ تبكي أبداً».

قال: «أنا أبكي لأنه تبقّى لك سبعة أيام فقط. في خلال سبعة أيام ستكون قد غادرتَ الحياة. لقد انتهى خط حياتك، وستموت يوم الأحد القادم. هذا سبب بكائي. تستطيع الآن أن تسأل ما تُريد أن تسأله. هل تريد سؤالي عن شيء؟».

قال الرجل: «لقد نسيتُ. لقد أصبتني باضطراب شديد. سبعة أيام فقط؟».

لقد كان هذا المُعلّم محبوباً جداً من الناس، وكان محترماً للغاية، لم يكن هناك سبب يدعو إلى الشكّ في أنّه قد يقول كذبة.

أسرع الرجل إلى المنزل وشعر بالمرض، ولم يتحرّك من فراشة مدة سبعة أيام، وكان ينهار يوماً بعد يوم، امتنع عن تناول الطعام، ولم يستطع النوم. تجمّع الأهل والأقارب، وفي اليوم السابع كانوا ينتظرون وحسب، لأنّ المُعلّم أخبره أنّه حالما تغرب الشمس، سوف يموت. كانت لا تزال أمامه نصف ساعة فقط. وكانت الشمس تهبط، وتهبط، وكان الأهل والأصدقاء والزوجة والأطفال يبكون، بينما كان الرجل يغرق في الموت.

ثمّ جاء المُعلّم وقال للرجل: «لديّ سؤال واحد أسأله. هل اقترفتَ خلال سبعة أيام أيّ شيء ممّا أعتدتَ أن تُسمّيه خطيئة، بذاءة، فساداً، هذا وذاك؟ هل أتت أيّ فكرة إلى ذهنك، أيّ فكرة دنيوية؟».

فتح الرجل عينيه بصعوبة بالغة، وقال: «ما الذي تتحدّث عنه؟ أنا أحتضر! كيف يُمكن أن تُراود الرجل أيّ فكرة عن الخطيئة أو عن العالم وهو يموت؟ لقد كان الموت وحده يُحيط بي، ويقترب أكثر. في تلك الأيام السبعة لم يكن لديّ ولا رغبة دنيوية. لقد كنتُ أُفكّر في الإله وحده. لقد كنتُ أُصلّي، وأُكرر اسم الإله».

ضحك المُعلّم، وقال: «تستطيع النهوض. إنّك لن تموت! لقد كان ذلك مُجرّد مُخطط كي أُريك لماذا أنا نقي. إنّ الموت يُحيط بي باستمرار. ماذا يهمّ إن كان سيأتي في سبعة أيام أو سبعة أعوام أو سبعين عاماً؟ هذا لا يهمّ. إنّها فقط مسألة وقت. إنّه آت، عندي ثقة كبيرة إنّه آت. حينما يأتي الموت، يُصبح الأمر

واضحاً جداً بالنسبة إلى وعيك. تمرّ الحياة بتغيير كبير، تغيير جذري».

بدأ الرجل يضحك، وقال: «لقد أدّيتُ مزحة!»، كان الرجل خلال دقيقة في صحة جيدة. بيد أنه قال: «أيها المُعلّم، هناك شيء واحد، كيف استطعتَ أن تكذب؟».

قال المُعلّم: «إنّها ليست كذبة، وليست حقيقة، إنّها مُخطط نقشبندي».

لقد تمّ اختراع الخرائط حتى تُساعدك. إنّها مُساعدة. لا تُصبح مهووساً إطلاقاً بالخريطة. اِستخدمها إن استطعت، إذا لم تستطع، اِنسَ أمرها، فليس لها أيّ قيمة أبعد من استخدامها.

لقد تمّ إيجاد الإنسان في الدنيا من أجل غرض مُحدد، وهذا أمرٌ يجب فهمه. لقد أعطَت المسيحية انطباعاً للعالم بأكمله أنّ الإنسان قد تمّ إنزاله إلى الأرض كعقاب. إنّها فكرة غبية للغاية. ليست الفكرة غبية فقط، ولكنّها تجعل الإله يبدو غير منطقي، مغروراً، ومتهوراً. لقد أُلقى بالإنسان في الدنيا من أجل مثل هذا الشيء البسيط! لأنّ «آدم» عصى أمره؟ إنّ كلّ طفل يعصي الأبّ، بل يكون مُضطراً أن يعصي الأبّ أحياناً، لأنّ عصيانه لوالده في الحقيقة، مُحاولة منه لإيجاد تعريف لنفسه. إنّها الطريقة الوحيدة لتعريف نفسه. على كلّ طفل أن يُخالف والديه في يوم أو آخر، لأنه لو لم يُخالف الوالدين، فلن يكون أبداً. عندها سيُصبح مُجرّد ظلّ. عليه أن يتمرد، ويقول لا؟ تذكّر أنّ قول كلا، ليس إلا مُحاولة كي تُعرّف نفسك. عندما تستمرّ في قول أجل، تفقد التعريف.

لقد كان «آدم» و»حواء» يفعلان ما يفعله كلّ طفل. إنّه شيء نفسي للغاية. قال الإله: «لا تأكلا ثمار شجرة المعرفة هذه». إذا سألتَ الصوفيين، فسيقولون أنّ هذا أمر نقشبندي، إنّه مُخطط. لقد كان الإله يستحثهم كي يأكلا ثمار هذه الشجرة. لم يمنعهم، بل في الحقيقة، كان يدفعهم. يُوجد في جنة «عدن» الملايين من الأشجار. لو كان «آدم» تُرك وحده كي يجد شجرة المعرفة، رُبّما لم يكن وجدها إلى الآن. لقد كانت شجرة واحدة فقط بين هذه الملايين من الأشجار، ولم يكن هناك ما يُميّزها. لقد كانت شجرة تفاح عادية. وكان هناك الملايين من أشجار التفاح مثلها، ولكنّ تلك كانت مُسممة بالمعرفة.

لماذا قال الإله «لآدم»: «لا تأكلّ فاكهة تلك الشجرة؟». يعتقد المسيحيون أنّه أراد أن يُؤدّب «آدم»، وأراد له أن يكون مُطيعاً. بيد أنّ هذا ليس صحيحاً. اِسأل النقشبنديين، لأنّهم المخططون، وهو يعرفون أنّ الإله قد رسم المُخطط الأول. لقد أثار الإله تحدّى «آدم». لقد أوجد فيه الفكرة والرغبة في أن يتمرّد عن طريق إلقاء أمر غير منطقي: «لا تأكلا ثمار شجرة المعرفة». لقد أنشأ الرغبة الشديدة داخل «آدم» و»حواء».

لا بُدّ أنّهم راودتهم الأحلام بشأن هذه الشجرة منذ ذلك الحين. لا بُدّ أنّهم تجوّلوا حول الشجرة مراراً وتكراراً. لا بُدّ أنّهم قاموا بلمس الثمرة، لا بُدّ أنّهم شمّوا رائحتها، لا بُدّ أنّهم كانوا ينتظرون اللحظة المناسبة، لا بُدّ أنّهم ترددوا، لا بُدّ أنّهم مثل كلّ طفل كانوا خائفين أيضاً، لا بُدّ أنّهم ذهبوا وعادوا مرات عديدة، وكانوا في مرات عديدة على شفا القيام بالمعصية، والتمرد، لا بُدّ أنّهم أصبحوا خائفين: «لو علم الإله، ماذا سيكون؟». بيد أنه كم من الوقت سوف تُقاوم تلك الرغبة في أن تقول لا؟ لأنّ الأمر كلّه عبارة عن مُخطط. بمُجرّد أن قال «آدم» كلا إلى الإله أصبح نفسه. لقد عرّف نفسه من خلال قول كلا.

هذا سبب أنه يُوجد سنّ حيث يقول الأطفال كلا جواباً على كلّ شيء. أنت تقول أيّ شيء وهم

يقولون كلا. إنّهم يُعرّفون أنفسهم. إنّهم يقولون: «هذا هو تعريفي، هذا هو أنا، إبقَ بعيداً، دعني أكون، هذه مساحتي، أنا لا أُريد أن أفعل هذا».

ذات ليلة جاءت احدى المُريدات مع ابنها الصغير، كان صغيراً جداً كي يستلم المُريدية، فنظرتُ إلى الولد، ورأيتُ «آدم» في عينيه. لقد أراد أن يقول كلا. لقد كانت عيناه تقولان كلا. كان جسده بالكامل يقول كلا. لقد أحببتُ هذا الولد، وعندما وضعتُ السبحة على رأسه ألقاها بعيداً!

يجب أن يكون كذلك. يمتلك هذا الولد بعضاً من روح «آدم». لقد كان يستثني: «كيف تجرؤ؟ أنا نفسي، ولا يُمكن أن أكون مُعرّفاً من خلال شخص آخر». لم تكن هناك كلمات كثيرة جداً، لم يكن لديه كلمات، ولكني رأيتُ إيماءته، نظرته المُعارضة، وجهه، انسحابه بجسده، رميه للسبحة بعيداً.

هذا ما فعله «آدم»، وكان عليه أن يفعله حتى يكون نفسه. لقد كان هذا مُخطط الإله. هذا التفسير يحتوي جمالاً. يقول النقشبنديون إنّه كان مُخططاً من الإله من أجل تحريض «آدم»، لأنّه ما لم يتمّ استثارته، لم يكن ليُصبح ناضجاً أبداً. كان عليه أن يقول كلا أمام الإله حتى يستطيع أن يمضي في طريقه في الدنيا. إنّه ليس عقاباً على الإطلاق. إنّ الإله ليس متعجرفاً.

عندما ألقى الولد الصغير السبحة بعيداً، أحببته كما لم أُحبّ أيّ طفل صغير من قبل. لقد كانت لديه بعض الشجاعة. إنه صغير جداً، ولكن لديه مثل هذه الشجاعة الكبيرة! إنه ضئيل جداً، ولكنّه مستعدٌ أن يُقاتل العالم أجمع! لم يُعاقب الإله «آدم»، بل أحبّ الإله «آدم». لو كان «آدم» اتّبع الإله، لم تكن هناك دنيا، ولم يكن ليتواجد أيّ أحد هنا. من خلال عدم إطاعة الإله، ومن خلال قول كلا، أصبح الإنسان إنساناً، وتوصّل إلى تعريفه الأول، وإلى إحساسه الأول بأن يكون ذاته.

إنّ الإله ليس مغروراً ولا أنانياً ولا غضوباً. لا بُدّ أنّه أحبّ «آدم» وباركه. هذا هو شعوري أيضاً. بينما كان «آدم» يخرج من جنة عدن، لا بُدّ أنّ الإله كان يُمطر عليه من البركات. إنّه الآن ماض في طريقه. هذا ما يُحبّ كلّ أبّ أن يفعله أبناؤه. يجب أن يذهبوا في طريقهم ذات يوم، يجب عليهم أن يسعوا ويبحثوا ويكونوا. إلى متى تستطيع أن تبقى محمياً؟ عليك أن تدخل إلى عدم الأمان، عليك أن تدخل إلى الخطيئة، عليك أن تدخل إلى العالم. إنّه ليس طرداً، إنّها ثورة «آدم»، وهو ليس عقاباً، بل مُخطط مُعدّ له بعناية، ومن خلال هذا المُخطط خلق الإله العالم.

لم يفهم المسيحيون الأمر على الإطلاق، بل صنعوا منه قصة حمقاء للغاية قالوا فيها إنّ الإله حكم على «آدم».

بعد ذلك يأتي الجزء الثاني من القصة بصورة طبيعية. بعد ذلك قال «عيسى» نعم للإله وتمّ قبوله مُجدداً. يقول المسيحيون الآن إنّه بسبب أنّ «آدم» قد ارتكب خطيئة العصيان، يُعاني كلّ البشر. بينما بسبب أنّ الإله قبل «عيسى»، الذي قال نعم على نحو كامل، فقد تمّ انقاذ البشرية من خلاله.

هذا أيضاً ليس له معنى. كيف يُمكن أن تُعاني بسبب معصية «آدم»؟ كيف يُمكن أن تنجو بنجاة «المسيح»؟ إذاً، أين تتدخّل أنت؟ ما مسؤوليتك؟ عندئذ أنت مُجرّد دمية وألعوبة. لقد ارتكب «آدم» معصية وأنت تُعاني، مع أنك لم تكن مُشاركاً فيها. أنت لا تعلم أيّ شيء عن «آدم»، متى كان، هل كان أم لا، وها أنت تُعاني لأنّ «آدم» ارتكب المعصية.

هذا ظلم. لقد ارتكب أحد الخطيئة منذ آلاف السنين، وأنت الذي يُعاني، ويُعاقب عليها. هذه عدالة بعيدة المنال! لا يبدو هذا الأمر صحيحاً. ثمّ بعد ذلك، منذ ألفي سنة قال «المسيح» نعم للإله، وتمّ انقاذه، وأنت نجوتَ من خلال نجاة «المسيح». إذاً، هناك شخص ارتكب معصية، فأصبحتَ عاصياً، ثمّ أصبح شخص قديساً، فأصبحتَ قدّيساً. أين هو دورك؟ ما مسؤوليتك؟ عندئذ أنت لا شيء. لقد اكتملت الأحداث كلّها بين «آدم» و»المسيح». سواء كنتَ أو لم تكن فهذا لا يُحدث فارقاً. لو لم يكن هناك «آدم»، لم تكُن لتُوجد هنا، ولو لم يكن هناك «المسيح»، لم تكن لتنجو. إنها مواقف حمقاء. أنت لم تُعاقب بسبب «آدم»، ولم تنجو بسبب «المسيح». أنت ستكون أيّ ما تكون بسببك أنت، ومن خلال مسؤوليتك الخاصة، ستفقد أو تجني، ولكنّها تبقى مسؤوليتك.

يقول «النقشبنديون» إنّ هذه كانت أول حالة نقشبندية، أول مُخطط خلقه الإله. لقد خلق موقفاً حيث يتمرّد «آدم»، ومنذ ذلك الحين يتمرّد الإنسان، ويجب عليه أن يدخل إلى الظلام كي يعود إلى بيته. إنّه ليس عقاباً، ولم يُرمّ الإنسان إلى هذا العالم كي يُعاقب، لقد أُلقي بالإنسان إلى العالم كي يتعلّم، يكتشف، يكون.

لقد اعتاد «روبرت فورست» أن يُصلي كلّ ليلة. لقد أحببتُ صلاته. لقد اعتاد أن يقول «للإله»: «إلهي، إذا غفرتَ لي مطالبي ضدّك، أعدُك أنني سأغفر لك ذنبك العظيم ضدّي. أعدُك أنني سوف أغفر لك خطيئتك العظيمة ضدّي وضدّ البشرية».

هذا الأمر ذو مغزى. لو كان يُعتقد أنّ «آدم» قد ارتكب معصية، فهو ذنب صغير. إنّ «آدم» طفل يمكن مسامحته، ولكن ماذا عن الإله الذي أثاره؟ ماذا بشأن الإله؟ لقد خلق الموقف بأكمله. لو كان يُعتقد أنّ تصرف «آدم» ذنب، فهو ذنب ضئيل، هفوة، إنّه ذنب بسيط للغاية، ولكن ماذا عن الإله؟ ألم يكن على علم بشيء بسيط جداً، يعرفه أيّ محلل نفسي، أنّه إذا أثرت شخصاً وتحديته، فأنت تخلق موقفاً؟ لقد أثار «آدم»، لقد كانت هذه هي خطيئته الكبرى. لو كان ذنب «آدم» كبيراً، فإنّ ذنب الإله أعظم.

بيد أنّ كلّ منهما ليس خطيئة، فأنا لا أُسمّي خطيئة «آدم» ذنباً صغيراً، ولا أُسمّي خطيئة الإله ذنباً عظيماً. لقد كان ببساطة مُخططاً من أجل مُساعدة «آدم» كي يتحرّك بنفسه، ويقف مُعتمداً على نفسه.

هل لاحظت؟ عندما تُزهر الأشجار وتنبت الثمار وتنضج البذور، تُحاول كلّ شجرة نثر بذورها بعيداً مع الرياح، ومع الطيور. إذا شعرَت الشجرة في بعض الأحيان أنّ الرياح لن تكون قادرة على حمل تلك البذور، وأنّ البذور ثقيلة، تقوم بتدبير الوسائل «نقشبنديات»، كي تنشر البذور بعيداً، لأنّه لو سقطت البذور أسفل الشجرة الكبيرة فلن تنمو. يجب عليها أن تكون مُستقلة، وتجد فضاءها الخاص.

هناك بعض الأشجار التي تُنبت بذورها مُحاطة بقليل من القطن. فتكون البذرة ثقيلة جداً بينما القطن لا وزن له، يُمكن للرياح أن تحمل القطن بعيداً، وعندئذ تنطلق البذرة بدورها بعيداً جداً، وتسقط في مساحة مفتوحة حيث يُمكن أن تكون شجرة عظيمة.

هذا ما فعله الإله مع «آدم». لقد حاول أن يدفعه بعيداً، لأنك تستطيع أن تنمو فقط عندما تكون مُستقلاً. يوماً ما سيكون على الطفل أن يُرسل إلى المدرسة، يوماً ما يجب إرسال الطفل إلى نزل الشباب، يوماً ما يجب إرسال الطفل إلى الجامعة. سوف يبكي وينتحب، فهو لا يُريد أن يُغادر الأسرة وما هو

مألوف. إنّه لا يُريد أن يترك الماضي، الراحة، الحماية، الأمن، الأمان. إنّه لا يُريد أن يُغادر، ولكن يجب أن يتمّ دفعه. يجب أن يتمّ إلقاؤه في معترك الحياة. هذا ما فعله الإله. لقد كان الأمر وسيلة.

بمُجرّد أن يتمّ الإلقاء بك إلى العالم سوف تتعلم بمُفردك. سوف تفشل مرات عديدة، هذا شيء طبيعي، ولكن من خلال الفشل مرة بعد مرة، سوف تبدأ البصيرة بالنمو داخلك، وسوف تُعيدك هذه البصيرة مرة أُخرى.

لقد جاء «آدم» إلى العالم، وكان يجب عليه أن يأتي. عندما تعلّم «آدم» وأصبح، ووصل إلى كيانه، أصبح «مسيحاً». إنّ «المسيح» ليس إلا «آدم» بعدما أصبح ناضجاً. إنه يستطيع الآن أن يعود إلى الديار، وسوف يُرحّب به الإله هناك. لقد تعلّم. إن العالم نفسه عبارة عن مُخطط «نقشبندي» حتى يكون الناس.

إنّ الوعي لا يُشبه شيئاً صلباً، مُكتملاً، كاملاً، ممنوحاً، بل يجب أن يتمّ تعلّمه، يجب أن يُزرع وينضج، يجب أن تتمّ حراسته. عليك أن تكون حارساً للوعي. عليك أن تقوم بتوفير الماء، الفراغ، أشعة الشمس، المُخصبات. عليك أن تقوم بحماية هذا البرعم الصغير، إنّه رقيق للغاية، هشّ، ضعيف. يُمكن أن يُسحق بواسطة أيّ شيء.

من أجل ذلك، تذكّر «إنّ الوعي لا يُشبه شيئاً صلباً، مُكتملاً، كاملاً، ممنوحاً، بل إنّه عبارة عن عملية وخلق ذاتي. إنّه ارتجالنا المستمر المُستند على الرفض لما هو كائن حتى هذه اللحظة».

هذا شيء يجب أن يُفهم. ينمو الوعي فقط إذا استمرّيت في رفض ماضيك. إننا بصورة طبيعية نتشبث بالماضي، وعندئذ لا ينمو الوعي. أيّ ما كان الذي تعلّمتَه، إنسه فقد انتهى. لقد تعلّمته، استوعبتَه. أيّ ما كنت عليه حتى الآن، تخلّ عنه حتى تستطيع أن تكون شيئاً أكبر. لا تكن مُنحصراً في ماضيك، فالأشخاص الذين يُحاصرون بالماضي هم السجناء.

هذا ما يُسمّيه الصوفيون النقشبنديون سجناً، وهو سجن الماضي. وهو ما يجب أن يتمّ كسره كلّ يوم. لا بُدّ أن يتحرر منه الإنسان كلّ لحظة.

«أن تكون هو أن يرفض الإنسان ما كان عليه، وحيث أنّ الإنسان لا يفعل ذلك، فهو يقترب من كونه شيئاً وينقطع عن كونه انساناً». لو لم يكن لديك أيّ مستقبل، لو كان لديك ماض فقط، فأنت شيء، ولستَ إنساناً. إنّ الإنسان هو الشخص الذي يمتلك مُستقبلاً، وهو الشخص الذي لا يحمل هموم الماضي، بل يقوم بالتخلّي عن الماضي، ويستمرّ في رفضه. لقد تمّت مُعايشته بالفعل، ما الغرض من حمله؟ لقد تمّت معرفته واختباره بالفعل، ولا يُوجد أيّ داع للاستمرار في تكراره. عندما يُصبح الإنسان غير مُقلّد، ولا يستمرّ في تكرار التجارب نفسها مراراً وتكراراً، يحدث النمو، والنضوج الكبير.

«يمتلك الإنسان صفات تجاوز حدود نفسه». عليك أن تمضي أبعد ممّا تعتقد أنّه أنت. عليك دائماً أن تتخلّى عمّا تعتقد أنّه أنت، عليك أن تتخلّى عنه، وتتبرأ منه.

هذا ما أُسمّيه، الزهد، المُريدية. هذا سبب أنني أمنحك اسماً جديداً عندما أُجري عملية تأهيلك، فقط من أجل أُريك شيئاً. مُجدداً إنّه مخطط «نقشنبدي»، فقط من أجل توضيح أنّ ماضيك انتهى، وأنّ هذا

الفصل قد أُغلق. اِبدأ مع شيء جديد، ميلاد جديد. كُن مولوداً مرة أُخرى. إنّه مُجرّد استعارة، وإذا فهمته جيداً، فسوف تستطيع أن تخرج منه بفائدة كبيرة. من اللحظة التي تُصبح فيها «مُريداً»، يجب عليك أن تتذكّره باستمرار. في كلّ ليلة حينما تذهب إلى الفراش كي تنام، أغلق عينيك، واغلق الفصل الذي انتهى. اَنتهِ منه، وقُل لنفسك أنّ الماضي قد انتهى. باستمرار، وبصورة مُتعمّدة، تخلّ عنه، تبرأ منه، حتى تستطيع أن تكون في الصباح التالي جديداً، صافياً، يافعاً، بريئاً مرة أُخرى. عندها فقط ينمو الوعي.

«إنّ الإنسان لديه صفات تجاوز حدود نفسه». إنّه مثل شيء يجب تجاوزه والتفوّق عليه. بلغة واضحة، إنّ الإنسان حُرّ، أو بالأحرى، الإنسان حرية. إنّ الحرية هي جوهر الإنسان، أو يسبق الجوهر عند الإنسان الوجود. يكون الإنسان في البداية، وبعد فترة فقط إما يكون هذا أو ذاك. يجب على الإنسان أن يخلق لنفسه جوهره الخاص، روحه الخاصة، كيانه الخاص. إنّ الإنسان ميلاد مُستمرّ، بواسطة نفسه، ولنفسه، ومن خلال نفسه، ومن أجل نفسه.

هذه هي المُهمّة، مُهمّة الحياة التي تُواجه كلّ الناس. من أجل ذلك، أنت في حاجة إلى الخرائط. إنّ جميع الديانات عبارة عن أنواع مختلفة من الخرائط، يجب عليك أن تتذكّر ألا تقوم إطلاقاً بالمزج بين الخرائط. لو كنت تستخدم خريطة مُعينة، اِستخدمها بيقظة كبيرة، بوعي، بتفانٍ، بالتزام. لا تقُم بمزجها مع خرائط أُخرى لأنّ الخرائط المُختلفة قد تمّ صنعها بواسطة أشخاص مُختلفين، وهناك أفكار مختلفة وراءها، ولم تُنظّم على الخطوط نفسها، فقد تكون إحدى الخرائط خريطة طريق، وقد تكون الأخرى خريطة سياسية تُوضّح الحدود، وتكون أُخرى خريطة دينية تُوضّح شيئاً آخر، وقد تكون أُخرى خريطة جغرافية توضح شيئاً آخر. كلّ الخرائط عبارة عن وسائل مُختلفة صُنعَت بواسطة أشخاص مُختلفين. لا تقُم بالخلط بين الخرائط، وإلا سوف تُصبح مشوشاً. إذا كنت تستخدم خريطة واحدة، فهي تكفي.

هذا سبب كوني ضدّ كلّ المحاولات التي تحدث في العالم من أجل توحيد كلّ الديانات، فلا يُمكن تجميعها. إنّ النتيجة ستكون شيئاً غبياً، أحمق بقدر شخص يقوم بتركيب الكيمياء وعلم النفس والفلسفة وعلم الأحياء والتاريخ والجغرافية والدين. إنّه سوف يكون شيئاً سخيفاً. إنّ الديانات المُختلفة خرائط مختلفة تُوضّح مناطق مختلفة، وطرقاً مُختلفة.

أجل، هناك حقيقة جوهرية واحدة، إنّهم جميعاً يصلون إلى هدف واحد، بيد أنّهم يبدأون من نقاط انطلاق مختلفة. إنّ نقاط البداية بالنسبة إليهم مُختلفة، بينما نقطة الوصول المُطلقة هي نفسها، ولكن لا يُوجد أيّ داع كي تصنع توليفة من نقاط الانطلاق. وإلا فستكون مُشوشاً. إذاً، أيّ كانت الخريطة المقبولة عندك، اِستمع إلى قلبك بعمق، أيّ كانت الخريطة التي تبدو مُناسبة بالنسبة إليك، كُن مُخلصاً لها، مُلتزماً بها.

قبل أن ندخل إلى القصة الرمزية، هناك ثلاثة أشياء يجب فهمها. هناك ثلاثة أساسيات في التصوّف. وهذا مخطط «نقشبندي» يُساعدك. إنه نوع من الخرائط. الأول هو الإسلام، الثاني هو الإيمان، والثالث هو الإحسان.

إنّ الإسلام يعني الاستسلام، استسلام الأنا المزيفة، استسلام الماضي، استسلام ما يُسمّى الذات التي صدّقتَ أنّها أنت، الاستسلام التامّ. هذا هو الأساس الرئيس الأول. إنّ «الإسلام» كلمة جميلة، وهي تمتلك معان أُخرى أيضاً، بيد أنّ المعنى الأساسي هو الاستسلام «ساماربان». المعنى الثاني لكلمة «الإسلام» هو السلام. عندما تستسلم، يكون هناك سلام، لأنّه عندما تستسلم، تختفي جميع الصراعات.

حينما تستسلم لمُعلّم أو مدرسة أو خريطة معينة، تكون في سلام تامّ. أنت الآن لا تُحارب. لقد وجدتَ أحداً يُمكنك الوثوق به. لقد وجدتَ شخصاً يعرف الطريق. لقد وجدتَ شخصاً يمتلك نوراً في داخله. تستطيع أن تتبعه. بثقة تامة، ينشأ السلام. كيف يُمكن أن يكون هناك صراع، عندما تحدث الثقة، ويحدث الاستسلام؟

المعنى الثالث هو السكون. إنّ السلام يعني أنّه الآن لا يُوجد المزيد من الصراع في الحياة، ولا يُوجد المزيد من الاختيارات في الحياة، هل أذهب في هذا الطريق أم ذاك، هل يجب أن أفعل هذا أو ذاك؟ بمُجرّد أن تكون اخترتَ المُعلّم، ينشأ السلام لأنّه الآن موجود كي يُخبرك ما تفعل وما لا تفعل، ويكون التزامك تاماً، وارتباطك تاماً، أنت لستَ في حاجة أن تُفكّر فيه بعد الآن. تستطيع أن تضع الذهن المُفكّر جانباً. يأتي السلام، والسكون الذي هو بُعد آخر للسلام.

هل لاحظت؟ في بعض الأحيان، في الوقت الذي يكون الأمر قد حدث لك، وتكون استسلمتَ في الحُبّ لشخص ما، فجأة يكون هناك سكون عميق في الداخل. لا تتحرّك أيّ فكرة، ولا تنشأ أيّ موجة. قد يكون في الخارج ضوضاء صاخبة، من الازدحام المروري، الطائرة، القطار، ولكن عندما تكون في حالة سكون، فجأة فإنّ أصوات القطار، الطائرة، الازدحام المروري حتى لا تُسبب لك أيّ إزعاج. سوف تجد السكون حتى في تلك الأصوات. عندما تكون ساكناً، سوف تجد السكون في كلّ مكان.

يحدث استسلام بسيط للغاية في الحُبّ، لأنّك في الحُبّ تُحبّ شخصاً مساوياً لك، ولكنه لا يُمكن أن يكون استسلاماً كبيراً جداً. أنت تعرف المرأة التي استسلمتَ لها، أو الرجل الذي استسلمتِ له، ولكنّه شخص مثلك تماماً.

حينما تستسلم إلى المُعلّم، فأنت تستسلم إلى شيء بعيد جداً، على الرغم من أنه قريب. إن المُعلّم سُلّم، إذ تكون الدرجة الأولى قريبة جداً، في حين أنّ أبعد درجة بعيدة جداً، عالياً في السماء، تتهامس مع السحب. عندما تستسلم، تكون أحد أجزاء وإحدى نهايات السلم في يديك، والنهاية الأُخرى عند الإله. إنّ المُعلّم هو رجل الإله. إنّه يبدو مثلك تماماً، ومع ذلك فهو لا يُشبهك، لقد وصل، ووجد. لم يعُد هناك تساؤل، ولا بحث. لم يعُد لديه رغبات مُتبقية. لقد تحقق كلّ شيء.

إنّ «الإسلام» هو الأساس الأول في التصوّف، وهو الاستسلام، السلام، السكون.

أما الأساس الثاني فهو الإيمان، والذي يعني الثقة، الاخلاص وليس الاعتقاد. إنّ الاعتقاد يكون في المفاهيم، بينما الإخلاص في الحضور. لو كان ما أقوله يبدو مقبولاً بالنسبة إليك ووثقتَ به، فسيكون هذا اعتقاداً. إذا كانت حقيقتي تجذبك مثل المغناطيس، وتجذبك مثل مصدر طاقة غير معروف، عندئذ تكون ثقة. عندما تعتقد في جملة منطقية، يكون اعتقاداً، وعندما تعتقد في حضور شخص، تكون ثقة. إنّ الثقة شخصية، بينما الاعتقاد في المفاهيم. إنّ الإيمان يعني الثقة.

يقول الصوفيون إنك لا تستطيع أن تعمل بمُفردك. إنّه أمر شبه مُستحيل دون مُعلّم، لأنك سوف تكون من دونه مثل كائن عرضي، تتخبط بالصدفة بين هذا الطريق وبين ذاك. إنك تستطيع بمفردك أن تقود نفسك إلى الجنون على نحو أسهل من أن تُصبح مُستنيراً ، ومن هنا يكون الإيمان مطلوباً، وكذلك الثقة مطلوبة.

تذكّر شيئاً واحداً: لا تُفكّر ولا لحظة واحدة، كما يُفكّر الكثير من الناس، أنّ هؤلاء الذين

يستسلمون أو يثقون هم أشخاص ضعفاء. كلا، إطلاقاً. إنّ الأشخاص الأقوياء فقط يستطيعون أن يستسلموا، ويثقوا، أما الضعفاء فهم دائماً يخافون. إنّ الثقة ليست من أجل الجبناء، فالثقة تتطلّب الشجاعة، وهي تعني المخاطرة، وأنّك الآن تفتح نفسك تماماً أمام شخص آخر، ولا تعرف ماذا سيحدث.

قد يقوم باستغلالك، وقد يقوم بتدميرك، فأنت قابلاً للجرح. مَن يدري ماذا سيفعل بك هذا الرجل؟ لقد أصبحتَ غير محمي، ونزعتَ عنك كلّ الحماية. إنّك تفتح درعك أمام هذا الرجل، ولا تعرف ما الذي سوف يحدث. إنّ الجبان والضعيف، لا يستطيع القيام بذلك. هكذا، لا تُفكّر ولا ثانية واحدة أنّ مَن يقوم بذلك هم الجبناء أو الضعفاء. كلا، إطلاقاً. إنّه العكس تماماً: وحدهم الأقوياء للغاية والجبارين الذين يستطيعون الاستسلام. إنّ «الإيمان» خُلق من أجل هؤلاء الذين يتمتعون بالشجاعة.

إنّ المعنى الأول للإيمان هو الإخلاص، الثقة، «شراددها». المعنى الثاني للإيمان هو الدين، وليس دين طائفة معينة، ولكن التديّن. ما هو التديّن؟ إنّ التديّن هو عدم الرضى بما هو مُدرك، بما هو واضح، بما هو ملموس، عدم الرضى بالعالم كما هو، الانفصال عن الأشياء كما هي. من خلال هذا الانفصال الإلهي، ينشأ في داخلك شوق عظيم للبحث عن الحقيقة، وعن معنى ومصدر الحياة. من أين أتي كلّ هذا؟ إلى أين سوف يذهب كلّ هذا؟ ما أساس كلّ هذا الغموض؟

هذا هو التديّن. ليس له علاقة بأيّ طائفة، إنّ الرجل المُتديّن ليس مُهتمّاً بكونه «هندوسياً»، أو «مسيحياً» أو تابعاً لأيّ دين. تستطيع أن ترى هذه النوعية. عندما ترى رجلاً متديناً لن تشعر أنّه هندوسي، أو مسيحي، بل ستشعر ببساطة أنّه متدين، فروح التدين تُحيط به، وفي عينيه بريق ليس من هذه الدنيا، وفي قلبه إيقاع ليس من هذا العالم. إنّه يمشي على الأرض ولكنّ قدماه لا تلمس الأرض. إنّه هنا ولكنّه ليس هنا. إنّه ثمل من شيء آخر، ولكنك لا تستطيع أن ترى ما يُثمله. إنّ خمرته غير مرئية، وليست من النوع الذي يُمكن شراؤه من السوق. لقد صنّع خمراً في أعماق داخله وثمل به. سوف ترى أثره من طريقة سيره، طريقة جلوسه، طريقه حديثه، طريقة اتصاله وتواصله. هناك حاله من الثمالة.

لو كنتَ مُتاحاً أمامه فستبدأ في الارتفاع بمُجرّد أن تتواصل معه، إنه اتصال مع الأسمى، ولأنّه مُتقد دائماً، فستبدأ في الشعور أنك مُتقد. هذا هو التديّن، هذا هو الإيمان، أو ما يُطلق عليه الهندوس «دهارما»، وما يُسمّيه «لاو تزو» «التاو»، وما يُطلق عليه اليهود «التوراة». هذا هو أهمّ قانون أساسي في الدين، أن تكون ثملاً بالمجهول، بغير المرئي، أن تكون ثملاً من شيء ليس من هذا العالم، وليس مُتاحاً هنا، أن تكون ثملاً من شيء يخترقك من عالم الماوراء. لو رأيتَ الصوفيين، فستتفاجأ أنّهم أكثر الناس ثمالة في العالم.

أما المعنى الثالث للإيمان فهو التعهد، الارتباط، وليس فقط من خلال الأفكار، ولكن من خلال الأفعال أيضاً. إنّه تحول، وتهيئة. إذا شعرتَ أنّ المعنى مفقود، عندئذ لن تُدركه من خلال التفكير وحده. عليك أن تُلزم نفسك أن تكون فيه بكلّيتك، بأفكارك، بمشاعرك، بأفعالك، يجب أن يكون كلّ شيء مُرتبطاً به.

هذا هو معنى المُريدية أيضاً. إنّها إيمان. إذ ليس من المُفترض أن تُصدّق وتتقبل فقط ما أقول، عليك أن تُصبح ذلك، عليك أن تقوم بذلك، عليك أن تبعث فيه الحياة كي يكون جزءاً من كيانك، عليك أن تعيشه. لا يجب أن يبقى الأمر فلسفياً، بل يجب أن يُصبح حياتك. عندها فقط، وأقصد «فقط»، يصل

الإنسان، وليس خلاف ذلك.

الشيء الثالث هو «الإحسان»، وهو يعني الأصالة، الموثوقية، الإخلاص والصدق. وإلى أن تكون جهودك مخلصة، فلن يتحقق شيء. إنّك لا تستطيع خداع الإله. تستطيع خداع الجميع، يُمكنك أن تخدع نفسك، ولكن لا يُمكنك خداع الإله، ولا يُمكنك خداع الكلّ. لا يُوجد سبيل إلى فعل ذلك. يجب عليك أن تكون مُخلصاً، صادقاً، أصيلاً.

إنّ ذلك يحدث يومياً. يأتي شخص ما ويُريد أن يُصبح مُريداً، أنظر في عينيه وأنظر إلى قلبه، وأرى أنّه لن يكون مُخلصاً. إنّه يُفكّر: «لماذا لا أجرب الأمر؟ أنا موجود هنا منذ شهرين أو ثلاثة أشهر، أستطيع أن أُصبح مُريداً، ثمّ بعد أن أعود إلى «شيكاغو»، مَن يكترث؟ أستطيع أن أُبدّل الثياب، وأضع السبحة في الحقيبة. إذا حدث شيء فهذا جيد، وإذا لم يحدث شيء، فلم أخسر شيئاً، لماذا لا نقوم بمحاولة؟».

لو أنّك قمت بالأمر على أنه مُحاولة، فلن يحدث شيء، لأنّك لست مُستغرقاً فيه. يكون الشيء مُمكناً فقط إذا كنتَ تُريده فعلاً ، عندما تكون مُستعداً أن تُضحّي بكلّ شيء من أجله، مكانتك الاجتماعية، اسمك، كلّ شيء.

ذات ليلة كانت هناك احدى المُريدات، وكانت مُهتمّة دائماً بإيجاد معنى الحياة. لقد أخذت المُريدية منذ عام، ولكنّها لم تعتد على اسمها الجديد على الإطلاق، والآن بدأت تشعر بالقليل من الذنب. لقد أخبرتني: «إنني لم أعتد على الاسم الجديد على الإطلاق». إنّها ليست مسألة أسماء. إذا لم تكن مُتماثلاً معه تماماً، فلن تحدث الأشياء، وعندما لا تحدث فستُفكّر: «ماذا كان الهدف من أخذ اسم مُريد؟ سوف أتخلّى عن الأمر، لأنّه لم يحدث أيّ شيء». بينما أنت المسؤول، فالأشياء يُمكن أن تحدث فقط عندما تُريدها بشدة، وعندما تكون الأمور مسألة حياة أو موت.

عندما يُصبح الاسم الذي أمنحه لك حقيقتك، عندما تُصبح الطريقة التي أخبرتُك أن تعيشها وتكونها هي الطريقة الوحيدة، عندها سوف تبدأ الأشياء في الحدوث، وحينها لن يستطيع أحد من منعها من الحدوث، ولكن ليس قبل ذلك إطلاقاً.

الآن أنا أعرف هذه المُريدة، واسمها «ياما». إنّها امرأة جميلة، في بحث حقيقي، ولكن بنصف قلب. إنها لا تستطيع أن تذهب بعيداً لأنّ نصف قلبها معي، ولا تستطيع أيضاً أن تنصهر داخلي بالكامل لأنّ نصف قلبها ما زال يُفكّر في أشياء أُخرى. سوف تكون الآن في مشقة، وفي نوع من الفصام، والانفصال.

إنّ الإحسان يعني ألا تكون مُنفصلاً. إذا لم تكن تُريد أن ترى الإله. اِنس الأمر، وانغمِس في العالم، ودع العالم يكون حقيقتك. في يوم أو آخر سوف تُصبح مُحبطاً، وعندها سوف يبدأ البحث عن الإله، ولكن ليس هناك داع لأن تبدأ الآن. إذا لم تكن مستعداً بعد، من الأفضل أن تبقى في العالم، وسوف يجعلك العالم مُستعداً وناضجاً من أجل الذهاب إلى الإله. لا يُوجد داع إلى الاستعجال. إذا كنت مُستعداً فعلاً، فلا تركب حصانين في الوقت ذاته، ولا تسر في طريقين، قُم بالاختيار؟ هذا معنى الإحسان: الصدق، الأصالة، الإخلاص.

أما المعنى الثاني للإحسان فهو النقاء الداخلي غير المفروض من الخارج. عندما يكون الشخص أصيلاً حقيقة، ينشأ داخله نوع من النقاء. تستطيع أن تُدرك الشخص الحقيقي، لأنّ الأصالة والصدق جليّ جداً في كينونته. إن كلّ ما يقوم به واضح للغاية. إنه يمتلك اتجاهاً، احساساً بالاتجاهات، لأنّ اتجاهه هو البحث الخالص. إنّه يعرف ماذا يفعل ولذلك فهو يقوم فقط بما يخدم هدفه المُطلق، و لا ينتبه إلى كلّ ما ليس له علاقة به. إنّه لن يُضيّع ولا لحظة واحدة من وقته وطاقته على أيّ شيء آخر.

إذا كنتَ مُريداً حقاً، فإنّ أيّ ما تقوم به حينها سيُساعدك على الوصول إلى هدفك، إلى حال «سامادهي» الخاص بك. إذا كنتَ تُشغّل الموسيقى، فستشغلها بفكرة أنّها سوف تكون جزءاً من تأملك. إذا كنتَ ترقص، فسترقص كي تخلق لنفسك مساحة أكبر للتأمل. إذا كنت تتحدّث إلى شخص ما، فستتحدّث فقط عن الأشياء التي سوف تُفيد، ولن تكون مُشتتاً بالتفاهات. سوف تقول ببساطة: «هذا ليس لي. أنا لستُ مُهتمّاً بذلك». سوف تقرأ فقط تلك الكتب التي سوف تُساعدك، ولن تُضيّع وقتك في قراءة الروايات السخيفة، ولن تذهب من أجل مُشاهدة أيّ فيلم، ولن تستمع إلى أيّ برنامج إذاعي.

سوف تُصبح حياتك مُوجهة بصورة أكثر وأكثر، مُحددة المسار، فلديك غاية واحدة، وهذه الغاية موجودة باستمرار، تماماً مثل الخيط الذي يسري في كلّ ما تقوم به. عندها فقط تكون هناك إمكانية، وعندها فقط تُصبح مُستحقاً بصورة كافية، وعلى مستوى أن يحضر الإله إلى داخلك.

عندما يتضح أنّ كلّ جهدك مُوجه إلى الإله، تُصبح حياتك بأكملها عبادة، هذا هو «الإحسان». إنّه ما يطلق عليه «البوذيون» «شيلا»، أي النقاء.

المعنى الثالث «للإحسان» هو الشمول، الكمالية. أيّ كان ما تفعل، لا تتقيد. اِستغرق فيه بكليّتك، لا تبقَ مُنفصلاً، لأنه فقط من خلال كونه مُشاركاً يصل الإنسان إلى معرفة أيّ شيء، بينما يستمرّ المتفرجون ببساطة في تفويت الأشياء.

إذا كنت ترقص، اِرقص، وفي هذه اللحظة دَع الرقص يكون كلّ شيء بالنسبة إليك. ضَع فيه كلّ ما تملك. يجب ألا يبقى ولو جزء صغير منك مُشاهداً. عليك أن تغرق كلياً، وعلى نحو تامّ. تلك اللحظات القليلة عندما تكون مُستغرقاً تماماً في شيء ما، هي اللحظات التي تكون فيها أقرب إلى الإله. تلك هي لحظات النعمة والبركة.

تلك هي أساسيات الإسلام والتصوف الثلاثة. يجب أن يتمّ تشرب هذه الأساسات الثلاثة. فهي تحتوي كلّ ما يحتاجه أيّ شخص مُتدين، سواء كان صوفياً، أو كان غير ذلك. هذه الأعمدة الثلاثة هامّة للغاية. إنّها مُخطط «نقشبندي». إذا استطعتَ أن يكون لديك إسلام، بمعنى الاستسلام، السلام، السكينة، وإيمان بمعنى الثقة والإخلاص والتدين، والالتزام، وإحسان، بمعنى الصدق، النقاء، الشمول، فأنت تمتلك الخريطة.

الآن هذه القصة الصغيرة:

سُئل «صوفي من جماعة «النقشبنديين»: «إنّ اسم جماعتك يعني حرفياً «المُخططين». فماذا تُخططون وما هي فائدته؟»،

قال: «إننا نقوم بمُخططات رائعة، وهي مُفيدة للغاية. إليك حكاية رمزية عن أحد هذه الأشكال:

هناك حداد تمّ سجنه ظلماً، وقد سُمح له أن يتلقّى سجادة نسجتها زوجته. كان يسجد عليها يوماً بعد يوم وهو يُؤدي صلواته، بعد فترة من الوقت قال للسجانين: «أنا فقير وليس لديّ أمل، وأنتم رواتبكم زهيدة. لكنني حداد. أحضروا لي صفيحة وأدوات وسوف أصنع بعض المشغولات اليدوية التي يُمكن أن تقوموا ببيعها في السوق، وسوف يستفيد كلانا».

وافق الحراس على ذلك، وفي الوقت الحالي كانوا يقومون والحداد جميعاً يجني الأرباح، التي أحضروا بها لأنفسهم طعاماً ووسائل للراحة.

ثمّ ذات يوم، عندما ذهب الحراس إلى الزنزانة، كان الباب مفتوحاً، وكان الرجل قد ذهب.

بعد عدة سنوات، حينما ظهرت براءة هذا الرجل، سأله الرجل الذي كان يسجنه عن كيفية هروبه، ما السحر الذي استخدمه. فقال: «إنّها مسألة مُخطط، ومُخطط داخل مُخطط. إنّ زوجتي تعمل في الحياكة. لقد عثرَت على الرجل الذي صنع الأقفال الخاصة بباب الزنزانة، وحصلت منه على المُخطط. وقد نسجت ذلك على السجادة في الموضع الذي تلمسه رأسي في الصلاة خمس مرات باليوم. أنا صانع معادن، وقد بدا لي هذا المُخطط وكأنه قلب قفل. فصممت خطة المشغولات اليدوية حتى أحصل على الأدوات لصنع المفتاح، وهربت».

قال الصوفي النقشبندي: «هذه واحدة من الطرق التي قد تجعل الإنسان يهرب من طغيان أسره».

إنّ الإنسان سجين، إنّه سجين «الأنا المزيفة» الخاصة به. إنّ «الأنا المزيفة» هي السجن، فإذا كنتَ تُريد أن تخرج من السجن، هذه هي الخريطة: الإسلام، الإيمان، الإحسان. إذا استطعتَ أن تتعامل مع تلك الأشياء الثلاثة، فأنت تمتلك المُخطط الكامل من أجل الخروج.

إنها حكاية رمزية جميلة، إنّها حكاية رمزية بسيطة، ولكنّها هامة.

كيف يُمكنك الخروج من السجن الحالي حيث أنت؟ سوف يكون عليك أن تسأل أحداً يعرف.

قال السجين الهارب:

«إنّها مسألة مُخطط، ومُخطط داخل مُخطط. إنّ زوجتي تعمل في الحياكة. لقد عثرَت على الرجل الذي صنع الأقفال الخاصة بباب الزنزانة»،

يُوجد دائماً على وجه الأرض رجال قد عثروا على الرجل الذي صنع أقفال باب الزنزانة. هؤلاء هم الأشخاص الذين نُسمّيهم مُعلّمون. هؤلاء هم الأشخاص الذين وجدوا الإله الذي صنع أول مُخطط، والذي دفع «آدم» إلى التمرّد. هؤلاء هم الأشخاص الذين أدركوا القصة على حقيقتها، وتفحّصوا القصة كاملة عن كيفية دخول الإنسان إلى العالم، ولماذا، وكيف يُمكنه الرجوع مرة أخرى إلى ذاك العالم. لماذا خرج «عيسى» من العالم، ولماذا تمّ انقاذه وليس الآخرين؟ ما الفارق؟ إنّ «عيسى» قد استسلم، وتخلّى عن «الأنا المزيفة»، هذا هو معنى الصليب «المسيحي». لقد ماتت أناه المزيفة، لقد ماتت نفسه، وولد من جديد على أنه «المسيح». إنّ «عيسى» لم يعُد موجوداً، لقد مات «عيسى»، ووُلد «المسيح».

في الحقيقة، إنّ استخدام هاتين الكلمتين معاً ليس صحيحاً. ليس صحيحاً أن تدعو «عيسى» بلفظ «المسيح»، لأنّهما لم يجتمعا معاً على الإطلاق. لقد كان هناك وقت حيث كان «عيسى» موجوداً، ولكن لم يكن هناك «المسيح». ثمّ أتى الوقت الذي كان فيه «المسيح»، ولم يعُد هناك «عيسى». إنّهما لم يتواجدا مع بعض إطلاقاً، ولا يُمكن أن يتواجدا معاً. إنّ «عيسى» هو «آدم» الذي ضاع في الدنيا، ولم يُدرك كيف علق فيها، وكيف أصبح مُتشبثاً أكثر وأكثر بالأنا المزيفة. أمّا «المسيح» فهو الوعي الذي فهم، وأصبح يقظاً مُتنبهاً، وبدأ في العودة إلى الديار في نوع من الاستسلام.

لقد قال «آدم» كلا، الكلمة التي تخلق الأنا المزيفة، والنفس، بينما قال «عيسى» نعم، وهي الكلمة التي تُسقط الأنا المزيفة. إنّ كلمة نعم هي الإسلام، الاستسلام، «ساماربان». عندما قال نعم، تغيّر طريق حياته بالكامل. لقد بدأ في العودة إلى «جنة عدن»، إلى جنة الإله.

«إنّها مسألة مُخطط، ومُخطط داخل مُخطط. إنّ زوجتي تعمل في الحياكة. لقد عثرَت على الرجل الذي صنع الأقفال الخاصة بباب الزنزانة، وحصلت منه على المُخطط. وقد نسجت ذلك على السجادة في الموضع الذي تلمسه رأسي في الصلاة خمس مرات باليوم».

كانت فكرتها أنّه إذا كان زوجها سوف يُصلّي على السجادة خمس مرات في اليوم، إلى متى يُمكن أن يستمر في عدم الفهم؟ هذا سبب أنني أستمرّ في الحديث كلّ يوم. كم من الوقت يُمكن أن تستمرّ في عدم الفهم؟ إنّ رأسك سوف تلمس سجادة الصلاة كلّ يوم، وفي يوم ما، ستبدأ في النظر إلى المُخطط: «ما الأمر؟ ماذا يجري؟»، يوماً ما سوف تُصبح واعياً ومُدركاً.

أنا صانع معادن، وقد بدا لي هذا المُخطط وكأنه قلب قفل. فصممت خطة المشغولات اليدوية حتى أحصل على الأدوات لصنع المفتاح، وهربت».

قال الصوفي النقشبندي: «هذه واحدة من الطرق التي قد تجعل الإنسان يهرب من طغيان أسره».

إنّ الأسر من صنعنا نحن. إنّه الأنا المزيفة الخاصة بنا، ونحن نستطيع أن نتخلّى عنها.

من أجل ذلك، علينا أن نتأمّل هذه الكلمات الثلاثة: «الإسلام»، «الإيمان» ،»الإحسان».

***

الفصل الرابع عشر

فوضى استثنائية

9 سبتمبر 1977 صباحاً في قاعة «بوذا».

السؤال الأول:

تقول ليس هناك مكان تذهب إليه، وأنّ الذهاب إلى مكان ما يعني تخليد الوهم.

أنا أراه في بعض الأحيان..

وتقول إنّ التديّن هو رفض ما نعرفه، وإنّه لا يجب على الإنسان أن يقف عند مُفترق الطرق ولكن أن يتجرأ، ويرتكب الأخطاء.

تقول إنّ هذا هو الحال بالفعل، الباحث هو الساعي.

وتقول إنّ الدين هو بناء الذات، التمرّد المُستمرّ،

إنّ مزج وتناغم جميع هذه الأشياء يُوجد فيما بينها فوضي استثنائية.

هذا صحيح. هل سبق أن شاهدتَ أبداً ولادة طفل؟ إنّها فوضى كاملة.

هذه ولادة وعي جديد. إنّك تشهد شيئاً نادراً. إنّه يحدث مرة واحدة فقط في آلاف الأعوام. عندما يُولد أيّ شيء جديد، يكون فوضوياً. تستطيع أن تسأل العلماء ماذا يقولون عن ولادة العالم. لقد كانت فوضوية للغاية، لقد كان الأمر فوضى، ثمّ نشأ الكون من هذه الفوضى.

قبل أن أتمكن من انشاؤك يجب عليّ أن أُدمّرك. يجب أن أُفكك القديم تماماً. من الطبيعي، عندما يتفكك القديم ولم يُخلق الجديد بعد، تكون هناك فترة انتقالية، حيث يكون كلّ شيء فوضوياً.

بيد أنه إذا كانت الفوضى سوف تمنح ميلاداً لنجمة، يجب أن يتمّ الترحيب بها. إنّ الترتيب، النظام، ليسا جيدين على الدوام، وليسا مُفيدين دائماً. بينما الفوضى ليست دائماً مؤذية. على الإنسان أن يبحث كلّ حالة من أجل تحديد ذلك، فالأمر يعتمد على الهدف، فإذا كان التدمير هو الهدف، يكون التدمير عنفاً، ويكون قبيحاً. بينما إذا كان البناء هو الهدف، فهل هناك مَن استطاع أبداً أن يبني أيّ شيء دون

تدمير. يجب أن يتمّ تدميرك.

هذه هي وسيلتي، أن أُعطيك تأكيدات مُتناقضة. هذا هو مُخططي «النقشبندي». إنني أُناقض نفسي كثيراً لسبب مُعين: إذا بقيتَ تُنصت إليّ، عاجلاً أم آجلاً سوف تتوقّف عن الاعتقاد. هذا هو كلّ الهدف، لأنّك سوف تعرف أنّ تصديق هذا الرجل ليس له معنى. غداً سوف يُناقض نفسه. قبل أن تكون رسّختَ الاعتقاد يكون قد ناقضه. إنّه لن يدعك تستقر في أيّ ملجأ، بمُجرّد أن تعرف ذلك، سوف تختفي على نحو بطيء عادة الفكر القديمة في التشبث بمبدأ معين. إنّها يُمكن أن تختفي فقط إذا كنتَ مُتناقضاً باستمرار.

إذا كانت الأنا ثابتة فسأُصبح اعتقادك، وأُصبح كنيستك، وأُصبح دينك. وأنا لا أُريد أن أُصبح كنيستك أو عقيدتك أو دينك، أنا أُريد أن أُصبح خلاصك. تحررك، حرّيتك. إنّ الهدف مُختلف تماماً. إذا كنتَ تبحث عن نوع من الاعتقاد، فأنت في ورطة.

هذا سبب أنّ «أناند فيدا»، الذي سأل هذا السؤال في ورطة. لا بُدّ أنّه يبحث عن بعض الأمان في فكرة ما. إنّه يُريد فكرة يتشبث بها، إنّه يُريد ملجأ يختبئ وراءه. إنّه لا يُريد مُواجهة الحياة المُضطربة، الحياة كما هي. إنّه يُريد أن يستعد من أجل مواجهة الحياة بالأفكار، النظريات، المفاهيم، الفلسفات. إنّه يريد أن يذهب من أجل رؤية الإله بتفكير جاهز تماماً.

بيد أنّ الإله عبارة عن فوضى، بل إنّه فوضى عارمة. أن تُقابل الإله دون استعداد يعني أن تنصهر داخله. بيد أنّ هذا هو اللقاء الوحيد، ولا يُوجد غيره. إذا لم تكن مُستعداً أن تختفي داخل هذه الفوضى، فلن تُقابل الإله. إنّ الإله ليس أحد المفاهيم.

بيد أنك تُريد مفهوماً، فلسفة واضحة وقاطعة، تستطيع أن تعتمد عليها، وتُحارب وتُجادل تحت اسم هذه الفلسفة.

الآن سوف يكون من الصعب للغاية أن أجلب الأدلة في صالحي، هذا شيء مُستحيل، لن تستطيع أن تفعل ذلك. إنّ أيّ شخص يستطيع رؤية أنّ أقوالي مُتناقضة، ولا تُوجد حاجة إلى بصيرة نافذة من أجل رؤية ذلك. يستطيع أيّ شخص غبي رؤية أنّ أقوالي متناقضة. إنّ الذكاء سيكون مطلوباً من أجل إدراك أنّ أقوالي ليست عن الحقيقة، بل هي أدوات، مخططات من أجل نسف شيء ما في تفكيرك. سوف يتطلب إدراك ذلك ذكاء حاد.

إنني لن اسمح لك أن تستقرّ معي، سوف يكون عليك أن تتحرك. إنني سوف أبني كلّ يوم، وأُدمّر كلّ يوم. عاجلاً أم آجلاً سوف يصلك الإدراك أنّه ليس هناك حاجة إلى التعلّق. عندما تتعلّق، يكون الأمر مُؤلماً عندما يُؤخذ منك الشيء من جديد. إذاً، لماذا التعلق في المقام الأول؟ إنّ عدم التعلّق حرية.

إنّ هذه التصريحات المتناقضة ليس المقصود بها أن تكون تصريحات عن الحقيقة أبداً. إنّ الحقيقة لا يُمكن قولها. لم يقلها أحد إطلاقاً، ولن يقولها أحد أبداً، فهذا أمر مُستحيل. إنّ الحقيقة لا يمكن تقييدها بالكلمات. أنا لا أتحدّث عن الحقيقة، أنا ببساطة أخلق داخلك مساحة، أُطلق عليها الفكر غير المُتعلّق، غير المُرتبط، الفكر المتفتح. بمُجرّد أن تصل إلى هذه الحالة سوف تعرف ما هي الحقيقة. أنا لا أستطيع أن أقول ما هي الحقيقة، لكن أستطيع أن أخلق من أجلك أداة، مُخططاً، تستطيع من خلاله رؤية

الحقيقة.

عندما تستمع إليّ، إذا كنتَ تُنصت وكأنّك تستمع إلى فيلسوف، فلن تفهمني. إذا استمعتَ إليّ كأنّك تستمع إلى عالم لاهوتي، فلن تفهمني. إذا استمعتَ إلي كأنّني عالم بالمنطق، فلن تفهم مقصدي. إنني أستخدم المنطق فقط من أجل نسف المنطق، أستخدم الكلمات فقط من أجل نسف الكلمات، أستخدم النصوص فقط من أجل نسف النصوص. كلّما أنصتّ إلي بهدوء، وذكاء، أصبحَت هذه الحقيقة رويداً، رويداً شديدة الوضوح بالنسبة إليك. هناك رؤية في الوضوح، الشفافية، الهدوء، حينما لا يكون في دماغك ولا فكرة واحدة عن الحقيقة، تظهر الحقيقة.

من أجل هذا، فإنّ تصريحاتي مُتناقضة، بل إنّ التناقض والمفارقات هي مُخططي.

أنا لا أقول لك: «إفعل هذا، ولا تفعل ذلك»، هذا سبب أنك تتسبب لنفسك بالمتاعب مُجدداً. إنّك تستمع إلي برغبة ملحة في أن تقوم بشيء ما. هكذا عندما تسمعني أقول: «إفعل ذلك»، أو عندما تُفسّره أنني أقول «إفعل هذا»، تتشبث به في الحال، وتبدأ في الاستعداد من أجل القيام به. في اللحظة التالية عندما أقول إنّه خطأ، تُصبح تائهاً. لقد كنتَ على أهبة الاستعداد كي تقفز إلى العمل الفعلي، وحتى قبل أن تفعل، لم يعُد الأمر صحيحاً.

إنني أُساعدك على أن تتخلّى عن جميع أنواع الرغبات، بما في ذلك الرغبة في ضرورة الوصول إلى الحقيقة، ضرورة الوصول إلى «نيرفانا»، بما في ذلك الرغبة في ضرورة أن تكون بلا رغبات.

لماذا أنت مُتلهف من أجل فعل شيء ما؟ لماذا لا تستطيع أن تكون ببساطة؟ إنّ الكينونة هي سلامة العقل والخلاص. في اللحظة التي تبدأ فيها في الفعل، تُصبح مُشوشاً، لأنه أيّ كان ما تقوم به، وأنا أقولها على نحو مُطلق، «أيّ كان»، سوف يخلق داخلك المزيد من الأنا المزيّفة. إنّ الفعل يخلق الفاعل والأنا المزيّفة هي المشكلة بأكملها. يجب التخلّي عن الأنا المزيفة، لأنها دائماً تنتظر الفرصة من أجل القيام بشيء ما.

عندما أُحاول أن أشرح لك ما هو التأمّل، فأنا أفعل شيئاً وأنت تستعدّ من أجل شيء آخر. أنا أُحاول التحدّث معك، كي أُشاركك ببساطة بصيرتي وخبرتي في التأمل. أنا أُحاول القيام بشيء واحد فقط: أن أجعلك مُدركاً لماهية هذه الحالة من التأمّل. عندما أتحدّث عن هذه الحالة، تُخطط داخل نفسك كيفية الوصول إليه، وماذا تفعل حياله. أنت تُوجد في بُعد مُختلف تماماً.

أنا أقول إنّ التأمل شيء لا يُمكن فعله، يستطيع الإنسان أن يكون في حالة تأمل، لكنّه لا يستطيع أن يفعله. إنّه تماماً مثل الحُبّ. يمكن أن تكون في حالة حُبّ، ولكن ماذا يُمكنك أن تفعل حياله؟ إما أن يكون أو لا يكون. عندما تُنصت إليّ، فأنت تقوم بتفسير وتخفيض كلّ ما أقوله إلى كيف أقوم به. أنا أقول لك إذا كنت تستطيع ببساطة أن تُنصتَ إليّ، فهذا سوف يُؤدي بك إلى التنوير، ولا حاجة إلى فعل أيّ شيء آخر. بمُجرّد الاستماع إليه، بمُجرّد رؤية ما يحدث هنا بيني وبينك، بمُجرّد كونك معي، سوف تُصبح مُستنيراً، وليس من خلال فعل أيّ شيء آخر.

بيد أنّك لا تُحبّ هذا كثيراً، لأنه لا يمنحك الأنا المزيفة. إذا حدث التنوير بمُجرّد كونك معي،

عندها مَن تكون؟ ماذا تكون؟ ماذا فعلت؟ كيف يُمكنك أن تتفاخر به؟ إنّه سوف يكون هبة، يجب عليك أن تكون شاكراً لحدوثه، مُمتناً من أجله. لن تستطيع أن تُواجه العالم قائلاً إنّك قمت به. كيف يُمكن أن تقول: «لقد فعلتُ ذلك؟»، فليس له علاقة بك أو بما تفعل.

كلا، أنت لست مُهتمّاً كثيراً بذلك. أنت مُهتمّ بالقيام به، تحقيقه، الوصول إليه، حتى تستطيع القول إنّك قد وصلتَ إليه، ولكن كيف يُمكن أن تصل إلى التنوير؟ـ أنت الحاجز دون الوصول إليه، بل أنت الحاجز الوحيد.

يأتي التنوير عندما لا تكون. إنّه متاح في هذه اللحظة، موجود في كلّ مكان، بل إنّ التنوير هو المادة التي صُنع منها الوجود. إنّه ينهمر مع أشعة الشمس. إنّه يُغنّي في الطيور، إنّه يرقص في الأشجار. إنّه في داخلك، إنّه فيك. عليك فقط أن تصل إلى المرحلة حيث لا تفعل أيّ شيء، وفجأة ترى حقيقة الأمر، حضوره المُشعّ، بيد أنّ هذا يحدث فقط عندما لا تكون في لحظة الفعل. عندما تفعل، تُصبح مُهتمّاً، وتكون في الخارج. بينما عندما لا تفعل تكون فجأة داخل نفسك. إنّ الفعل هو الطريقة كي تكون بها خارج نفسك، بينما اللافعل هو الطريقة كي تكون حيث يجب أن تكون، وتكون حيث أنت موجود بالفعل. إنّ الفعل يأخذك إلى المستقبل في الزمن، بينما اللافعل يسمح لك أن تسترخي في الديمومة.

إنّ التناقض هو أسلوبي، ولذلك لن تتمكّن إطلاقاً من التشبث بشيء أقوله. وذات يوم سوف تكون مُمتناً لأنني لم أكن ثابتاً، لأنّه مع الرجل الثابت على المبدأ لن تكون أبداً في ذلك البُعد المُسمّى بالتنوير، بل ستكون تابعاً، وتُصبح فلسفياً، ومنطقياً للغاية. سوف تكون لديك أفكاراً جميلة تُقدّمها إلى العالم، وتمتلك فكراً جيداً، راسخاً، ومنهجياً، بيد أنّ هذا ليس له علاقة بالتنوير. تستطيع أن تُصبح مُستنيراً فقط مع رجل مُتضارب كلياً.

عندما تكون قادراً على رؤية ما أفعله هنا ستتفاجأ أنّ جميع تصريحاتي مُتضاربة، ومع ذلك هناك اتّساق في كياني، وهذا الاتساق هو أنني مُتناقض دائماً، مُتناقض باتساق، غير ثابت باتساق. إنّك سوف ترى هذا الاتساق يوماً ما.

ظاهرياً سوف أقول الكثير من الأشياء، وكلّ شيء سيكون مُخالفاً لأشياء أُخرى، ولن يُسمح لك بامتلاك أيّ فكرة. إنني هنا كي آخذ منك جميع الأفكار، وليس كي أمنحك المزيد من الأفكار، فالحال أنه لديك بالفعل أكثر ممّا ينبغي بكثير.

السؤال الثاني:

«هل نظرية أنّه يجب علينا أن ندفع، نُرغم، ونركل أنفسنا، هي نظرية صحيحة؟ إنني أكره مُقاومة نفسي».

انظر إلى السؤال. أنا أقول لك باستمرار إنّ الحقيقة ليست في مكان آخر، إنّها هنا. ليس عليك أن تُصارع في طريقك إليها. إنّ الصراع هو ما يجعلك لا تصل إليها. ليس عليك أن تقاوم التيار، فمُقاومة التيار لن تصل بك إلى أيّ مكان إطلاقاً. إنّك ببساطة سوف تُصاب بالتعب والإرهاق.

عندما تدفع النهر، فأنت فقط تخلق احتمالية فشلك التام. لا يُمكن أن تتصارع مع النهر، فنهر

الوجود ضخم للغاية، وأنت صغير للغاية. أنت مُجرّد موجة في المحيط، تُحاول أن تُصارع المُحيط، تُحاول أن تُوجّه المُحيط، تُحاول أن تصل إلى هدف شخصي. إنّه ببساطة شيء سخيف، فكلّ الصراعات تجعلك سخيفاً، وتجعلك مُتعباً، مُرهقاً، مُحبطاً، حزيناً، وبائساً.

بيد أنّ هناك شيئاً واحداً في الصراع، وهو أنّ الصراع سوف يُشعرك أنك موجود، وستشعر الأنا المزيفة بشعور جيد. أنت تُقاوم، وتقوم بمعركة جيدة. رُبّما لا تستطيع الفوز، لكن لا يُمكن لأحد أن يقول إنّك كنتَ جباناً، لن يستطيع أحد أن يقول أنّك لم تقُم بمعركة جيدة. رُبّما لا تستطيع الفوز، أو مَن يدري، رُبّما يُمكنك أن تفوز، ويستمرّ الدماغ في التفكير بهذه الأساليب. رُبّما لم يتمكّن الآخرون من الفوز، لكن قد تكون أنت الاستثناء. رُبّما تُرك لك أن تفعل ما لم يفعله الآخرون. قُم بمُحاولة. سوف تشعر الأنا المزيّفة بشعور جيد، فأنت تقوم بشيء ما. كلّما كانت المعركة أكبر، كبرت الأنا المزّيفة. كلّما قاومت تيار النهر أكثر، شعرت أنّك موجود أكثر. عند مقاومة التيار تشعر بالأنا. إنّ احساس «أنا أكون» يأتي دائماً عندما تكون ضدّ شيء ما. كلّما قاومتَ وعارضتَ أكثر، ازدادت مُعاناتك، وشعرتَ أنّك مُحدد على نحو كبير.

خُذ الآخر كأنّه عدو وسوف يُصبح تعريفك، خُذ الآخر كأنّه صديق ولن تعود حدودك مُحددة بوضوح. حينما تجلس جوار صديقك أو حبيبك، لا تكون الحدود واضحة. إنّها تتداخل، إنكما تتدفّقان إلى بعضكما البعض. إنّك لا تعرف أين تنتهي وأين يبدأ صديقك. إذا كانت الصداقة عميقة جداً، يحدث شيء في غاية الروعة، وتختفي الأنا المزيّفة عند الأصدقاء.

هناك اسطورة «هندية»، ولكن كي تفهم الأسطورة يجب عليك أن تفهم هذه الكلمات الثلاثة.

أولاً الأسطورة. إنّها أسطورة الخلق. إنّها أجمل بكثير من أساطير الخلق الأُخرى. يقول «الهندوس» إنّ «هو» كان وحيداً، و»هو» تعني الإله. كان بمفرده لكنّه لم يكن وحيداً حقاً، لأنّه كان اثنان في واحد. لقد كان رجلاً وامرأة مع بعض، وكان في عناق مُحبّ عميق. لكنّه كان واحداً أيضاً لأنّه لم تكن هناك حدود. لم يكن من الممكن القول أين ينتهي وأين بدأ محبوبه. لقد كان الرجل والمرأة مُتحدين تقريباً في عناق كوني، تائهين بنشوة في بعضهما البعض.

مرّت الأبدية وبدأ يشعر بالوحدة. من الطبيعي حينما لا يكون لديك تعريف، عندئذ لا يهمّ إذا كنتما اثنين، فأنت تُشعّ وكأنك وحيد. لقد بدأ يشعر بالوحدة، وأصبحت الوحدة ثقيلة للغاية فقرر أن ينفصل، ولذلك تفكك إلى جزأين.

إنّ الكلمة «السنسكريتية» المرادفة لكلمة تفكك إلى أجزاء هي «بات»، وهي تعني تفكك إلى أجزاء، انهار. ومن كلمة «بات» جاءت الكلمة «الهندوسية» «باتان»، وهي تعني ينهار. لقد تفكك إلى اثنين. ومن كلمة «بات»، يُطلق على الزوج في «الهند» «باتي»، ويُطلق على الزوجة «باتني». لقد تفكك إلى جزأين، جزء منهما أصبح زوجاً «باتي»، والجزء الآخر أصبح زوجة «باتني»، إنّ كلمتي «باتي»، «باتني» مأخوذتان من كلمة «بات»، لقد تفكك إلى اثنين.

منذ ذلك الحين، تقول الأسطورة، أنّهما يُحاولان أن يصلا إلى بعضهما مرة أُخرى، لأنّهما الآن يشعران أنّهما مُنفصلين ومُتباعدين للغاية. ومن هنا الرغبة الشديدة في الحُبّ، البحث عن الآخر، أن تجد شخصاً يُمكن معه أن تكون واحداً مرة أُخرى.

حينما تكون مُجتمعاً مع حبيبك تفقدان الهويات. أنت لا تستطيع أن تشعر مَن تكون لأنّ الآخر غارق بشدة في كيانك. في الحُبّ، تختفي الأنا المزيّفة، بينما حينما تكره وتتشاجر وتُعاني، تظهر الأنا المزيّفة. عندما تجلس مع عدو لك تكون مُعرفاً بصورة تامة، لأنّك لا تتدفّق، وهو لا يتدفّق. إنّكما لا تلتقيان في أيّ مكان. هناك مسافة.

هكذا، فالأمر كلّه، أنّك حينما تُكافح، فلا يكون هذا من أجل الحقيقة. عندما تُصارع، لا يكون الأمر من أجل «نيرفانا»، ولا من أجل التنوير. عندما تُقاوم، يكون الدافع الداخلي من أجل الإعلان عن نفسك أنّك قويّ في مُواجهة العالم، ومُواجهة الوجود. بيد أنه عندئذ هناك أيضاً مُشكلة. عندما تُعلن «أنا أكون»، ينشأ خوف كبير أنّه إذا كان الحال «أنا أكون» اليوم، فهناك احتمال كبير أن يُصبح غداً «أنا لا أكون».

يجب أن تفهم ذلك. فهو أحد المُشكلات الرئيسة والأساسية التي يجب على كلّ شخص ذكي أن يُواجهها. في البداية أنت تُحاول أن تُعلن «أنا أكون»، وتشعر بشعور جيد بحالة «أنا أكون»، أنا أكون شخصاً ما، شخصاً مُميزاً». من أجل ذلك، تُحاول طوال حياتك أن تُصبح مُميزاً، استثنائياً بطريقة أو بأُخرى: أن تُصبح رساماً مشهوراً، أو شاعراً، أو سياسياً، أن تمتلك أموالاً أكثر من أيّ شخص آخر، أن تبني قصراً تعيش فيه حتى يشعر الجميع بالغيرة، أن تُثبت بطريقة ما أنّك مميز، وأنّك لستَ في منزلة عادية، وأنك لستَ من الحشد، أنت فوق الجميع، أو تُصبح زاهداً، تعتزل العالم، أو تقف على رأسك وتُصبح من ممارسي «اليوغا»، بيد أنك تفعل شيئاً حتى يتأتى للعالم أجمع أن يعرف أنّك لستَ عادياً، وأنّك مُميز. يفعل الناس الكثير من الأشياء المُختلفة جداً عن بعضهم، ولكن من الدافع نفسه. إذا تعمّقتَ أكثر، فستجد الدافع نفسه. إنّهم يُريدون أن يُعلنوا إلى العالم «أنا أكون».

بيد أنه عندها تنشأ مشكلة. في البداية عليك أن تُكافح كي تُثبت أنّك موجود، ثمّ بعد ذلك بمُجرّد أن تُثبته، يأتي القلق من أنّك إذا كنتَ الأن، فهذا يعني أنّك يُمكن أيضاً أن تختفي فيما بعد. إنّ أيّ شيء موجود، يسير ناحية الفناء. لقد كانت الشجرة موجودة بالأمس، والآن لم تعُد موجودة. لقد كانت الزهرة هنا في الصباح، وفي المساء لم تعُد موجودة، لقد ذبلت. لقد كان الطفل حياً، والآن مات الطفل. إنّك ترى في كلّ مكان أنّ الميلاد يتبعه الموت، وأنّ الوجود مُحاط بعدم الوجود. يبدو أنّ الحياة دائماً تُثير الموت، يبدو أنّهما متوازيان.

بمُجرّد أن تُعرّف نفسك بوضوح، أنّك «هذا»، بمُجرّد أن تُصبح هذا، ينشأ في كيانك اضطراب هائل عندما تُدرك أنّك يُمكن أن تختفي، وأنّك سوف تموت، مما يجعل البؤس يعود إليك مرة أُخرى.

في البداية أنت تخلق الأنا المزيّفة، ثمّ يظهر الخوف أنّه قد تختفي الأنا المزيّفة. إذا لم تخلق الأنا المزيّفة لن يكون هناك خوف من الموت، إنّه أمرٌ غير مُمكن على الإطلاق، لأنّك إذا لم تكن، كيف يُمكن أن تموت؟ إذا لم تكن، فلن يكون هناك موت. إنّ الموت دائماً من الأنا المزيّفة. بمُجرّد ألا تكون هناك أنا مزيّفة، كيف يُمكن أن تموت؟

كنتُ أقرأ قضية ذات ليلة، غريبة جداً. فقد وُلد طفل في «فيلاديلفيا»، وكانت ولادته مبكرة خلال عملية إجهاض. بيد أنها كانت ظاهرة نادرة، لقد كان الطفل حياً على الرغم من أنّه كان يجب ألا يكون حياً وفقاً للعلوم الطبية. كان يزن نصف باوند فقط، ولكنّه كان حياً.

لقد كانت المعضلة الآن أنّ العلوم الطبية تقول إنّك لا يُمكن أن تُطلق على طفل وُلد بوزن أقلّ من باوند أنه على قيد الحياة، لأنّ ذلك لم يحدث إطلاقاً. من الضروري أن يزن باوناً واحداً على الأقل، بل حتى الطفل الذي يزن باوناً واحداً لن يعيش، ولكنّه قد يستطيع أن يبقى على قيد الحياة عدة أيام، أو عدة دقائق. بيد أنّ هذا الطفل لم يزن حتى باوند واحد. من أجل ذلك، لم يتمكّن الأطباء من استخراج شهادة ميلاد له. بقي الطفل على قيد الحياة يومين. لقد عاش مدة ثمانية وأربعين ساعة، ولم تصدر شهادة ميلاد له، ثمّ بعد ذلك مات الطفل. الآن، لا يُمكن اصدار شهادة وفاة، لأنّ الطفل لم يُولد من الأساس، كيف يُمكن أن تُؤكّد أنّه ميت؟ إلى هذا الحدّ كانت الأمور بسيطة.

لقد طالبت المستشفى الوالدين بالمال مقابل ثمان وأربعين ساعة من الرعاية والأدوية وهذا وذاك. بيد أنهما قالا: «طالما أنّ الطفل لم يُولد إطلاقاً ولم يمت، عمَن تتحدّثون؟ ما الذي تتحدّثون عنه؟ تقولون إنّكم قدمتم الرعاية مدة ثمان وأربعين ساعة، ولكن مَن الذي قُمتم برعايته؟».

لقد كانت القضية مُعقدة الآن حيث اضطُرَت سلطات المستشفى أن تلتزم الصمت والهدوء. إنّهم لم يتوجهوا إلى المحكمة لأنّ الأمر لم يكن مُمكناً. في البداية كان لا بُدّ من اعطاء الطفل شهادة ميلاد، ثمّ شهادة وفاة، ثمّ كان يُمكن المطالبة بالمال مقابل ثمان وأربعين ساعة من الرعاية.

يكون الموت مُمكناً فقط إذا وُلدت الأنا المزيّفة. لو لم تكن الأنا المزيّفة موجودة، فلن يُمكن أن يكون هناك موت، وعندئذ تكون الحياة أبدية. عندها يكون للحياة صفة مختلفة، وهي صفة الديمومة، الخلود. تُريد الأنا المزيفة أن تكون خالدة، بيد أنّ هذا ليس مُمكناً. أنت خالدٌ، ولكن لا يُمكن أن تكون الأنا المزيّفة خالدة، بل يجب على الأنا المزيّفة أن تموت، ليس مرة ولكن آلاف المرات. إنّ الأنا المزيّفة هشّة جداً، وضعيفة جداً. إذا قام شخص بإهانتها، يكون هناك موت صغير. إذا أفلس عملك الخاص، يكون هناك موت صغير. إذا سار شيء على نحو خاطئ، مُجرّد شيء بسيط، يكون هناك موت. أنت تموت مع أشياء بسيطة مرات عديدة. إنّ الأنا المزيّفة مُستعدة دائماً للموت، لأنّها من صنع الإنسان، إنّها ظاهرة مزيّفة، ومن أجل أن تُحافظ على حياتها، سوف يكون عليك أن تستمرّ في مقاومة التيار.

من أجل ذلك، من البداية هناك حاجة إلى الصراع، المُعاناة، العنف، القسوة، حتى يُمكن أن تُوجد الأنا المزيّفة. هذه الأشياء هي وقودها وطعامها، وهي تخلق البؤس، ويحدث البؤس الأكبر عندما تنشأ الأنا المزيّفة، وحينها ينشأ الخوف من الموت، وهكذا تُعاني الأنا المزيّفة ببساطة. إنّ حالة انعدام الأنا المزيّفة هي حالة الاحتفال.

أنت تسألينني: «هل نظرية أنّه يجب علينا أن ندفع، نُرغم، ونركل أنفسنا، هي نظرية صحيحة؟ إنني أكره مُقاومة نفسي». هذا ما كنتُ أقوله لك، إنّ تلك هي أخطر كارثة حدثت للإنسانية. فكرة أن تدفع، تركل، تقاوم، تلك هي أكثر الأفكار خطورة والتي سمَّمت الإنسانية. بيد أنكِ إذا أردتِ أن تمتلكي أنا مزيفة، فتلك هي الطريقة الوحيدة. عليك أن تتجرّعي السمّ، وسوف تُعانين وتُعانين وتبقين في الجحيم، ولكن سوف يكون لديك شعور واحد جيد، وهو «أنا أكون».

لقد نُقل عن «جورج برناندشو» أنّه سأله أحد الأشخاص بينما كان على فراش الموت: «إلى أين تُريد أن تذهب، إلى الجنة أم إلى الجحيم؟»، قال: «هذا يعتمد على أنني لو استطعتُ أن أكون الأول في الجنة، فسأذهب إلى الجنة، لكن يجب أن أكون الأول. لو لم يكُن هذا مُمكناً، لأنّ آخرين قد وصلوا أولاً،

«المسيح»، «بوذا»، وغيرهم قد شغلوا المواقع الهامة، وجلسوا بالفعل جوار الإله، عندئذ سوف أذهب إلى الجحيم، لأنني أُريد أن أكون الأول في أيّ مكان. حتى لو كنتُ في الجحيم فهذا جيد».

لقد كان يسخر من الفكر البشري بأكمله، وكان يقول الحقيقة. اِنظر بعمق إلى داخل ذهنك، إلى أين تُفضّل الذهاب؟ إلى الجحيم، إذا استطعت أن تكون هناك ملكاً؟ أم إلى الجنة، إذا كان عليك أن تكون هناك عبداً؟ وسوف تتفاجأ أن تجد نفسك مُتفقاً مع «برناندشو». سوف يقول تفكيرك: «ماذا ما ستفعل من خلال كونك عبداً؟ اِنسَ الأمر. إنّ الجحيم أفضل بكثير. سوف تكون الملك». سوف تُعاني بالطبع ولكنّ الأمرّ يستحقّ ذلك، فالملوك يُعانون، كذلك السياسيون يُعانون، والأثرياء يُعانون، ولكنّ الأمر يستحقّ ذلك. قد لا يُعاني الفقراء بهذا القدر، إنّهم لا يُعانون، ولا يستطيعون تحمّل هذا القدر من المُعاناة، لأنّ هذا القدر من المعاناة يكون مُمكناً فقط حينما تستطيع أن تتحمّله. إنّ البسطاء لا يُعانون كثيراً، ولا يُوجد ما يُعانون منه. إنّك لا تستطيع أن تذلّهم، إنّهم بالفعل يقفون في الخلف. إنّك لا تستطيع أن ترميهم أبعد من ذلك.

لا يُعاني المتسولون بهذا القدر. كيف يُمكن لمُتسوّل أن يُعاني بقدر « ريتشارد نيكسون»؟ هذا مُستحيل. إلى أين تستطيع أن تُلقي بالمتسوّل؟ إنّه هناك بالفعل، إلى أين يُمكنك أن ترميه؟ إنّه لا يُمكن أن يُعاني. إنّه مُتسوّل، نكرة، وهذا الأمر مثل سكين في قلبه باستمرار: «أنا نكرة». يُريد المُتسوّل أن يكون شخصاً ما أيضاً، حتى لو أتى ذلك من خلال المعاناة، هذا جيد.

على الإنسان أن ينظر إلى هذا الفكر الخطير، الذي يرغب في أن يمتلك أنا مزيّفة حتى ولو تطلّب الأمر خلق الجحيم من أجل الوصول إليها. إنّ التفكير ليس مستعداً أن يكون سعيداً وعاقلاً ومبتهجاً، لو كان عليه أن يتخلّى عن الأنا المزيّفة. إنكم جميعاً تقومون بالشيء نفسه، وأنا أُشاهدكم تقومون بذلك يومياً. إنّكم مُستعدون من أجل التخلّي عن سعادتكم، ولكنكم غير مُستعدين أن تتركوا الأنا المزيّفة. إنّكم مُستعدون أن تُعانوا إلى أقصى قدر مُمكن، بقدر ما تستطيعون التحمّل، لو أنّ ذلك يساعد الأنا المزيّفة. اِحترس من ذلك.

أنا لا أقول لك أن تقطع على نفسك الطريق، لا يُوجد داع إلى ذلك. اِسترخ. اِترك الأمور على عواهنها. اِبدأ في التدفّق مع التيار. لا يُوجد أي داع للسباحة حتى، ببساطة اِسمح للتيار أن يُوجّهك، وسوف يأخذك إلى المحيط. إنّه بالفعل مُتجه إلى المُحيط، ولستَ في حاجة إلى الدفع. يكون الدفع ضرورياً عندما تبدأ في مُحاولة السير عكس التيار. عندما تبدأ في السير عكس الطبيعة تكون في حاجة إلى الدفع، الصدام، الصراع. عندما تسير في اتجاه الطبيعة لا تُوجد حاجة إلى الصراع والمقاومة، فالطبيعة تسير في ذلك الاتجاه بالفعل. اِسترخ معها، وستكون هناك أغنية في القلب بسبب اختفاء كلّ البؤس.

بيد أنك مع البؤس تختفي أيضاً، ولا يُمكن أن تمتلك الاثنين، أناك والسعادة، هذا ليس مُمكناً، لأن الطبيعة لا تعمل على هذا النحو. سوف يكون عليك التخلّي عن أحدهما. إمّا أن تتخلّى عن النعيم وتكون، أو تتخلّى عن الأنا المزيّفة وتسمح للسعادة أن تكون. هذا خيارك. ومن أجل هذا أقول مراراً وتكراراً إنه عندما تكون تعِساً فهذا خيارك.

تأتي وتسألني كيف تتخلّص من البؤس. أنت تُريد أن تتخلّص من البؤس دون التخلّي عن الأنا المزيّفة، ولكنّ هذا ليس مُمكناً. إذا قلتُ لك: «تخلَّ عن الأنا المزيفة»، دائماً أرى في عيونك أنّك تظنّ أنني أُغيّر الموضوع. أنت تعتقد أنّك جئتَ كي تسألني كيف تتخلّص من البؤس، وأنا أتحدّث عن شيء آخر. أنا

أقول «تخلّ عن الأنا المزيفة». بالطبع يبدو الأمر وكأنني أتحدّث عن شيء آخر.

كان الملا «نصر الدين» جالساً مع امرأة جميلة في ليلة اكتمال القمر، وكان يتحدّث عن أشياء رائعة. لقد أصبح مُرهف الاحساس للغاية. بيد أنّ المرأة كانت أرضية جداً، دنيوية، وعملية للغاية.

بينما كان المُلا يُحلّق عالياً قالت المرأة: «ملا»، إنّ حُبّك مقبول، ولكن هل ستتزوجني؟».

قال «الملا»: «إسمعي، لا تُغيّري الموضوع».

هذا ما رأيته كثيراً في أعينكم. تجلبون مشكلة، فأبدأ في التحدّث عن شيء آخر. ظاهرياً فقط يبدو وكأنّه شيء آخر، أما بالنسبة إليّ فهو القضية. أنت تُريد أن تتخلّص من البؤس، لكنّك لا تُريد التخلّي عن الأنا المزيّفة، ولكن هكذا لا يُمكن التخلّص من البؤس، فهو ظلّ الأنا المزيّفة. تستطيع التخلّي عن الأنا المزيّفة واسقاطها، وعندها يختفي البؤس. يبدو الأمر ثمناً كبيراً تدفعه في المقابل. إنّك تقول: «سوف أُفكّر في الأمر»، ولكنك لستَ مُهتمّاً حقيقة بالتخلّص من البؤس. لو كنتَ مُهتمّاً فعلاً، عندئذ بمُجرّد أن ترى الحقيقة سوف تُسقط الأنا المزيّفة فوراً.

يقول «سيجموند فرويد» إنّ الإنسان بائس بطبعه. أنا لا أؤمن بهذا، مع أنه صحيح بالنسبة إلى تسعة وتسعين في المئة من الناس. لا أستطيع أن أُنكر ذلك. يشعر «فرويد» أنّه ليس هناك أمل للإنسان، فالإنسان في الأساس بائس، ولا يُمكن تغيير بؤسه، ولا يُمكن جعله سعيداً. إنّ مُتطلبات الإنسان مُستحيلة، هذا ما يقصده «فرويد». إنّ الإنسان يطلب المستحيل، فهو يُريد أن يمتلك أنا مزيّفة ضخمة، و يُريد أن يكون سعيداً.

إنّ الأمر وكأنّك تُريد الشمس الكاملة بلا أيّ غيوم، ومع ذلك تُريد انتعاش الليل المُظلم. تُريد هدوء الليل الظلم، وتُريد الشمس كاملة في السماء، تُريدها مُشمسة. أنت الآن تطلب المستحيلات. هذا غير مُمكن. إنّك تستطيع أن تتظاهر فقط بذلك، وهذا ما يستمرّ الناس في فعله. تستطيع أن تتظاهر، وتجلس على الشاطئ في يوم مُشمس وتُبقي عينيك مُغمضتين. هذا هو التظاهر. إذا حافظتَ على عينيك مُغمضتين، فأنت تخلق عتمة في الداخل، فتمتلك الاثنين: الليل والنهار، ولكنّ هذا ادعاء. إنّ الوقت في الواقع نهار، والليل مُجرّد وهم كاذب خلقتَه عن طريق إغلاق عينيك.

إنّ الرجل العاقل دائماً ما ينظر إلى حياته كي يرى إن كان يُحاول القيام بالمستحيلات. في اللحظة التي يرى فيها أنّه يُحاول القيام بفعل شيء لا يُمكن فعله بالصورة الطبيعية للأشياء، يتخلّى عن هذا الأمر فوراً، وهذا ما أسميّه سلامة العقل.

إنّ الأشخاص المجانين هم الذين يستمرّون في المُقاومة، ولا ينظرون إلى الظاهرة على الإطلاق، وكأنّهم يُحاولون أن يصنعوا دائرة مُربّعة. تستطيع أن تستمرّ في المحاولة، ولكنّه لن يحدث أبداً، لأنّ الدائرة دائرة، ولا يُمكن أن تكون مربّعاً أبداً. تستطيع أن تستمرّ في المحاولة، ولكنّك سوف تكون فاشلاً. إنّ البشرية بأكملها فاشلة، لأنّهم يُحاولون القيام بالمستحيل.

أنت تقولين: « إنني أكره مُقاومة نفسي». هذه مُقاومة من جديد. الكره! في البداية أنت تُقاومين، وهذا خطأ. ثمّ تقومين بشيء خاطئ ثان، شيء أعمق، إذ تُقاومين المقاومة لأنّك تكرهينها. أنا أعلّمكِ القبول

«تاثاتا». أنا أُعلّمك القبول التامّ للحياة كما هي، ولكلّ شيء فيها. الآن، سوف ترين مُجدداً أنّ هناك بعض الصعوبة.

على سبيل المثال، أنت ترين أنّك تستمرين في المقاومة. هل يجب أن تتقبلي هذا أيضاً؟ أنا أقول نعم. إنّها سوف تختفي فقط من خلال تقبّلكِ لها. من خلال التقبّل، تتغيّر الأشياء. عليكِ أن تتقبّلي كلّ شيء، حتى المقاومة. ماذا تستطيعين أن تفعلي؟ إذا كنت تُصارعين وتُقاومين النهر، فستصنعين مُشكلة أُخرى. إذا قلتُ لكِ «لا تُقاومي»، عندها سوف تبدئين في مُقاومة مقاومتك، وسيكون الأمر أكثر مكراً، ويكون على مستوى أعمق. سوف تبقى المقاومة. عندما أقول «تخلّ عن المقاومة». فأنا لا أقول «إبدأ في المقاومة ضدّ المقاومة»، بل أقول «تقبّل». إذا شعرتَ في حاجة إلى دفع النهر، اِدفع. لا تخلق مُقاومة أُخرى ضدّ الأمر. اِستمر في المُقاومة، إلى أن ترى سخافة الأمر كلّه، وإلى أن ترى أنّ ما تقوم به عبارة عن غباء. لا يُمكن دفع النهر إلى الخلف. استمرّ في الدفع، واستمرّ في المشاهدة وتقبّل الأمر.

في هذا القبول، وهذا الوعي، ستجد يوماً ما أنّ يديك قد توقفتا. لكن ليس الأمر أنّك قمتَ بإيقافهما، عندئذ تفقد المغزى، ويكون الأمر مرة أُخرى صراع الإيقاف. في البداية كنتَ تُقاوم النهر، ثمّ بدأتَ تُقاوم مُقاومتك، أنت تُسيطر على يديك بطريقة ما حتى لا تبدأ في دفع النهر مرة أُخرى. هذه الحالة لن تكون جميلة جداً. سيكون هناك توتر، كبت، وستكبح نفسك، ولن تكون مُتدفقاً بالفرح، بل سوف تكبت. وفي أيّ لحظة، وأيّ فرصة، سوف تبدأ مرة أُخرى في دفع النهر. إلى متى يُمكنك أن تكبت الرغبة؟

من أجل ذلك، اِستمع إليّ مع تأمل كبير. إذا كنت تدفع النهر فأنا لا أقول لك توقّف عن ذلك، أنا أقول ببساطة إنّه لن يتحقق أيّ شيء عن طريق دفع النهر. اِستمع إلى ذلك. دعه يتغلغل إلى قلبك. وإذا شعرتَ بحاجة إلى الدفع من منطلق العادات القديمة، فقد كنت تدفع خلال حيوات عديدة، عندها قُم بالدفع، ولكن استمرّ في مراقبة حقيقة أنّك تتصرّف بغباء. لا تهرب منه، لا تُحاول السيطرة على نفسك. دعه يحدث، مع رؤية أنّ الأمر غبي، دون معنى، وأنه لن ينتج عنه أيّ شيء. دعه يحدث، لكن دون توقعات، مُنتظراً الإحباط، عالماً تماماً أنّ الإحباط قادم، وأنّك تهدر طاقتك، وتقوم بذلك من منطلق العادات القديمة. اِستمر، لا تكبح نفسك.

سوف تُلاحظ في يوم ما أنّ اليدين أصبحتا أبطأ فأبطأ، وأنّك لا تدفع بقوة كما تعوّدت، وذات يوم، عندما تكون لديك رؤية واضحة، وتكون شفافاً، سوف ترى السخافة كاملة. عندما ترى، سيكون هناك تحوّل. بمُجرّد أن يتمّ إدراك الأمر تماماً، تتوقّف اليدين ببساطة، وهذا لا يعني أنّك أوقفتها، ولكنّها تتوقّف من تلقاء نفسها. وعندها يكون هناك نعمة كبيرة، ويكون هناك جمال رائع.

السؤال الثالث:

«لقد أقنعتني. فقبل أن يُسأل أيّ سؤال، وقبل اعطاء أيّ إجابة، أنا أؤمن بك بسرور»،

هذا السؤال من «يوجا بوجا».

إنّه ليس سؤالاً على الإطلاق! أنا سعيد، «بوجا». لكن غيرّي كلمة واحدة في تفكيرك. لا تُسمّيه إقناع، سمّيه تحوّلاً، هذا ما تقصدينه حقيقة. لقد استخدمتِ كلمة غير صحيحة، هذا كلّ شيء.

إنّ الإقناع شيء منطقي، فكري ونابع من التفكير. إنّه لا يصل إلى العمق، فوراء كلّ اقتناع، يبقى الشكّ قائماً. إنّ الاقتناع لا يُغيّر أيّ أحد. إنّه شيء فكري، كيف يُمكن له أن يُغيّر كليّتك؟ إنّ الإقناع شيء مُستعار، أنا أكون منطقياً للغاية بشأن شيء، فتُصبح أنت مقتنعاً، بسبب أنني منطقي جداً بخصوص هذا الشيء، يروق لك منطقي، ولا تستطيع أن تُجادل فيه، ثمّ تقتنع. إنّ الاقتناع مُستعار. إننا نحصل عليه من خلال الآخرين. أنت تُصبح مسيحياً مُقتنعاً، لأنّ والديك كانا مسيحيين، أو تُصبح هندوسياً مقتنعاً، وفياً، متعصباً، لأن والديك كانا هندوسيين، وهكذا يستمرّ الحال.

لقد سمعتُ...

توقّفت مُعلّمة مدرسة الأحد فجأة عن قراءة إحدى الفقرات في «الإنجيل» الخاص بها، وسألَت تلاميذها: «لماذا تُؤمنون بالإله؟».

حصلتُ على إجابات متنوعة، بعضها مُمتلئة بإيمان بسيط، والأخرى مُنافقة بوضوح، وقد جاءت الإجابة التي سببت لها صدمة من ابن أحد أشهر الوزراء في «شيكاغو».

تجهّم وأجاب: «أعتقد أنّه مُجرّد شيء يسري في عائلتنا».

هكذا تستمدّ قناعاتك.

اِسمحي أن يكون هناك تحوّل معي، وليس اقتناعاً، فأنا لستُ مُهتمّاً بإقناعك بأيّ شيء. الحقيقة كائنة، ولا تحتاج إلى اقناع، سواء كنتِ تعلمينها أو لا تعلمينها. إنّها لا تحتاج إلى اعتقاد، فهو لا يُساعد بأيّ شكلّ من الأشكال. ما تحتاجين إليه ليس اقناعاً، بل إنّك في حاجة إلى تحوّل للقلب، دوران مئة وثمانون درجة، تغيير كامل في رؤيتك، تغيير في مستواك. أن تبدئي النظر إلى الحياة من منظور مُختلف. هذا ليس اقتناعاً، إنّه تحوّل. ليس الأمر أنّ أفكارك قد تغيّرت ولكنك أنتِ قد تغيرتِ.

هذا بالضبط ما تقصده «بوجا». لقد قامت فقط باستخدام كلمة خاطئة. إنّها تقول: «لقد أقنعتني. فقبل أن يُسأل أيّ سؤال، وقبل اعطاء أيّ إجابة، أنا أؤمن بك بسرور»، إنّها مرة أخرى تستخدم كلمة خاطئة وهي «أؤمن»، بيد أنّهما مُتصلتان. إذا تصورتِ أنّه اقناع، عندئذ ستعتقدين أنّه حدث لأنّك بدأتِ تؤمنين بي. أما إذا اعتقدتِ أنّه تحوّل عندها لن يكون إيماناً، بل سيكون ثقة. إنّ الإيمان يكون بما أقول، بينما الثقة تكون فيمن أكون. إنّهما مُتناقضان تماماً.

بيد أنّ إحساسي ناحية «بوجا» أنّها قامت فقط باستخدام كلمات خاطئة، وإلا فإنّها تقصد ذلك بالضبط.

جيد، أنا سعيد. إذا انصتَ إليّ من قلبك، فسيحدث ذلك للجميع. إذا استمعتم إليّ دون أيّ دافع من أجل الذهاب إلى أيّ مكان، أو تحقيق أيّ شيء، بل فقط من أجل متعة الاستماع اللامتناهية، كما يستمع شخص إلى الموسيقى، أو كما يستمع إلى صوت الشلال، أو هذا الوقواق، إذا استمعتَ إليّ دون أيّ دافع على الإطلاق فقط لمُجرّد أن تكون هنا معي، سوف يحدث التحوّل، وتحدث النقلة. سوف تقفز شعلتي إلى داخلك، وتُشعل شمعتك غير المُضاءة.

السؤال الرابع:

«آوشو»، بمُجرّد أن يُسيطر النظام في الزاوية، نكون قد غادرنا، هل تقصد أننا يجب أن نحيا باستمرار في حيز البناء؟».

بالضبط!

السؤال الخامس.

«هل هناك ضرورة أن يعتنق كلّ شخص ديانة من نوع أو آخر؟».

أجل، يجب على كلّ شخص أن تكون لديه ديانة من نوع أو آخر. أنت تُدين بذلك لنفسك كي تعرف أيّ كنيسة عليك الابتعاد عنها. خلافاً لذلك سوف تشعر بالبؤس الشديد. سوف تتوه.

لقد سمعتُ...

الممرضة: « إلي أيّ كنيسة تنتمي؟».

المريض: «ولا واحدة».

الممرضة: «حسناً، ما نوع الكنيسة التي تذهب إليها عندما تذهب؟».

«المريض: «إذا كان لا بُدّ أن تعرفي، فالكنيسة التي أبتعد عنها مُعظم الأوقات عندما لا أذهب، هي «المعمادية»».

أو...

غرقَت سفينة «سيمبكين» وبقي على جزيرة مجهورة مدة عشرين عاماً قبل أن يتمّ إنقاذه أخيراً بواسطة سفينة عابرة.

سأل ربان السفينة المُنقذة: «ماذا فعلتَ كي تبقى مشغولاً كلّ هذه السنوات؟»،

أجاب «سيمبكين»: «لقد اتجهتُ إلى أعمال البناء»، وفي هذه الأثناء، أخذ الربان إلى طرف الجزيرة وأراه معبداً يهودياً جميلاً.

قال سيد الإبحار: «هذا مُذهل!».

قال «سيمبكين»، «هذا لا شيء»، وقاده في تلك الأثناء إلى الجانب المُقابل من الجزيرة، وأراه دار عبادة آخر رائع التشييد.

قال القبطان: «لا أفهم، أنت الشخص الوحيد على هذه الجزيرة. لماذا تحتاج إلى معبدين؟».

شرح له «سيمبكين»: «أنا أنتمي إلى هذا المعبد، أما الآخر فلن أذهب إليه ولو دفعوا لي!».

تلك هي أساليبك كي تُعرّف نفسك. هذه هي أساليب الأنا المزيّفة كي تُعرّف نفسها. أنت

«هندوسي»، «بوذي». أنت «هندي»، «ألماني» أو «إيطالي». أنت «كاثوليكي»، «بروتستانتي». هذه طرق كي تُعرّف نفسك، من أنت.

في الحقيقة، لا يحتاج الشخص المُتديّن أن تكون له أيّ ديانة، فالشخص المُتديّن مُتديّن، ويمتلك صفة التقوى بكلّ تأكيد، ولكن هذه الصفة غير قابلة للتعريف. إنّها تشبه بصورة كبيرة قصيدة شعرية تُحيط به، واشعاع ينطلق منه. نعم، سوف ترى السمو في تصرفاته، والامتنان في معيشته، والرحمة في سلوكياته. بيد أنه ليس تابعاً لأي دين. هذه أساليب عادية جداً كي تُصبح مُتديناً، ولكنّها ليست الطرق الحقيقية كي تُصبح متديناً.

إنّ الدين في الأساس عبارة عن فنّ: كيف تحيا وكيف تموت، كيف تعيش وتستمتع، وكيف تموت وتستمتع، كيف تعيش بسمو وكيف تموت برفعة، كيف تجعل حياتك بأكملها، بما فيها الموت احتفالاً.

إن الدين ليس له علاقة بالكتب المُقدّسة، وليس له علاقة بأيّ تحوّل كيميائي في كيانك. من أجل ذلك عندما تُصادف شخصاً مُتديناً بالفعل فلن تجده تابعاً إلى أيّ دين، بل ستجده ببساطة مع صفة غير معروفة حاضرة فيه، تُعرّفه وتميّزه. بيد أنّ هذا التعريف ليس من الأنا المزيّفة، بل هو مُجرّد تعريف لأسلوب حياته.

أجل، سوف تجد صفة التدين حول «المسيح»، وكذلك ستجد أنّها تُحيط بـ«بوذا» أو تُحيط بـ«ناناك». سوف تجد صفة التديّن، ولكن يجب عليك أن تُراقب، ويكون لديك رؤية محددة كي ترى ذلك.

لقد حدث في حياة «ناناك» أنّه حضر من أجل زيارة مدينة كان فيها الكثير من القدّيسين من مُختلف الأديان. لقد كانت المدينة تعجّ بالقدّيسين، وبالطبع، عندما يكون هناك الكثير من القدّيسين، يكون هناك الكثير من الصراعات، والجدل. وكان هناك نبي جديد على وشك القدوم.

من أجل ذلك، فكّر القدّيس العجوز: «هذا كثير جداً. إننا مُتكدّسون هنا بالفعل». من أجل ذلك، قاموا بالدعوة إلى عقد مؤتمر وبعثوا برسالة إلى «ناناك»، وكان يقف على أطراف المدينة. كانت الرسالة: «إنّ المكان هنا مُزدحم. نحن بالفعل كثيرون جداً هنا، وبالفعل فإنّ الأعمال ليست مُزدهرة بسبب وجود عدد قليل من التابعين، مُقابل عدد كبير من القدّيسين. رجاءً اذهب إلى مكان آخر».

لقد علموا أنّ اسم «ناناك» وشهرته قد وصلا بالفعل إلى المدينة. إذا جاء، فسيختفي حتى هذا العدد من التابعين الذي يقسمونه بين بعضهم. من أجل ذلك قاموا بشيء لطيف، وفكّروا كيف يبعثون برسالة إلى «ناناك» لا تُشعره بالإهانة. فقد كانوا قلقين من أنّه قد يشعر بالإهانة، لأنّها كانت مهينة. مَن هم كي يمنعوا «ناناك» من القدوم؟ بيد أنّهم كانوا قوماً ماكرين، فبحثوا في الكتب المُقدّسة ووجدوا طريقة.

لقد أرسلوا كأساً مليئاً بالزيت، لا يُمكن أن يُضاف إليه ولا قطرة واحدة إضافية. لقد كان على وشك أن يفيض، وقد وصل إلى الحافة. أرسلوا هذا الكأس كرمز إلى أنّ المدينة مُمتلئة بالفعل بالقديسين والديانات إلى درجة أنّه لا يُمكن ان تستوعب ولا قطرة واحدة إضافية، فلا يُوجد مساحة فائضة.

كان «ناناك» يجلس مع تلميذه بالقرب من بئر تحت شجرة، وكان التلميذ يُغني أغنية، ويلعب على أداته الموسيقية. جاء الناس بالكأس. نظر إليهم «ناناك»، وفهم الرسالة. أخذ زهرة برية من على

جانب البئر، ، وجعلها تعوم على سطح الزيت في الكأس. كانت الزهرة صغيرة جداً، لذلك طفت ببساطة، ولم تشغل أيّ حيز. ولم يقع أيّ زيت من الكأس. قال لهم «ناناك»: «ارجعوا وقوموا بإعطاء هذا الكأس إلى الناس الذين أرسلوكم به إلي».

كان الطالب مُتحيراً. قال: «لا أفهم ماذا يحدث بينك وبين هؤلاء الناس. لقد كان هذا الكأس في غاية الغموض. ماذا كانوا يقصدون بالضبط؟». قال «ناناك»: «لقد قصدوا أنّه يُوجد هنا عدد كبير جداً من القديسين ولا يُوجد مكان. كانت إجابتي إنّ الرجل المُتديّن لا يحتاج إلى مساحة. أنا لن أُحارب أيّ شخص، ولن أدخل في منافسة مع أيّ أحد. إنّ الرجل المُتديّن لا يحتاج إلى مساحة. إنّ الرجل المُتديّن ليس رجل أعمال. ليسوا في حاجة أن يخافوا مني. إنني سوف أكون هنا تماماً مثل هذه الزهرة الطافية على سطح الكأس المُمتلئ. وسوف أكون هنا تماماً مثل الزهرة، اليوم سوف أكون هنا، وغداً سوف أذهب. إنّهم ليسوا في حاجة أن يقلقوا بشأني».

هذا هو التديّن، ليس تنافسياً، دون صراع مع أيّ أحد، دون عنف، يعرف كلّ إنسان أنّه هنا دقائق معدودة، مثل الخان من أجل الإقامة الليلية، وفي الصباح يكون قد غادر، تماماً مثل الزهور.

إنّ الشخص المُتديّن ليس له علاقة بالدين المُنظم، لكن له علاقة بالقصيدة الداخلية، قصيدة الحياة، وله علاقة بالرقصة الداخلية، إنّه يمتلك طاقة راقصة. إنّه في علاقة مُرهفة الاحساس عميقة مع الحياة، إنّه في علاقة حُبّ عاطفية مع الحياة. إنّه ممتن بشدة تجاه كلّ لحظة من الفرح يمنحها الإله له، في حين أننا لسنا جديرين، ولا نستحقّها. نحن لم نكتسبها. إنّها هبة.

أنت تسأل: «هل هناك ضرورة أن يعتنق كلّ شخص ديانة من نوع أو آخر؟».

الشيء الثاني: لا يُوجد نوعان من الدين. التديّن واحد، على الرغم من أنّ الصيغ قد تختلف. إنّه مثل أن تبني منزلك بطريقة، ويبني آخر منزله بطريقة أُخرى، ويختار الثالث معمارياً آخر كي يبني له منزله. بيد أنّ الدافع الداخلي واحد، أنت في حاجة إلى مأوى، أنت في حاجة إلى سقف. هناك شخص يطهو على الطريقة الهندية، وآخر على الطريقة الصينية، وآخر على طريقة أُخرى، ولكنّ الدافع الحقيقي هو الجوع، أنت في حاجة إلى طعام، وإلى التغذية.

من أجل ذلك، فإنّ ما يُطلق عليهم ديانات ما هم إلا أنظمة مُختلفة من التغذية. تستطيع أن تختار، ولكنّ هذا ليس شيئاً هاماً. الشيء الهامّ هو أن تلوذ بالإله، الاستسلام، أو ما يُطلق عليه الصوفيون «الإسلام»، الالتزام، وهو ما يُطلق عليه الصوفيون «الإيمان»، وتحوّل الحياة من خلال الثقة، وهو ما يُطلق عليه الصوفيون «الإحسان».

السؤال السادس:

«منذ أربعة سنوات جاء تشخيص حالتي والذي قال إنّ مرض الدمّ لديّ قد شُفي بسبب بركات مُعلّم «غورو». حينما أخبرتك، قلتَ لي: «لقد شُفي مرض السرطان لديك من اليوم الذي أخذت فيه المُريدية. أنا أتذكّر أنني شعرتُ أنّ قولك ذلك، رُبّما كان مُخططاً وليس حقيقة واقعية. لقد تقبّلتُ دائماً أنّ حقائقك قد لا تكون واقعاً. هل ضعتُ بسبب ذلك؟».

أول شيء: الحقيقة ليست مُلزمة أن تكون واقعاً. الواقع ظاهرة أدنى، بينما الحقيقة ظاهرة أعلى. أحياناً قد تكون الحقيقة واقعية، وأحياناً لا تكون. قد لا يكون الواقع حاسماً بشأنها. هناك تجارب أسمى في الحياة لا يمكن للواقع أن يشملها.

بيد أني أستطيع أن أفهم السؤال من «تشينمايا». إنّ الفكر الغربي مُدمن على الوقائع بشدة. أيّ شيء واقعي يبدو وكأنّه حقيقي، وأيّ شيء غير واقعي بالضرورة يبدو غير حقيقي. هذا هو هوس الغرب. أحياناً تكون الحقيقة واقعية، وأحياناً لا تكون، هذا سبب قولي إنّ الحقيقة ليست ملتزمة بأن تكون واقعاً. ولهذا السبب، لا يستطيع الفكر الغربي العلمي تقبّل الروح الإنسانية، لأنّها ليست واقعية. الجسد واقعي، أما الروح فهي حقيقة، وليست واقعاً.

بالطريقة التي تُعرف بها الوقائع، تكون الحقائق غير معروفة، فالمنهجية يجب أن تكون مُختلفة تماماً. على سبيل المثال، ترى زهرة. إنّ الجمال حقيقة وليس واقعاً، ولن تستطيع أن تُثبته. لا تُوجد طريقة كي تُثبت بها جمال الزهرة. أنت تستطيع أن تُثبت لونها، تستطيع أن تُثبت وزنها، تستطيع أن تُثبت كيميائيتها، ولكن لا تستطيع أن تُثبت جمالها.

بيد أنه هناك شيء أعلى حتى من الجمال. يُقال أنّ «تينيسون» قال: «لو استطعتُ فهم زهرة واحدة من الجذور وإلى كلّ شيء آخر، لفهمتُ الوجود بأكمله»، لأنّ الزهرة تحتوي داخلها شيئاً أكبر من الواقع، وهو حقيقتها المخفية، حقيقتها الجوهرية. بيد أنه لا يُمكن الوصول إلى تلك الحقيقة عن طريق الوسائل الفظة للتجارب العلمية. بل يجب أن يتمّ الوصول إلى الحقيقة من خلال أساليب مُختلفة، من خلال التأمل، من خلال الحُبّ.

يقول «تشينمايا»: «منذ أربعة سنوات جاء تشخيص حالتي والذي قال إنّ مرض الدمّ لديّ قد شُفي بسبب بركات مُعلّم «غورو». حينما أخبرتك، قلتَ لي: «لقد شُفي مرض السرطان لديك من اليوم الذي أخذتِ فيه المُريدية.

إنّ مرض السرطان في الأساس مرض نفسي: إنّه في الأساس مرض الفكر، وليس مرضاً عضوياً. حينما يُصبح الفكر مُتوتراً جداً، مُتوتراً بشدة إلى درجة لا تُحتمل، يبدأ في التأثير على أنسجة الجسم. هذا سبب وجود السرطان فقط حينما تُصبح المدنية متطورة جداً. إنّك لا يُمكن أن تجد السرطان في المجتمعات البدائية. فالناس ليسوا مُتطوّرين للغاية. كلّما كان المجتمع أعلى، وأقصد بكلمة «أعلى» الأعقد، الأكثر تطوراً، الأكثر تعقيداً، زاد احتمال حدوث السرطان.

من أجل ذلك، حينما قلتُ لـ«تشينمايا»، «لقد شُفي مرض السرطان لديك من اليوم الذي أخذت فيه المُريدية»، كنتُ أقول العديد من الأشياء: إنّ المُريدية اسقاط للتفكير، وهي تماماً أن تجعل الفكر يستسلم. إنّ المُريدية تعني أن تُسلّم جميع تعقيداتك، هوسك، عصابيتك. إنّ المُريدية تعني أنك الآن مُستعد كي تعيش حياة عادية، وبسيطة، وهي تعني أنّك مُستعد لأن تُصبح بدائياً، بريئاً، طفولياً.

لا بُدّ أن يختفي السرطان، فهو يستطيع أن يتواجد فقط في حالة ذهنية معينة. إذا استرخى الذهن، عاجلاً أم آجلاً سوف يتبعه الجسد ويسترخي.

بسبب هذه الحقيقة، فإنّ الأبحاث العلمية غير قادرة على إيجاد علاج شاف لمرض السرطان. من

المستحيل تقريباً إيجاد علاج للسرطان، وفي اليوم الذي يجدون فيه علاجاً للسرطان سوف يخلقون أمراضاً أخطر في العالم، لأنّ العلاج سوف يعني القمع. في اليوم الذي يستطيعون إيجاد الأدوية القوية كفاية من أجل قمع السرطان، عندها سوف تثور أمراض أخرى، ويبدأ هذا السمّ في التدفّق عبر قنوات أُخرى.

هذه كيفية حدوث الأمور عبر الأزمنة. لقد شُفيت الأمراض البسيطة، وجاءت الأمراض الصعبة إلى الوجود. تُعالج أحد الأمراض، فيظهر مرض آخر. ويكون المرض الثاني أكثر تعقيداً من الأول. فقد كان الأول ردّ فعل طبيعي للجسد، أما الثاني فهو رد فعل غير طبيعي، وغير عادي من الجسد. تقمع الثاني، فيظهر الثالث ويكون أكثر صعوبة في العلاج، ويستمرّ الأمر هكذا، الآن يتربع السرطان على القمة. إذا تمّ قمع السرطان فسوف تثور في جسم الإنسان وذهنه أمراض أكثر صعوبة.

حينما قلتُ لـ«تشينمايا»: «لقد شُفي مرض السرطان لديك من اليوم الذي أخذتَ فيه المُريدية»، لم أكن أتكلّم عن أيّ واقع. لقد كنتُ أُشير إلى حقيقة. لو كان واثقاً فيّ، لاختفى المرض. بيد أنّ هناك شكّاً خفياً قائماً في أعماقه. قال: «أنا أتذكّر أنني شعرتُ أنّ قولك ذلك، رُبّما كان مُخططاً وليس حقيقة واقعية». إنّ المُخطط أعلى من الواقع. إنّ الواقع شيء عادي جداً، بينما المُخطط شيء أعلى، ولكننا نُؤمن بالواقع الأدنى، وهذا سبب أننا نستمرّ في تفويت الواقع الأعلى. نعم، إنّ لون الزهرة واقع، والكيمياء واقع، ولكنّ الشعر، الجمال، الفرح الذي تخلقه الزهرة داخلك عندما تنظر إليها، والدهشة التي تظهر فجأة في قلبك ليست واقعية، نعم هذا صحيح، ولكن هل هي غير حقيقية لأنّها ليست واقعية؟ كلا، إنّها حقيقة أعلى.

إنّ الأعلى لا يحتاج أن يتوافق مع الأدنى، بل على الأدنى أن يتوافق مع الأعلى، هذا هو المنهج الشرقي. يهدف المنهج الغربي إلى تخفيض الأعلى إلى الأدنى، بينما يهدف المنهج الشرقي إلى ترقية الأدنى إلى الأعلى. على سبيل المثال، إذا قمتَ بمُراقبة زهرة اللوتس وهي تنمو، فإنّها تنمو خارجة من التربة المُوحلة. إذا عرضتَ زهرة اللوتس على مُفكّر غربي فسيكون نهجه: «ما هذا؟ لا شيء سوى الطين». هذا هو منهجه «لا شيء سوى»، إنّ عبارة «لا شيء سوى الطين»، تدلّ على أنه واقعي، ولا يُوجد شكّ في ذلك. لقد خرجَت من التربة الموحلة، التربة القذرة، ولذلك يقول: «ما مصدرها؟ أعدها إلى المصدر، اِذهب إلى المُسبب، وهو هنا التربة المُوحلة، وعليه فإنّ زهرة اللوتس هذه لا شيء إلا تربة موحلة.

هذا سبب أنّ «فرويد» يقول باستمرار أنّ تجربة «السامادهي» ليست إلا الجنس. إنّ تجربة «السامادهي» هي زهرة اللوتس المُتفتحة، ولكنّه يذهب إلى المصدر، وهو مُحقّ من ناحية الواقعية، ولا يُمكن دحضه في هذا المجال. إن كلّ ما تُطلقون عليهم «ماهاتما» مُجتمعين لا يقدرون على دحضه في هذا المجال. إنّه على صواب طالما الأمر مُتعلّق بالواقعية. حيث أنّ «السمامادهي» هي زهرة الطاقة الجنسية، ولكن بالطريقة نفسها التي يُصبح فيها الطينُ زهرةَ اللوتس. هل تستطيع أن تُطلق على اللوتس أنه مُجرّد طين ولا شيء آخر؟ أليست شيئاً جديداً تماماً؟ لقد خرجَت من الطين، ولكن هل تستطيع أن تختزلها مرة أخرى إلى الطين؟

أما المنهج الشرقي فيقول إنّ هذا الطين جدير بالاحترام حتى، لأنّه رُبّما يكون فيه وردة مدفونة. قد تكون زهرة اللوتس مدفونة فيه. في الفكر الغربي، تُصبح اللوتس مُدانة لأنّها خرجت من الوحل، بينما في الفكر الشرقي يُصبح الوحل مُقدّساً لأنّه يُنتج زهرة اللوتس. إننا ننظر إلى الجوهر، ولا ننظر إلى الخلف، بل نتقدّم إلى الأمام، ونرى النهاية القصوى. يستمرّ الغرب في رؤية المصدر، بينما نرى نحن

الهدف. نحن لا نُشغل أنفسنا من أين جاءت، ولا نقلق أنفسنا إلى أين سوف تذهب. إنّ الجهد الأساسي، هو ماذا تكون الحقيقة.

في الفكر الغربي، يُصبح الإنسان جسداً، بينما في الفكر الشرقي، يُصبح الإنسان إلهاً. في الفكر «الغربي»، تكون الكلمة مُجرّد شيء مادي، ولا يُوجد شيء آخر إلا المادة. في الفكر الشرقي، لا يُوجد شيء سوى الإله، والروح. إنّ المادة أيضاً روح نائمة، روح كامنة، فهي ستُصبح روحاً يوماً ما. هذه هي الرؤى المختلفة، وإذا كان عليك أن تختار، اِختر رؤية الشرق لأنّ فيها توقير للحياة، توقير للحقيقة. إنّ الواقع شيء عادي، لا تتشبث كثيراً بالواقع.

أنت تقول: «أنا أتذكّر أنني شعرتُ أنّ قولك ذلك، رُبّما كان مُخططاً»، عندما يقول «تشينمايا»: «قد لا تكون واقعاً»، فهو يقصد «رُبّما كانت كذبة». إنّ المُخطط لا حقيقة ولا كذبة، بل هو مُجرّد أداة خلاقة. إذا وثقتَ فيها، فإنّها تعمل، وإذا لم تثق فيها فلن تعمل. إنّ الأمر عائد إليك. تستطيع أن تفوّت الأمر. إذا ظهرَت في داخلك فكرة أنّه قد يكون مُخططاً، فماذا أنت قائل؟ إنّك تقول رُبّما تكون كذبة. هذه الفكرة في حدّ ذاتها كافية أن تُشكّل حاجزاً. لقد تحطّم الجسر.

تذكّر، إنّ المُخطط أعلى من الواقع. إنّه أدنى من الحقيقة، لكنّه أعلى من الواقع. إنّه يقودك من الواقع إلى الحقيقة، إنّه جسر بين الاثنين. إنّه ليس واقعياً ولا حقيقياً، إنّه دليل.

اِستمع إلى هذا.

أراد مزارع من «بافاريا» أن يبيع خنزيره في «سويسرا» القريبة كي يحصل على أعلى سعر. ومن أجل أن يتجنّب دفع الجمارك، ألبس الخنزير بدلته السوداء ونظارة شمسية وقبعة ووضعه في الخلف في سيارته المرسيدس.

على الحدود نظر موظف الجمارك داخل السيارة، ثمّ أعطى المزارع الإذن بمُتابعة القيادة، ثمّ التفتَ ناحية صديقه وانفجر ضاحكاً.

سأله صديقه: «ماذا حدث؟»،

أجاب، وقد دمّعَت عيناه من شدة الضحك: «لقد كان هناك رجل في الخلف، وكان يُشبه الخنزير تماماً!».

هذا مُخطط. وقد أدى دوره! لقد كان الهدف منه أن يعمل. لا يهمّ سواء كان كذبة أم حقيقة. إنّه ليس واقعياً، هذا حقيقي، إنّه ليس حقيقة، هذا أيضاً صحيح، إنّه في المنتصف.

إنّ كونك مع مُعلّم يعني أن تكون مُتاحاً أما مُخططاته.

السؤال السابع والأخير:

«أحياناً تقوم باستخدام كلمة «صدفة» أو «مُصادفة» كي تصف حدثاً. هل هناك أيّ مُصادفات في الحياة، وفي الحقيقة؟».

في الحقيقة يُوجد فقط مُصادفات ومصادفات، ولا شيء آخر، فالعالم الواقعي هو عالم السبب والنتيجة، بينما عالم الحقيقة هو عالم الحرّية، والحرّية تعني أنّ الأسباب لا تعمل على الإطلاق، وأنّ كلّ شيء الآن مُصادفة، وكلّ شيء مُمكن. لا يُوجد شيء مُستحيل في العالم الحقيقي. من اللحظة التي تُصبح فيها مُستنيراً، يُصبح كلّ شيء مُمكناً، ولا تعود تحت سيطرة السبب والنتيجة.

بيد أني أفهم سؤالك. لقد جاء مرة أُخرى من مجموعة المفاهيم نفسها، وهي كيف يُمكن لأيّ شيء أن يكون مُصادفة؟ إنّ العالم مُقتصر على السبب والنتيجة. يمكن اختزال كلّ شيء إلى سبب ونتيجة، ولا شيء يحدث كمُعجزة. هذا هو المنهج العلمي.

هذا سبب أنّ رجال مثل «ب. ف. سكينر» أو «بافلوف» وآخرون من علماء السلوك يقولون إنّ فكرة الحرية مُجرّد غباء. لا يُوجد حريّة. إنّ الإنسان لا يملك أيّ حريّة، لأنّ كلّ شيء مُقيد بالسبب والنتيجة. لو كان «سكينر» مُحقاً، عندها لا يُمكن أن يكون «بوذا» مُحقاً. إذا كان «سكينر» محقاً، عندئذ يكون كلّ ميراث الأديان خاطئاً، ويكون كلّ شيء مقيداً بالسبب والنتيجة. أنت تفعل شيئاً مُحدداً تماماً مثلما تفعل الآلة، ولا تمتلك أيّ حريّة.

إنّ هؤلاء الرجال مُحقون بشأن تسعة وتسعين بالمائة من الناس. لو أنّهم راقبوا الناس العاديين، فسيجدون كلّ التأكيد على أقوالهم، وهذا سبب أنهم توصّلوا إلى هذه الاستنتاجات.

عندما أتحدّث، يكون هناك التقاء بين بُعدين مُختلفين. أنت تعيش في العالم الذي يُسيطر عليه السبب والنتيجة، وأنا أعيش في عالم من الحريّة. عندما أنظر إليك سأتحدّث عن السبب والنتيجة، وعندما أنظر إلى نفسي أتحدّث عن الحرية. في العالم الحقيقي، في عالم الحقيقة، كلّ حريّة مُطلقة، ولا يُوجد شيء مُحدد مسبقاً، وهذا هو جماله. هذا سبب أننا أطلقنا عليه في «الهند»، «موكشا»، والتي تعني الحريّة المُطلقة.

إنّ الإنسان ليس جيداً أو سيئاً بالفطرة. إنّه حرٌ، ثمّ يُصبح جيداً أو سيئاً حسب كيفية تقبّله أو رفضه لحريّته. أن تُوجد يعني أن تكون مُلزماً بأن تكون حراً. ما يتبقّى لنا هو الطريقة التي نكون بها أحراراً، وفي النهاية يُوجد فقط هذان الطريقان: أن نستخدم حريّتنا ضد الحريّة، أو نستخدمها من أجل الحريّة.

«إنّ الوجود هو الامكانية الذاتية لأن تكون أو لا تكون نفسك». هذا بيان وجودي، وأنا أتفق معه. إنّ الإنسان حريّة. إنّ الإنسان ليس حراً فقط، بل هو الحريّة. إنّ الحريّة هي العمق الجوهري للإنسان، وتلك هي كرامة الإنسان. إنّ الحيوانات أقل حريّة، والأشجار حتى أقل حريّة، والصخور أقل حريّة. من هذا المنطلق نُقرر مَن الأكثر تطوراً، طبقاً للحرية.

إنّ الصخرة ليست حرة كثيراً، بينما الشجرة أكثر حريّة بقليل، إذ تستطيع أن تنمو وفقاً لبعض الرؤية الداخلية، وتستطيع أن تشعر بالحزن أو السعادة. إنّها تستطيع القيام ببعض الجهد. تستطيع أن تُكافح، تكتمل، بيد أنّها لا تستطيع أن تُغادر الأرض، ومن هذا المنطلق فهي ليست حرة. إنّها متأرضة. أمّا الحيوانات فهي أكثر حريّة بقليل، إذ يستطيعون أن يتنقلوا جسدياً، ثمّ إنّ الطيور أكثر حريّة بقليل، إذ يستطيعون أن يُحلّقوا في السماء المُمتدة، أمّا الإنسان فهو أكثر من الجميع حريّة، فهو يستطيع الانتقال ليس

فقط جسدياً، ولكنّه يستطيع أن ينتقل ذهنياً، ويستطيع تفكيره أن يتحرّك.

إنّ «بوذا» يُعدّ حريّة تامة لأنّه ليس فكره فقط حراً، ولكنّ روحه أيضاً حرة. تستمرّ الحريّة في النمو طبقة فوق طبقة، وتُصبح أكثر. حينما تُصبح الحريّة مُطلقة، تكون قد عدت إلى البيت.

لقد سألتني: «أحياناً تقوم باستخدام كلمة «صدفة» أو «مصادفة» كي تصف حدثاً. هل هناك أيّ مُصادفات في الحياة، وفي الحقيقة؟».

ذات صباح مُبكّر من أيام الجنة وصل ثلاثة رجال في التوقيت نفسه. وتفاجأ القدّيس «بطرس»، حيث لا يكاد يصل أحدٌ في هذا الوقت المُبكّر، ولذلك سأل الأول: «كيف أتيت؟».

قال: «حسناً، لقد كنتُ في رحلة، وعدتُ إلى المنزل، فوجدتُ معطفاً رجالياً مُعلقاً وحذاء ملقى في المكان، ووجدتُ زوجتي عارية في الفراش وتبدو في غاية السعادة. أخذتُ أبحث عن الرجل، لكنني لم أجد أيّ أحد، فأصابني غضب شديد، فحطّمتُ الرائي، وألقيتُ الثلاجة من النافذة، وبعد ذلك أخذت مُسدساً وقتلتُ نفسي».

سأل القديس «بطرس» الثاني: «وأنت..؟».

«حسناً، لقد كنتُ أُمارس الحُبّ مع سكرتيرتي حينما قالت فجأةً: «آه، زوجي!»، فقفزتُ إلى الثلاجة كي أختبئ. ولكن بعد فترة قام الرجل بإلقاء الثلاجة من الطابق الثالث، ولذلك أنا هنا!».

قال الثالث: «أنا لا أعلم، لقد كنتُ أنتظر حافلتي في الصباح، حينما جاءت فجأة ثلاجة من اللامكان وأحضرتني إلى هنا!».

***

الفصل الخامس عشر

المقام الصامت

10 سبتمبر 1977 صباحاً في قاعة «بوذا».

رفض الحكيم الصوفي «عبد العليم» من «فاس» التدريس، ولكنّه من آن إلى آخر كان ينصح الناس بشأن طريقة المضي قُدماً على الطريق».

ذات يوم قام بزيارته أحد الطلاب، والذي لم يكن قادراً على التعلّم، وكان يُصاب بالجنون على نحو مُتكرر أثناء حضور «الاحتفالات الصوفية».

سأله: «كيف يُمكنني أن أُحقق أقصى استفادة من تعاليم الحكماء؟»،

قال الصوفي: «أنا سعيدٌ لكوني قادراً على أن أُخبرك أنّه لديّ طريقة مُؤكّدة النجاح وهي مُتوافقة مع قدراتك».

«وما هي، إذا كان يُسمح لي بسماعها؟».

«ببساطة أغلق أُذنيك، وفكّر في الفجل».

«قبل، وأثناء، أم بعد المحاضرات والتدريبات؟»،

«بدلاً من حضور أيّ منهم».

إنّ الإنسان عبارة عن بحث، ليس سؤالاً، ولكن بحثاً. يُمكن حلّ المسألة بالفكر، ولكنّ البحث يجب أن يتمّ حلّه وجودياً. ليس الأمر إننا نبحث عن إجابات على بعض الأسئلة، بل إننا نبحث عن إجابات لكينونتنا.

إنّه بحث لأنّ الأسئلة تكون بخصوص الآخرين، بينما البحث يكون عن ذات الإنسان. إنّ الإنسان يبحث عن ذاته، فهو يعرف أنّه موجود، ولكنّه أيضاً لا يعرف مَن يكون. من أجل ذلك، منذ الولادة يبدأ تساؤل عظيم في الظهور داخل أعماق الإنسان. نستطيع أن نقمع هذا التساؤل، ونُحوّل اتجاهه، ونُغيّر هذا التساؤل بتساؤلات بديلة، لكننا لا نستطيع أن نقتله، فلا يُوجد سبيل إلى قتله لأنّه مُتأصل في الطبيعة البشرية. إنّه شيء أساسي بالنسبة إلى الوعي، يجب أن يُعرف جوابه.

إنّ هذا البحث هو طبيعة الإنسان، وطالما لم يتمّ حلّه، يبقى الإنسان في عملية بحث. بالطبع، هناك تسعمئة وتسعة وتسعين طريقة للخطأ، وطريقة واحدة فقط لأن تكون على صواب، ولذلك يكون البحث مليئاً بالمخاطر. إنّه ليس شيئاً سهلاً، بل شيء مُعقد للغاية، ومن النادر جداً أن يصل الإنسان. لكن ما لم تبحث، سوف تبقى في العذاب والاضطراب، وتبقى كصرخة في البرية، ولن تعرف ما هو الفرح وما هي البركة، فإذا كنتَ لا تعرف نفسك، كيف يُمكن أن تكون فرحاً؟ إذا كنتَ لا تعرف نفسك، فلن تكون هناك بركة.

سوف تسمع كلمات مثل «الامتلاء»، «النعيم»، ولكنّها سوف تبقى كلمات، ولن يكون لها أيّ مغزى بالنسبة إليك. إنّ المضمون يجب أن يمتدّ إليها من خبرتك الشخصية، وإلا سوف تبقى كلمات فارغة، وتُحدث الكثير من الضوضاء حولك، لكنّها لن تعني أيّ شيء.

إنّ البحث مُتأصل في طبيعة البشر. بيد أنه بعد ذلك تظهر المشكلة، أنّه يُمكن أن تُخطيء من خلال وجود العديد من الطرق، كيف تجد الطريق الصحيح؟

إنّ هذه القصة القصيرة لها أهمية هائلة. يجب فهم كلّ كلمة فيها.

قال «كارلايل»: «إنّ مصدر سوء حظ الإنسان هو عظمته. حيث يُوجد داخله شيء سرمدي، ولذلك لن ينجح في دفن نفسه تماماً في الشيء المحدود المُتناهي».

يُوجد في البشر شيء أعلى من البشر، أكبر من البشر، ولا يُمكن دفنه في مكان ما في المحدود. تستطيع أن ترى. ذلك، فأنت تطلب المال والسلطة، ولكن في كلّ مرة تنجح، تجد أنّك فشلت. في كلّ مرة تنجح، لا يجلب النجاح شيئاً سوى إدراك الفشل. سوف يكون المال موجوداً، ولكنّك غير راض كما كنت، أو حتى أكثر. إنّ السلطة موجودة، ولكنّك ضعيف كما في السابق. لا يُوجد ما يجعل الإنسان يشعر بالضعف أكثر من القوة. لا شيء يجعل الإنسان يشعر بالفقر الداخلي أكثر من الغنى، بسبب التناقض. إذ ترى أنّ هناك غنى في الخارج، ولكنك في داخلك مُتسوّل، لا تزال ترغب، تطلب، تتلهف، تبحث.

من جهة يبدو هذا من سوء الحظ، وأنه مأساة الإنسان. من جهة أُخرى هو عظمة الإنسان. لقد كان «كارلايل» مُحقاً حين قال: «إنّ مصدر سوء حظ الإنسان في عظمته». ما هي هذه العظمة؟ هذه العظمة هي قدرته على أن يتفوّق على نفسه، ويتجاوز حدود نفسه، ويصنع سُلّماً من حياته، ويقفز خارج نفسه. طالما لم تحدث تلك القفزة، فأنت تعيش في أرض قاحلة، لن يُزهر فيها أيّ شيء. تستطيع أن تبذل كلّ الجهود المُمكنة، بيد أنّ الصحراء سوف تبقى صحراء، ولن تُصادف أيّ زهور.

تبدأ تلك الزهور في الحدوث فقط حينما تبدأ في الوصول إلى مكان قريب من الحقيقة. هذا هو البحث. إنّ البحث هو أن يتوق الإنسان كي يُصبح الهاً، ويُريد أن يُصبح حقيقة. «أنا الحق!»، يُريد الإنسان أن يشعر بحال «أنا الحقيقة»، ولن يُرضيه شيء أقلّ من ذلك.

هذه القصة القصيرة...

رفض الحكيم الصوفي «عبد العليم» من «فاس» التدريس، ولكنّه من آن إلى آخر كان ينصح الناس بشأن طريقة المُضي قدماً على الطريق».

اِمضِ ببطء وتأمّل.

إنّ أول شيء يجب أن تفهمه هو كلمة «حكيم». إنّ الصوفيين يُفرّقون بشدة بين كلمة «قدّيس» وكلمة «حكيم»، وهناك «بالفعل» فارق شاسع. هذه الكلمات ليست مترادفة، على الرغم ممّا تقوله القواميس، وليست مُترادفة.

يستطيع الإنسان أن يمتلك نوعين من الشخصيات. إحداهما هي الشخصية السلبية: شخصية المجرم، شخصية المُعادي للمجتمع، شخصية الثائر. والأُخرى هي الشخصية الإيجابية: شخصية الإنسان التقليدي، قويم الرأي، الجدير بالاحترام.

سوف تتمّ مُعاقبة المجرم، ويُزجّ في السجن إذا تمّ إلقاء القبض عليه. سوف يُحاول المُجتمع أن يُدمّره لأنّه يُشكّل خطراً على المجتمع. إنّه عاص. إنّه يُحاول أن يُدافع عن نفسه، والمجتمع لا يُحبّ ذلك. إنّ وجود المجتمع قائم على تدمير الأفراد، يستطيع المجتمع أن يُوجَد فقط من خلال تدمير الأفراد. يتمتع المجتمع بسلطة أكبر إذا لم يكن هناك أفراد في الجوار- بينما إذا كان هناك أفراد، تكون سلطة المجتمع أقلّ وأقلّ. إذا كان المجتمع بأكمله يتكوّن من أفراد عندها لن تكون هناك قوة في السلطات، ولن يكون هناك أيّ سلطة للكاهن أو السياسي. من أجل ذلك، يُحاول المجتمع أن يسحق، يقتلع، يُدمّر المناهضين له. إنّ غير الأخلاقي، هو الفرد الذي يُريد أن تكون له فضيلته الخاصة، ويُريد أن يقوم بشيء خاص به. إنّ المجتمع قاتل عنيف بشأن السلبيين. ومن الطبيعي، وعلى الجانب الآخر، أن يحترم الإيجابيين.

إذا اتبعتَ المجتمع، فسوف يُبجّلك. لذلك يُصبح الشخص ذو الشخصية السلبية مُجرماً، بينما يُصبح الآخر ذو الشخصية الإيجابية سيداً محترماً. إذا استمرّ السلبي في المضي إلى النهاية المنطقية القصوى، عندها سوف يُصبح شيطاناً، وإذا استمرّ السيد المُحترم في التحرّك إلى المنطق الأقصى، فسيُصبح قدّيساً. إنّ القديس هو الشخص المُؤيّد للمجتمع، ومن ثمّ يكون المُجتمع مُؤيداً له. والشخصية الشيطانية هو الشخص المُناهض للمجتمع، الذي يعيش من أجل نفسه، وبالتالي فإنّ المجتمع وعلى نحو طبيعي يكون ضدّه. بيد أنه هناك شيء واحد مشترك بين الاثنين: إنّهما نصف، ويجبّ أن يتمّ فهم ذلك. إنّ هذه واحدة من أهم الأفكار الصوفية: كلاهما عبارة عن نصف، أو جزء.

يمتلك القدّيس الجانب الإيجابي فقط، ويفتقد الجانب السلبي. هذا سبب أنك تجد القديسين مُمّلون للغاية، سطحيين للغاية، بليدين. سوف تجد أنّ العيش مع قديسيك أربعة وعشرين ساعة سوف يكون محنة عظيمة. لن يشعر القدّيس بالفرح، بل سوف يكون حزيناً. لن يفعل أيّ شيء خاطئ، بل سيكون دائماً على صواب، ولكن لن تكون لديه أيّ أغنية يُغنيها. لن يمتلك أيّ صفة مُتفرّدة. سوف يكون مُجرّد نمط، وشيء مُكرر، ولن يكون لديه أيّ مذاق مُتميّز خاص به، بل سيكون مُنصاعاً، ويكون تقريباً كالميت، لأنّ الإيجابي مُقدّر له الموت. ما لم يدخل جانبه السلبي في اللعبة، لن يكون هناك فرح. إنّ الحياة التفاف والتحام بين الإيجابي والسلبي. ليس بإمكانك جعل القدّيس كاملاً، وعلى هذا الأساس، لن يقول الصوفيين إنّ القديس كامل، لأنّه ليس كاملاً، إنّه نصف.

إنّ نصفه والجزء السلبي منه، قد تمّ قمعه وإنكاره. لقد تمّ قطع جميع الاتصالات مع الجزء السلبي. لقد تمّ إلقاء الجزء السلبي في زنزانة اللاوعي. لقد حاول الكاهن بشتى الطرق ألا يكون حتى مُدركاً لوجود هذا الجزء السلبي، ولكنّه موجود، وليس هناك من سبيل للتخلّي عنه. إنّ السبيل الوحيد كي تتخطاه

هو أن تستوعبه، وليس أن تسقطه. دعني أكرر: إنّ السبيل الوحيد كي تتخطّاه هو أن تستوعبه. بيد أنّ هذا يحتاج إلى ذكاء كبير، وفهم عميق، حكمة، تأمل، حتى تُحوّل السمّ إلى أكسير.

إنّ السلبي سامّ، ولكن يُمكن أن يُصبح السمّ دواءً في الأيدي الأمينة. إنّ الكاهن غبي قليلاً. سوف تجد أنّ الكهنة أغبياء، متوسطي الفهم، وليسوا أناساً أذكياء بالفعل، وإلا كانوا حوّلوا سلبياتهم، وحوّلوا كلّ ما هو خطير إلى ازدهار جميل. إنّ الكاهن سوف يحمل السلبي في اللاوعي.

من أجل ذلك، إذا نظرتَ عبر النافذة إلى فكر القدّيس وهو نائم، فستتفاجأ أنّه يفعل أشياء لم تكن حتى تتوقّعها منه. في الحلم سوف يُصبح القدّيس سلبياً. سوف يكون هناك نقلة كاملة من الإيجابي إلى السلبي، لأنّ السلبي أيضاً يحتاج إلى قليل من اللعب، وقليل من النشاط. سوف تجد أنّ أحلام الكهنة إجرامية للغاية. هذا سبب أنّ القدّيسين يخافون أن يناموا بشدة. إنّهم يقومون بتقليل ساعات نومهم، لأنّه الشيء الوحيد التي الذي يكونون فيه دون سيطرة. في اللحظة التي ينامون فيها تُفقد السيطرة. يذهب الوعي إلى النوم ويتولّى اللاوعي القيادة، واللاوعي عندهم هو السلبي.

إنهم خائفون للغاية لأنّ اللاوعي قد تمّ كبته جنسياً، مع الغرائز القاتلة، الغضب، الثورة، الكراهية، وجميع أنواع العقارب والثعابين والكائنات السامة. إنّها تبدأ في الفوران والظهور على السطح. إنّ القديسين ينزعجون بشدة من النوم، لأنّ النوم يجلب حقيقة واحدة، ويُحضرها بوضوح شديد، وهي أنّ اللاوعي أو السلبي لم يتمّ تدميره، إنّه ما يزال موجوداً. إنّ القديسين يُعانون من كوابيس كبيرة.

إنّ المُجرم، المُناهض للمجتمع، الثائر، الشخصية السلبية هو أيضاً نصف. إنّ الأشخاص السلبيين هم الذين يُصبحون سياسيين عظماء، وأحياناً ثوريين عظماء، ويُطلقون سموماً سلبية هائلة إلى العالم، أمثال «أدولف هتلر» ، أو «جوزيف ستالين»، أو « بينيتو موسوليني»، أو «ماو تي تونج»، هؤلاء هم نمط الأشخاص السلبيين. إنّهم على العكس تماماً من القدّيس، ولكن من ناحية أُخرى هم تقريباً مُتشابهون، إنّهم نصف كما القديس. هناك فرق واحد فقط: ما جعله القدّيس في اللاوعي، أخرجوه هم إلى الوعي، وما جعله القدّيس في الوعي، كبتوه هم في اللاوعي.

إنّ «جوزيف ستالين» أو «أدولف هتلر» ليسا مُختلفين عن «المهاتما غاندي». الفارق الوحيد هو أنّ ما تمّ قمعه في «المهاتما غاندي»، تمّ التعبير عنه في «أدولف هتلر»، وما تمّ التعبير عنه في «أدولف هتلر»، تمّ قمعه في «المهاتما غاندي». لقد قام «المهاتما غاندي» بقمع السلبي، بينما قام «أدولف هتلر» بالتعبير عن السلبي. إنّ «أدولف هتلر» و»المهاتما غاندي» من نوعية الأشخاص نفسها بالضبط، بيد أنّ أحدهم يقف على رأسه ويقوم بـوضعية الوقوف على الرأس «سيرشاسانا»، ولكنّه من النوع نفسه بالضبط. لا يُوجد فارق. سوف تتفاجأ أنّ هؤلاء المُجرمين الكبار لديهم أحلام جميلة، أجمل بكثير ممّا يُمكن أن يكون لدى القدّيسين، لأنّ ايجابيتهم التي تمّ قمعها تتحرر في أحلامهم. إنّهم يُصبحون قدّيسين عظماء في أحلامهم. إنّهم يقومون بأشياء رائعة من أجل الإنسانية.

هذان هما النوعان الاعتياديان من الأشخاص: القدّيس، والآثم، وهما يذهبان معاً يداً بيد. في عالم حيث لا يعود هناك المزيد من الآثمين، لن يكون هناك المزيد من القديسين. وفي عالم حيث لا يعود هناك المزيد من القديسين لن يكون هناك المزيد من الآثمين. إنّهم شركاء في العمل نفسه. إنّهم يتواجدون معاً، ويُساعدون بعضهم البعض، ومن دون أحدهما لا يُمكن للآخر أن يتواجد، ولا يُمكنه النجاة. إنّ الآثم يُعطي

تعريفاً للقدّيس، والقدّيس يُعرّف الآثم .

يمتلك الحكيم نوعاً مُختلفاً تماماً من الوعي. إنّه مُتكامل، إنّه ليس اختياراً. إنّه ليس سلبياً ولا إيجابياً، لقد استوعب كليهما. إنّه قبول تامّ. أيّ ما قد منحه الإله، لا بُدّ أن يتمّ تحويله إلى وحدة واحدة. ليس على الإنسان أن يختار ولكن يجب عليه أن يتقبّل. تذكّر، أنا لا أقصد بالقبول التحمّل، فعندما تتحمّل شيئاً، أنت لا تتقبّله فعلاً. أنت تقول: «ما الذي يمكن أن يُفعل؟»، إنّه موجود، حسناً سوف أتحمّله. إذا لم يكن في الامكانية التخلّي عنه، وتحطيمه، إذاً سوف أتحمّله، ولكن تذكّر، أنّ القبول ليس مُجرّد تحمّل.

إنّ القبول هو ترحيب فرِح: «أيّ ما يأتي به الإله، لا بُدّ أنّه يحمل معنى ما، بيد أني قد لا أكون قادراً على رؤية هذا المعنى في الوقت الحالي، سأبحث عن هذا المعنى». يبقى هناك فهمٌ ضمني أنّ كلّ ما يُمنح، لا بُدّ أنّ بحمل المعنى، وإلا لما تمّ منحه من البداية.

يُولد الحكيم من خلال هذا الفهم. إنّ الحكيم رجل مُقدّس لأنّ الحكيم كامل. إنّه لم يُنكر رغبته الجنسية، ولم يُنكر غضبه، ولم يُنكر أيّ شيء على الإطلاق. إنّه يتقبّل كلّ شيء بفهم عميق، وامتنان، وترحيب. ومن هذا الفهم، وهذا السلوك المُرحّب، تبدأ الأشياء في التغيّر، ويحدث تغيّر كيميائي هائل. تحدث هذه المعجزة في الحكيم، حيث يُصبح الغضب تعاطفاً. إنّ الغضب بالإضافة إلى الفهم يُساوي التعاطف، كذلك الجنس بالإضافة إلى التأمل يُساوي حال «سامادهي».

هناك الجزء الذي يحمل كلّ بذور التأمل، وهناك الجزء الذي يحمل كلّ بذور الرغبة الجنسية. يُنكر الآثم جزء التأمل، ويتقبّل الجزء الجنسي، بينما يُنكر القدّيس جزء الجنس، ويتقبّل جزء التأمل، بيد أنهما كلاهما غير متوازن. بينما يتقبّل الحكيم كليهما، ويدمجهما معاً، التأمل والجنس، ويُراقب حدوث المعجزة الهائلة في نفسه، المعجزة الأعظم. عندما يجتمع التأملي والجنسي يكون هناك تغيير بصورة مُفاجئة، إذ يُصبحان شعلة واحدة، وتلك الشعلة الواحدة تمتلك خصائص جديدة كلياً.

إنّ الأمر يُشبه تماماً التقاء «الهيدروجين» مع «الأوكسجين»، فيتكوّن لدينا الماء. هذه مُعجزة من ناحية أنّ «الأوكسجين» لا يمتلك أيّ من صفات الماء، وكذلك «الهيدروجين». بيد أنه عندما يجتمع «الهيدروجين» مع «الأوكسجين»، ويمتزجان في عناق مُحبّ ويُصبحان وحدة واحدة، وتظهر فجأة صفة جديدة لم تكن موجودة في أيّ من المكونات. تستطيع أن تشرب قدر ما تُريد من «الأوكسجين»، ولكن لن ينتهي ظمأك، وكذلك تستطيع أن تشرب بقدر ما تُريد من «الهيدروجين» ولن ينتهي ظمأك. مع ذلك فإنّ الماء ما هو إلا H2O. إذاً، يمتلك الماء شيئاً ليس موجوداً في هذه المكونات. لقد حدث شيء جديد: لقد اختفت المكونات داخل شيء جديد. لقد تمّ الوصول إلى تآلف أعلى.

هذا ما أقصده بالتحوّل العضوي. عندما يلتقي شيئان ويكون هناك اجتماع حقيقي، سوف يُولّد شيئاً ثالثاً. عندما يجتمع رجل وامرأة ويتحابان، يُولد الطفل، وهذا الطفل لن تكون له صفات الأبّ، ولن تكون له صفات الأُمّ، بل سيمتلك صفاته الخاصة، ويكون شخصاً فريداً من نوعه. لا يُمكن أن تختصر الطفل في مُجرّد صفات الوالدين، ولا يُمكن أن تقول: «لقد أتت هذه الصفة من هذا الوالد، وأتت هذه الصفة من ذاك الوالد، وأنّ الطفل مُجرّد حاصل جمعهما». كلا. إذا كان الطفل مُجرّد حاصل جمع لوالديه، عندئذ لن يكون هناك روح. إنّ الطفل لا بُدّ أن يكون شيئاً أكبر من حاصل جمع والديه، عندها فقط تكون لديه روح.

إنّ الماء شيء أكبر من حاصل جمع H2O.

فقط عندما يلتقي شيئين متضادين يحدث هذا التحوّل العضوي. يلتقي رجل وامرأة، عندها يولد طفل. لا يُمكن أن يُولد الطفل من التقاء رجل مع رجل آخر، أو امرأة مع امرأة أخرى. إنّ المتشابهات لا تستطيع أن تخلق، فقط الأضداد تفعل ذلك.

إنّ التأمل والحُبّ متضادان. يحتاج التأمل إلى الوحدة، بينما يحتاج الحُبّ إلى آخر. إنّ الجنس والتأمل مُتضادان، فالجنس رغبة مُتواصلة، غير مُشبعة، وتبقى غير مُشبعة. في حين أنّ التأمل خال من الرغبات. إنهما مُتضادان. عندما يلتقيان، فجأة يكون هناك ثوران. يحدث شيء لم يكن موجوداً في أيّ منهما.

إنّ القدّيس مُتأمل فقط. إنّه يحمل جزءاً واحداً، «الهيدروجين» أو «الأوكسجين». بينما الآثم جنسي فقط، إنّه يحمل جزء آخر. عندما يلتقي داخلك القدّيس مع الآثم، يُولد الحكيم. عندما تلتقي داخلك الأقطاب في عناق عميق، عندما يذوبان في بعضهما، ويفقدان كلّ التعريفات، يندمجان، ويُصبحان واحداً، تتولّد الحكمة في داخلك. إنّ الحكمة هي الازدهار الأكثر ندرة في الوجود. إنّ القديس هو صدى بعيد لها، كبُعد الآثم.

من أجل ذلك، يقول الصوفيون إنّ الحكيم ليس قدّيساً. تستطيع أن تجد العديد من القدّيسين، فهذا شيء في غاية السهولة. إنّ القديسين ظاهرة اجتماعية، ولكن أن تجد حكيماً فهذا شيء صعب، لأنّ الحكيم مُتفرّد بقدر المجرم، وبقدر الكوني، وبقدر القدّيس. إنّه الاثنان معاً. يجتمع الإله والشيطان في الحكيم، ويفقدان هوياتهما. هذا هو اللقاء الأعلى، وليس هناك لقاء أعلى من ذلك. هذه اللحظة من لقاء الآثم والقديس داخلك، السلبي والإيجابي، هذه اللحظة هي «سامادهي».

إنّ الحكيم هو اللاتفكير. إنّ الآثم هو التفكير السلبي، والقدّيس هو التفكير الإيجابي، بينما الحكيم هو اللاتفكير. يعيش الآثم في ازدواجية ثابتة، إذ عليه أن يُحارب قدّيسه، تذكّر ذلك. يجب أن يُحارب الآثم باستمرار قدّيسه، لأنّ القدّيس موجود معه. عندما يشرع الآثم في قتل شخص، يقول جانب القدّيس منه: «لا تفعل ذلك، هذا ليس صحيحا». يجب عليه أن يُقاوم، وصراعه شاقّ بقدر صراع القدّيس، الذي يجب عليه أن يُحارب الآثم داخله. إذا أهانه شخص، ونشأت داخله رغبة عارمة في قتل ذلك الشخص، عليه أن يُقاوم تلك الرغبة. إنّه لا يستطيع أن يفعل ذلك، لأنّه قدّيس، رجل مُقدّس، رجل دين، هذا وذاك. يستمرّ الاثنان في المقاومة. إنّهما مضطران إلى ذلك، لأنّهما يعيشان في ازدواجية، بينما يستمرّ الجزء الذي تمّ قمعه في الأخذ بالثأر. إنّه ينتظر اللحظة المناسبة حتى يُعبّر عن نفسه.

بالنسبة إلى الحكيم هناك سكينة، وليس هناك ازدواجية. يُصبح الحكيم مقاماً مُقدّساً. لم يعد هناك أيّ تعارض، ولا أيّ تنافر. لم يعُد هناك أيّ حروب تدور داخله. إنّ السكون المطلق هو ما يُسمّيه الصوفيون «الإسلام». هناك سكينة، وهدوء تام. لقد انصهرَت عناصر الحرب في الوحدة، وحدث التزاوج.

الحكيم الصوفي «عبد العليم»

إذاً، حينما تقول القصة أنه «حكيم»، يكون المقصود أنه شخص مُستنير، الشخص الذي عاد إلى

البيت.

رفض الحكيم الصوفي «عبد العليم» من «فاس» التدريس، ولكنّه من آن إلى آخر كان ينصح الناس بشأن طريقة المُضيّ قدماً على الطريق».

لماذا يجب عليه أن يرفض التدريس؟

يرفض الحكيم دائماً التدريس. ما السبب؟ لأنّ الحقيقة لا يُمكن أن تُدرّس. إنّ الحكيم لا يكون مُدرساً إطلاقاً. إنّه مُعلّم، لكنّه ليس مُدرّساً أبداً.

أولاً، لا يُمكن تدريس الحقيقة، بل يُمكن فقط التقاطها، مثل العدوى من المُعلّم. تستطيع أن تسمح لنفسك أن تكون قريباً منه، وسوف تتمكّن ذات يوم من التقاط الحقيقة، ولكنّها لا يُمكن أن تُدرّس، فهي ليس نوعاً من المعلومات يمكن إيصاله لك، بل إنّها خبرة وجودية، تستطيع أن تتشاركها، ولكن لا يُمكن أن تُعطى لك. لا يستطيع أحد أن يُعطيك الحقيقة. أنا لا أقول إنّ المُعلّم لا يستطيع أن يُعطيك الحقيقة لأنّه لا يمتلكها، كلا. بيد أنه على الرغم من امتلاكه لها، فهو لا يستطيع أن يمنحها. إنّها ليست شيئاً وليست معلومة. إنّها ليست معرفة، بل إنّها تجربة تُعاش، سوف يكون عليك أن تحيا في المُعلّم ومع المُعلّم.

سوف يحدث الأمر بطريقة غامضة جداً. عجيبة هي أساليب الإله، وحده الشيء غير الحقيقي يُمكن ايصاله، بيد أنّ الحقيقة لا يُمكن توصيلها. من أجل ذلك، لا يكون الحكيم مُدرّساً أبداً. هذا هو الفارق بين المُدرّس والمُعلّم. إنّه متاح كي يُعطيك، ولكنّ العطاء يكون غامضاً جداً، مستتراً جداً، باطنياً جداً، مخفياً جداً. لا يُمكن أن تُعطى الحقيقة كما تُعطى لك المعرفة العلمية، ولا تستطيع أن تستخلص منها أيّ تعليم. لا يُمكنك أن تصوغها في كلمات، ونظريات، ومبادئ مُحددة واضحة. إنّها شاسعة جداً. وفي اللحظة التي تُحجّمها في أيّ مبدأ، سوف تستطيع أن ترى في الحال أنّ هناك شيئاً ما قد اختفى منها، وأنّها لم تعُد تتمتع بالحياة.

إنّ المبادئ تُشبه الصور الفوتوغرافية. على سبيل المثال، لو أخذتَ صورة فوتوغرافية لطائر مُحلّق، فإنّ الصور تُظهر الطائر مُحلّقاً، ولكنّها تبقى مُجرّد صورة. إنّ الطائر لم يعُد يطير، وقد توقّف كلّ شيء، ولم يعُد حيّاً.

لقد سمعتُ...

أخبرت امرأة جميلة «بابلو بيكاسو»: «لقد رأيتُ ذات يوم واحدة من لوحاتك الشخصية التي رسمتَ فيها نفسك. لقد كانت جميلة جداً». كانت المرأة مُمّلة، وقد سأم «بيكاسو» منها، إلا أنها بقيَت تتحدّث وتتحدّث، ثمّ قالت: «لقد كانت جميلة حقاً، لقد أبليتَ بلاء حسناً. لقد أحببتُ اللوحة بشدّة حتى أنّي قبّلتها».

فجأة أصبح «بيكاسو» مُنتبهاً وقال: «ماذا حدث؟ هل قبّلتكِ اللوحة؟»، قالت السيدة: «عن ماذا تتحدّث؟ كيف يُمكن للوحة أن تُقبّلني؟»، قال «بيكاسو»: «إذاً، لم تكن أنا».

إن الطائر المُحلّق حيّ، كذلك الزهرة على الشجرة تتمتع بالحياة، ويدي التي تقوم بإيماءة الطائر

المُحلّق، كذلك تتمتع بالحياة. تستطيع أن تلتقط لها صورة، ولكن سوف يُفقد منها شيء أساسي للغاية. إنّها سوف تكون مُجرّد شكلّ اليد الخارجي، وتكون الروح مفقودة منها.

هكذا يحدث مع الحقيقة. إنّ الحقيقة حياة سرمدية، وفي اللحظة التي تضعها في قالب في الكلمات، يُصبح لديك صوراً فوتوغرافية.

هكذا، لا يستطيع الحكيم أن يُدرّس الحقيقة، إنّه يستطيع أن يجعلك ترى إلى أين يُمكنك الذهاب، وترى الطير المُحلّق بنفسك. إنّه لا يستطيع أن يُعلّمك مبادئ، بل يستطيع فقط أن يُبين لك الطريق. إنّه لا يستطيع أن يُخبرك بشأن الحقيقة، بل يستطيع فقط أن يُخبرك بشأن الوسائل التي يُمكنها أن تُنظّف قلبك، وتُنقّي فكرك، وتُلطّف من اضطرابك الداخلي، وتُساعد في إيقاف حديثك الداخلي المستمر، حتى تكون في حالة سكون الفكر، فتستطيع أن ترى الحقيقة، لأنّ الحقيقة في كلّ مكان، وما تحتاج إليه هو فقط سكون الفكر. لا يستطيع المُعلّم أن يُدرسك، لكنّه يستطيع أن يُلهمك، يستطيع أن يُحفّزك، يقوم بدعوتك. إنّ المُعلّم إصبع يُشير إلى القمر، ولكنّ المُعلّم ليس مُدرساً.

الشيء الثاني: إنّ التدريس دائماً ما يكون عاماً، ودائماً ما يكون نظرياً. إنّ التدريس يُشبه قائمة الطعام: لا تستطيع أن تأكلها ولا يُمكن أن تتغذى من خلالها. إنّ التدريس يُشبه الصور الإباحية، فهي ليست المرأة الحقيقية أو الرجل الحقيقي. لا تستطيع أن تُحبّها، ولا يُمكن أن تشعر بحُبّها.

يستطيع المُعلّم، الحكيم، أن يُسدي إليك النصيحة، لكنّه لا يستطيع أن يُدرّسك. ما الفارق؟ إنّ النصيحة دائماً ما تكون شخصية، وليست عامة أبداً. تكون النصيحة من شخص لشخص، من القلب إلى القلب، ودائماً ما تكون عملية، وليست نظرية أبداً. تكون النصيحة دائماً تجريبية، وليست فلسفية، وهي مثل الطعام، بينما التدريس مثل قائمة الطعام. إنّ النصيحة مثل الرجل الحقيقي أو المرأة الحقيقية، بينما التدريس مُجرّد صور إباحية.

تقول القصة:

رفض الحكيم الصوفي «عبد العليم» من «فاس» التدريس، ولكنّه من آن إلى آخر كان ينصح الناس بشأن طريقة المُضي قدماً على الطريق».

إنه يُسدي النصح إلى الناس من آن إلى آخر ، ولكن فقط عندما يجد شخصاً مُستعداً، ويجد رغبة مشتعلة، ويرى أنّ هناك بحثاً، وليس مُجرّد فضول. فقط عندما يرى أنّ هناك رغبة صادقة في أن يُكرس الطالب نفسه، ويُضحّي بنفسه من أجل الحقيقة، فقط عندما يرى أن هناك مُقامر مُستعدّ أن يُقامر، وليس رجل أعمال يريد أن يحسب كلّ خطوة.

إنّ الحقيقة من أجل المقامرين، ومن أجل أولئك الذين يستطيعون المُخاطرة. إنّها ليست من أجل رجال الأعمال.

من أجل ذلك، عندما يجد فقط أنّ هناك شخصاً في حاجة حقيقية، تكون نصيحته مُتوفرة. هذا سبب أنّ المُعلّمين ينأون بأنفسهم دائماً عن الجماهير. لقد أسسوا آلاف الطرق من أجل إيقاف توافد الجماهير إليهم. إنّهم موجودون فقط من أجل القلة، ومن أجل هؤلاء الذين يبحثون حقيقة. لقد ابتكروا

وسائل تجعلهم غير مرئيين بالنسبة إلى الجماهير. على سبيل المثال، إنّك تستطيع أن ترى أنني موجود هنا، لكنني غير مرئي بالنسبة إلى شعب مدينة «بونا». إنّه شيء مُتعمّد. أنا موجود فقط من أجل أولئك الأشخاص الذين يحتاجون إلى النصيحة، والذين يقومون حقاً بالبحث بأنفسهم. حتى لو لم تكن هناك نصيحة تُقدّم إليهم فهم مُستمرّون في البحث، مُستمرّون في المخاطرة بحياتهم في البحث. بيد أنه لو كانت هناك نصيحة مُتوفّرة، عندها يُمكن تجنب العديد من الأخطار.

هذا هو الفارق بين التدريس والنصيحة. أيّ كان ما أقوله لكم فهو ليس تعليماً، إنّها مُجرّد نصيحة. إنّها تحفيز، إغراء، ولكن ليست تدريساً. إنّه إقناع وليس تدريساً. إنّه كوخ للتشجيع وليس للتدريس. إنّه سوف يمنحك الشجاعة، الحيوية، الاستمتاع، حتى تستطيع المُضيّ قدماً بمزيد من الحماسة، التوهج، الطاقة، حتى تستطيع أن تكون أكثر ثقة بأنّ هناك أملاً. إنّ جميع ما أقوله لك إنما هو فقط من أجل زرع الأمل داخلك، لأنّ الطريق مُظلم وفيه آلاف المخاطر. يستمرّ الطريق في التفرع إلى الكثير من المسارات الخاطئة، ومن أجل ذلك، يكون وجود المُعلّم ضرورياً من أجل أن يُبقيك على المسار الصحيح.

ذات يوم قام بزيارته أحد الطلاب، والذي لم يكن قادراً على التعلّم، وكان يُصاب بالجنون على نحو مُتكرر أثناء حضور «الاحتفالات الصوفية».

هناك عدة ملاحظات بشأن هذا المُريد. أولاً، أنّه ليس مُريداً، بل يعتقد أنّه مُريد، مع أنه على أقصى تقدير تلميذ فقط. هناك الفارق نفسه بين التلميذ والمُريد، كما بين المُدرّس والمُعلّم. إنّ التلميذ موجود من أجل تجميع بعض المعلومات، ويُصبح أكثر معرفة، ويعرف أكثر دون أن يُخاطر بأيّ شيء. إنّ التلميذ هو مَن يكون غير مُستعدّ أن يدفع أيّ ثمن. إنّه يُريد أن يبقى كما هو، ويجمع المزيد من المعرفة. إنّه يُريد أن يُصبح مُفكّراً أكثر، مُدرساً، ناقداً، صاحب دكتوراة، ولكنّه ليس مُهتمّاً بتغيير نفسه. إنّه يُريد أن يُمسك بالحقيقة بين يديه، لكنّه ليس مُستعداً أن يُذيب نفسه داخل الحقيقة. إنّه يُريد امتلاك الحقيقة، لكنّه لا يُريد للحقيقة أن تتملكّه.

إنّ المُريد هو الشخص الذي يُريد أن تتملكه الحقيقة، ولا يُمكن أن يُفكّر: «أنا يجب أن أمتلك الحقيقة. كيف لي أن أمتلك الحقيقة؟»، في الواقع، إنّ الأنا هي الحاجز الوحيد أمام الحقيقة. كيف أستطيع «أنا» أن أمتلك الحقيقة؟ إنّ الحقيقة شاسعة، لانهائية. كيف يُمكن لها أن يتملكّها مثل هذه الدماغ صغير الحجم؟ إنّه أمرٌ غير مُمكن. إنّك لا تستطيع أن تمتلك المحيط في قبضتك، ولكن تستطيع أن تُغرق نفسك في المحيط وتختفي. إنّ المُريد مُستعد أن يُغرق نفسه ويختفي، حتى لو كان الثمن هو حياته، فهو مُستعدّ من أجل بذل ذلك.

عندما يكون هناك شيء أكثر قيمة من الحياة، تُصبح مُريداً، وإلا فلا. إذا كنتَ تستطيع أن تُضحّي بحياتك من أجل الحقيقة، عندها تُصبح مُريداً، وإلا فأنت مُجرّد تلميذ طماع، تُريد أن يكون لديك بعض المعلومات حتى تستطيع أن تستخدمها في حياتك، وتنجح بطريقة أفضل.

يأتي إليّ الكثير من الناس على الرغم من أنني أنشأتُ الكثير من الحواجز. أحياناً وبطريقة ما، يتسللون داخلين ويسألونني أسئلة لا يجب أن تُسأل. إنّهم يسألونني: «إذا تأمّلنا، ما الفائدة التي سنجنيها بطريقة دنيوية؟ هل سيجعلنا ذلك أكثر صحة، أكثر نجاحاً؟ هل سيُساعدنا على النجاح في العالم؟»، أو يأتي شخص فيسأل: «هل سوف يُساعدني على تقوية ذاكرتي؟ هل سوف يُساعد التأمل في أن يكون دماغي

أكثر ذكاءً؟». إنّهم ليسوا مُهتمّين بالتأمل في حدّ ذاته، إنّهم مُهتمّون بشيء آخر. إنّهم يظنّون أنّه إذا كان التأمل يمكن أن يُستخدم من أجل ذلك، فهذا جيد، إنّهم مُجرّد تلاميذ.

إنّ المُريد هو الشخص الذي يفهم شيئاً واحداً: «أنا لا أعرف مَن أكون»، وهذا هو أهمّ شيء يجب أن تعرفه أولاً، وأيّ شيء آخر هو شيء ثانوي: «يجب أن أعرف مَن أكون، عندئذ فقط يُمكن أن يكون للحياة معنى، وإلا فلا يُمكن أن يكون لها معنى. أستطيع أن أستمرّ في العمل، وتكديس الأشياء، الأموال، الهيبة، ولكن كيف ستُرضيني هذه الأشياء، عندما لا أعرف حتى مَن أكون. يجب في البداية أن يكون لديّ إحساس مُؤكّد بكينونتي، عندئذ فقط أستطيع أن أكون على المسار الصحيح».

يُريد الجميع أن يمتلك النعيم، لكن كيف يمكن أن تمتلك النعيم إذا كنت حتى غير مُدرك مَن تكون؟ يجب على الإنسان أن يكون مُدركاً تماماً لطبيعته، عندها فقط يكون النعيم مُمكناً. خلاف ذلك، سوف تستمرّ في البحث عن شيء قد لا يكون مُفيداً إطلاقاً لنعيمك. قد تستمرّ في تفويت شيء قد يكون وشيك الحدوث، وكان مُقدراً تماماً من أجل نعيمك. كيف يُمكن لك أن تحكم، وأنت لا تعرف نفسك، وغير مُدرك لطبيعتك؟ يمتلك المُريد رغبة واحدة فقط: أن يعرف نفسه، وهو على استعداد أن يفعل أيّ كان ضرورياً حتى يتمّ هذا الشيء. إنّه مُستعدّ بلا شروط من أجل دفع أيّ ثمن.

ذات يوم قام بزيارته أحد الطلاب، والذي لم يكن قادراً على التعلّم، وكان يُصاب بالجنون على نحو مُتكرر أثناء حضور «الاحتفالات الصوفية».

إنّه ليس مُريداً، بل يعتقد أنّه كذلك. رُبّما يذهب إلى الكثير من الأشخاص، ولذلك يظنّ انّه مُريد، بيد أنه غير قادر حتى على التعلّم.

تأتي كلمة مُريد من الجذر الذي يعني: القدرة على التعلّم. بيد أنه غير قادر على التعلّم. ما الذي يمنع الناس من التعلّم؟ ما الذي يجعل الناس غير قادرين على ذلك؟

هناك عدة أشياء: أولاً، تحتاج القدرة على التعلّم إلى حالة من اللامعرفة. يجب أن تكون بريئاً كالطفل، عندئذ فقط تستطيع أن تتعلّم. إذا كنتَ تعرف مُسبقاً، لن تستطيع أن تتعلّم. يجب أن تعرف أنّك لا تعرف. يجب ألا تحمل أنا المعرفة المزيفة، بمعنى «أنا أعرف». الشيء الثاني: يحتاج التعلّم إلى قدر هائل من التقبّل والانفتاح، لأنّك يجب أن تستوعب. إنّ الانفتاح مطلوب، ولا يُمكن أن تبقى مُنغلقاً على تحيزاتك القديمة، أفكارك، مبادئك، مفاهيمك. إنّ الوعي مطلوب.

حينما أقول الادراك، تذكّر دائماً أنني لا أقصد إطلاقاً الذكاء، الذي يستعيضون به عن الادراك. إنّ الناس الذين يدّعون أنّهم مُدركين، ما هم إلا أذكياء. إنّ الرجل الواعي المُدرك حقيقة ليس ذكياً على الإطلاق، إنّه وجودي. إنّه يعرف تماماً أنّ الذكاء ليس خلّاقاً، إنّه لا يستطيع خلق أيّ شيء. إنّه على الأكثر أداة جيدة من أجل النجاة، ولكنّه ليس خلّاقاً. إنّ كلّ ما تمّ ابداعه وخلقه قد تمّ بواسطة شيء آخر، يُسمّى الادراك والوعي. تستطيع أن تُطلق عليه الحدس، ولكنّه شيء آخر، ليس له علاقة بالذكاء والفكر.

يتمّ تدريب فكرك في الجامعة، حيث تتعلّم كيف تُجادل، تُثبت، تُناقش، تُناظر. تتعلّم المنطق، ومن خلال المنطق، ينشأ الذكاء والفكر. إنّ المنطق ذاته غير منطقي للغاية، لأنّه لا يُغطّي جميع جوانب الحياة. إنّه جزئي للغاية. إنّ الحياة أكبر من المنطق، وهي مُتناقضة، ولذلك بمُجرّد أن تُصبح راسخاً جداً في

منطقك، تبدأ في فقدان مسار الحياة. سوف تُصبح ذكياً أكثر وأكثر، وأقلّ وعياً وادراكاً. إنّ الشخص الواعي يتقبّل المنطق، واللامنطق أيضاً. إنّ الشخص الواعي دائماً يقبل التناقض الكامل والتعددية، ولا يختار إطلاقاً. إنّه لا يقول: «سوف أختار السلبي، أو سوف أختار الإيجابي، سوف أختار هذا، وأُنكر ذاك»، يقبل الواعي كلّ شيء.

إنّ الوعي ليس لديه اختيار. هذا سبب أنّ «كريشنامورتي» يُعرّف الوعي على أنه الادراك دون اختيار. وأحياناً تستطيع أن تجد ذلك. تستطيع إيجاد شخص غير ذكي، وغير مُتعلّم إطلاقاً، قد يكون رجلاً على الفطرة يعيش في قرية، ولكنّه ذو وعي هائل. تستطيع أن ترى في عينيه الوعي، التوهّج، وتستطيع أن ترى الادراك في تصرفاته. كما إنّك يُمكن أن ترى أستاذاً جامعياً يتصرّف دون وعي تماماً، مع أنه مُفكّر كبير.

إنّ الوعي يعني الادراك، نوع من الحضور، التواجد في اللحظة، الحضور الفوري. هذا يحدث هنا كلّ يوم. إنني أستطيع أن استمرّ في النظر إليكم. في الوقت الذي أرى فيه ذكياً مُفكّراً، أستطيع على الفور أن أشعر أنّه مُغلق كأنّه جدار من نوع ما، جدار شفاف. إنّه يسمع ومع ذلك لا يسمع، لأنّه يُفكّر باستمرار هل هذا صحيح أم لا، إنّه يُفكّر باستمرار هل هو مُتفق معي أم لا، إنّه يُفكّر باستمرار بمُصطلح اختيار نعم، أم لا، ويتوه في هذا الاختيار، ويفقد الهدف بأكمله.

يستمع الشخص الواعي بانتباه دون رأي، فلا يُوجد داعي كي يُقرر في الوقت الحالي. إنّه مباشر وفوريّ معي، وهذا لا يعني أنّه مُتفق معي. هذا لا يعني أنّه مُتفق أو مُعترض، كلّا، إنّه يستمع ببساطة. ما الهدف من أن يُوافق أو يعترض؟ يُمكن القيام بذلك لاحقاً. ثمّ تكون هناك مُعجزة: إذا استطعتَ الإنصات التامّ بانتباه. سوف تعرف في هذا الإنصات ما هو الحقيقي وما هو ليس حقيقياً، ولن يكون هناك داع أن تُفكّر في الأمر. إنّ ميزة الإنصات الهادئ سوف تجعلك مُدركاً ما هي الحقيقة. إنّ الحقيقة تمتلك وحياً خاصاً بها. عندما تكون الحقيقة، تبدأ في الإحساس أنّها موجودة. عندما لا تكون موجودة، فإنّ آلاف البراهين لن تُثبت أنّها موجودة. إنّ الحقيقة تمتلك حضوراً مُتواصلاً، وعليك فقط أن تكون مُتاحاً له.

إذاً، فإنّ القدرة على التعلّم تعني الوعي، البراءة، الاستعداد الطفولي من أجل الذهاب إلى المجهول، الاستكشاف، أن تكون دائماً في حالة تساؤل وتعجّب، أن تشعر بسرّ الحياة. هذه هي القدرة على التعلّم والتي تصنع المُريد.

على العكس من ذلك، فإنّ عدم القدرة على التعلّم، القدرة على الاطلاع، الذكاء أو الغباء، يمتلكان المعنى نفسه، وهما مُترادفان: الانغلاق، الفكر المُتحيّز، المليء بالتفاهات، المليء بالماضي، دون مساحة من أجل الجديد.

إنّ الطالب عبارة عن رحِم مُستعدٌ أن يستقبل الحقيقة، يستقبل المُعلّم وطاقته. تذكّر، مع المُعلّم يكون الأمر دائماً عبارة عن انتقال الطاقة غير المرئية بالنسبة إليك، غير الملموسة من قِبلك، إذ يحدث انهمار مُستمر للطاقة. إذا كنتَ مُستقبلاً فستكون راضياً تماماً بذلك. سوف يختفي ظمؤك. لكن إذا كنت تستمع فقط للكلمات وتقوم بجمع الكلمات، تُثبت، تدحض، تُوافق، وتعترض، عندها أنت لستَ موجوداً، ولستَ حاضراً، بل تقريباً أنت غائب. قد تكون هنا جسدياً، لكنّك لستَ هنا نفسياً، ولستَ هنا روحياً على الإطلاق.

ذات يوم قام بزيارته أحد الطلاب، والذي لم يكن قادراً على التعلّم، وكان يُصاب بالجنون على نحو مُتكرر أثناء حضور «الاحتفالات الصوفية».

الآن يجب فهم هذا أيضاً.

هذه المسألة التصوفية التجريبية.

أولاً، إنّ الاحتفالات الصوفية موجودة على مرّ العصور في جميع أنحاء العالم، وهي عبارة عن طقوس تبدأها بالتظاهر، وبعد فترة ومع مرور الوقت، تكون مُنوّماً من خلال تظاهرك. رويداً رويداً يُصبح الادعاء نوعاً من التنويم الذاتي.

على سبيل المثال، إذا شاركتَ في احتفال صوفي، سيكون في البداية شعائرياً، ويُمكن أن تتخذ هذه الشعائر صوراً مُتعددة، فكلّ ديانة لها شعائرها الخاصة. إذا شاركتَ في طقس صوفي يرتكز على طاقة «الكونداليني»، طاقة «الأفعى»، يجب عليك أولاً أن تقرأ ما هي «الكونداليني». من الطبيعي أنّه يجب عليك أن تكون مُطّلعاً عن ماهية «الكونداليني»، حتى تستطيع أن تفهم وظائف «الكونداليني». تقرأ من مُؤلفات «جوبي كريشنا» وأناس من هذا القبيل، فتعرف أنّه يُوجد عدة مراكز كما يُوجد ممرّ في العمود الفقري حيث ترتفع الطاقة، وتعرف أنّها تتحرّك إلى الأعلى، وإلى أين تصل، وماذا يحدث، وأنّها تصل في النهاية إلى الرأس، وعندئذ يهتزّ جسدك بأكمله ويرتجف، ويكون هناك نور عظيم، وفرح كبير. تقرأ هذه الأشياء، ومن الطبيعي أن ينشأ داخلك رغبة شديدة في أن تختبر هذه التجارب. فجأة ترى أنّك ضيَّعتَ شيئاً ما، فالآخرون يختبرون تجارب رائعة بينما تفتقد أنت ذلك. يخلق هذا نوعاً من الغيرة، التنافس، الطمع، الرغبة، التوق.

منذ عدة سنوات أعلن «بابا الفاتيكان» أنّ هناك مئة وثلاثة وستين نوعاً من الآثام. وعلى الفور وصلَت آلاف الرسائل إلى «الفاتيكان»، تقول: «رجاء سيدي، أعطنا القائمة كاملة»، لأنّ الكثيرين شعروا أنّهم ينقصهم شيء منها. مئة وثلاثة وستين إثماً؟ أنت أيضاً سوف تتعجّب ممّا كنتَ تغفل عنه. رُبّما كنتَ تفعل اثنين، ثلاثة، أربعة، خمسة، سبعة على الأكثر. لكن مئة وثلاثة وستين؟ إنّ الناس يُمضون وقتا جيداً حقيقة. لقد وصلَت الكثير من الاستفسارات: «إننا نرغب في معرفة ما هي هذه المئة وثلاثة وستين إثماً؟».

يُثار الفضول عند الناس، حينما يروا أنّ شخصاً يمتلك شيئاً ما، فتنشأ رغبة عارمة، وتوق هائل.

هكذا تقرأ في البداية عن «الكونداليني». فتُصبح مُتخماً بالمعرفة عن المراكز، ألوانها، «المانترات» الخاصة بها، أماكنها في الجسد. تتخيّلهم، ثمّ تتمرّن في طقس، حيث ترى الأشخاص الذين ترتفع لديهم طاقة «الكونداليني»، إذ يُصبح أحدهم مُنتشياً جداً، بينما يُصيبك شعور عميق بالإحباط الشديد لأنّك لم ترَ من قبل مثل هذا الجمال، ومثل هذه التجارب. تجلس هناك وتتخيّل. يتمايل الناس، يستمتعون، تنهمر دموعهم، تتوهّج وجوههم. عاجلاً أم آجلاً سوف تندمج في الطقوس، وتبدأ أيضاً في التمايل، فالإنسان مُقلّد جداً.

يجب أن تكون الباحث الروحي مُنتبهاً جداً بشأن التقليد.

في البداية تبدأ في التمايل، أنت تعرف أنّك تقوم به بنفسك. عاجلاً أم آجلاً، سوف تندمج فيه.

وتُصبح أمنيتك نوعاً من تحقيق الأماني، سوف تُنوم نفسك ذاتياً كما يفعل الكثير من الناس، إنّه تنويم ذاتي هائل في كلّ مكان. ثمّ تبدأ في رؤية النور في الداخل. إنّ الفكر تخيّلي جداً، إنّه يستطيع أن يتخيّل أيّ شيء. تذكّر، أنا لا أقول إنّ «الكونداليني» شيء خاطئ، ولا أقول إنّ النور ليس مرئياً، ولا أقول إنّه لا تُوجد تجارب صوفية، كلا، في النهاية، أنا لا أقول ذلك. بيد أنه من بين مئة شخص، يستمرّ تسعة وتسعون في خلق الأمر عن طريق الخيال، ويكون الأمر ليس حقيقياً عندهم.

إنّ التجربة الحقيقة ليس لها أيّ علاقة بما تتخيّله، ولا علاقة لها بمعرفتك عن «الكونداليني»، ولا علاقة لها بالكتب التي تتحدّث عن «الكونداليني». إنّ التجربة الحقيقية دائماً مُتفردة، وهي لا تحدث إطلاقاً لشخصين بالطريقة نفسها. هذه الشاكرات السبعة موجودة، ولكنّها ليست في المكان نفسه عند الجميع. حينما ترى مُخططاً لطاقة «الكونداليني»، فهو مُجرّد مُخطط عام. إنّه بالكاد يُشبه أنه يُوجد هنا ألف شخص، وإذا سأل أحدهم عن رجل مُتوسط الطول، والطول المتوسط يقع بين خمسة أقدام ونصف البوصة، وخمسة أقدام وخمسة بوصات، تستطيع أن تذهب كي تبحث عنه، ولكنّك لن تجده. سيكون هناك شخص بطول خمسة وستة بوصات، وشخص بطول خمسة وأربعة بوصات، وشخص بطول خمسة وسبعة بوصات. سوف يكون هناك جميع أنواع الأشخاص. إنّ المتوسط مُجرّد نموذج مُعمم.

يحدث الأمر تماماً بمثل هذا الشكل. هناك سبع شاكرات لكنّها لا تُوجد في الأماكن نفسها عند كلّ الناس. هناك تجارب لكنّها لا تحدث إطلاقاً لشخصين بالطريقة نفسها، إنّها تحدث بطريقة مُختلفة جداً. من أجل ذلك، لا يُوجد داعي أن تعرف تشريح «الكونداليني»، ولا أن تعرف الشاكرات، ولا أن تعرف ما الذي يحدث في نهاية المطاف، لأنّه لو عرفتَ ذلك فسوف تُنوّم نفسك ذاتياً، وتبدأ في الاندماج في الطقس مع مرور الوقت. وتخلق حولك نوعاً من الحلم، وبينما يكون هناك العديد من الأشخاص يقومون بفعل الشيء نفسه، تميل أن تتبع الفكر الجمعي، وتبدأ في التمايل مع الحشد.

هل شاهدتَ ذلك في بعض الأحيان: كيف تذوب في الحشد وتُصبح واحداً منهم؟ هناك حشد وجمع من «الهندوس»، ذاهبين من أجل حرق مسجد. أو حشد من «المحمديين» ذاهبين من أجل تدمير معبد. أنت «هندوسي» فتندمج في الحشد «الهندوسي». إنّك لا تُفكّر فعلاً في حرق المسجد، ولم تُفكّر في ذلك إطلاقاً من قبل، إنّك لستَ هذا النوع من البشر، أنت لستَ هذا المُدمّر، هذا العنيف، أنت شخص لطيف. ولم يسبق أن حرقتَ أيّ شيء، ولا أيّ شخص، وحينما انضممتَ إلى الحشد لم تكن تُفكّر حقيقة في القيام بأيّ شيء. لقد كنت فضولياً فقط بشأن إلى أين يذهب هذا الحشد. كنتَ مفتوناً بشأن ماذا سيحدث. لقد كنتَ ذاهباً فقط كنوع من التسلية، دون أيّ فكرة مُحددة عن فعل أيّ شيء.

بعد ذلك، ومع مرور الوقت تُصبح متأثراً بالحشد، هؤلاء الناس الذين يتوافدون مُسرعين حولك من جميع الجهات، بهذه الطاقة الهائلة، مُرددين شعارات واحتجاجات، فتعمل طاقتهم فيك. وتبدأ طاقتك في التصاعد. ومع مرور الوقت ترى أنّك أصبحت مُثاراً، وأنّ الإثارة تُحيط بك من كلّ جانب، كيف يُمكن لك أن تكون مُنعزلاً؟ تُصبح مُتحمّساً، وحينما تصل إلى المسجد أو المعبد، ويبدأ الناس في إحراقه، تجد نفسك فجأة تقوم بأشياء لم تكن خططتَ لها، تحرق المسجد، أو تُدمّر المعبد، أو تقتل إنساناً.

ينجرف الناس بسبب التفكير الجمعي.

إنّ الدين تجربتك الفريدة، والتي ليس لها علاقة بالتفكير الجمعي. إنّك تفقد هويتك في الحشد،

ولكنّك تنحدر إلى أسفل. في التجربة الدينية، أنت أيضاً تفقد هويتك، ولكنّك ترتقي إلى الأعلى.

تذكّر هذه الجملة، يقول الصوفيون: إنّ الدين عبارة عن حجّ، من الغفلة اللاواعية إلى الغفلة الواعية. إنّ الغفلة اللاواعية هي ما يحدث في الحشد. تُصبح غافلاً، بلا وعي. تفقد الأنا المزيفة، لكنّك تسقط أدنى من الأنا المزيّفة، وتُصبح حيوانياً. هذا سبب القول إنّ الحشود ترتكب جرائم أكثر من تلك التي يرتكبها الأشخاص فرادى.

لقد قال «فريدريك نيتشه»: «إنّ الجنون في الأفراد ظاهرة نادرة، بينما في الحشود هو القاعدة العامة». من النادر جداً أن يُصبح الناس مجانين بصورة فردية، لكنّها تقريباً قاعدة أن تُصبح الحشود مجنونة. إنّ الحماس العام قوي جداً، النار قوية جداً، حتى أنّك تبدأ في الاحتراق بها، فهي لاواعية للغاية، ولا تكون هناك مسؤولية بعد ذلك ولا مشكلة وعي، أنت لا تقتل شخصاً، بل الحشد هو الذي يقتله. أنت ببساطة تُشارك لأنّك كنتَ هناك. لا يُمكن لأحد أن يُلقي القبض عليك، ولا يُمكن لأحد أن يقول «أنت قتلت!»، بل «الهندوس» قتلوا، «المحمديون» قتلوا، «الشيوعيون» قتلوا. أنت لم تكن مسؤولاً بصورة فردية.

يحدث مثل هذا في الاحتفالات الصوفية. إنّه انفجار للتفكير الجمعي. اِحترس من ذلك.

فيما يتعلّق بالتجربة الباطنية يجب تذكّر ثلاثة أشياء. هناك ثلاثة أنواع من التجارب الروحية. واحدة مرضية، عصابية، نفسية، هستيرية. لقد حدث مرات عديدة أنّ الشخص الهستيري يستطيع أن يُصبح «ماهاتما». إنّه يقع في الهستيريا، يحنق ويُصبح غير واع، وينطق بالبربرة، هل تعلم من أين جاءت كلمة «بربرةgibberish »؟ لقد جاءت من مُتصوّف يُدعى «جبار Gibhar»، والذي كان ينطق بالكثير من الهراء دون أيّ معنى، ولكن كان يُعتقد أنّه كان متصوفاً عظيماً. لقد كان هستيرياً ببساطة. تستطيع أن تجد مثل هؤلاء الناس الهستيريين يُعبدون في «الهند»، مع أنه يجب أن تتمّ مُعالجتهم، إنّهم مرضى ببساطة.

إذا كنت مريضاً، هستيرياً، قد يحدث أحياناً في الطقوس الصوفية أن تقع في حالة الهستيريا، ويبدأ الناس في الاعتقاد أنّك دخلت في حال «سامادهي»، النشوة أو شيء من هذا القبيل، ويبدأون في تمجيدك. عندما تعود من حالك وترى الناس يلمسون أقدامك، يحملون الزهور والأكاليل والحلوى من أجلك، تعتقد أنك عثرتَ على حيلة، إذ تستطيع الان أن تستغلّ حالتك الهستيرية. ثم تبدأ أنت أيضاً في التصديق، لأنّه من اللطيف جداً أن تعتقد أنّك تُصبح شخصاً روحانياً. إنّ تقديسهم لك الآن سوف يُساعدك على أن تُصبح أكثر مرضاً، وبدلاً من التفكير أنّ هذا شيء خاطئ، سوف تظنّ أنّه يحدث لك شيء رائع. ممّا يجعلك تتعمّق في الوحل أكثر وأكثر.

تذكّر، أنه يُوجد في الشرق الكثير من الأشخاص المرضى الذين يُعتقد أنّهم «ماهاتما». بينما يُوجد في الغرب الكثير من المُتصوّفين الحقيقيين الذين تمّ وضعهم في مصحات المجانيين، لأنّه يُعتقد أنّهم مرضى. إنّ الاتجاهين خاطئان. من أجل هذا أقول إنّ هذه المسألة الخاصة بالتجربة الروحية مسألة حساسة. إذ يُوجد في الغرب الكثير من الأشخاص المتصوفين يُعالجون في المستشفيات، ويتعرّضون للصدمات الكهربائية، صدمات «الأنسولين»، لأنّه يُعتقد أنّهم مصابون بالهستيريا.

فقط فكّر لو أنّ «راما كريشنا» وُلد في «أمريكا»، لتمّ وضعه في مصحة عقلية، لأنه من الخارج تُشبه تجربته الصوفية تقريباً الهستيريا، فقد كان يغيب عن الوعي، ويُصبح جسده صلباً، ويبدأ فمه يرغي، وترتفع عيناه إلى الأعلى، وكلّ هذا يحدث أثناء نوبة الهستيريا.

هذه مسألة حساسة. لو كان «راما كريشنا» في الغرب لوضعوه تحت العلاج، فقد اخترعوا أساليب قوية من أجل علاج الناس، حتى أنّه من المُحتمل جداً أنّهم كانوا سيظنون «راما كريشنا» رجلاً عادياً. بيد أنّ هذا كان سيكون سوء حظ كبير.

أمّا في الشرق، فما يحدث هو العكس تماماً. لقد قابلتُ العديد من الأشخاص. وأحياناً يتمّ جلبهم إليّ من منطلق أنني سوف أقرر ما هي حالتهم. بيد أنني رأيتُ أنّهم مُجرّد أشخاص مُصابين بالهستيريا، لقد كانت مُجرّد هستيريا ولا شيء آخر. لقد كانوا عصابيين، وهم في حاجة إلى بعض العلاج. لقد انحدروا إلى أقلّ من المستوى العادي، لكن أن تنحدر إلى أقلّ من العادي، أو تسمو أعلى من العادي كلاهما يبدو مُتشابهاً. وحده المُعلّم يستطيع أن يكون قاطعاً بشأن ذلك، وإلا فمن الصعب جداً تقرير ماذا يكون ماذا. بيد أنه هناك بعض الأشياء يُمكن إعطاؤها لك كمؤشرات.

لو كان الأمر له علاقة بالمرض، فسيُصبح الشخص أكثر فأكثر تعاسة، مللاً، فتوراً، أكثر فأكثر توتراً، قلقاً، هماً، أقلّ فأقلّ انتباهاً، وسيفقد حضور الذهن، ويُصبح غير مُبدع، ويبدأ جسده في المعاناة بطرق شتى. لن يكون الشخص ذا قيمة إبداعية بالنسبة إلى المجتمع لو كان الأمر مرضاً.

لو لم يكن مرضاً، فسوف يتمتّع الشخص بالحياة أكثر، الحيوية، الحُبّ، الشفقة، الوعي، الذهن الأكثر حضوراً. سوف يكون لدى الشخص بريقاً. سوف يثمل بـالمُقدّس، ولكن سوف يكون في هذه الثمالة نوع من الوعي. إنه ثملٌ للغاية ومع ذلك واعٍ للغاية، هكذا سوف يكون الأمر. كما سوف يكون الشخص مُبدعاً، ويكون وجوده هنا على الأرض مُفيداً للناس.

إذاً الشيء الأول هو المريض، والشيء الثاني هو المُزيّف. هناك مُقلّدون يستطيعون أن يُمثلوا. عندما ترى أنّ ذلك يُوفّر دخلاً جيداً تستطيع أن تُصبح مُؤدياً. تستطيع أن تدّعي أنّ شيئاً يحدث لك. إذا رأيتَ الناس يأتون ويلمسون أقدامك ويعتقدون أنّك وصلت، لماذا لا تدّعي؟ إنّه عمل جيد. تستطيع أن تبدأ في الادعاء.

تذكّر، إنّ الفكر ماكرٌ وبارع للغاية، ويستطيع أن يستمرّ في كونه ماكراً بكلّ الطرق الممكنة.

أمّا الثالث فهو الحقيقي، ولكن هناك تعقيد آخر: إذا لم يكن الحقيقي خاضعاً إلى إرشاد صحيح يُمكن أن يُصبح مرضاً، وإذا كان المريض يخضع للإرشاد الصحيح، قد يحدث أحياناً أن يُصبح المرض حقيقة. نعم ما زال هناك تعقيد آخر. أحياناً يحدث أن يُصبح المزيف مرضاً. لقد بدأ عن طريق الادعاء، ولكنّه اندمج في الأمر مع مرور الوقت. لقد ثار داخله شيء ما، لقد ثار داخله مصدر للطاقة، فأصبح مريضاً. لقد بدأ بمُفرده بصورة مُتعمّدة، لكنّه ذات يوم وجد أنّه لم يعُد مُتعمّداً، فقد خرج الأمر عن سيطرته. يحدث أيضاً أحياناً أنّه تحت الإرشاد الجيد، يُصبح المُزيّف حقيقة، لأنّه لو تمّ جعل المُزيّف واعياً بما يقوم به، لو كان في رحلة بحث حقيقية، لكنّه فقط اختار طريقة رخيصة للأداء، فإنّه قد يتخلّى عن زيفه تحت إشراف مُعلّم جيد، ويبدأ في التحرّك في اتجاه الحقيقي.

الشيء الأخير، تذكّر أنه أحياناً يُمكن للحقيقي أن يُصبح مُزيّفاً، لأنّ التجربة الروحية تحدث وقتما تحدث. على سبيل المثال، لقد حدثَت ذات يوم وفجأة اندمجتَ فيها، ذبتَ تماماً وفُقدت، أنت في نعيم تام. ثمّ يبدأ الناس يجتمعون حولك من أجل رؤية التجربة الصوفية. ثم ذات يوم يكون الجميع هناك، ولكنّ الأمر لا يحدث.، وتُصبح هيبتك كلّها الآن على المحكّ. تستطيع أن تدّعي، وتُصبح مُزيّفاً.

هكذا، يُصبح التعقيد مُزدوجاً أو ثلاثياً. هناك حاجة إلى الإرشاد الصحيح، وإلا يُمكن أن تسقط في أيّ من خدع التفكير.

ذات يوم قام بزيارته أحد الطلاب، والذي لم يكن قادراً على التعلّم، وكان يُصاب بالجنون على نحو مُتكرر أثناء حضور «الاحتفالات الصوفية».

سأله: «كيف يُمكنني أن أُحقق أقصى استفادة من تعاليم الحكماء؟»،

الآن اِنظر إلى السؤال: «كيف يُمكنني أن أُحقق أقصى استفادة».

إنّ الفكرة هي الاستفادة، الطمع، الاكتناز، أن تُصبح أكثر قوة. إنّ الفكرة هي ألا تذوب، وتختفي.

«كيف يُمكنني أن أُحقق أقصى استفادة من تعاليم الحكماء؟»،

هناك سوء فهم، لأنّ الحكماء ليس لديهم تعاليم. إنّ الحكماء لديهم رسائل ولكن ليس تعاليم، نصائح ولكن ليس تعاليم. يفتح الحكماء الطريق إلى المجهول، ولكن لا يُعطونك أيّ نظريات، فلسفات، أو مفاهيم.

قال الصوفيّ: «أنا سعيدٌ لكوني قادراً على أن أُخبرك أنّه لديّ طريقة مُؤكّدة النجاح وهي مُتوافقة مع قدراتك».

لا بُدّ أنّ الرجل كان سعيداً. لقد سأل:

«وما هي، إذا كان يُسمح لي بسماعها؟».

«ببساطة أغلق أُذنيك، وفكّر في الفجل».

الآن إنّك سوف تتفاجأ من هذه الطريقة. هل يمزح الحكيم؟ هل يجعل الرجل يبدو أحمقاً، سخيفاً؟ كلا، لا يُمكن أن يقوم الحكيم بذلك. هذا مُستحيل من منطلق التعاطف. إنّه يقدم له طريقة، ولو أنّها تبدو غريبة.

«ببساطة أغلق أُذنيك، وفكّر في الفجل».

بيد أنّ هذا يُطابق تماماً ما أعطاه «مهاريشي ماهيش يوغي» إلى الغرب. إنّه التأمل التجاوزي: «أغلق أُذنيك، وفكّر في الفجل». إنّ أيّ شيء يُمكن أن يُصبح «مانترا». هذا سبب قولي إنه لا يوجد داع كي تُكرر «أوم»، يُمكنك أن تُكرر «كوكا كولا»، وهذا سيفي بالغرض! بل أكثر من الغرض، لأنّ «كوكا كولا» اختفَت الآن من «الهند». سوف تكون هناك رغبة في «كوكا كولا»، أكثر من «أوم». مَن يكثرت

بالإله عندما لا تُوجد «كوكا كولا». تستطيع أن تُكرر اسمك، وهذا سيفي بالغرض.

لقد كتب الشاعر العظيم «تينسون»، في مذكراته إنّه عندما كان طفلاً، كان في بعض الأحيان لا يتواجد أبواه في المنزل، وكان يشعر بخوف شديد، ولا يعرف ماذا يفعل، لقد كان ببساطة يُردد اسمه: «تينسون، تينسون، تينسون»، وكان هذا يمنحه شعوراً وكأنّه يُوجد أحد في الجوار، وكأنّ والدته تُناديه «تينسون»، أو أنّ والده موجود. في حالة كونّه خائفاً جداً ولا يعرف ماذا يفعل غير ذلك، كان يُردد اسمه، وكان ذلك يُساعده ويُهدّئه ويجعله ينام. لقد وجد التأمل التجاوزي، ومع مرور الوقت تعمّق فيه، وأصبح تأمله الخاص طوال حياته. حينما كان يشعر بظهور أيّ قلق، إزعاج، خوف، كان يُردد اسمه عدة مرات، فيهدأ كلّ شيء، أو حينما يجد نفسه غير قادر على النوم، كان يُردد اسمه فينام.

أجل، هذا مُمكن، لأنّ «تينسون» أو أيّ كلمة سوف تفي بالغرض، لأنك إذا كررتها، وفكّرتَ فيها فقط، تختفي كلّ الأفكار الأُخرى. تُصبح مُركّزاً، وفي هذا التركيز تُصبح صامتاً، ولكن هذا هو أقلّ نوع من التأمّل.

لا يستخفّ الحكيم بالرجل، ولا يسخر منه.

أنا سعيدٌ لكوني قادراً على أن أُخبرك أنّه لديّ طريقة مُؤكّدة النجاح وهي مُتوافقة مع قدراتك».

إنّه يقول: «هذا المكان الذي أنت فيه، وأكثر من ذلك لن يُؤدّي الغرض. هذا سيكون كافياً بالنسبة إليك. إنّك طفولي جداً، ويافع، ومُجرّد تكرار اسم أو التفكير في شيء سوف يفي بالغرض».

إنّ تأمل «مهاريشي ماهيش يوغي» صبياني للغاية، إنّه طفولي جداً، إنّه من أجل المبتدئين. أجل، إنّه يمنحك نوعاً من التعزية، إنّه يُساعد على تهدئتك. فهو يُشبه المُسكّن، وهو من أجل الناس الذين يبحثون عن أيّ شيء، بطريقة صبيانية للغاية. إنّ «أمريكا» على الأخصّ في بحث هائل من أجل أيّ شيء تتشبث به، لأنّ كلّ ما هو متاح من المال، والسلطة، أصبح بلا معنى، لقد أصبح كلّ شيء بلا معنى. إنّهم يملكون كلّ شيء، ولأول مرة أصبح المجتمع رغيداً، وأصبح كلّ شيء مُتوفّراً، ولذلك لا يُوجد فيه أمل، ويتساءل الجميع: «ماذا بعد؟ ماذا الآن؟»، ومن أجل ذلك، يبحث الناس، مع أنه ليس هناك تقاليد قديمة، ولا استمرارية طويلة للبحث، فأمريكا، واحدة من أكثر المجتمعات حداثة أيضاً، لأنّها وُجدت على الأرض منذ ثلاثمئة عام فقط. إنّها لا تمتلك ماضٍ تُشير إليه، ليس لديها ماضٍ ذي سياق، وليس لديها «سلسلة»، أو ما يُطلق عليه الصوفيون «استمرارية الروحانية». إنّه الدافع الأول. تُعتبر «أمريكا» فصل الروضة حينما يتعلق الأمر بالروحانيات، ولذلك يستطيع أيّ شخص أن يذهب، ويُصبح مُعلّماً «غورو»، فهذا أمرٌ سهل جداً في «أمريكا». إن الناس يبحثون عن أيّ شيء سواء كان ضاراً، ذي معنى، بلا معنى، أيّ شيء.

هناك صنفان من «غورو»، العظماء في «أمريكا»: «مهاريشي هاشيش يوغي» و «مهاريشي ماهيش يوغي». إنّ الناس يُجرّبون حتى «هاشيش» من أجل الوصول إلى الإله. فليس هناك ادراك للاتجاهات.

لا بُدّ أنّ هذا الرجل كان طفولياً، حدثاً. لقد حضر العديد من الاحتفالات الصوفية، مع العديد من المُدرّسين الصوفيين، وقد تنقّل من مدرسة إلى أُخرى، وجمع القليل من المعلومات من هنا، والقليل من هناك، وجمع قمامة داخل فكره.

حينما قال الحكيم: «ببساطة أغلق أذنيك، وفكّر في الفجل»، لم يكن يمزح. لقد كان يقول ما يتناسب تماماً مع قدرات هذا الرجل، وأكثر من ذلك لن يكون قابلاً للتطبيق حينها، بل قد يكون خطيراً. يجب عليه أن يقتحم عالم الروحانيات من النقطة التي يقف عندها.

في «أمريكا» أيّ شيء جائز، لسبب بسيط وهو أنّ الناس يبحثون، ولكن ليس لديهم أيّ توجيه، ولا أيّ مرجع من الماضي، فلم يبحث آباؤهم قطّ في الجانب الروحاني، لقد كان آباؤهم يبحثون عن المال وقد نجحوا، وفي ظلّ هذا النجاح، فشل كلّ شيء. لقد امتلك آباؤهم شيئاً واحداً فقط، وقد كان كافياً لإبقائهم في حالة ثمالة، وكان ذلك هو القوة والقدرة. كيف تمتلك منزلاً كبيراً،؟ كيف تمتلك سيارة كبيرة؟ كيف تمتلك المزيد من المال؟ المزيد من القوة والقدرة. لقد كانوا في حالة ثمالة من المقدرات، وكان لديهم شيئاً واحداً يُمثل لهم الدين وهو العمل. إنّ العمل هو روح «أمريكا». اِعمل بكدّ حتى تستطيع أن تحصل على الكثير من الأشياء في العالم، وقد نجحوا، مع الأسف نجحوا، وأصبح أطفالهم في حيرة من أمرهم. ماذا الآن؟ إنّ المال موجود، المنزل موجود، السيارة موجودة، كلّ شيء مُتوفّر، ومُجرّد اللهاث وراءهم الآن بينما هم مُتوفّرون أمر ليس له أيّ معنى. لماذا الركض وراءهم؟ إنّهم مُتوفّرون بالفعل. نحن في حاجة إلى شيء آخر. أيّ شيء سوف يفي بالغرض. قد يفي الجنس بالغرض، أو المخدرات، أو اليوغا، أو «التانترا» سوف تفي بالغرض. أيّ شيء سوف يفي بالغرض. وأيّ مدّعي يُمكن أن يُصبح «غورو».

اِستمع إلى هذا...

قفزت امرأة رمادية الشعر ثلاث درجات من السّلم، فتحت باباً مُموّجاً من الخشب الأحمر، ودخلَت إلى غرفة استقبال مفروشة بطريقة غريبة. قُرع الجرس، وظهرَت من بين سحابة البخور سمراء شرقية جميلة.

قالت بنعومة، «هل ترغبين في رؤية «غورو مهاريشي نارو» صاحب القدرة، الحكيم، العارف بكلّ شيء، المُبصر بكلّ شيء؟».

ردَّت السيدة الكبيرة: «أجل، قولي لـ»إيرفنج» أنّ أمه جاءت من «برونكس»!».

هذا يحدث من أجل سبب مُعيّن، فالناس يبحثون ولا يعرفون ما الذي يبحثون عنه. يمكن لأيّ مُدّعي أن يعِدهم بالجنان الوردية، ويُمكن أن يعِدهم بالجنة، وسوف يفي الوعد بالغرض. تعرف «أمريكا» كيف تعِد، وكيف تُروّج. إنّهم يعرفون كيف يُقنعون الناس كي يشتروا أيّ شيء. إنّهم أحد أمهر الشعوب في هذا المجال، وقد أصبح الإله الآن هو السلعة.

بيد أنك ما لم ترتقِ بقدراتك على التعلّم، وقدراتك على السعي والبحث، تستطيع أن تُسميّ ما تفعله بحثاً عن الحقيقة، ولكنّه سيبقى شيئاً آخر.

إنّ هذا الرجل ببساطة غبي، مُتوسط، وليس ذكياً. لقد كان يُضيّع وقته ووقت الآخرين، ولكنّه كان يقوم بتجميع المعلومات من هنا وهناك، وكان يستمتع بـ»الأنا المُزيّفة» التي تشعر: «إنني أُصبح رجل معرفة». لقد كانت مصادفة أنّه تعثر لحسن الحظّ بباب هذا الحكيم الذي قال:

«ببساطة أغلق أُذنيك، وفكّر في الفجل».

«قبل، وأثناء، أم بعد المحاضرات والتدريبات؟»،

«بدلاً من حضور أيّ منهم».

لقد ذكّرني بالمرأة التي ذهبَت إلى طبيبها، وكان الطبيب مُنزعجاً للغاية من المرأة. حيث كانت تضع مولوداً جديداً كلّ عام. لقد كان لديها دستة بالفعل، والآن كان الطفل الثالث عشر قادماً. فقال الطبيب: «هذا يكفي! توقّفي الآن!»،

قالَت المرأة: « أنا الآن أيضاً أظنّ أنّ الأمر قد أصبح مُتعباً. أنا مُرهقة. هل لك أن تقترح عليّ شيء يمنعني من أن أحمل؟»،

قال الطبيب: «نعم. اِشربي كوباً من الماء الساخن».

قالت المرأة: «قبل أم بعد؟»،

قال الطبيب: «بدلاً من».

«ليس قبل، أثناء، أو بعد المحاضرات والتدريبات. أسقِط جميع تلك التدريبات. إنّها غبية. تخلّ عن جميع المحاضرات، فليس لها معنى. إنّ أول شيء عليك فعله هو أن تُصبح رابط الجأش، هادئاً أكثر. سوف يكون أفضل شيء تقوم به هو أن تُغلق أُذنيك. لقد سمحت لأذنيك أن تستمع إلى الكثير جداً ممّا يُمكن أن تتحمّله. إنّك مُثقل بالفعل».

من أجل ذلك، فإنّ «أغلق أذنيك» عبارة رمزية ببساطة تعني: «لا تقُم بجمع أيّ معلومات أكثر. فهذا كثير بالفعل، إنّه يقودك إلى الجنون!»، أغلق أذنيك تعني: لا تُوجد حاجة أن تعرف عن الحقيقة، فأن تعرف عن الحقيقة غير أن تعرف الحقيقة، ولذلك توقّف عن هذا الدوران في دوائر، وهذا اللفّ هنا وهناك. أغلق أذنيك. وبالطبع، يقول: «فكّر في الفجل». قد يكون الرجل يمتلك فقط هذا القدر من الامكانيات.

لقد سمعتُ قصّة «هندوسية» قصيرة:

جاء رجل إلى حكيم وسأله ماذا يجب أن يفعل، وكان رجلاً بسيطاً.

قال الحكيم: «هل تُحبّ أحداً ما؟».

قال الرجل: «كلا. أنا رجل فقير كما ترى، أنا أيضاً قبيح الشكل، ولذلك لم تُوافق أبداً أيّ امرأة على الزواج مني. أنا لستُ متزوجاً، أنا أعزب، ولا يُحبّني أحد».

قال الحكيم: «إذاً، سوف يكون الأمر صعباً قليلاً، ولكن مع ذلك، أنت تظنّ حقيقة أنه لا يُحبّك أحد، هذا جيّد، لكن هل تُحبّ أحداً؟ أيّ شيء سيفي بالغرض، شجرة، كلباً، أيّ شيء».

قال الرجل: «أنا أُحبّ جاموستي».

قال الحكيم: «هذا سيفي بالغرض. عليك فقط أن تذهب إلى المنزل وتتأمل في جاموستك. اِبحث

عن الإله في شكل الجاموسة. اِنظر إلى الجاموسة واستشعر المُقدّس، لأنّه أينما يكون حُبّك، من هذه النقطة تحديداً يجب على الإنسان أن يتقدّم. دَع الجاموسة تكون أول نقطة في رحلتك، نقطة المغادرة. سوف تكون نقطة الوصول دائماً هي الإله، حتى لو اختلفت نقاط المُغادرة».

هناك شخص يُحبّ الطبيعة، عندئذ هذه هي بداية تأمّله. هناك شخص يُحبّ الموسيقى، عندها هذه هي بداية تأمّله.

هناك أشخاص لا يمتلكون أذناً موسيقية. إذا قلت لهم أن يجعلوا الموسيقى تأمّلهم، فسيكون ذلك مُستحيلاً، ويكون حاجزاً، ولن يصلوا أبداً إلى الإله. هناك أشخاص لا يستشعرون بالطبيعة نهائياً، ولا تروق لهم الطبيعة، وكلّ هذه الألوان الخلابة في كلّ مكان، الأخضر والأحمر، وكلّ أوراق الشجر، وأوراق النباتات، والزهور، لا تعني لهم أيّ شيء. إنّهم لا يرونها، ولا يملكون العين التي ترى هذا الجمال. إنّهم مصابون بالعمى فيما يتعلّق بالجمال. عندئذ لا يُمكن أن يكون هذا هو مدخلهم إلى «الألوهية».

إنّ الأداة عملية جداً. عليك أن تبدأ من حيث أنت، لا يُوجد طريقة أُخرى للبدء. يجب على كلّ شخص أن يبدأ بطريقته الخاصة، وبينما تنضج، سوف يتمّ اعطاؤك تأملات أفضل.

يجب أن يُعطى التأمل على حسب قدراتك. عندما تبدأ في النضج، تُعطى لك تأملات أكثر، أرقى، أعمق. في المرحلة الأخيرة عندما تنضج تماماً، تُؤخذ منك جميع التأملات. إنّ المرحلة الأخيرة من التأمّل هي اختفاء التأمل. عندما يُصبح التأمل مثالياً، عليك أن تتخلّى عنه. إنّ التشبث بالتأمّل في هذه اللحظة سوف يكون الحاجز الأخير، عليك أن تُسقطه أيضاً.

يجب أن يُصبح التأمّل ذات يوم شيئاً طبيعياً جداً، مثل التنفّس، فلا تحتاج أن تقوم به، إنّه موجود باستمرار. إنّه نوع من الحضور حولك، في الداخل، في الخارج. عندما تكون نائماً، تكون في حالة تأمل، وكذلك عندما تكون سائراً، مُتحدّثاً، تفعل هذا وذاك، تكون مُتأملاً، ولا يتركك تأمّلك قط، لقد أصبح التأمل ظلّك. عندئذ يكون الإنسان قد أصبح متأمّلا حقيقة.

تذكّر هذه المُفارقة: عندما تصل إلى التأمّل، يجب التخلّي عنه، ويجب على الإنسان أن يبدأ كما تسمح له قدراته.

قال المُعلّم: «أول شيء هو أن تتوقّف عن سماع المزيد عن الحقيقة. لقد سمعتَ الكثير بالفعل».

لقد كان المُتحدّث في فترة بعد العشاء مُمّلاً ومُستفيضاً. تداعى الضيوف إلى النوم في أماكنهم واحداً تلو الآخر، فقام صاحب الاحتفال الحانق المُحرج بالطرق بمطرقته، وبينما يطرق بعنف أصاب الرجل الذي يغطّ في النوم بجواره في رأسه.

قال الرجل النائم: «اِضربني مرة أُخرى، ما زلتُ أستطيع سماع هذا السافل!».

قال المُعلّم: «لقد سمعتَ ما يكفي. لقد قرأتَ ما يكفي. إنّك تعرف بالفعل أكثر ممّا تحتاج إليه. أغلق أذنيك. إنّ امكانياتك قليلة جداً، حتى أنّك سوف تُفسّر أيّ ما تسمعه بطريقة خاطئة، ولن يكون له

علاقة بالأمر أبداً، وسيكون دائماً غير ذي صلة، لأنّ كينونتك مُنخفضة جداً، بينما معرفتك عالية جداً. إنّهما لا يتقابلان. سوف تقوم كينونتك بالتفسير، وتكون معرفتك مُفسّرة من خلال كينونتك، ممّا يجعلها دائماً مُشوّهة. سوف تكون دائماً غير ذات صلة، وخارج السياق. قد يكون الرجل الذي يقولها عنده سياق لها، أو يكون في الكتاب الذي تقرأ فيه سياق لها، لكنّها ببساطة سوف تُصبح في داخلك جزءاً عائماً، ليس له علاقة بك، غير مُتأصّل فيك. سوف يكون عبئاً. إنّها لن تُنيرك. سوف تزيد العبء أكثر، ولن تُريحك من حملك».

كان رجل وزوجته يقفان أمام قفص «الغوريلا» في حديقة الحيوانات. فجأة، مدّت «الغوريلا» يديها من خلال القضبان، وجذبَت المرأة إلى القفص وبدأت في تمزيق ملابسها.

صرخت الزوجة: «هيرمان»، ماذا أفعل الآن؟»،

هزّ «هيرمان» كتفيه وقال: «قولي له أنّكِ مصابة بصداع عزيزتي».

قد يكون أحد الأشياء له صلة في حالة معينة، ولكنه ليس ذا صلة في جميع الحالات. تأتي الحالة من كينونتك. من أجل ذلك لا تعرف أبداً أكثر من كينونتك. كُن أكثر، اِعرف أقل، وسوف تكون دائما مُتحركاً في الاتجاه الصحيح. اِعرف القليل، ولكن افعله، تشرّبه، اِهضمه، وإلا فإنّ المعرفة يُمكن أن تتسبب بنوع من عسر الهضم، يُمكن أن تُسبب الغثيان، وسيكون عليك أن تتقيأها.

كُل القليل، ولكن دعه يُهضم حتى يُصبح دماً، عظاماً، نخاعاً.

***

Notes

[1←]
البوذية ، هي حالة التنوير المفاجئ. في الممارسة البوذية تشير إلى تجربة الاستيقاظ بالمفهوم الروحي.

مصطلح بوذي صيني يدل على الاستنارة أو بصورة حرفية (الفهم) ، فهي لمحة من الوعي الفجائي أو الاستنارة الشخصية وتعتبر الخطوة الأولى للصعود نحو النيرفانا.